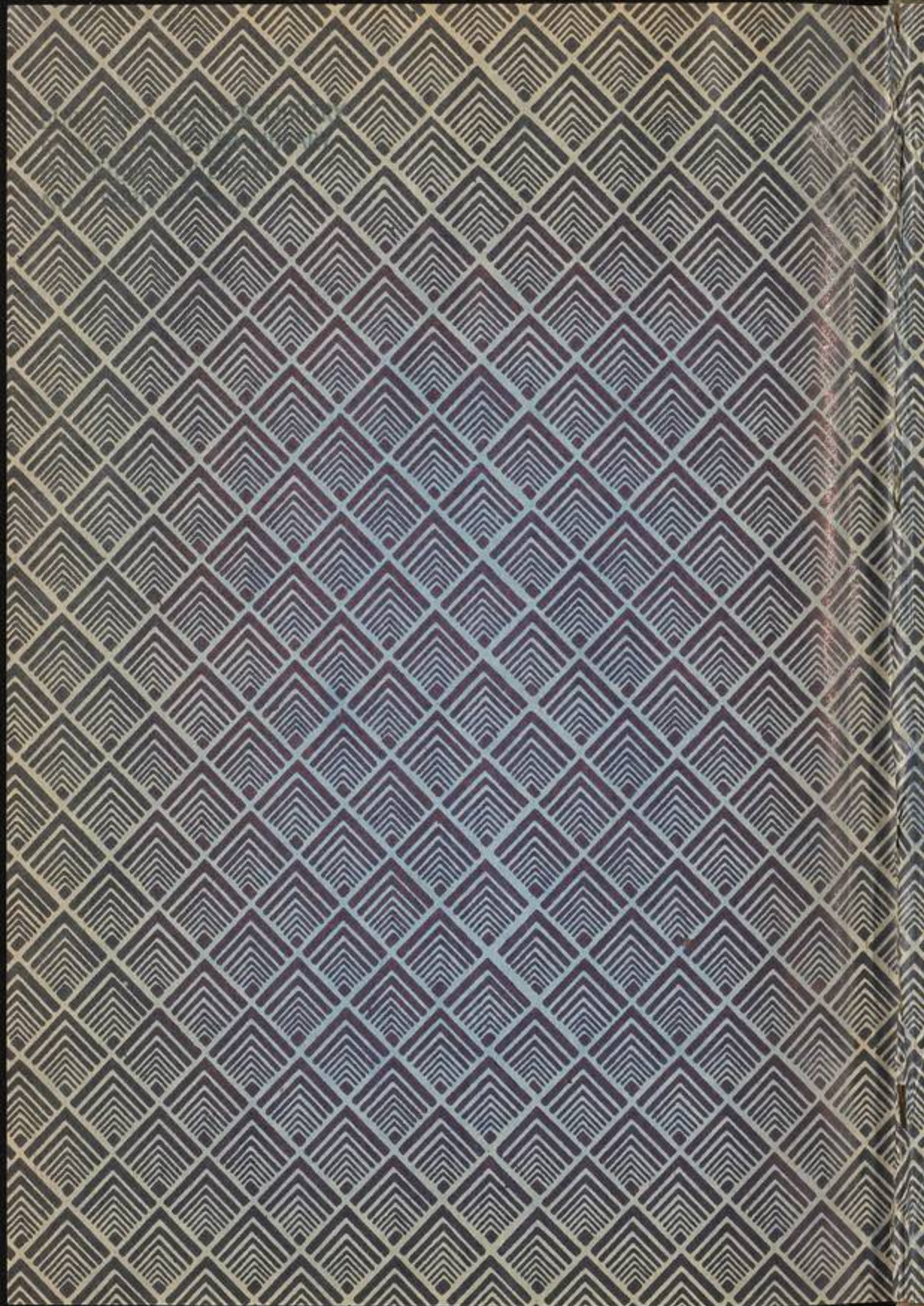


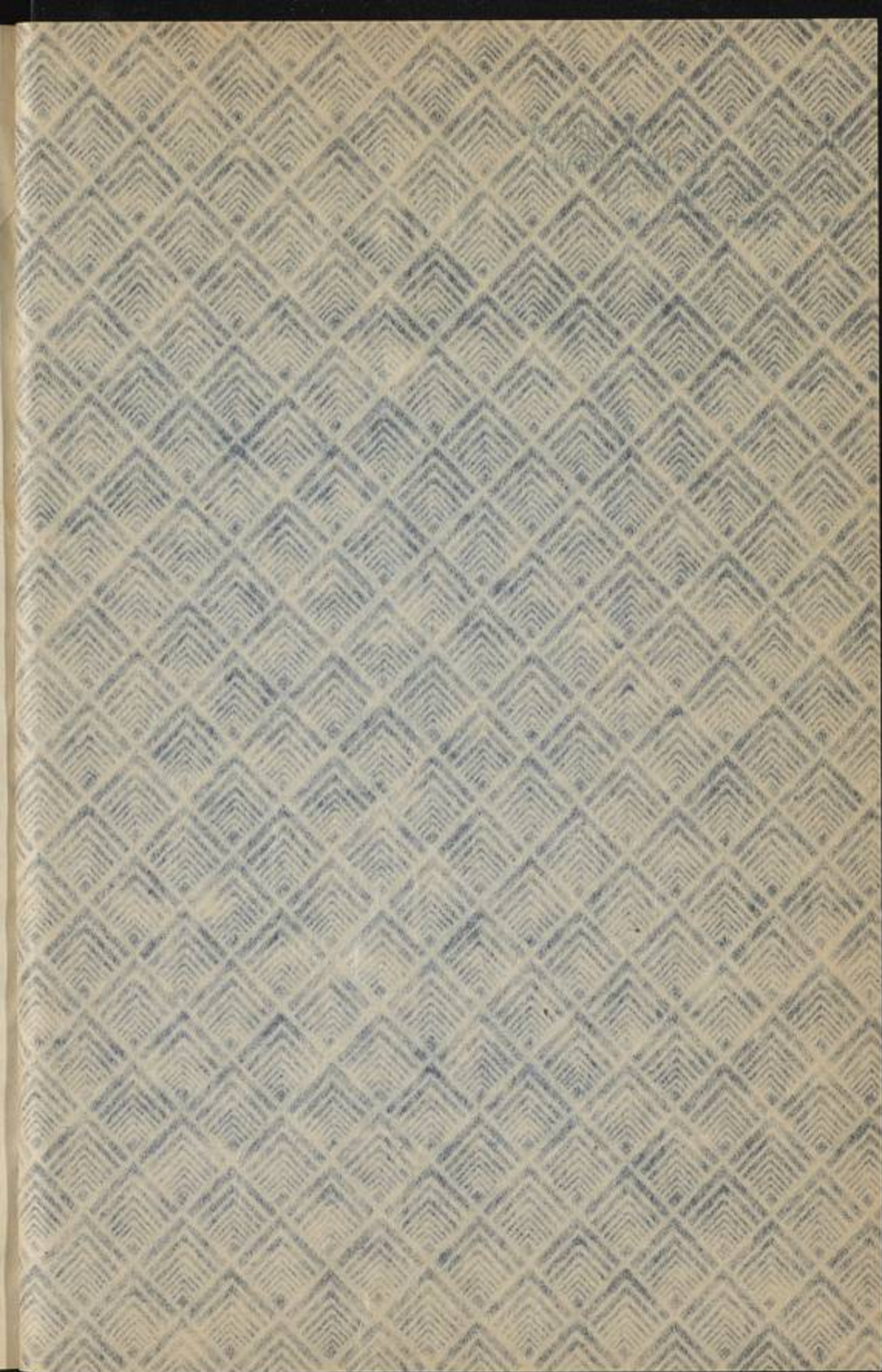
RE



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

BURGESS-CARPENTER
&
CLASSICS
LIBRARY





الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

بتحقيق

أبي الأشبال

محمد شيبان

الفاضل المرعي

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٣٥٦ / ٨ / ١٩٣٧ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

~~Butlstonx
PJ
7510
.M8
1936g
v.3~~

جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة

لناشـــــــــــــــــرية

شركة الناشر والمطبعة والنقل والادارة

~~Am 755
D893.741
M8813
v.3~~

31797H

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ووقف رجلٌ عليه مُقَطَّعاتٌ على الأحنفِ بنِ قيسٍ يَسُبُّه ، وكان عمرو بن الأَهمِّ جَمَلٌ له ألفَ درهمٍ على أن يُسَفَّهُ الأحنفَ ، فجعل لا يَأَلُو أن يسبه سبًّا يُغْضِبُ^(١) ، والأحنفُ طَرَقَ صامتٌ [لا يكلمه]^(٢) ، فلما رآه لا يكلمه أَقبلَ الرجلُ يَعْضُ إِبهامِيه^(٣) . ويقولُ : يا سَوَاتِنَا ! واللهِ ما يمنعُه من جوابي إِلا هَوَانِي عليه !

وفعلَ ذلك آخرُ ، فأمسكَ عنه الأحنفُ ، فأكثرَ الرجلُ ، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغداء ، فأقبلَ على الرجلِ ، فقال له : يا هذا ! إن غَدَاءَنا قد حضرَ ، فامْضُ بنا إليه إن شِئْتَ ، فانك مُذُ اليومِ تَحْدُو بِجَمَلٍ ثَقَالٍ !! و « الثَّقَالُ » من الإبلِ : البطيءُ الثقيلُ الذي لا يكادُ يَنْبَعِثُ . وعَدَّتْ على الأحنفِ سَقَطَةٌ في هذا الباب ، وهو أن عمرو بن الأَهمِّ دَسَّ إليه رجلاً لِيُسَفَّهُهُ ، فقال له : أبا بَجْرٍ^(٤) ! ما كان أبوك في قومِه ؟ قال :

(١) في س « يغضبه » .

(٢) الزيادة من ج و س و د . وفي هـ « ساكت » بدل « صامت » .

(٣) في ج و س و د و هـ « إبهاميه » .

(٤) في ج و س و د و هـ « أبا بجر » .

كان من أوسطهم ، لم يَسُدُّهُمْ ولم يتخلف عنهم ، فرجع إليه ثانية ، ففطن^(١) الأحنف أنه من قبيل عمرو ، فقال : ما كان مالُ أبيك ؟ فقال : كانت له صِرْمَةٌ يَمْنَحُ منها وَيَقْرِي ، ولم يك أهتم سَلَاحًا^(٢) .

وَجُعِلَ لرجلٍ ألفُ درهمٍ على أن يسألَ عمرو بن العاصِ عن أمِّه ، ولم تكن في موضعٍ مرصِيٍّ [إنما كانت من عَنزَةٍ ، ثم من بني جِلَانٍ]^(٣) ، فأتاه الرجلُ [فوقفَ عليه]^(٤) ، وهو بمصرَ أميرٌ^(٥) عليها ، فقال : أردتُ أن أعرفَ أمَّ الأميرِ؟! فقال : نعم ، كانت [امرأةٌ]^(٦) من عَنزَةٍ ، ثم من بني جِلَانٍ ، تُسَمَّى لَيْلَى ، وتلقَّبُ النابغةَ ، أذهبْ وخذْ^(٧) ما جعلَ لك !!

وقال له مرةً المنذرُ بن الجارودِ : أيُّ رجلٍ أنتَ لولا أمُّك^(٨) ؟! قال : فإني أحمدُ اللهَ إليك ، إني فكرتُ في هذا^(٩) البارحةَ ، فأقبلتُ أنقلها

(١) « فطن » من بابي « علم » و « نصر » .

(٢) قال الرصني : « يعرض بأبي عمرو ، وهو سنان بن خالد بن منقر - بكسر فسكون - وتقب

بالأهم لأن ثيبته هتمت يوم الكلاب . والسلاح : كثير السلاح » . وسقطة الأحنف أنه أجاب

التحدي فشم الموعز للسائل .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) في ج و س و د « أميراً » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) في ج و د و هـ « خذ » .

(٨) في ج و د وحاشية ا « لولا أن أمك أمك » . وفي س و هـ « لولا أن

أمك أمة » .

(٩) في ج و س و د و هـ « فيها » .

في قبائل العرب ، فما خَطَرَتْ لى عبدُ القيسِ على بالٍ^(١) !!
ودخل عمرُّو مكةَ فرأى قوماً من قريشٍ قد جلسوا حلقَةً ، فلما رأوه
رَمَوْهُ بأبصارهم ، فَعَدَلَ إليهم فقال : أَحْسِبُكُمْ كُنْتُمْ فى شىءٍ من ذكرى ؟
قالوا : أَجَلٌ ، كُنَّا مُمِئِّلٌ^(٢) بينك وبين أخيك هشامٍ : أَيُّكُمَا أَفْضَلُ ؟ فقال
عمرُّو : إنْ لهشامٍ على أربعةٍ : أمُّهُ ابنةُ هشامِ بن المغيرةِ ، وأمِّي مَنْ قد
عَرَفْتُمْ ، وكان أحبَّ إلى أبيه منى ، وقد عرقتُم معرفةَ الوالدِ بالولدِ ، وأسلمَ
قبلى ، واستشهدَ وبقيتُ .



[قال أبو العباس]^(٣) : وقد أكثر الناسُ فى البابِ الذى ذكرناه ،

وإنما نَذَكْرُ من الشىءِ وجوهُهُ ونوادِرُهُ :

قال رجلٌ لرجلٍ من آلِ الزبيرِ كلامًا أَقْدَعَ له فيه ، فأعرضَ الزبيرىُّ
عنه ، ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرىُّ علىَّ بن الحسينِ ، فأعرضَ عنه ، فقال له
الرجلُ الزبيرىُّ : ما يمنعك من جوابى ؟ فقال [له]^(٤) علىَّ ما يمنعك من
جوابِ الرجلِ !

وقد رُوِيَ قولُ القائلِ : لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا ، فقال له :
ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدةً .

(١) فى ج و س و د « بال » .

(٢) فى ج و س و د « مُمِئِّلٌ » .

(٣) الزيادة من ج و س . ولم يذكر فيها قوله « وقد » .

(٤) الزيادة من س و ه .

قال الشاعر :

ولقد أمرت على اللئيم يسبني فأجوزتم أقول لا يعنيني^(١)

وقال رجل لرجلٍ وسببه فلم يلتفت إليه - : إياك أعني ، فقال له الرجلُ :
وعنك أعرضُ .

فأما قولُ الشعبيِّ للرجلِ ما قالَ حينَ غيَرِ هذا البابِ ، وإنما مخزجه
الديانةُ ، وذلك أن رجلاً سبَّ الشعبيَّ بأمرٍ قبيحٍ نسبة إليها ، فقال [له]^(٢)
الشعبيُّ : إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك ، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي .

وقال أبو العباس : قال رجلٌ لأبي بكرٍ الصديقِ رحمه الله : لَأَسْبُتَكَ
سبباً يدخلُ معك قبرك ! فقال : معك والله يدخلُ لامعي .

[ويحدثُ ابنُ عائشةَ عن أبيه : أن رجلاً من أهل الشام دخلَ المدينةَ ،
فقال : رأيتُ رجلاً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا أحسنَ لباساً ولا أفرهَ
مرَّكباً منه^(٣) ، فسألتُ عنه ؟ فقيلَ لي : الحسنُ بنُ علي بن أبي طالبٍ ،
فامتلتُ له بغضاً ، فصيرتُ إليه ، فقلتُ : أنت ابنُ أبي طالبٍ ، فقال : أنا
ابنُ ابنه ، فقلتُ له : فيك وبك وبأبيك ، أسبهُما ، فقال : أحسبُكَ غريباً ،
قلتُ : أجلٌ ، فقال : إن لنا منزلاً واسعاً ومعونَةً على الحاجة ومالاً نؤوي

(١) في س « مُتَّ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي » .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) أي لا أنشط منه ، والفراة الحدة والنشاط في البقل أو الحمار ، ولا يوصف بها الفرس ، وإنما
يقال له جواد .

منه ! فانطلقتُ وما أجدُ على وجهِ الأرضِ أحبَّ إليَّ منه] .

[قال أبو العباس] ^(١) : ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ بِرَجُلٍ عَنْ

إِزْتِ رَجُلٍ لَا يُشَاكُهُ ، وَلَا يَهِيبُهُ ، وَلَا يَشَابَهُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

بَكَتْ دَارُ بَشْرٍ شَجْوَهَا أَنْ تَبَدَّلَتْ هَلَالَ بِنِ قَعْقَاعٍ يَبْشُرِ بِنِ غَالِبِ

وَمَا هِيَ إِلَّا كَالْعُرُوسِ تَنْقَلَّتْ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبِ ^(٢)

وقال الفرزدقُ حينَ وَلِيَ العِراقَ عُمرُ بنُ هُبَيْرَةَ الفِزارِيُّ بِعَقِبِ

مَسْلَمَةَ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً فَارَعَى فِزارَةَ لَاهَنَّاكَ المَرْتَعُ

ولقد علمتُ إذا فِزارَةُ أُمِّرتُ أَنْ سَوْفَ يَطْمَعُ فِي الإِمَارَةِ أَشْجَعُ ^(٣)

فَأرى الأُمُورَ تَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهَا حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنِ فِزارَةَ تُنزَعُ ^(٤)

عُزِلَ ابْنُ بَشْرٍ وَابْنُ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأخُو هِراةَ لَمَثَلِهَا يَتَوَقَّعُ ^(٥)

فلما وَلِيَ خالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسَمِيُّ عَلَى عُمرَ بنِ هُبَيْرَةَ قالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

أَسَدٍ ^(٦) يُحْيِيهِ الفِرْزَدِقُ :

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) « محارب » قبيلة فيها ضعة كباهلة . فهو يضرب المثل بالعروس التي تنزل بعد زواجها من هاشمي إلى محاربي .

(٣) في ج و د و هـ « أن سوف تطمع » .

(٤) في س بدل « تُنزَعُ » « تُسْرِعُ » وفي هـ « تُنزَعُ » .

(٥) أخو هراة : قال المرصني : « هو سعيد بن الحرث بن الحكم بن العاص ، وكان عاملا على خراسان من قبل مسلمة بن عبد الملك » .

(٦) قال المرصني : « هو إسماعيل بن عمار الأسدي » .

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فِزَارَةَ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمِّيَّةٌ بِالْمَشَارِقِ تُنْزَعُ^(١)
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرٌ تَضِجُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْرَعُ^(٢)
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فِزَارَةَ شَجْوَهَا فَالْيَوْمَ مِنْ قَسْرِ تَذُوبٍ وَتَجْزَعُ
وَمَلُوكٌ خِنْدَفَ ذَلَلْتَنَا لِلْعِدَى اللَّهُ دَرُّ مَلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ^(٣)
كَانُوا كِتَارِكِيَّةً بِذِيهَا جَانِبًا سَفَهَا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتُرْضِعُ



قال أبو العباس : وكان الفرزدق هجاءً لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق ، وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك [بن مروان]^(٤) :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ بَرٌّ أَمِينٌ لَسْتَ بِالطَّبِيعِ الْحَرِيصِ
أَأْطَعْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيهِ فِزَارِيًّا أَحَدًا يَدِ الْقَمِيصِ^(٥)
تَفَهَّقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُتَيِّ وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أُكْلَ الْخَيْصِ^(٦)
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضِ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قُلُوصِ

(١) في ج و د « إِذْ رَأَى » وفي س و هـ « إِذْ نَأَى » .

(٢) في هـ « وَتُضَدَعُ » .

(٣) في ج و س و د و هـ « أَسْلَمُونَا لِلْعِدَى » وبها طبعت نسخ مصر .
(٤) الزيادة من ف .

(٥) في ج « أَأْطَعْتَ » وبها طبعت نسخ مصر . وفي د « أَوْلَيْتَ » .

(٦) في هـ « تَفَيَّهَقَ » .

قوله « لست بالطَّيِّع الحريص » فـ«الطَّيِّعُ» الشديدُ الطَّمَعِ الذي لا يَفْهَمُ لشدَّةِ طَمَعِهِ^(١) ، وإنما أُخِذَ هذا من « طَبِعَ السيفُ » يقال « طَبِعَ السيفُ » يافتى ! و « هوسيفٌ طَبِعٌ » إذا ركبهُ الصِّدَأُ حتى يُفْطَى عليه . والمثَلُ من هذا في الذي طُبِعَ على قلبه إنما هو تَغْطِيَةٌ وحِجَابٌ ، يقال « طَبِعَ اللهُ على قلب فلانٍ » كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ هذا الوقْفُ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(٢) وكذلك « رِينَ عَلَى قلبه » و « غِينَ عَلَى قلبه » فـ«الرَّيْنُ» يكونُ من أشياء تَأَلَّفُ عليه فتغْطِيهِ ! قال اللهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ كَلَّابٌ رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٣) وأما « غِينَ عَلَى قلبه » فهي غِشَاوَةٌ تَعْتَرِيهِ ، و « الغَيْنَةُ » القطعةُ من الشجر الملتفٌ تُعْطَى ما تحْتَمَا ، قال الشاعر :

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتَيْ عُقَابٍ أَصَابَ سَهْمَةً فِي يَوْمِ غَيْنٍ

وقال بعضهم : أَرَادَ فِي التَّفَافِ مِنَ الظُّلْمَةِ ، وقال آخرونَ : أَرَادَ فِي يَوْمِ غَيْمٍ ، فأبدل من الميم نوناً ، لاجتماع الميم والنون في الغنَّةِ ، كما يقالُ لِلْحَيَّةِ « أَيْمٌ »

(١) في ج و هـ « طَبِعَهُ » وهو أجود .

(٢) سورة البقرة (٧) . وقد اشتبهت الآيات على أبي العباس ، فإن في جميع نسخ السكامل « طبع » بدل « ختم » وهو مخالف لتلاوة . وهناك آيات أخرى فيها « طبع الله على قلوبهم » ولكنها ليست هذه الآية ، منها : في سورة التوبة (٩٣) وسورة النحل (١٠٨) وسورة محمد (١٦) وهي أجزاء من الآيات . وأما مسألة الوقف فإنا قال فيها أبو العباس جيد . وانظر منار الهدى (ص ٢٣ من طبعة بولاق) .

(٣) سورة المطففين (١٤) .

و «أَيْنُ» . واستجازت الشعراء أن يجمع الميم والنون في القوافي ، لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنّة ، قال الراجز :

مُبْنِيٌّ إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيْنٌ الْمَنْطِقُ اللَّيْنُ وَالطُّعْمُ^(١)
وقال آخرُ :

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ مِثِّي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثٌ سِنِي^(٢)

* لِثَلِّ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي *

و «العراقان» البصرة والكوفة . و «الرافدان» دجلة والفرات . وقوله

«أَحْذَى يَدِ الْقَمِيصِ» «الْأَحْذَى» الْخَفِيفُ ، قَالَ طَرْفَةُ .

* وَأَتَلَعُ نَهَاضٌ أَحْذَى مَمْلَمٌ *

وإنما نَسَبَهُ بِالْخَفَةِ فِي يَدِهِ إِلَى السَّرْقِ^(٣) .

وقوله «تَفَهَّقَ»^(٤) أَيْ امْتَلَأَ مَاءً^(٥) ، يُقَالُ بَرَّ «تَفَهَّقُ» وَغَدِيرٌ «يَفْهَقُ»

إِذَا امْتَلَأَ مَاءً ، قَالَ الرَّاجِزُ :

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ لِلْقَوْمِ اسْتَقُوا وَالْقَوْمُ فِي عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ

(١) وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن شاهداً ، قول ابن عمر : «البر شيء هين ، وجه طليق وكلام لين» .

(٢) قال المرصفي : «البازل من الأبل ما استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة ، فإذا جاوز

الجزول قيل بازل عام وعامين ، وكذلك ما زاد ، فإذا قيل ذلك للرجل فأنما يراد استكمال

شبابه واستجماع قوته وكأله في عقله وتجربته ، ولا يراد أنه مسن كالبازل ، ألا ترى قول

الراجز : حديث سني ! وحديث السن لا يكون بازلاً » .

(٣) في ج و س و د «السرقعة» .

(٤) في هـ «تَفَهَّقَ» وهي بمعنى «تفَهَّقَ» .

(٥) في ج و س و د وهـ «امتلاً مالا» ولعله أجود .

وقال الأعمش في مدحه المخلق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب .
ففي الذم عن رهط المخلق جفنة كجاية الشيخ العراقي تفهق
هكذا رواية أبي عبيدة .

وقوله :

« ولم يك قبلها راعي مخاضٍ ليأمنه على وركي قلوصٍ »

كانت بنو فزارة ترمي بغشيان الإبل ، ولذلك قال ابن دارة :
لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار



فاما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد [بن عبد الله^(١)] القسري .
قال الفرزدق :

لعمري لئن نابت فزارة نوبة
لقد حبس القسري في سجن واسط
فتي لم تربيته النصارى ولم يكن
غذاء له لحم الخنازير والخمر^(٢)
« الشيطمي » الطويل^(٣) ، قال ذو الرمة :

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) في ج و س و د وحاشية ا « لم تربيته » ، ويكون شاهدا لإببات حرف العلة
مع الجازم في الفعل المتل .

(٣) في ج و س و د « قوله » « فتي شيطمي الشيطم الطويل » .

إذا ما رَمِينَا رَمِيَّةً فِي مَفَازَةٍ عَرَاقِيْبَهَا بِالشَّيْطَانِيِّ الْمَوَاشِكِ^(١)
يريدُ : حَادِيَا يَسُوْقُهَا .

وقوله « مَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ » : مَا يُجْرُّ كَه .

وقوله « قَتَى لَمْ تُرَبِّبَهُ^(٢) النَّصَارَى » يُنْبِئُهُ بِهِ عَلَى أُمِّ خَالِدٍ ، وَكَانَتْ
نَصْرَانِيَّةً رُومِيَّةً ، وَكَانَ أَبُوهُ اسْتَلَبَهَا فِي يَوْمِ عِيدِ اللُّرُومِ ، فَأَوْلَدَهَا خَالِدًا
وَأَسَدًا ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهَرَ مَطِيَّةٍ أَتْنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ
وَكَيفَ يَوْمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ^(٣)
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ
وقال :

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدِ وَأَصْحَابِهِ لَا طَهَرَ اللَّهُ خَالِدًا
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ بُغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَا
وَكَانَ سَبَبُ هَدْمِ خَالِدِ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ ، حَتَّى حَطَّهَا عَنْ دُورِ النَّاسِ - : أَنَّهُ
بَلَغَهُ شَعْرٌ لِرَجُلٍ مِنَ الْمَوَالِي ، مَوَالِي الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ :

لَيْتَنِي فِي الْمَوْذُنِينَ حَيَاتِي إِنَّهُمْ يُبْصِرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ

(١) « المواشك » : المستعمل .

(٢) فِي ج و س و د وَحَاشِيَةِ أ « لَمْ تُرَبِّبَهُ » .

(٣) « يَوْمٌ » رَسَمَتْ هَكَذَا فِي ج و س و د و ه . وَرَسَمَتْ فِي بَاقِي الْأَصُولِ الْمَخْطُوطَةِ

« يَأْمٌ » .

فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالهُوَى كُلِّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحٍ
خَطَّهَا عَنْ دُورِ النَّاسِ .

وَيُرْوَى عَنْهُ فِيمَا رُوِيَ مِنْ عُمُوهُ : أَنَّهُ اسْتَعْفَى مِنْ بَيْعَةِ بَنَاهَا لِأُمَّهِ ،
فَقَالَ لِمَلَأٍ مِنَ الْمَسْلَمِينَ : قَبِّحَ اللَّهُ دِينَهُمْ إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ .

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لابْنَ هُبَيْرَةَ حَيْثُ^(١) نُقِبَ لَهُ السَّجْنُ وَهَرَبَ وَسَارَ^(٢)
تَحْتَ الْأَرْضِ هُوَ وَابْنُهُ حَتَّى تَفْذَا :

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدِ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا^(٣)

دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا تَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلَمَاتٍ فَقَرَّجًا

فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدِ سِرْتَ سِيرَةً وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حَيْثُ أُدْجَا^(٤)

خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ طَلَاقَةٌ سِوَى رَبِّذِ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعُوجَا^(٥)

فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ الْفَرَزْدَقِ ، هَجَانِي أَمِيرًا ،
وَمَدَحَنِي أُسِيرًا .

قَوْلُهُ « حَيْثُ أُدْجَا » تَقْوِيلُ « أُدْجَيْتُ » إِذَا سَرْتَ مِنْ^(٦) أَوَّلِ اللَّيْلِ ،

(١) فِي ج و س و د و هـ « حِينَ » .

(٢) فِي ج و د و هـ « فَسَارَ » .

(٣) فِي س « قَدِ ضَاقَ ظَهْرُهَا » .

(٤) فِي ج و د و هـ « حِينَ أُدْجَا » .

(٥) فِي ج و د « مِنْ نَسْلِ أَعُوجَا » . وَقَوْلُهُ « سِوَى رَبِّذِ التَّقْرِيبِ » قَالَ الْمُرْصَفِيُّ : « يَرِيدُ :

سِوَى فَرَسٍ خَفِيفِ الْقَوَائِمِ ، وَأَرَادَ بِالتَّقْرِيبِ عَدُوَّ التَّعْلِيَةِ : بِرَجْمِ الْأَرْضِ بِيَدَيْهِ » .

(٦) فِي ج و س و د « فِي » .

و«أَدْلَجْتُ» إذا سرت من آخره في السَّحَرِ ، قال زُهَيْرٌ:
بَكَرَنَ بُكُورًا وَأَدْلَجَنَ بِسُحْرَةٍ فَهِنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْقَمِ
و«أَعْوَجُ» فرسٌ كان لَغْنِيٍّ ، وقالوا: كان لبني كِلَابٍ ، ولا يُنْكَرُ
هذا ، لأن حَبِيبَةَ^(١) بنتَ رِيَّاحِ الْغَنَوِيَّةِ ولدتْ بني جعفرِ بنِ كِلَابٍ ، فلمله
أن يكونَ صارَ إلى بني جعفرِ بنِ كِلَابٍ من غَنِيٍّ .

والعربُ تَنْسُبُ الْخَيْلَ الْجِيَادَ إلى «أَعْوَجَ» وإلى «الْوَجِيهِ» و«لَا حِقِ»
و«الْفُرَابِ» و«الْيَحْمُومِ» وما أشبهَ هذه الخيلَ من المقدماتِ ، قال
زَيْدُ الْخَيْلِ [الطَّاءِ^(٢)]:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذَّنَابِ^(٣)
جَلَبْنَا كُلَّ طَرْفٍ أَعْوَجِيٍّ وَسَلَمِيَّةٍ كَخَافِيَةِ الْعُقَابِ^(٤)



ثم نرجعُ إلى التشبيهِ المصيبِ . قال امرؤُ القيسِ في طولِ الليلِ :
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْزَاسِ كَثَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ
فهذا في ثباتِ الليلِ وإقامته . و«المَصَامُ» المَقَامُ ، وقيل الممسكُ عن الطعامِ
«صائمٌ» لثباتِهِ على ذلك ، ويقال «صامَ النهارُ» إذا قامتِ الشمسُ ، قال
امرؤُ القيسِ :

(١) في ج و د «حُبَيْبَةَ» .

(٢) الريادة من ه .

(٣) «نزائعا» جمع «نزعة» وهي التي تنزع إلى وطنها وتحن إليه .

(٤) قال المرصفي : «سلبية وسلمية» كلاهما الفرس الذكر ، وهو الطويل على وجه الأرض .

فَدَعَهَا وَسَلَّ الِهْمَّ عَنْكَ بِجَمْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَرًا
وقال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتِ الْعَجَّاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ الْأَجْمَا (١)
و « الأمراس » جمع « مَرَسٍ » وهو الجبل ، قال أبو زبيد يرى غلامه
وتعرض للحرب فقتل (٢) :

إِمَّا تَعْلُقُ بِكَ الرِّمَاحُ فَلَا أَبْكَيَكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ (٣)
وقال في ثبات الليل :

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ جُبُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَيْدَبُلِ
« المغار » الشديد الفتل ، يقال « أغرتُ الجبل » إذا شددت فتله .
و « يَدْبُلُ » جبل بعينه .
وقال أيضاً :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَدَقِيهِ كَبِيرُ أَنَسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلِ
« أبان » جبلٌ وهما أبانان : أبان الأسود ، وأبان الأبيض . قال مهدي (٤) ،
وكان نزل في آخر حربهم - حرب البسوس - في جنب بن عمير وبن علة
بن جلد بن مالك . وهو مذحج ، و « جنب » حتى من أحيائهم وضيع ،
فخطبت ابنته ومهرت أدمًا ، فلم يقدر على الامتناع ، فزوجها ، وقال :

(١) في هـ « وأخرى تملك » .

(٢) في ج و س و د « يرى غلامه ويذكر تعرضه للحرب » .

(٣) في ج و س و د « إِمَّا تُقَارَنُ بِكَ الرِّمَاحُ » .

(٤) في ج و س و د و هـ « المهليل » .

أَنكَحَهَا فَقَدَّمَهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ (١)
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرَّجَ مَا أَتَفْتُ خَاطِبٍ بَدَمَ (٢)
 وَقَوْلُهُ « فِي أَفَانَيْنِ وَدَقِهِ » يَرِيدُ : ضُرُوبًا مِنْ وَدَقِهِ ، وَ « الْوَدَقُ »
 الْمَطَرُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (٣)
 وَقَالَ عَامِرُ بْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِيُّ :

فَلَا مَزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدَقَهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

وَقَوْلُهُ « كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِيحَادِ مَزْمَلٍ » يَرِيدُ : مَزْمَلًا بَثْيَابَهُ ، قَالَ اللَّهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) ، وَهُوَ « الْمَتَزْمَلُ »
 [بَثْيَابَهُ] (٥) ، وَالتَّاءُ مَدْعَمَةٌ فِي الزَّاي . وَإِنَّمَا وَصَفَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْغَيْثَ ،
 فَقَالَ قَوْمٌ : أَرَادَ أَنْ الْمَطَرُ قَدْ خَنَقَ الْجَبَلَ فَصَارَ لَهُ كَاللِّبَاسِ عَلَى الشَّيْخِ الْمَتَزْمَلِ ،
 وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا أَرَادَ مَا كَسَاهُ الْمَطَرُ مِنْ خُضْرَةِ النَّبْتِ . وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ .
 وَذَكَرَ الْوَدَقَ لِأَنَّ تِلْكَ الْخُضْرَةَ مِنْ عَمَلِهِ .

(٣) « الْأَرَاقِمَ » م : جُشْمٌ وَمَالِكٌ وَالْحَرْتُ وَمَعَاوِيَةُ وَتَمَلْبَةُ وَعَمْرُو بْنُ بَكْرٍ حُبَيْبُ بْنُ عَنَمِ
 بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ الْمُرْصَفِيُّ ، وَقَالَ : « الْحَبَاءُ فِي الْأَصْلِ : الْعَطَاءُ ، أَرَادَ بِهِ الْمَهْرَ ، يَقُولُ : لِأَنَّهُمْ
 لَمْ يَكُونُوا أَرْيَابَ نَعَمٍ فَيَمَهَّرُوهَا الْأَبْلَ ، وَجَعَلَهُمْ دَبَاغِينَ لِلْأَدَمِ ، وَهُوَ الْجِلْدُ » .
 (٢) ضَرَجَ بِالْدَمِ : أَي لَطَخَ ، وَ « مَا » زَائِدَةٌ .
 (٣) سُورَةُ النُّورِ (٨٣) وَسُورَةُ الرُّومِ (٤٨) .

(٤) سُورَةُ الْمَزْمَلِ (١ وَ ٢) وَقَوْلُهُ فِي الْآيَةِ « الْمَزْمَلُ » كَتَبَ فِي ج وَ د « الْمَزْمَلُ »
 بِتَخْفِيفِ الزَّايِ مَعَ كَسْرِ الْمِيمِ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَرْوِيَةٌ عَنْ عِكْرَمَةَ ، كَمَا فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ
 لِابْنِ خَالَوَيْهِ (ص ١٦٣) وَالْبَحْرُ لِأَبِي حَيَّانٍ (ج ٨ ص ٣٦٠) وَقَالُوا : « أَي الْمَزْمَلُ نَفْسُهُ
 أَوْ جَسَدُهُ » وَفِي « الْمَزْمَلُ » بِتَخْفِيفِ الزَّايِ وَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَرْوِيَةٌ عَنْ بَعْضِ
 السُّلَفِ كَمَا تَقُولُ أَبُو حَيَّانٍ ، وَقَالَ : « أَي الْقَدَى لَفَ » .
 (٥) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ س وَ د .

وقال الراجزُ يصفُ غيًّا :

أَقْبَلَ فِي الْمُسْتَنَّ مِنْ رَبَابِهِ أُسْنِمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ
أراد : أن ذلك السحاب يُنْبِتُ ما تأكله الإبل ، فتصيرُ شحومها في أسنمتها .
« وَالرَّبَابُ » سحابٌ دُوَيْنَ الْمُعْظَمِ مِنَ السَّحَابِ . قال المازني^(١) :
كَانَ الرَّبَابُ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ يُعَلَّقُ بِالْأَرْجُلِ
وقوله جل وعزَّ : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾^(٢) أي أعصرُ عنبًا فيصيرُ إلى
هذه الحال .

وقال زهيرٌ :

كَانَ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ
« الْفَنَاءُ » شَجَرٌ بَعِينُهُ ، يُشْمَرُ ثَمْرًا أَحْمَرًا ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُ^(٣) فِي هَيْئَةِ النَّبِقِ
الصَّغَارِ . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصف ما يسقطُ من أنغاطهنَّ إذا
تَزَلْنَ . و« الْعَيْنُ » الصُّوفُ الْمُلَوَّنُ^(٤) ، في قول أكثر أهل اللغة ، وأما
الأصمعيُّ . فقال : كلُّ صوفٍ عَيْنٌ . وكذلك قال أهل اللغة : الْحَنْتَمُ
الْخَزْفُ الْأَخْضَرُ ، وقال الأصمعيُّ : كلُّ خَزْفٍ حَنْتَمٌ ، قال القرشيُّ^(٥) :
مَنْ مَبْلَغِ الْحَسَنَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا بَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنْتَمٍ

(١) قال المرصفي : « هو كما ذكر الأصبهاني في أغانيه : زهير بن عروة بن جلهمة ، الملقب
بالسكب ، شاعر جاهلي من أشرف بني مازن وأشدائهم » .

(٢) سورة يوسف (٣٦) .

(٣) في ج و س و د و هـ « ويتفرق » .

(٤) في ج « الصوف المُلزق » . ولم أجد ما يؤيدها في كتب اللغة .

(٥) قال المرصفي : « هو النعمان بن عدى بن فضالة ، من بني عدى بن كعب بن لؤي بن غالب » .

وقال جريرٌ :

ما في مقامِ ديارِ تغلبَ مسجِدٌ وبها كُنائسٌ حَتَمَ وِدنانِ

[قال أبو العباس]^(١) : والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ في [الكلام ، أعني]^(٢)

كلامَ العربِ ، حتى لو قالَ قائلٌ : هو أكثرُ كلامِهِمْ - : لم يُعَيِّدْ .

قال الله عز وجلَّ وله المثلُ الأعلى : ﴿ الزُّجَّاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

دُرِّيٌّ ﴾^(٣) . وقال : ﴿ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٤) . وقد اعترضَ

معارضٌ من الجهلةِ الملحدِينِ ، في هذه الآية ، فقال : إنما يُمثَلُ الغائبُ

بالحاضرِ ، ورؤوسُ الشياطينِ لم نَرها ، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها ؟ ! وهؤلاء

في هذا القولِ كما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ

وَمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٥) . وهذه الآيةُ قد جاءَ تفسيرُها في ضربينِ^(٦) :

أحدهما : أن شجرةً يقالُ له « الأَسْتَنُ »^(٧) منكرُ الصورةِ يقالُ لثمره

« رؤوسُ الشياطينِ » ، وهو الذي ذكره النابغةُ في قوله :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنِ سُوْدٍ أَسَافِلُهُ [مثلُ الإمامِ الغَوادِي تَحْمِلُ الحُزْمَا]^(٨)

(١) الزيادة من ج .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) سورة النور (٣٥) .

(٤) سورة الصافات (٦٥) .

(٥) سورة يونس (٣٩) .

(٦) في ج و س و د و هـ « على ضربين » .

(٧) « الأَسْتَنُ » بفتح الهمزة والتاء المثناة الفوقية بينهما سين مهملة وآخره نون . قال أبو حنيفة

الدينوري : « الأَسْتَنُ » على وزن أحر : شجر يفسو في مناجبه ويكثر ، وإذا نظر الناظر إليه

من بعد شبهه بشخص الناس » .

(٨) الزيادة من هـ وكذلك ذكر البيت كله في اللسان ، في مادة (س ت ن) .

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى « الصَّوْمَ » . والقول الآخر ، وهو الذي يسبق إلى القلب : أن الله جلَّ ذكره شَنَّعَ صورةَ الشياطينِ في قلوب العبادِ ، وكان ذلك أبلغ^(١) من المعاينةِ ، ثم مثلَ هذه الشجرةَ بما تنفرُ منه كلُّ نفسٍ .

[قال أبو العباس] : وحدثتُ في إسنادٍ متصلٍ : أن أبا النجم العجلي^(٢) أنشد هشامَ بن عبد الملك^(٣) [أرجوزته اللاميةَ ، فلما قال]^(٤) :

* والشمسُ قد صارتُ كمينِ الأحولِ *

لما ذهبَ به الرويُّ عن الفكرِ في عينِ هشامٍ ، فأغضبه ، فأمرَ بطرده ، [فطرده^(٥) ، فأملَ أبو النجم رجعتَهُ ، وكان يأوى المساجد^(٦) ، فأرقَ هشامُ ليلةً^(٧) ، فقال لحاجبه : ابني رجلاً عريباً فصيحاً محادثاً وينشدني ، فطلبَ له ما طلبَ ، فوقفَ على أبي النجم ، فأتى ، فلما دُخِلَ به إليه قال : أين تكونُ منذُ أقصيناك ؟ قال : بحيثُ ألتقتي رُسُلكَ ، قال : فمن كانَ أبا مثوأك ؟ قال : رجلين ، كليياً وتغليياً ، أتعدني عندَ أحدهما ، وأتمشي عندَ

(١) في ج و س و د و هـ « فكان ذلك أبلغ » .

(٢) أبو النجم اسمه « الفضل بن قدامة بن عبيد الله » وهو من رجاز الاسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم ، كما قال صاحب الأغاني ، وله ترجمة عنده (ج ٩ ص ٧٣ - ٧٨ ساسي) وفي طبقات الشعراء (ص ٣٨١ - ٣٨٦ أوربة) .

(٣) في ج و س و د « أنشد هشاماً » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) الزيادة من د و هـ . وفي ج و س « فأمر به فطرده » .

(٦) في ج و س و د « فكان يأوى المسجد » .

(٧) في ج و د « ذات ليلة » .

الآخر ، فقال له : مالك من الولد ؟ قال : ابنتان ، قال : أزوجتَهُمَا ؟ قال :

زوّجتُ إحداهما ، قال : فبِمَ أوصيتها ؟ قال : قلتُ لها ليلةً أهديتها :

سُبِّي الحماةَ وابنتي عليها وإن أبتُ فازدَلِنِي إليها
ثم أقرَعِي بالودِّ مرْفَقَيْهَا^(١) وجَدَدِي الحِلْفَ به عليها

* لَا تُخْبِرِي الدهرَ بِذاكِ ابْنَيْهَا *

قال : فأوصيتها بغيرِ هذا^(٢) ؟ قال : نعم ، قلتُ :

أوصيتُ من بَرَّةٍ قلباً حُرّاً بالكَلْبِ خيراً والحماةِ شرّاً

لأتسأَمِي نَهْكَاً لها وضراً^(٣) والحَيِّ عُمَمِهِمْ بِشَرِّ طُرّاً

وإن كَسَوْكَ ذهباً ودُرّاً حتى يَرَوْا حُلُوَ الحِياةِ مُرّاً

قال هشامٌ : ما هكذا أوصى يعقوبُ ولده ، قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوبَ ،

ولا بنتي^(٤) كولدِهِ ! ! قال : فما حالُ الأخرى ؟ قال : [قد]^(٥) دَرَجَتْ بين

بيوتِ الحَيِّ ، ونفَعْتَنَا^(٦) في الرسالةِ والحاجةِ ، قال : فما قلتَ فيها ؟

قال : قلتُ :

(١) «الود» بفتح الواو وتشديد الدال ، قال الجوهري إنه «الود في لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا الناء فأدغموها في الدال» .

(٢) في هـ «قال : فهل قلت لها شيئاً آخر» .

(٣) في هـ «لأتسأمن نهيماً لها وأمرّاً» .

(٤) في ج و د «ولا بنتي» .

(٥) الزيادة من س و د و هـ .

(٦) في ج و س و د «ونفَعْتَنَا» .

كَانَ ظَلَامَةً أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّاسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصَيْبَانَ وَوَلَدَيْهِ الرَّجُلَيْنِ الْأَخْيَطَانِ
* فَهِيَ الَّتِي يُدْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

قال : فقال هشامٌ لحاجبه^(١) : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التي أمرتُك بقبضِها ؟
قال : هاهي عندي ، ووزنها خمسُ مائة ، قال : فادفعها إلى أبي النجم ليجمعها
في رجلٍ^(٢) ظلامَةَ مكانِ الخيطينِ .

أفلا تراه^(٣) قال : « فهى التى يدعُرُ منها الشيطانُ » وإن لم يره ، لما
قرَّرَ في القلوب من نكارتِه وشناعته . وقال آخرُ :

وَفِي الْبَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ شَرَّهُ شَيَاطِينُ يُعَدُّو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ^(٤)
وَزَعَمَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ كُلَّ مَتَمَرِّدٍ مِنْ جِنِّ أَوْ إِنْسٍ [أَوْ سَبْعٍ أَوْ حِيَّةٍ]^(٥)
يُقَالُ لَهُ « شَيْطَانٌ » . وَأَنْ قَوْلَهُمْ « تَشَيْطَانٌ » إِنَّمَا مَعْنَاهُ : تَحَبَّبَتْ وَتَنَسَّكَرَ ،
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾^(٦) . قَالَ الرَّاجِزُ :

أَبْصَرْتُهَا تَلْتَهُمُ الثُّعْبَانَا شَيْطَانَةٌ تَرَوَّجَتْ شَيْطَانَا

وقال امرؤ القيس :

(١) في ج و س و د و هـ « فقال هشام : يا غلام . »

(٢) في ج و س و د « في رجلٍ » .

(٣) قوله « أفلا تراه » الخ ، هذا من كلام أبي العباس المبرد ، استدلالاً على ما اختار من التفسير في الآية .

(٤) في ج و س و د و هـ « يَنزُؤُ بَعْضُهُنَّ » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) سورة الأنعام (١١٢) .

أَتُوْعِدُنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ
و « النُّوْلُ » لَمْ يُخْبِرْ صَادِقٌ قَطُّ أَنَّهُ رَأَاهَا .

ثم نرجعُ إلى تفسير قول أبي النجم (١) :

قوله « سُبِّي الحِمَاةَ وَابْتَهَيْ عَلَيْهَا » إنما يريدُ : ابْتَهَيْهَا ، فَوَضَعَ
« ابْتَهَيْ » فِي مَوْضِعِ « اكْذِبِي » فَمِنْ تَمَّ وَصَلَهَا « بَعَلَى » (٢) .

والذي يُسْتَعْمَلُ فِي صِلَةِ الْفِعْلِ اللَّامُ ، لِأَنَّهَا لَامُ الْإِضَافَةِ ، تَقُولُ :
« لَزِيدٍ ضَرَبْتُ » وَ « لِعَمْرٍو أَكْرَمْتُ » وَالْمَعْنَى : عَمْرًا أَكْرَمْتُ ، فَإِنَّمَا (٣)
تَقْدِيرُهُ : إِكْرَامِي لِعَمْرٍو ، وَضَرَبِي لَزِيدٍ ، فَأَجْرَى الْفِعْلُ مُجْرَى الْمَصْدَرِ .
وَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا تَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ إِنَّمَا يَجِيءُ وَقَدْ عَمَلَتْ

(١) فِي ج وَ د وَ ه « شَعْرُ أَبِي النِّجْمِ » .

(٢) يَرِيدُ الْبَرْدَ : أَنَّهُ ضَمِنَ « ابْتَهَيْ » مَعْنَى « اكْذِبِي » فَعْدَاهُ بِالْحَرْفِ . لِأَنَّ أَصْلَ الْفِعْلِ « بَهَتْ
الرَّجُلَ » يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ ، أَيْ قَالَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ لِأَنَّ « عَلِيَّ » مَقْحَمَةٌ ، وَرَدَّ
عَلَيْهِ ابْنُ بَرِي ، قَالَ : « زَعَمَ الْجَوْهَرِيُّ أَنَّ عَلِيَّ فِي الْبَيْتِ مَقْحَمَةٌ ، أَيْ زَائِدَةٌ ، قَالَ :
إِنَّمَا عَدَى ابْتَهَيْتِي بَعَلَى لِأَنَّهُ بِمَعْنَى افْتَرَيْتِي عَلَيْهَا ، وَابْتِهَانٌ افْتَرَاهُ . وَفِي التَّنْزِيلِ
الْعَزِيزِ : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِنَبَأَيْنِ بِبِهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ ﴾ قَالَ : وَمِثْلُهُ مِمَّا عُدِّي بِحَرْفِ الْجُرِّ حَمَلًا
عَلَى مَعْنَى فِعْلٍ يَقَارِبُهُ بِالْمَعْنَى قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ ﴾ تَقْدِيرُهُ : يَخْرُجُونَ عَنْ أَمْرِهِ ، لِأَنَّ الْخَالِفَةَ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ . قَالَ :
وَيَجِبُ عَلَى قَوْلِ الْجَوْهَرِيِّ أَنَّ تَجْعَلُ عَنِ فِي الْآيَةِ زَائِدَةٌ ، كَمَا جَعَلَ عَلِيٌّ فِي الْبَيْتِ
زَائِدَةٌ ، وَعَنْ وَعَلَى لَيْسَتْ مِمَّا يُزَادُ كَالْبَاءِ » . هَذَا نَسِ السَّانُ ، وَكَتَبَ بِحَاشِيَتِهِ
مَنْصُحَهُ : « قَوْلُهُ : وَابْتَهَيْ عَلَيْهَا ، قَالَ الصَّفَانِيُّ فِي التَّكْلِمَةِ : هُوَ تَصْحِيفٌ وَتَحْرِيفٌ ، وَالرَّوَايَةُ :
وَابْتَهَيْ عَلَيْهَا ، بِالنُّونِ مِنَ التَّهْيِثِ ، وَهُوَ الصَّوْتُ » .

(٣) فِي ج وَ س وَ د وَ ه « وَإِنَّمَا » .

اللام ، كما قال الله جل وعز : ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (١) . وإن أُخِّرَ
المفعولُ فَعَرَبِيٌّ (٢) حسنٌ . والقرآنُ محيطٌ بكلِّ اللغاتِ (٣) الفصيحة ، قال الله
جل وعز : ﴿ وَأَمْرٌ لِّأَنَّ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤) والنحويون يقولون
في قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ (٥) - : إنما هو :
رَدِفَكُمْ (٦) . وقال كثيرٌ :

أريدُ لِأَنِّي ذَكَرْتُهَا فَكأنَّمَا مُتَمَلُّ لِي لَيْلَى بِكَلِّ سَبِيلِ

وحروفُ الخفضِ يُبدَلُ بعضها من بعضٍ ، إذا وقع الحرفانِ في معنى
في بعض المواضع ، قال الله جل ذكره : ﴿ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ
النَّخْلِ ﴾ (٧) . أى « على » ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطتْ دخلتْ « في » ، لأنها
للوعاء ، يقال : « فلانٌ في النَّخْلِ » أى قد أحاطَ به . قال الشاعرُ :

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جَذَعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعًا
وقال الله جل وعز : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِيمُونَ فِيهِ ﴾ (٨) . أى « عليه » . وقال

(١) سورة يوسف (٤٣) .

(٢) في ج و س و د « فهو عربى » .

(٣) في ج و س و د و هـ « بجميع اللغات » .

(٤) سورة الزمر (١٢) .

(٥) سورة النمل (٧٢) .

(٦) في اللسان : « رَدِفَهُمُ الْأَمْرُ وَأَرَدَفَهُمُ : أَهْمَهُمُ » ثم ذكر الآية وقال : « يجوز أن يكون

أراد [ردفكم] فزاد اللام ، ويجوز أن يكون [ردف] مما يتعدى بحرف جرٍ وبغير حرف

جرٍ » ثم نقل عن التهذيب أنه فسرته بمعنى « قرب لكم » .

(٧) سورة طه (٧١) .

(٨) سورة الطور (٣٨) .

تبارك وتعالى : ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) . أى : بأمر الله . وقال ابن الطَّثَرِيَّةِ^(٢) :

غَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَ مَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَنَفَعًا
وقال الآخرُ :

غَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خَمْسُهَا تَصِلُ وَعَنْ قَيْضِ بَرِيزَاءَ مَجْهَلٍ^(٣)
أى : من عنده . وقال العامريُّ :

إِذَا رَضَيْتَ عَلِيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أُعْجِبْنِي رِضَاهَا
وهذا كثيرٌ جدًا .

وقوله « وَإِنْ أَبَتْ فَأَزِدْ لِي إِلَيْهَا » يقول : تَقَرَّبِي ، وَمِنْ ذَا سُمِّيَتْ
« الْمَزْدَلِفَةُ » . قال العَجَّاجُ^(٤) :

نَاجِ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَرُفَا

* سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا *

تقول^(٥) « زُلْفَةٌ » و « زُلْفٌ » كقولك « غُرْفَةٌ » و « غُرْفٌ » .

(١) سورة الرعد (١١) .

(٢) ضبط في طبعة أوربة بسكون التاء المثلثة . وضبطه صاحب القاموس بفتحها ، ولم أجد ما يرجح أحدهما ، وإن كان السكون أرجح إذا كانت أمه سميت بذلك لولعها باخراج زبد اللبن الذي يسمى « الطثرة » ومنه « الطثر » الخير الكثير ، وكلاهما بالسكون . وابن الطثرية اسمه « يزيد بن سلمة بن صبرة القشيري » نسب إلى أمه ، وهو شاعر مشهور .

(٣) البيت نسبة صاحب اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) لمزاحم العقيلي ، يصف القطا . وهو مزاحم بن عمرو ، شاعر إسلامي فصيح ، كان في عصر جرير والفرزدق . قال ابن السكيت في قوله « من عليه » : « من فَوْقَه ، يعنى من فَوْقِ الْفَرْخِ . قال : ومعنى تصل ، أى هى يابسة من العطش » .

(٤) مضى هذا الرجز وشرحه في الجزء الأول (ص ١٢٩ - ١٣١) .

(٥) فى ج و س و د و هـ « يقال »

وقوله « بالكلب خيراً والحماة شراً » كلامٌ مَعِيْبٌ عندَ النحويين ،
وبعضهم لا يُجيزه ، وذلك : أنه عَطَفَ ^(١) على عاملين : بالباء ^(٢) وعلى الفعل ، ومن
قال هذا قال : ضربتُ زيدا في الدارِ والحُجْرَةِ عمراً . [قال أبو العباس] ^(٣) :
وكان أبو الحسنِ الأَخْفَشُ [سعيدٌ] ^(٤) يراهُ ، ويقرأُ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ * ^(٥) فَعَطَفَ عَلَى « إِنَّ » وَعَلَى « فِي » . وقال عَدِيُّ
بن زيدٍ :

أَكَلْتُ امْرَأَةً تَحْسِبِينَ امْرَأَةً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا
فَعَطَفَ عَلَى « كَلَّ » وَعَلَى الْفِعْلِ .

وأما قوله « عَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خَمْسُهَا » ^(٦) فـ « الْخَمْسُ » ظِمٌّ مِنْ
أَظْمَأُهَا ، وهو : أَنْ تَرِدَ ثُمَّ تَعْبُ ثَلَاثًا ثُمَّ تَرِدُ ، فَيَعْتَدُ يَوْمِي وَزِدِهَا مَعَ
ظِمِّهَا ، فيقال « خَمْسٌ » . و « الرَّبْعُ » كَحُمَى الرَّبْعِ . وقوله « تَصِلُ » أي :
تَسْمَعُ لِأَجْوَانِهَا صَلِيلًا مِنْ يُنْسِ الْعَطَشِ ، يقال المَسَارُ « يَصِلُ » فِي الْبَابِ :
إِذَا أُكْرِهَ فِيهِ ، قال جريرٌ يَخاطِبُ الزُّبَيْرَ بَمَرَّةٍ يَدِيهِ فِي هِجَائِهِ الْفَرَزْدَقَ :

(١) في س و هـ « وذلك لأنه عَطَفَ » وفي ج و د « وذلك لأنه عَطَفَ » .

(٢) في هـ « على الباء » وهو أجود .

(٣) الزيادة من ج و س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) سورة الجنائية (٥) . والقراءة بـمُخْفَضِ « آيَاتِ » هي قراءة حمزة والكسائي ، ولكن قرأ

« وتصريف الريح » بالإنفراد . وقرأ باقي السبعة « الرياح » بالجمع ، و « آيات » بالرفع .

انظر التيسير (ص ١٩٨) وتوجيه الأعراب في إعراب القرآن للمكبري (ج ٢ ص ١٢٤) .

وتفسير أبي حيان (ج ٨ ص ٤٢ - ٤٣) .

(٦) في رواية اللسان « بعد ما ظمؤها » .

لو كنت حين غُرزْتَ بَيْنَ يُوتِنَا لَسَمِعْتَ من وَقَعِ الحَدِيدِ صَليلاً
ويقال للحمارِ « المُصَلِّيلُ » إذا أُخْرِجَ صَوْتَهُ من جوفه حاداً خفياً .
قال الأَعشى :

عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا حُرِّكَ السَّوُّ طُ كَعَدُوِ المُصَلِّيلِ الجَوَالِ (١)
وقال المفسرون في قوله (٢) عز وجل : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٣)
قال (٤) : هو الطينُ الذي قد جَفَّ ، فَإِذَا قَرَعَهُ شَيْءٌ كَانَ لَهُ صَليلاً ، وتفسيرُ
ذلك عند العربِ التَّقْنُ (٥) الذي يَذْهَبُ عنه الماءُ في الغُدْرانِ فَيَتَشَقَّقُ
ثُمَّ يَبْتَسُّ .

و « القَيْضُ » قِشْرُ البَيْضِ (٦) الأعلى ، والذي يَلْبَسُ البَيْضَةَ فيكونُ
ما بينَها وبينَ قِشْرِها الأعلى يقالُ له « الغَرِقِيُّ » يقالُ : ثوبٌ كأنه
غَرِقِيُّ بَيْضٍ (٧) .

و « الزِّيَاءُ » ما ارتفعَ من الأرضِ ، وهو ممدودٌ منصرفٌ في المعرفة
والنكرة ، إذا كان لمذكرٍ ، كالعِلباءِ والحِرْباءِ (٨) ، وسنذكر هذا في غير

(١) « العنتريس » الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة ، والنون فيه زائدة ، وهو مأخوذ من « العرسة »
وهي الغصب والغلبة والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة .

(٢) في ج و س و د « في قول الله » .

(٣) سورة الحجر (٢٦ و ٢٨ و ٢٣) .

(٤) في د و هـ « قالوا » وبها طبعت نسخ مصر .

(٥) « التقن » بكسر التاء وسكون القاف ، وهو اسم للطين الذي يذهب عنه الماء ، كما وصف المبرد .

(٦) في ج و س و د « البيضة » وبها طبعت نسخ مصر .

(٧) في ج و س « غرقى البيضة » ، وفي د و هـ « غرقى البيض » .

(٨) يعني أن « الزياء » بكسر الزاي الأولى . وقد ضبطت في البيت في اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦)
بفتحها . ولكن صاحب اللسان ضبط الكلمة في مادتها (زىز) بالكسر ، وهمل عن الفراء

هذا الموضع مُفسِّراً [إن شاء الله]^(١) ، على أنّا قد استقصيناها في الكتاب
(المقتضب) .

و « المَجْهَلُ » الصحراء التي يُجْهَلُ فيها ، فلا يُهْتَدَى لسبيلها .

ويقال للشيء إذا غَبَّ^(٢) وتغيرت^(٣) رائحته « صَلَّ » و « أَصَلَّ » فهو

« صَالٌّ » و « مُصِلٌّ » . ويقال « نَتَنَ » و « أُنْتَنَ » . ويقال « خَمَّ »

و « أَخَمَّ » ، وذلك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ . ويقال إذا عَتَقَ اللحم فتغير

« خَيْرَ » و « خَزَنَ »^(٤) . وبيت طرفة أحسن ما يُنْشَدُ [عليه]^(٥) :

ثم لا يَخْتَزُ فِينَا لَحْمَهَا إِنَّمَا يَخْتَزُ لَحْمَ الْمُدْخِرِ^(٦)

ويقال لرب البيت وربة البيت اللذين ينزلُ بهما الضيفُ « هِي أُمُّ مَثْوَاهُ »

و « هُوَ أَبُو مَثْوَاهُ » . وأنشد أبو عبيدة :

مِنْ أُمَّ مَثْوَى كَرِيمٍ قَدْ نَزَلْتُ بِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى عِلَاتِهِ يَسْمَعُ

قال : « الزَّيْرَاءُ مِنَ الْأَرْضِ مَمْدُودٌ مَكْسُورُ الْأَوَّلِ ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَنْصَبُ فِيقُولُ الزَّيْرَاءُ

وبعضهم يقول الزَّأْرَاءُ ، وكله : ماغلظ من الأرض » .

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « غب الطعام » بات ليلة ، أو : تغيرت رائحته .

(٣) في ج و س و د « فتغيرت » .

(٤) « خنز » و « خزن » ضبطا في طبة أوربة بفتح عين الفعل فيهما وبكسرهما معاً . والذي

في كتب اللغة المعروفة أن « خنز » من باب « فرح » فقط وأن « خزن » من بابها وباب

« نصر » ، ولكن ابن دريد أثبت في الجهرة الفاعلين من البابين (ج ٢ ص ٢١٨) .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) « يخنز » ضبطت في طبة أوربة في الموضعين في البيت بضم النون ، تجرى فيهما على أن الفعل

من باب « نصر » ويؤيد صحته ما أثبتته ابن دريد في الجهرة ، كما قلنا .

وفي كتاب الله جل وعزّ: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾^(١). معناه عند العرب: إضافته.



ومن التشبيه المطرد على السنته العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمه، قال الراجز:

كَانَهَا لَيْلَةَ غَيْبِ الْأَزْرَقِ وَقَدْ مَدَدْنَا بِأَعْمَاءِ الشُّوقِ

* خَرَقَاءَ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي *

قوله « لَيْلَةَ غَيْبِ الْأَزْرَقِ » إنما يعني موضعاً، وأحسبهُ^(٢) ماءً، لأنهم يقولون « نُطْفَةُ زُرْقَاءَ » وهي الصافية. قال زهير:

فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرْقَاءَ جِامُهُ وَضَعْنَ عِصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ^(٣)

وقال آخر:

فَأَلْقَتْ عِصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقٍ مَحْفِرُهُ

وقوله « وَقَدْ مَدَدْنَا بِأَعْمَاءِ الشُّوقِ » يقول: استفرغنا ما عندها من

السير^(٤)، يقال « تَبَوَّعَتْ » و « انْبَاعَتْ »: إِذَا مَدَّتْ بِأَعْمَاءِ.

وقوله « خَرَقَاءَ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي » يقول: لكثرة حركة الخرقاء

وقلة حذقها بالصعود.

وقال الآخر:

(١) سورة يوسف (٢١).

(٢) قال ياقوت في البلدان: « وادي الأزرق بالحجاز. والأزرق ماء في طريق حاج الشام دون

تباه ».

(٣) قال المرصفي: « الحاضر: الذي نزل على ماء عذب، والمتخيم: الباني خيمته ليقم فيها ».

(٤) في ج و س و د و هـ « في السير ».

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفْجَعُ تَبْكِي لَشَجْوٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجِعُ^(١)



وقال الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدِلَّةٍ بُعِيدَ السُّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعَدِّرَا
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بْنَ غَنَمٍ أَوْ لَقَيْطَ بْنَ يَعْمَرَ
بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءَ الْمُحَبَّرَا^(٢)
تَقُولُ وَقَدْ بَلَّ الدَّمُوعُ خِمَارَهَا أَبِي عَفِيٍّ وَمَنْصِبِي أَنْ أَعْيِرَا
كَأَنَّ بَذْفَرَاهَا مَنَادِيْلَ فَارَقَتْ أَكْفَ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُورَا^(٣)
كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوْتَقٍ تَحْتَ غَرَضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمُ بِنَائِيهِ ظَفْرَا
شَبَّهَ يَدَيْهَا يَدَيْ مُدِلَّةٍ بِجَمَالٍ وَمَنْصِبٍ قَدْ سَابَتْ وَأَقْبَلَتْ تَعْتَذِرُ وَتَشِيرُ
بِيَدَيْهَا . فَوَصَفَ جَمَاهَا الَّذِي بِهِ تُدِلُّ ، وَمَنْصِبَهَا الْمُتَّصِلَ بِمَنْ ذَكَرْتُهُ .

وقوله « أطارت من الحسن الرداء المحبّر » يقول : هي مُدِلَّةٌ يُجَمَلُهَا ،
فَلَا تُحْتَمِرُ فَتَسْتُرُ شَيْئًا عَنِ النَّازِرِ ، لِأَنَّهَا تَبْتَهِّجُ بِكُلِّ مَا فِي وَجْهِهَا وَرَأْسِهَا .
وقد كَشَفَ هَذَا الْمَعْنَى عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ الْخَزَوِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَمَّيْتُ أَقْبَلْتُ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَّقَنَا
تَبَاكُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي وَقَلْنَ أَمْرُؤُا بَاغٍ أَكَلَّ فَأَوْضَمَا^(٤)

(١) في س « تبكي بشجو » ، وفي ه « تبكي ليت » .

(٢) « شرق » مصدر « شرق » الجسد بالطيب ، من باب « طرب » أى امتلأ .

(٣) في ج و س و د « فارقت » . وفي س « بأيدي رجال » .

(٤) في حاشية ١ « لمارأيتني » . وفي ج و س و د « باغٍ أضل » .

وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُقْتَلٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كَمَا قِيسَنَ إِصْبَعًا
[فَقَلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيَمْحَكَ إِنَّمَا صَرَّرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ مُتَمَعًا فَتَنْفَعًا]^(١)

قوله :

« كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقْتُ أَكْفَرِ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبَرَاءَ »^(٢)

يقول : لسوادِ الذفري ، وهذا من كرمها . قال أوس بن حجر :

كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعَقَّدًا أَوْ عَيْنِيَّةً عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا مِنَ الْآيَةِ وَالْأَيْتِ وَالْأَيْتِ
[« الْكُحَيْلُ »^(٣) الْقَطِرَانُ ، وَ « الْعَيْنِيَّةُ » ضَرْبٌ مِنْهُ . وَهَذَا مَعْنَى
يُسْتَلُّ عَنْهُ ؟ لِأَنَّ « الْآيَتَيْنِ » صَفْحَتَا الْعُنُقِ ، وَ « الذَّفْرَى » فِي أَعْلَى الْقَفَا ،
فَكَيْفَ يَكْفُ عَلَى الذَّفْرَى مِنَ اللَّيْتِ ؟ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ : كَأَنَّ كُحَيْلًا
مُعَقَّدًا أَوْ عَيْنِيَّةً وَالْأَيْتِ وَالْأَيْتِ عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا . وَقَوْلُهُ « مِنَ اللَّيْتِ » كَقَوْلِكَ
كَمَوْضِعِ دِجْلَةَ مِنْ بَغْدَادَ » إِنَّمَا هُوَ لِلْحَدِّ بَيْنَهُمَا ، لِأَنَّهُ وَكَفَّ مِنْ شَيْءٍ
عَلَى شَيْءٍ .

وأما قوله :

« كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمْ بِنَايِيهِ ظَفْرًا »

يقول : ليست تستقرُّ ، فكان ابن آوى يكلمها^(٤) بناييه أو يخلبها^(٥)

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) في ج و س و د « فارقت » .

(٣) « الكحيل » بالتصغير ، ولا يستعمل في هذا المعنى إلا مصغراً ، كما نص عليه في اللسان وغيره .

(٤) في ج و س و د « يعضها » .

(٥) في ج و س و د و هـ « ويخلبها » .

بُظْفَرِهِ ، فهي لا تستقرُّ . وقال أوس بن حجرٍ :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيْبًا تَحْتَ غُرْضَتِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بِمُحَقَوِيْنَهَا وَخَنَزِيرٍ^(١)
و « الغرَضُ » و « الغُرْضَةُ » واحدٌ ، وهو حِزَامُ الرَّحْلِ .



وقال آخرُ :

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعًا بَدِيَّةً مُفَجَّعَةً لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنْ عُفْرِ^(٢)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَفْرَعَتْ فِي حَدِيثِهَا فَلَاشَى يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى
[قال أبو العباس : أنشدنيهما عبدُ الصمد بن المعدَّل . وأنشدنيهما سعيدُ
بن سلمٍ]^(٣) . ولو قيل أن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان
ذلك بعيداً . وَصَفَهَا بِأَنَّهَا بَدِيَّةٌ^(٤) وَقَدْ فُجِّعَتْ بِمَا أُسْمِعَتْ وَنِيلَ مِنْهَا ،
وَلَقِيَتْ خَلَائِلَهَا بَعْدَ زَمَانٍ ، وَتَلَكِ الشُّكُوَى كَامِنَةٌ فِيهَا ، وَأَضْعَيْنَ إِلَيْهَا
يَسْمَعْنَ^(٥) .

و « الفَرَى » : الشَّقُّ ، يقال « فَرَى » أو دَاجَهُ : أى قَطَعَ ، و « فَرَيْتُ »
الادِيم . وَإِذَا قُلْتَ « أَفْرَيْتُ » فَعِنَاهُ أَصْلَحْتُ . وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ : إِنْى وَاللهِ

(١) فى ج و س و د و هـ وحاشية ا « ديك برجليها » .

(٢) فى ج و د و هـ « بديئة » . وقوله « خلائل » جمع « خلية » وهن اللاتي أصفين

لها الود . و « عن عفر » أى بعد عفر - بضم العين وسكون الفاء - وهو طول النهدي .
أفاده المرصني .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « بديئة » .

(٥) فى ج و د « لها » . وفى ج و س و د « فتسمعن » ، وفى هـ « يسمعن » .

ما أهما إلا مَضَيْتُ ولا أَخَقُّ إلا فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَرْتُ قَطَعْتُ .
يقال « فَرَيْتُ » القِرْبَةَ والمَزَادَةَ ، فهما « مَفْرِيَّتَانِ » . قال ذو الرمة :
* كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبٌ *
وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلْتَهُ رِجْلُهَا خَذَفٌ أُعْسَرًا^(١)
كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِحِينَ تُشِدُّهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا^(٢)
قوله « خَذَفٌ أُعْسَرٌ » يريد أنه يذهب على غير قصد ، وقوله « صَلِيلُ زَيْوْفٍ »
يقال أن « الزَيْفَ »^(٣) شديد الصوت صَافِيهِ .

وقال آخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا يَدَا مَاتِحٍ أَتَى يَوْمَ وَرْدٍ لَغَبٍ زَرُودًا^(٤)
يَخَافُ الْعِقَابَ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا هُوَ أَنَهْلَ الْأَيُّودَا

(١) قال المرصني : « نجلته رجليها تنجله - بالضم - نجلا : نزعته بمنسما ورمت به . واخذف :
كالضرب ، وهو الرمي باليد . والأعسر : من يعمل يساره . يريد : أن رميها غير منتظم إلى
جهة واحدة ، كخذف الأعسر ... وتشده : من أشد الشيء نحاها وأقصاه . وزيوف جمع
زيف ، وهو من الدراهم مافيه غش . وينتقدن : يتقرن بالأصابع . وعبقر : ذكر باقوت أنهم
قالوا في فسره : عبقر من أرض اليمن . وهذا يدل على أنه موضع مسكون به صيارف وغيرهم .
قال : ولعل هذا كان قديما وخرب » .

(٢) في ج و س و د و هـ « الزَّائِفَ » .

(٣) « مَاتِحٌ » هكذا رسمت في طبعة أوربة بنقطتين فوق الحرف الأول وتقطبتين تحته ، تقلا عن الأصول
المخطوطة ، لتقرأ الكلمة « مَاتِحٌ » و « مَاتِحٌ » . فالمَاتِحُ بالفوقية : المستق بالدلو من أعلى
البئر . والمَاتِحُ بالتحية ، وتقلب همزة ، هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر . وفي اللسان :
« تقول العرب : هو أَبْصَرُ من المَاتِحِ بِأَسْتِ المَاتِحِ » . تعنى : أن المَاتِحُ فوق المَاتِحِ ،
فالمَاتِحُ يرى المَاتِحَ ويرى استه » . وفي ج و س و د و هـ « مَاتِحٌ » بالفوقية .

يقول : هذا الساقى يخاف العقاب إن قصر ، ولا عودَةَ له إليه ثانية ، فهي تُسقى سَقِيَّةً^(١) في مرةٍ واحدةٍ .

وقد أكثروا في هذا . فن الإفراط في السرعة قولُ ذى الرِّمَّةِ :
 كأنه كوكبٌ في أثرِ عِفْرِيَّةٍ مُسَوِّمٌ في سوادِ الليلِ مُنْقَضِبٌ
 يقال « عِفْرِيَّتٌ » و « عِفْرِيَّةٌ » في معنى واحدٍ ، والتاء في « عِفْرِيَّتٌ » زائدةٌ ،
 وهو ملحقٌ بـ « قَنَدِيلٍ » يقال : فلانٌ [« عِفْرِيَّةٌ زَبْنِيَّةٌ » و « الزَبْنِيَّةُ »
 المنكر^(٢) ، وجمعه « زَبَانِيَّةٌ » ، وأصله من الحركة ، يقال « زَبَنَهُ » إذا
 دَفَعَهُ . ويقال [: « عِفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ » على التوكيد ، [و « عِفْرِيَّتٌ نَفْرِيَّتٌ »
 ويقال « عِفْرِيَّةٌ » ولم يُتَّبِعْ « نِفْرَارِيَّةٌ^(٣) »] .

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْبَةِ :

وإن نظرت يوماً بمؤخرِ عينيها إلى عَلمٍ بالغورِ قالت له أبعُدِ
 ومن الإفراط قوله :

(١) في هـ « فهو يستقى » . وفي ج و س و د « فهو يستقى سَقِيَّةً » .

(٢) هكذا قال أبو العباس . والذي في اللسان أن الزبنيّة : كل متعرد من الجن والإنس ، وأنه أيضاً : الشديد . وقال قتادة : الزبانية عند العرب : الشرط ، وكله من الدفع ، وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها . وقال الزجاج : الزبانية : الغلاظ الشداد .

(٣) هذا الذي أنكره أبو العباس أثبتته غيره ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . ففي اللسان :

« ورجل عِفْرٌ نَفْرٌ ، وعِفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ ، وعِفْرِيَّتٌ نَفْرِيَّتٌ ، وعِفْرَارِيَّةٌ نَفْرَارِيَّةٌ : إذا

كان خبيثاً ماردًا . قال ابن سيده : ورجلٌ عِفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ ، فجاء بالهاء فيهما .

والنَفْرِيَّتُ اتِّبَاعٌ للعِفْرِيَّتِ وتوكيدٌ » .

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الحُبَارَى كَأَنَّهُ
ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأَطْوَاءِ أَطْوَاءَ ضَارِحٍ
وقال آخرُ :

مَرُوحٌ بِرَجْلِهَا إِذَا هِيَ هَجَرَتْ
وقال الشَّامُخُ :

مَرُوحٌ تَغْتَلِي فِي البَيْدِ حَرْفٌ
وكذلك الأعرابيُّ الذي يقول :

* لَوْ تُرْسِلُ الرِّيحُ لِحُنَّائِنَا قَبْلَهَا *

وقد مضى خبرُهُ .

وأملح ما قيل في هذا المعنى وأجوده قولُ امرئ القيسِ [بن حُجْرٍ
الكِنْدِيُّ]^(٢) :

وقَدِ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وَكُنَّاتِهَا
بمُنَجَّرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

فجمله للوحش كالقيد .

وحُدِّثْتُ أن رجلاً نظر إلى ظبية تَرُودُ ، فقال له أعرابيٌّ : أتحبُّ أن
تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطني أربعة دراهم حتى أردّها إليك ،
ففعل ، فخرجَ يَفْحَصُ^(٣) في إثرها ، فوجدتُ وجدًّا ، حتى أخذ بقرنِها ، فجاء
بها ، وهو يقولُ :

(١) « التردد » ماغلظ من الأرض وارتفع .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) في س و د و هـ « يَمْحَصُ » .

وَهِيَ عَلَى الْبُعْدِ تُلَوَّى خَدَّهَا تُرِيغُ شَدَى وَأُرِيغُ شَدَّهَا
* كَيْفَ تَرَى عَدُوَّ غَلَامٍ رَدَّهَا *

قال أبو العباس : ومن حُلُوِّ التشبيه وقريبه ، وصريح الكلام .
[وبلغه] - : (١) قولُ ذِي الرِّثْمَةِ .

ورَمَلٍ كأوراكِ العذاري قطعته وقد جَلَّتُهُ المَظْلِمَاتُ الحِنْدِسُ
« الحِنْدِسُ » اشتداد الظلمة ، وهو توكيدها ، يقال لَيْلٌ حِنْدِسٌ ، وَلَيْلٌ
أَلَيْلٌ ، [ويومٌ يَمٌّ ، كما يقال : لَيْلٌ] (٢) مُظْلِمٌ .
وقال الشَّامُخُ في صفة القرس :

مُفِجُ الحَوَامِي عن نُسُورٍ كَأَنَّهَا نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجَلِجٍ
قوله « مُفِجُ الحَوَامِي » يريد مُفَرِّقُ الحَوَامِي ، فالحوامى : نواحي الحافر .
و « النُّسُورُ » واحدها « نَسْرٌ » وهي نُكْتَةٌ في داخل الحافر ، وَيُحَمَّدُ
الفرسُ إِذَا صَلَبَ ذلك منه ، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ (٣) . و « تَرَّتْ »
سقطت . و « الجَرِيمُ » المَصْرُومُ . و « المَلَجَلِجُ » الذي قد أُجْلِجَ مَضْغاً في الفم
ثم قُدِفَ لصلابته .

وقوله « مُفِجٌ » ليس يريدُ الذي هو شديدُ التَّفْرِقَةِ ، ولكن الانفصالِ

(١) الزيادة من ج و س و د .
(٢) قال المرصني : « أخرج مخرج المبالغة ، جعل أوراك العذاري مشبها به ، والمألوف تشبيها
بالرمل » .
(٣) « القسب » بفتح القاف وسكوت السين المهملة ، وهو التمر اليابس يفتت في الفم ، ونواه
أصلب النوى .

عن النَّسْرِ ، فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلهُ فذلك « الرَّحْحُ »^(١) ، وهو مذمومٌ
في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصعُرَ قيل له « مُصْطَرٌّ » وكان عيباً قبيحاً . قال
مُحَمَّدُ الأَرَقَطُ :

لارْحَحُ فيها ولا اضْطِرَّارُ ولم يُقَلِّمُ أرضها البيطارُ

* [ولا حَبْلَيْهِ بها حَبَارُ] *

« الحَبَارُ » الأَثْرُ^(٢) . ويُرْوَى « ولم يُقَلِّبْ » وتأويلُ ذلك : أن حوافرها
لا تَتَشَعَثُ فيقلِّبُها البيطارُ ، لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيءٍ
فحَقَّقَهَا . وقال عَلْقَمَةُ بنُ عَبْدِةَ .

لا في سَظَاهَا ولا أَرْسَاعِهَا عَنَّتْ ولا السَّنَابِكُ أفنَاهنَّ تَقْلِيمُ

وإنما يُحَمَّدُ الحافرُ المُقَعَّبُ ، وهو الذي هَيْئَتُهُ كهيئةِ القَعْبِ ، وإن كان

كذلك قيلَ « حافرٌ وأبٌ » . قال ابنُ الخَرِيعِ :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوَلِيدِ يَتَّخِذُ الفأْرُ فيه مَغَارًا

يريدُ : لو دخلَ الفأْرُ فيه لَصَلَحَ ، كقولِ القائلِ : « فَأَتَى بِجَفْنَةٍ يَقَعْدُ عليها

عَشْرَةٌ » أي : لو قَعَدَ عليها عَشْرَةٌ لَصَلَحَ . وقال الرَّاغِزُ :

* وَأَبٌ حَمَّتْ نُسُورُهُ الأَوْقَارًا *

[يقالُ « حافرٌ مَوْقُورٌ » وهو أن يُصِيبَهُ داءٌ يشبهُ الرَّهْصَةَ]^(٣) وفي كلِّ

(١) « الرحح » بحاءين مهملتين ، وهو انبساط الحافر في رفة .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) الزيادة من س . و « الرهصة » و « الرهص » بسكون الهاء : أن يصيب باطن حافر

الدابة شيء يوهنه ، أو ينزل فيه الماء من الإعياء .

حافرٍ حَامِيَتَانِ ، وهما حرفاهُ [مِنْ] ^(١) عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ؛ وَمُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ ،
وَمُؤَخَّرُهُ الدَّابِرَةُ .

ومثل قوله « عن جَرِيمٍ ملجلج » قولُ عَلْقَمَةَ بنِ عَبْدِةَ :
سَلَاءَةٌ كَمَصَا النَّهْدِيِّ غُلًّا بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ مَعْجُومٌ ^(٢)
شَبَّهَهَا بِالشَّوْكَةِ مِنْ شَوْكِ النَّخْلِ ، لِأَنَّ الفَرَسَ الْأَثِيَّ يُحْمَدُ مِنْهَا أَنْ يَدِقَّ
صَدْرُهَا ثُمَّ يَنْخَرُطَ عَلَى امْتِلَاءٍ إِلَى مُؤَخَّرِهَا ، وَالْحَمَامُ يُحْمَدُ مِنْهُنَّ أَنْ يَعْرِضُ
الصَّدْرُ ثُمَّ يَنْخَرُطَ إِلَى ذَنْبِهِ صُمُورًا ، فيقالُ فِي صِفَتِهِ « كَأَنَّهُ جَلَمٌ » .
وقوله « كَمَصَا النَّهْدِيِّ » يريدُ فِي الصَّلَابَةِ ، كما قال :

* وَكَلُّ كَمَيْتٍ كَالْمِرَاوَةِ صِلْدِمِ *

وقوله « ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ » يقولُ : ذُو رَجْعَةٍ ، يقولُ : مَضَعْتُهُ الْإِبِلُ
فَلَمْ تَسْكِسِرْهُ ثُمَّ بَعَرْتَهُ صَحَاحًا . و« مَعْجُومٌ » مَمْضُوعٌ ، يقالُ « عَجَمْتُهُ أَنْعَجَمْتُهُ
[عَجَمًا] ^(٣) » إِذَا مَضَعْتَهُ ، ف« الْعَجْمُ » الْمَضْعُ ، وَيُقَالُ لِلنَّوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
« الْعَجْمُ » مَتَحَرِّكُ الْعَيْنِ ^(٤) . قالُ الْأَعَشَى :

* وَجُدَّعَانِهَا كَلْقَيْطِ الْعَجْمِ *

وقال النابغة :

وظِلَّ يَعْجَمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا
فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ

- (١) الزيادة من ج و س و د .
(٢) قال المرصني : هذا البيت بعد قوله : لاقى شظاها الخ . وسلاة - بضم فتشديد لام ممدودة -
واحدة سلاء النخل ، وهو شوكة .
(٣) الزيادة من ج و س و د .
(٤) في ج و س و د « متحرك الجيم » . وهو بمعنى ما هنا ، لأن المراد بالعين وسط الكلمة
على اصطلاحهم في وزن الكلمات كلها بمثال « فعل » وما يشق منه .

ومثل البيت الأول قول عُقْبَةَ بنِ سَابِقِ العَمْبَرِيِّ :
لَهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ نُسُورٌ كَنُورِ القَسْبِ
فهذا تشبيهه مقاربٌ جداً .



ومن التشبيه الحسن قول الشاعر [هو الشَّمَاخُ]^(١) :
كَانَ المَتْنُ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النُّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحُ
يريدُ سهمًا رُمِيَ بِهِ فَأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ دَمُهَا . و«المتن» متن السهم .
و«شَرْحٌ» كلُّ شَيْءٍ : حَدُّهُ ، فَأَرَادَ شَرْحِي الفُوقِ ، وَهِيَ حَرْفَاهُ . و«المَشِيحُ»
اختلاطُ الدَّمِ بالنُّظْفَةِ ، هَذَا أَصْلُهُ . قَالَ الشَّمَاخُ :

طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَةٍ لَوْ قَتِ عَلَى مَشِجِ سُلَالَتِهِ مَهِينُ
وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مِنْ نُظْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ : « اقْتُلُوا
مَسَانَ المَشْرِكِينَ وَاسْتَبْقُوا شَرْحَهُمْ »^(٣) أَي الشَّبَابَ ، لِأَنَّ الشَّرْحَ الحَدُّ . قَالَ
حَسَّانُ [بنِ ثَابِتٍ]^(٤) :

إِنَّ شَرْحَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا

(١) الزيادة من د .

(٢) سورة الانسان (٢) .

(٣) « المان » الكبار . والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث شمرة بن جندب

بلفظ : « اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرحهم » . وهو حديث صحيح . قال ابن الأثير :

« أراد بالشيوخ الرجال المان أهل الجلد والقوة على القتال ، ولم يرد الهرمى . والشرح : الصغار

الذين لم يدركوا » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

[قال أبو العباس^(١)]: وَأَنْشَدَنَا عَمْرُ بْنُ مَرْزُوقٍ^(٢) قَالَ: أَنْشَدَنَا شُعْبَةَ^(٣)
قَالَ: أَنْشَدَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ^(٤) فِي هَذَا الْحَدِيثِ:
إِنْ شَرَّخَ الشَّبَابُ تَأْلَفَهُ الْبَيْضُ وَسَيْبُ الْقَدَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ
فَأَمَا قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ:

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْضُهُ عَلَى أُمَّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتِ
- فَإِنَّمَا أَرَادَ شِدَّةَ اسْتِحْيَاءِهَا، يَقُولُ: لَا تَرْفَعُ رَأْسَهَا، كَأَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئًا
فِي الْأَرْضِ. وَ«النَّسِيُّ» عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا تَقَادَمَ عَهْدُهُ حَتَّى يُنْسَى،
وَالْآخَرُ: مَا أَضَلَّهُ أَهْلُهُ فَيُطَلَّبُ وَيُطْمَعُ^(٥) فِيهِ. وَ«تَقْضُهُ» تَتَّبِعُهُ.
قَالَ اللَّهُ جَل وَعَز: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾^(٦). أَيْ اتَّبِعِي أثرَهُ. وَ«الْأُمُّ»
الْقَصْدُ. وَقَوْلُهُ «وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتِ» تَقْطَعُ الْحَدِيثَ لِاسْتِحْيَاءِهَا.
وَأَنْشَدَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ الْأَعْمَى قَوْلَ كَثِيرٍ:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُ أَبُو صَخْرٍ! جَعَلَهَا عَصًا، ثُمَّ يَعْتَذِرُ لَهَا؟! وَاللَّهِ لَوْ جَعَلَهَا عَصًا

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) هو عمرو بن مرزوق الباهلي البصري ، روى عن شعبة ومالك وغيرها . قال ابن ميين :
تمة مأمون صاحب غزو وقرآن وفضل ، وحمده جداً . وكان كثير الحديث عن شعبة . روى
عنه البخاري وأبو داود وغيرها ، مات في صفر سنة ٢٢٤

(٣) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي ، إمام أهل الحديث غير مدافع ، قال أحمد بن حنبل :
كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن ، يعني في الرجال وبصره بالحديث وتبنته وتنقيته للرجال .
ولد سنة ٨٢ ومات بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ١٦٠ . وفي ج و د وه «عن شعبة» .

(٤) هو سيمالك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري ، من ثقات التابعين . مات سنة ١٢٣

(٥) في ج و س و د «فيطمع» .

(٦) سورة القصص (١١) .

من مُخٍّ^(١) أوزُبْدٍ لكان قد هَجَّجَهَا بِالْعَصَا ، الْأَقَالِ كَمَا قَلْتُ :
وَيِيضَاءِ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدِّ^(٢) كَانَتْ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَمَنَّتْ^(٣) كَانَتْ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ^(٤)
و « الخيزُرَانَةُ » كُلُّ غُصْنٍ لَيْثٍ يَتَنَنَّى ، وَيُقَالُ لِلْمُرْدِيِّ خَيْرَانَةٌ إِذَا كَانَ
يَتَنَنَّى إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ . قَالَ النَّابِغَةُ :
يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَمِدًا بِالْخَيْرِ رَانَةٍ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ^(٥)
« الْأَيْنُ » الْإِعْيَاءُ . وَ « النَّجْدُ » الْعَرَقُ .

وقد عاب بعضُ الناس قولَ كثيرٍ :
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةٌ الثَّرَى يَمِيحُ النَّدَى جَنَجَانِهَا وَعَرَارُهَا
مُنْخَرَقٍ مِنْ بَطْنِ وَاوٍ كَأَنَّهَا تَلَاقَتْ بِهِ عَطَّارَةٌ وَتِجَارُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا
وَحَكَى الزُّبَيْرِيُّونَ : أَنَّ امْرَأَةً مَدِينِيَّةً عَرَضَتْ لِكَثِيرٍ فَقَالَتْ :
أَأَنْتَ^(٦) الْقَائِلُ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَضَّ اللَّهُ فَكَّ ! أَرَأَيْتَ
لَوْ أَنَّ زَنْجِيَّةً بَخَّرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلِ رَطْبٍ أَمَا كَانَتْ تَطْيِبُ ؟ ! الْأَقَالُ كَمَا
قَالَ [سَيِّدُكَ]^(٥) امْرُؤُ الْقَيْسِ :

(١) فِي ج و س و د و هـ « عَصَا مُخٍّ » .

(٢) « السَّبْحَةُ » بضم السين : صَلَاةُ النَّافِلَةِ .

(٣) فِي ج و س و د « مُعْتَمِدًا » بَدَلُ « مُعْتَمِدًا » . وَالشُّطْرُ الثَّانِي فِي هـ « بِالْخَيْرِ رَانَةٍ »

مِنْ جَهْدٍ وَمِنْ رَعَدٍ .

(٤) فِي س و د « أَنْتَ » وَفِي ج « أَنْتِ » .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ ج و س و د و هـ .

ألم ترَ أُنَى كَلِمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيْبْ^(١)
قوله « جَنَجَاثُهَا وَعَرَازُهَا » « الْجَنَجَاتُ » رِيْحَانَةٌ طِيْبَةٌ الرِّيْحُ بَرِّيَّةٌ
مِنْ أَحْرَارِ البَقْلِ . قال جريرٌ يهجو خالدَ عَيْنَيْنِ العَبْدِيِّ :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا خُلَيْدُ وَخَالَةٌ خُضِرَ نَوَاجِدُهَا مِنَ السُّكْرَاتِ
نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فَطَابَ لِرِيْحِهَا وَنَاتَتْ عَنِ القَيْصُومِ وَالْجَشْبَاتِ
وإنما هجاء بالسُّكْرَاتِ ، لأنَّ عبدَ القيسِ يسكنون البَحْرَيْنِ ، والسُّكْرَاتُ
مِنْ أَطْعَمَتِهِمْ ، والعَمَّةُ يُسَمُّونَهُ « الرَّكْلَ » و « الرَّكَّالَ » . قال أحدُ
العَبْدِيِّينَ :

أَلَا حَبَّذَا الأَحْسَاءَ وَطِيْبُ تَرَاهِيهَا وَرَكَالُهَا غَادٍ عَلَيْنَا وَرَأِيْحُ^(٢)
وقولٌ كثيرٌ « وَعَرَازُهَا » فالعَرَازُ البَهَارُ البَرِّيُّ ، وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ
طِيْبُ الرِّيْحِ . قال الأَعَشَى :

بِيضَاءَ صَحْوَتِهَا وَصَفْرَاءَ العَشِيَّةِ كالعَرَاةِ^(٣)

وقوله « مَوْهِنًا » يريد : بَعْدَ هَدْيٍ [مِنْ اللَّيْلِ]^(٤) ، يقالُ : أَتَانَا بَعْدَ هَدْيٍ

(١) هنا بحاشية ١ مانصه : « قوله ألا قلت الخ : إنما رجح قول امرئ القيس على قوله لأن امرئ القيس أثبت لها طيباً وإن لم تطيب . بخلاف كثير فإنه أثبت لها الطيب إذا أوقدت بالندل الرطب نارها . لا يخفى فرق ما بين الحالتين » .

وهذه المرأة التي جادلت كثيراً ليست مدينية كما زعم أبو العباس ، بل هي قطام زوج عبد الرحمن بن ملجم قاتل على عليه السلام ، وكان كثير شيعياً ، فلذلك قست عليه في النقد . وقصتها معه مفصلة في الأغاني (١٤ : ٥٧ ساسي) والموشح للمرزباني (ص ١٥١ - ١٥٣) .
(٢) « الأحساء » مدينة مشهورة بالبحرين ، وهي بالبدع ، وإنما قصرها لضرورة الوزن .
والبيت في اللسان (١٣ : ٣١٣) وفيه وفي ج و س « الأَحْسَاءُ طِيْبُ تَرَاهِيهَا » .

(٣) قال المرصفي : « معناه : أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالنداء بياض الشمس ، وتصفر بالعشى بأصفرارها » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

من الليل وبعد وَهْنٍ [من الليل ^(١)] ، أى : بعد دخولنا فى الليل .
وأُشْدَ أَبُو زَيْدٍ :

هَبَّتْ تَلْوَمُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلُ عَلَيْكَ مِلَامَتِي وَعِتَابِي
و « الْمَنْدَلُ » الْعُودُ يُقَالُ لَهُ « الْمَنْدَلُ » وَ « الْمَنْدَلِيُّ » . قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمِنْ زَيْنَبَ ذِي النَّارِ قُبَيْلَ الصَّبْحِ مَا تَحْبُو
إِذَا مَا سَخَدَتْ يُدَلِّقِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس : « ذِي » معناه « ذَهْ » يقال : ذَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَذِي أُمَّةُ اللَّهِ ،
وَذِهِ أُمَّةُ اللَّهِ ، وَتِهِ أُمَّةُ اللَّهِ ، وَتَا أُمَّةُ اللَّهِ . فَإِذَا قُلْتَ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ - :
فَالِاسْمُ « ذَا » وَ « هَا » لِلتَّنْبِيهِ . وَعَلَى هَذَا تَقُولُ : هَذِي أُمَّةُ اللَّهِ [وَهَذِهِ
أُمَّةُ اللَّهِ ^(٢)] . وَإِنْ شِئْتَ أَسَكَنْتَ فِي الْوَصْلِ فَقُلْتَ : هَذِهِ أُمَّةُ اللَّهِ . وَإِذَا ^(٣)
قُلْتَ : هَذِهِ أُمَّةُ اللَّهِ - : فَالْيَاءُ زَائِدَةٌ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْهَاءُ لَمَّا كَانَتْ فِي لَفْظِ
الْمُضْمِرِ ^(٤) شَبَّهَوهَا بِهِ فِي زِيَادَةِ الْيَاءِ ، نَحْوُ : مَرَرْتُ بِهِيَ يَا فَتَى ! [وَ ^(٥)
لَا يَجُوزُ أَنْ تَضُمَّ الْهَاءَ فِي « هَذِهِ » عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ : مَرَرْتُ بِهِوُ ، لِأَنَّ
هَاءَ الْإِضْمَارِ أَصْلُهَا الضَّمُّ ، تَقُولُ : رَأَيْتُهُوُ ^(٦) يَا فَتَى ! وَرَأَيْتُهُمْ يَا فَتَى !
وَهَذِهِ الْهَاءُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ ، إِنَّمَا هِيَ مُشَبَّهَةٌ . وَتَقُولُ : هَاتِي هِنْدُ ،
وَهَاتِي هِنْدُ ، وَهَاتَا هِنْدُ ، عَلَى زِيَادَةِ « هَا » لِلتَّنْبِيهِ . قَالَ جَرِيرٌ :

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى ج و س و د « فاذا » .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى هـ « فى اللفظ كهاء المضمير » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) كتبت بالواو لإظهار الضمة واضحة . وكتبت فى ج و س و د و هـ « رأيت » .

هَذِي الَّتِي جَدَعْتَ تَيْمًا مَعَاطِسَهَا ثُمَّ أَقْعَدِي بَعْدَهَا يَا تَيْمٌ أَوْ قَوْمِي
وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ :

وَلَيْسَ لَعَيْشِنَا هَذَا مَهَاءٌ وَلَيْسَتْ دَارُنَا هَاتَا بِدَارٍ
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : النَحْوِيُّونَ يُثَبِّتُونَ الْمَاءَ فِي الْوَصْلِ ، فَيَقُولُونَ « مَهَاءٌ »
وَتَقْدِيرُهُ « فَعَالٌ » وَمَعْنَاهُ اللَّعْمُ وَالْبَهَاءُ^(١) ، يُقَالُ : وَجْهٌ لَهُ مَهَاءٌ يَأْقَى !
وَالْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ « مَهَاءٌ » تَقْدِيرُهَا « حَصَاةٌ » ، يُجْعَلُ الْمَاءُ زَائِدَةً ،
وَتَقْدِيرُهَا^(٢) « فَعَلَّةٌ » وَ « الْمَهَاءَةُ » الْبَلْوَزَةُ ، وَ « الْمَهَاءَةُ » الْبَقْرَةُ
الْوَحْشِيَّةُ ، وَجَمْعُهَا « الْمَهَاءُ » [حَكَى يَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ « مَهَاءٌ » مِنْ
أَسْمَاءِ الشَّمْسِ ، وَأَنْشَدَ :

ثُمَّ يَجْلُو الظَّلَامَ رَبُّ رَحِيمٌ بِمَهَاءٍ ضِيَاؤُهَا مَنَشُورٌ^(٣)
فَإِذَا صَغُرْتَ « ذِهْ » قَلْتَ « تَيْمًا » ، كَأَنَّكَ صَغُرْتَ « تَا » ، وَلَا تُصَغِّرُ
« ذِهْ » عَلَى لَفْظِهَا ، لِأَنَّكَ إِذَا صَغُرْتَ « ذَا » قَلْتَ « ذِيًّا » ، فَلَوْ صَغُرْتَ
« ذِي » فَقَلْتَ « ذِيًّا » - : لِأَلْتَبَسَ الْمُؤَنَّثُ بِالْمَذْكَرِ ، فَصَغُرُوا مَا يَخْتَلَفُ
فِيهِ الْمُؤَنَّثُ الْمَذْكَرُ .

وَهَذِهِ الْمَهْمَةُ يُخَالَفُ تَصْغِيرُهَا تَصْغِيرَ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ . وَسَنَذْكَرُ ذَلِكَ
فِي بَابِ نُفْرِدُهُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي ج و س و د « وَالصَّفَاءُ » .

(٢) فِي طَبْعَاتِ مِصْرَ زِيَادَةٌ « فِي قَوْلِهِ » ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي س وَ لَيْسَتْ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ حَاشِيَةِ ج .



عادا القول إلى التشبيه .

وَأُنشِدْتَنِي^(١) أُمُّ الْهَيْثَمِ^(٢) فِي صِفَةِ جَمَلٍ :

كَأَنَّ صَوْتَ نَابِهِ بِنَابِهِ صَرِيرُ خُطَافٍ عَلَى كُلابِهِ

أرادت الصريف ، وهو أن يحك أحد ناييه بالآخر . وقوله « صرير خطاف على كلابه » ، ف « الخطاف » ما تدور عليه البكرة ، و « الكلاب » ما وليه . وقد قال النابغة :

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ^(٣)
« الْقَعْوُ » مَا تَدُورُ عَلَيْهِ الْبَكْرَةُ إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ حَدِيدٍ فَهُوَ
« خُطَافٌ » ، وَإِنْ دَارَتْ عَلَى حَبَلٍ فَذَلِكَ الْحَبَلُ يُسَمَّى « الدَّرَكُ » .

وقوله « مقذوفة » يقول : مَرَمِيَةٌ بِاللَّحْمِ . و « الدخيس » الذي قد
رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا . و « النَّحْضُ » اللَّحْمُ . و « بَازِلُهَا » نَابُهَا ، وَمَعْنَى « بَزَلٌ »
و « فَطَرَ » وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنْ يَنْشُقَّ النَّابُ . قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلِّ سُدْفَةٍ صِيَاحَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللَّوَائِكِ^(٤)
يَقُولُ : مِمَّا تَلُوكُهُ . وَيُقَالُ فِي الْغَضَبِ : تَرَكْتُ فَلَانًا يَصْرِفُ نَابُهُ عَلَيْكَ ،

(١) في ج و س و د « أنشدتني » بحذف الواو ، وبها طبعت نسخ مصر .

(٢) مضى ذكرها في الجزء الأول (ص ٧) وأن أبا الحسن قال : « هي أم الهيثم السكلانية ، من ولد المخلق ، وهي راوية أهل الكوفة » .

(٣) في ج و د « مقذوفة » بالرفع .

(٤) « السدفة » ظلمة فيها ضوء . أو هي الظلمة في لغة نجد ، والضوء في لغة غيرهم . و « البوازي » جمع « بازي » وهو نوع من الصقور التي تصيد . و « اللوائك » يريد : من صريف أنيابه التي تلوك وتمضغ . أفاده المرصني .

وَيَحْرَقُ وَيَحْرَقُ ، ورأيتُه يَعْضُ عَلَيْكَ الأَرَمَ . قال زهيرٌ في مدحه حِصْنُ
بن حُدَيْفَةَ [بن بَدْرِ الفَزَارِيِّ] ^(١) :
أَبِي الضَّيِّمِ والنُّعْمَانُ يَحْرَقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى والسُّيُوفُ مَعَاقِلُهُ
وقال آخرُ :

نُبِّئْتُ أَهْمَاءَ سُلَيْمِي أَنَّمَا ظَلُّوا غِضَابًا يَعْطَلُونَ الأَرَمًا

وقال بعضُ النحويين : يعنى الشَّفَاهَ ، وقال بعضهم : يعنى الأصابع .
فأما قولهم « عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ » وهو آخِرُ الأَسْنَانِ - : فيكونُ
على وجهين : أحدهما : أنه قدِ احْتَنَكَ وَبَلَغَ ، والآخِرُ : أن يكونَ للإطْرَاقِ
والتَشَدُّدِ . ويُروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ :
إِذَا لَقِيتُمُ القَوْمَ ^(٢) فَأَجْمَعُوا القُلُوبَ وَعَضُّوا عَلَى النِّوَاجِذِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْنِي ^(٣)
السُّيُوفَ عَنِ الهَامِ .



ثم نعود إلى التشبيه .

قال الراجزُ [وهو أبو النجم] ^(٤) :

كَأَنَّهَا حِينَ تَنَاهَى البَّاسُ جَنِيَّةً فِي رَأْسِهَا أُمْرَاسُ ^(٥)

(١) الزيادة من س و د .

(٢) في ه زيادة « في الحرب » .

(٣) في ج و س و د و ه « يُبْنِي » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

(٥) في ج و س و د « كأنها حين بناها الناس » .

بها سُكُونٌ وبها شِمَاسٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْكُبَّاسُ^(١)
يَمْرٌ لَا يَحْبِسُهُ حَبَّاسٌ لَا نَافِذُ الطَّعْنِ وَلَا تَرَّاسٌ
يَصِفُ الْمَنْجَنِيْقَ . و « الأَمْرَاسُ » الْجِبَالُ ، الْوَاحِدُ « مَرَسَةٌ »^(٢) . و « الْكُبَّاسُ »
الضَّخْمُ ، يُقَالُ : هَامَتْ « كَبَسَاءً » يَافِتِي ؛ وَرَأْسُ « أُكْبَسُ » . و « الْحَبَّاسُ » :
الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْبِسَ ، يُقَالُ : رَجُلٌ ضَارِبٌ ؛ لِلَّذِي يَضْرِبُ ، كَثِيرًا كَانَ
مِنْهُ ذَلِكَ أَوْ قَلِيلًا ، فَإِذَا قَلَّتْ « ضَرَّابٌ » و « قَتَّالٌ » فَإِنَّمَا يُكْتَبُ الْفِعْلُ ،
وَلَا يَكُونُ لِلْقَلِيلِ .
قال الراجزُ :

أَخْضَرَ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قُسَّاسٍ كَأَنَّهُ فِي الْحَيْدِ ذِي الْأَضْرَاسِ

* يُرْمَى بِهِ فِي الْبَلَدِ الدَّهَّاسِ *

يَصِفُ مِعْوَلًا . و « ذَوْ قُسَّاسٍ » مَعْدِنٌ لِلْحَدِيدِ الْجَيِّدِ ، وَهُوَ يَقْرُبُ مِنْ بِلَادِ
بَنِي أَسَدٍ . و « الْحَيْدُ » مَا شَرَفَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، يُقَالُ لِلطَّنْفِ « حَيْدٌ »
وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْخَضَرِ « الْإِفْرِيزَ » يُقَالُ : طَنَفَ حَائِطَكَ ، وَيُقَالُ
لِلنَّاتِيءِ [فِي] ^(٣) وَسَطِ الْكَتِفِ « حَيْدٌ » و « عَيْرٌ » وَكَذَا النَّاتِيءُ فِي الْقَدَمِ .
وَقَوْلُهُ « ذِي الْأَضْرَاسِ » يَرِيدُ الْمَوْضِعَ الضَّرْسَ الْخَشِينَ ذَا الْحِجَارَةِ ، فَيَقُولُ :
هَذَا الْمِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يَقَعُ فِي الْخَشُونَةِ فَيَهْدِمُهَا كَمَا يَهْدِمُ الدَّهَّاسُ . و « الدَّهَّاسُ »

(١) « الشماس » بكسر الشين ، و « الشموس » بضمها : جوح الدابة ونورها .

(٢) في ج و س و د و ه « مَرَسٌ » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه .

ما لَانَ من الرملِ . قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ [وهو أعمى]^(١) في يوم حُنَيْنٍ :
أينَ مُجْتَلِدُ القومِ ؟ فقالوا : بأوطاسٍ ، فقال : نِعَمَ مَجَالِ الخيلِ ، لا حَزَنُ
ضَرِسٍ ، ولا لَيْنُ دَهْسٍ .

وقال العجَّاجُ يصفُ حماراً :

كَأَنَّ فِيهِ إِذَا مَا شَحَبَا عَوْدًا دُونَ اللَّهَوَاتِ مُوجَّأً^(٢)

هذا يوصف به العير^(٣) الوحشي إذا أسن^(٤) ، تراه لا يشتد نهيقه ، وكأنه
يعالجه علاجاً . قال الشَّماخُ :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرَ عَجَبًا كَأَنَّهُ بِنَاجِيهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجِي
فَأَمَا قَوْلُ عُنْتَرَةَ :

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَصَبِ أَجَشِّ مُهْصَمٍ -
: فَإِنَّمَا يَصِفُ النَّاقَةَ وَيَذَكُرُ حَنِينَهَا ، يُقَالُ أَنَّهُ يُخْرِجُ مِنْهَا كَأَشَجِي^(٥)
صوتٍ ، فَإِنَّمَا شَبَّهَ بِالزَّمِيرِ ، وَأَرَادَ الْقَصَبَ الَّذِي يُزْمَرُ بِهِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ « نَائِي »^(٦) ، قَالَ الرَّاعِي يَصِفُ الْحَادِي :

زَجَلُ الحُدَاءِ كَأَنَّ فِي حَيْرُومِهِ قَصَبًا وَمُقْنَعَةً الحَنِينِ عَجُولًا

(١) الزيادة من س و د .

(٢) « الشحيج » بالشين المعجمة والحاء المهملة والجيم : صوت البقل والحمار إذا أسن .

(٣) في ج و س و د و هـ « يصف العير » .

(٤) في ج و س و د « الذي قد أسن » .

(٥) رسمت في الأصول « كأشجا » بالألف .

(٦) في ج و د « نَرَمَائِي » . والذي في المعرب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي « نَائِي نَرَم »

وروياه في بيت للاعشى .

« الْمُقْنِعُ » الرفعُ رأسه ، في هذا الموضع ، ويقال في غيره : الذي يَحْطُّ رأسه ، استخذاءً^(١) وندماً . قال الله جل وعز : ﴿ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ ﴾^(٢) .
ومن قال : هو الرفعُ رأسه - : فتأويله عندنا : أنه يتناولُ فينظرُ ثم يُطأطئُ رأسه ، فهو بعدُ يَرجعُ إلى الإغضاء والانكسارِ .



والبعيرُ يَحْنُ كأشدِّ الحنينِ إلى الألفِ إذا أُخِذَ من القطيعِ . قال :
وأكثرُ ما يَحْنُ عندَ العطشِ ، قال الشاعرُ :
[وتفرَّقوا بعدَ الجميعِ لنيةٍ لا بدَّ أن يتفرَّقَ الجيرانُ]^(٣)
لا تصبرُ الإبلُ الجِلادُ تفرَّقتُ بعدَ الجميعِ ويصبرُ الإنسانُ^(٤)
وقال آخرُ :

وهل ريةٌ في أن تحنَّ نجبيةٌ إلى إلفها أو أن يحنَّ نجيبُ
وإذا رجعتِ الحنينِ كان ذلك أحسنَ صوتٍ يحتاجُ له المفارقونُ ، كما يحتاجون
لنوحِ الحمامِ ، ولألتياحِ البروقِ .
وقال عوفُ بنُ مُحَلِّمٍ وممع نوحَ حمامةٍ :
ألا يا حمامَ الأيِّكِ إلفكَ حاضرُ وغصنكَ ميالُ فقيمَ تنوحِ^(٥)

(١) في س و هـ « استخياء » .

(٢) سورة إبراهيم (٤٣) .

(٣) الزيادة من س و د .

(٤) في ج و س « الإبل الجياد » وفي س « لفرقة » بدل « تفرقت » .

(٥) في ج و س و د و هـ « وغصنك ميالاً » . وبها طبعت نسخة الشيخ المرصفي ، من

غير إشارة إلى ماقب الأصول الأخرى .

أَفْقٌ لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّي بِكَيْتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحٌ
وَلَوْعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دَارُ زَيْنَبِ فَهَا أَنَا أَبْكِي وَالْفَوَادُ قَرِيحٌ
وَكُلُّ مُطَوَّقَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ حَمَامَةٌ ، كَالذُّبَيْبِيِّ وَالْقَمْرِيِّ وَالْوَرَشَانِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلَّا حَمَامَةٌ دَعَتْ سَاقَ حُرِّ تَرْحَةً وَتَرْتَمًا^(١)
إِذَا شَدْتُ غَنَّتِي بِأَجْزَاعٍ يَدِيشَةً أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَشْلِيثٍ أَوْ يَمَلَمَلًا
مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كَلِمًا دَنَا الصِّيفُ وَانْجَالَ الرَّيْبُ فَأَنْجَمًا^(٢)
مُحَلَّةٌ طَوْقٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَيْمِيَّةٍ وَلَا ضَرْبِ صَوَاعٍ بِكَفَيْهِ دِرْهَمًا
تَغْنَتْ عَلَى غُصْنِ عِشَاءٍ فَلَمْ تَدْعُ لِنَائِحِيَةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوَّمًا^(٣)
إِذَا حَرَكَتَهُ الرِّيحُ أَوْ مَالِ مَيْلَةٍ نَغْنَتْ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوَّمًا
عَجِبْتُ لَهَا أَنَّ يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَقْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا
وَقَالَ [عَدِيُّ]^(٤) بِنِ الرَّقَّاعِ وَذَكَرَ حَمَامَةً^(٥) :

(١) في ج و هـ « غيرُ حَمَامَةٍ » وفي ج . و س و د و هـ « دَعَتْ سَاقَ حُرِّ »
في حَمَامٍ تَرْتَمًا .

(٢) في هـ « مُطَوَّقَةٌ غَرَّاهُ تَصَدَّحُ » . وفيها « وَأَنْزَالَ » بدل « وَانْجَالَ » . وفي
ج و س و د وحاشية ا « وَأَنْزَاحَ » .

(٣) في حاشية ا « غُصْنٍ ضُحِيًّا » . وفي ج و س و د و هـ وحاشية ا « في نوحها » .

(٤) الزيادة من د .
(٥) في ف « قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : الصَّحِيحُ أَنَّهُ لِنَصِيبِ » .

[ومما شجاني أني كنت نائماً
أغلل من برد الكرى بالتئثم
إلى أن بكت ورقاه في غضن أئكة
تردد مبكها بمحسن التئثم] (١)
فلو قبل مبكها بكيت صبانة
بسعدى شفيت النفس قبل التئثم (٢)
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا
بكها فقلت الفضل للمتقدم

أما قول حميد « دعت ساق حر » فإنما حكى صوتها . ويقال للواحد
ذكراً كان أو أنثى « حمامة » والجمع « الحمام » و « الحمامات » . فإذا كان
ذكراً قلت « هذا حمامة » وإذا كانت أنثى قلت « هذه حمامة » . وكذلك
« هذا بطة » و « هذه بطة » . ويقال « بقرة » للذكر والأنثى ، و « دجاجة »
لهما ، فإذا قلت « ثور » أو « ديك » بينت الذكراً واستغنيت عن تقديم
التذكير .

ويقال للحمامة : تغنت وناحت ، وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم ،
فيشبهه مرة بهذا ومرة بهذا . قال قيس بن معاوية :

ولولم يشقني الظاعنون لساقتني حمام ورزق في الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذاهوى نوايح ما تجرى لهن دموع
وقوله « وانجال الربيع » يقال « انجال عنا » أى أقلع ، ومثل ذلك « أنجم
عنا » . وإن قلت « أنجم » فعناه لزم ووقع ، فهو خلاف « أنجم » . وإن
قلت « انجاب » فعناه انشق ، يقال « المجوب » للحديدة التي يثقب بها

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) في ج و س و د و هـ « بليلى » بدل « بسعدى » .

العسيبُ ، ويقال « جُبْتُ البلادَ » أى دخلتها وطوّفتها . وفي القرآن :
 ﴿ وَمَنُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ ^(١) أى شقوهُ .

وقوله « لم يكن من تيمية » « التيمية » المعادة وقد مضى هذا ^(٢) .
 وقوله « ولم تفر بمنطقها فما » يقول : لم تفتح ، يقال « ففرّاه » إذا فتحه
 [حكى ثعلب « ففرّاه » و « ففرّ نفسه » وكذلك « شحّاه » ^(٣) و « شحّا » ^(٤)
 نفسه] ^(٥) . وقوله « ولا عربياً شاقه صوت أعجماً » يقول : لم أفهم ما قالت ،
 ولكنى استحسنّت ^(٥) صوتها واستخزنته ، فحذنت له .

ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى
 ما تقول ، فبيكبه ذلك ويرققه ، ويذكر به غير ما قصدت له .

[قال أبو العباس ^(٦)] : وحديث أن بعض المحدثين ^(٧) سمع غناء
 بخراسان بالفارسية فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه لشجاء وحسنه ، فقال
 فى ذلك :

حمدتُك ليلة شرفت وطابت أقام سهاؤها ومضى كرها ^(٨)
 سمعتُ بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسى من غناها

(١) سورة الفجر (٩) .

(٢) مضى فى (ص ٥١٧) .

(٣) « شحا » رسمت فى الأصل « شحى » بالياء .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

(٥) فى ج و د « استشجيت » .

(٦) الزيادة من ج و س .

(٧) فى ف « قال أبو الحسن : هو لأبى تمام » وكذلك قال المرصنى .

(٨) فى ج « ونفى كرها » .

« الفناء » الأول المدود^(١) من الصوت، والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور.

وَمُسْمِعَةً يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا وَلَا تُصَمِّمُهُ لَا يَصَمُّمُ صَدَاهَا^(٢)
 مَرَّتْ أوتَارَهَا فَشَفَّتْ وَشَاقَتْ فَلَوْ يَسْتَطِيعُ حَاسِدُهَا فَدَاهَا
 وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا وَلَكِنْ وَرَتَّ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
 فَكُنْتُ كَأَنِّي أَعْمَى مُعْتَى بِحُبِّ الْغَانِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا^(٣)
 [وَقَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدَّ وَرَيْتَنِي وَأُحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَائِيَا^(٤)
 [قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ]^(٥) : وَالشَّيْءُ يُذَكَّرُ بِالشَّيْءِ ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ ، فَتَجْرِي^(٦)
 لاحتواء الباب والمعنى عليهما .

وفي شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ ، وأخرى أن يتمثل به الأشراف ، وتُسوِّد به الصُّحُفُ ، وهو قوله :

أَرَى بَصْرِي قَدْرَانِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

- (١) في ج « ممدود » .
 (٢) في ج و د « ومسمعة » . وقوله « لا يصمم صداها » قال المرصني : « يدعولها بطول العمر . والعرب تقول : أصم الله صدها ، تريد : أهلكه . وإذا مات قالت : صم صدها . والصدى : ما تسمعه عقيب صياحك راجعا إليك من جبل أو مكان مرتفع » .
 (٣) في ج و س و ه « وما رءاها » .
 (٤) الزيادة من ه .
 (٥) الزيادة من ج و س و ه .
 (٦) في ج و س و د « فيجري معه » . وفي ف « قال أبو العباس : والشئ بالشئ يذکر لاحتواء الباب عليهما » .

ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ و ليلةٌ إذا طلباً أن يُدْرِكَ ما تيمَّماً
ويُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً »^(١) .



ثم نرجعُ إلى التشبيهه :

[قال أبو العباس]^(٢) : والعربُ تُشَبِّهُ على أربعةِ أضْرُبٍ : فتشبيههُ
مُفْرَطاً ، وتشبيههُ مُصِيباً ، وتشبيههُ مُقَارِباً ، وتشبيههُ بعيداً يَحْتَاجُ إلى التفسير
ولا يقوم بنفسه ، وهو أَخْشَنُ^(٣) الكلام .

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسَّخِيُّ : هو كالبَحْرِ . وللشجاع :
هو كالأسد . وللشريف : سَمَاحَتِي بَلَّغَ النجم . ثم زادوا فوق ذلك ، فمن
ذاك قولُ بعضهم [وهو بَكْرُ بن النُّطَّاحِ يقولُه لِأبي دُلفَ القاسمِ
بن عيسى]^(٤) :

له هِمَمٌ لا مُنتَهَى كِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
له راحةٌ لو أن مِعْشَرَ جُودِها على البرِّ صارَ البرُّ أُنْدَى مِنَ البَحْرِ
ولو أن خَلَقَ اللهُ في مَسْكِ فارِسٍ وبارزَهُ كانَ الخَلِيٌّ مِنَ العُمَرِ^(٥)

(١) الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير (برقم ٦٢٣٤) ونسبه للدبلي في مسند الفردوس ،
وأشار إلى أنه حديث ضعيف .

(٢) الزيادة من ج و س .

(٣) « أخشن » بالخاء والشين المعجمتين ، وفي س و د و ه و ا « أحسن » بالمهملتين .

(٤) الزيادة من س و د .

(٥) « مسك » بفتح الميم وسكون السين ، وهو الجلد . يعني : أن الناس جميعاً لواجتمعوا فصاروا
فارساً واحداً وبارزه لظفر به أبو دلف .

وقد قيل أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما زعمت أنك لم تكذب
في شعرٍ قطُّ؟ ! قال : أو فمَلتُ؟ قالت : أنت القائلُ :

فهناك مجزأة بن ثور ركان أشجع من أسامته
أفيكونُ رجلٌ أشجع من الأسدِ؟ ! قال : فقال : أنا رأيتُ مجزأة [بن ثور]^(١)
فتح مدينةً ، والأسدُ لا يفتحُ مدينةً^(٢) .

ومن عيب التشبيه في إفراطٍ ، غير أنه خرَجَ في كلامٍ جيدٍ ، وعني
به رجلٌ جليلٌ^(٣) ، فخرَجَ من باب الاحتمالِ إلى باب الاستحسانِ ، ثم جعلَ
جودةَ ألفاظِهِ وحسنَ رصفِهِ واستواءَ نظْمِهِ في غاية ما يُستحسنُ - : قولُ
النابغةِ يعني حصن بن حذيفة [بن بدر بن عمرو الفزاري]^(٤) :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهمُ وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوح^(٥)
ولم تلفظِ الموتى القبورُ ولم تزلْ نجومُ السماءِ والأديمُ صبيحُ
فعمًا قليلٌ ثم جاء نعيهُ فظلَّ ندى الحى وهو ينوحُ
ومن تشبيهِهم المتجاوزِ الجيدِ النظمِ ما [قد]^(٥) ذكرناه ، وهو قولُ أبي
الطمحانِ [القيني]^(٦) :

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) سبقت القصة بنحو هذا ، في (س ٥٦٠) .

(٣) في ج و س و د « وعني به رجلاً جليلاً » .

(٤) يعني : تأبى نفوسهم أن يجبروا بموته ، إعظاماً له .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) الزيادة من د . والبيت مضى ضمن أربعة أبيات ، في (س ٤٦-٤٧) منسوبة لأبي الطمحان .

وأما ابن قتيبة فنسبها للقيط بن زرارة ، ونفى نسبتها لأبي الطمحان ، وانظر =

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظّم الجزع ناقبه^(١)
ويروى عن الأصمعي: أنه رأى رجلاً يخال في أزيز^(٢) في يوم قرّ
في مشيته ، فقال له : ممن أنت يا مقرور؟ فقال : أنا ابن الوحيد ، أمشي
الخير لي^(٣) ، ويدفني حسبي !!

وقيل لآخر في هذه الحال : أما يوجعك البرد؟ فقال : بلى والله ،
ولكني أذكر حسبي فأدفا !!

وأصوب^(٤) منهما قول العرياني الذي سئل في يوم قرّ عما يجيد؟ فقال :
ماعلي منه كبير مؤونة^(٥) ، وقيل^(٦) : وكيف [ذلك]^(٧) ؟ فقال : دام بي
العري ، فاعتاد بدني ما تعتاده وجوهكم !

ومن التشبيه القاصد^(٨) الصحيح قول النايفة :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني رأكس فالضواجع^(٩)
فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناع^(١٠)

= طبقات الشعراء (ص ٤٤٧) وعبون الأخبار (٤ : ٢٤) لابن تقيّة ، وانظر أيضاً

لباب الآداب بتحقيقنا (ص ٣٦٧) وأمالى الشريف المرتضى (١ : ١٨٦) .

(١) «الجزع» بفتح الجيم ، ويجوز كسرهما ، وهو ضرب من الحرز ، وقيل : هو الحرز اليماني ، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به العين ، وقد ضبطت الكلمة في طبعة أوربة فيما مضى بفتح الجيم ، وهنا بكسرهما ، وضبطناها بالوجهين .

(٢) «أزير» تصغير لزار .

(٣) «الخير لي» مشية فيها تناقل وتراجع وتفكك ، وهي نوع من التبخر .

(٤) في ج و س و د «فقيل» .

(٥) الزيادة من د .

(٦) «القاصد» المستقيم السهل ، يقال : طريق قاصد : سهل مستقيم ، وسفر قاصد : سهل قريب .

(٧) «أبو قابوس» هو النعمان بن المنذر . و «راكس» واد . و «الضواجع» موضع ، وكلاهما بديار غطفان .

(٨) «ساورتني» من المساورة ، وهي المواثبة ، و «الضئيلة» الحية الدقيقة . و «الرقش» جمع

يَسَهَّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ^(١)
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٢)
فهذه صفة الخائف المهموم . ومثل ذلك قول الآخر :

تَبَيْتُ الْهُمُومَ الطَّارِقَاتُ يَعْذَنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَابُ رَأْسَ الْمُطَلَّقِ
و « الْمُطَلَّقُ » هو الذي ذكره النابغة في قوله :

* تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ *

وذاك : أن المنهوش إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأَمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن
يُوَءَسَّ مِنْ بُرْئِهِ .

وإنما ذَكَرَ خوفه من النعمان وما يَعْتَرِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ فِي إِثْرِ لَوْعَةٍ ،
وَالْفَتْرَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْخَائِفُ لَا يَنَامُ إِلَّا غِرَارًا^(٣) . فلذلك شَبَّهَهُ بِالْمَدْوُغِ
الْمَسَهَّدِ .

وقوله « لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ » لأنهم كانوا يُعَلِّقُونَ حُلِيَّ
النِّسَاءِ عَلَى الْمَدْوُغِ ، يَزْعَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُرْءِ ، لِأَنَّهُ يَسْمَعُ تَقَعُّعُهَا
فِيْمَنْعُهُ النَّوْمَ فَلَا يَنَامُ فَيَدِبُّ فِيهِ السَّمُّ ، وَيُسَهَّدُ لِذَلِكَ .

« رِقْشَاء » وهي التي فيها قط سود وبيض . و « النَّاقِعُ » الثابت المجمع .

(١) فِي س و ج و د « يُسَهَّدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ » وَزَعَمَ الرَّصَنِيُّ أَنَّهَا الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ .

و « التَّمَامِ » بِكسْرِ التَّاءِ : أَطْوَلُ لَيْلِ الشِّتَاءِ .

(٢) « تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ » أَي : أُنْدَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

(٣) فِي ج و س و د « وَمَا يَعْتَرِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ فِي إِثْرِ فِتْرَةٍ ، وَالْفِتْرَةُ سِيَاءُ الْخَائِفِ ،

وَلَا يَنَامُ إِلَّا غِرَارًا » .

وقال الآخر :

كَانَ نَجَاحَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كُفَّةٌ حَابِلٌ
يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ^(١)
يَقَالُ لِكُلِّ مُسْتَطِيلٍ « كُفَّةٌ » يَقَالُ « كُفَّةُ الثَّوْبِ » لِحَاشِيَتِهِ ، وَ « كُفَّةُ
الْحَابِلِ » إِذَا كَانَتْ مُسْتَطِيلَةً . وَيَقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ « كُفَّةٌ » وَيَقَالُ
« ضَعُهُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ » فَهَذِهِ جَمَلَةٌ هَذَا . وَكُفَّةُ الْحَابِلِ : صَاحِبَ الْحِبَالَةِ
الَّتِي يَنْصِبُهَا لِلصَّيْدِ .



وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله :

بَل لَو رَأَيْتَنِي أُخْتُ جِيرَانِنَا إِذْ أَنَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي حَمَارٌ
فَإِنَّمَا أَرَادَ الصَّحَّةَ ! فَهَذَا بَعِيدٌ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِغَيْرِهِ . وَقَالَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، وَهَذَا الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .
وَ « السَّقْرُ » الْكِتَابُ . وَقَالَ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا
كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾^(٢) فِي أَنَّهُمْ قَدْ تَعَامَوْا عَنْهَا ، وَأَضْرَبُوا عَنْ حُدُودِهَا وَأَمْرَهَا
وَنَهْيَهَا ، حَتَّى صَارُوا كَالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ الْكِتَابَ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا .
وَهَجَا مِرْوَانَ بْنَ سَلِيمَانَ بْنَ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ قَوْمًا [يَدْعُونَ الْعِلْمَ]^(٣)

(١) « يؤتى » بتشديد التاء المفتوحة ، من « التأتية » يريد : يأتيه الظن والوهم ، فيخيل إليه .

(٢) سورة الجمعة (٥) .

(٣) الزيادة من هـ .

من رِوَاةِ الشُّعْر ، بأنهم لا يعلمون ما هو ، على كثرةِ استكثارِهم رِوَايَتَهُ ،
فقال :

زَوَامِلٌ لِلشُّعَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَائِرِ



والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على الألسن
الناس من التشبيه المستحسن عندهم ، وعن أصل أخذوه - : أن شبهوا^(١)
عين المرأة والرجل بعين الظبي^(٢) أو البقرة الوحشية ، والأنف بحد
السيف ، والفم بالخاتم ، والشعر بالعناقيد ، والعنق بإبريق فضة ، والساق
بالجمار^(٣) . فهذا كلام جار على الألسن .

وقد قال سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ : « فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاقَاهُ بِأَدْيَتَانِ فِي رَزِهِ كَأَنَّهُمَا جُمَّارَتَانِ ، فَأَرَدْتُهُ فَوَقَعْتُ
فِي مَقْنَبٍ^(٤) مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ ، فَقَرَّعُونِي بِالرَّمَاكِ . وَقَالُوا : أَيْنَ
تَرِيدُ^(٥) » .

(١) في ج و س و د و هـ « يشبهوا » .

(٢) في ج و س و د « الظبية » .

(٣) في ج و س و د و هـ « بالجمارة » .

(٤) « المقنب » بكسر الميم : جماعة الخيل والفرسان ، وقيل : هودون المائة .

(٥) الحديث رواه ابن إسحق في السيرة عن الزهري ، وهو في سيرة ابن هشام (ص ٣٣١ -

٣٣٢ طبعة أوروبية) ورواه من طريقه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة سُرَاقَةَ .

وقال كعب بن مالك الأنصاري : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وَجْهَهُ فَصَارَ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ »^(١)

وعينُ الإنسانِ مشبَّهةٌ بعينِ الظبي والبقرة في كلامهم المنشور ، وشعرهم
المنظوم ، مِنْ جَارِي مَا تَكَلَّمَتْ بِهِ الْعَرَبُ ، وَكَثُرَ فِي أَشْعَارِهَا ، قَالَ
[الشاعرُ] ^(٢) :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيْدُكِ جِيْدُهَا وَلِسْكَنَ عِظَمِ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيْقُ^(٣)
[وقال ذوالرئمة :

أَرَى فِيكَ مِنْ خَرَقَاءِ يَاطَبِيَّةِ اللَّوَى مَشَابِهَ جُنْبَتِ اعْتِلَاقِ الْحَبَائِلِ
فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيْدُكِ جِيْدُهَا وَلَوْ نَكَّ إِلَّا أَنهَا غَيْرُ عَاطِلٍ^(٤)
وقال الآخرُ :

فَلَمْ تَرَعِيْنِي مِثْلَ مِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ
طَلَعْنَ بِأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ وَأَعْيُنِ الْبُرْدِ جَاءَ ذِرْوَامُ تَدَّتْ بِهِنَّ الرِّوَادِفُ^(٥)
ويقالُ لِلخَطِيْبِ : كَأَنَّ لِسَانَهُ مِبْرَدٌ . فهذا الجارِي في الكلام ، كما يقال

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، وهو قصة طويلة في تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك وتوجهه
من ذلك (٢ : ٣٢٩ - ٣٣٢) ورواه أيضا البخاري في مواضع متعددة من الصحيح ،
ولفظهما في الموضع الذي روى المبرد : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار
وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قر » .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) في س و د « رقيق » .

(٤) نقل مصحح طبعة أوروبا عن ديوان ذي الرمة أن فيه : « وَلَوْ نَكَّ لَوْ نَهَا وَجِيْدُكِ إِلَّا أَنهَا

غَيْرُ عَاطِلٍ » . وكذلك نقل المرصفي أن أبا العباس الأحمول رواه هكذا .

(٥) في هذا البيت إقواء ، كما قال المرصفي .

للطويل : كأنه رُمُحٌ . ويقال للمُهْتَزِّ للكرم : كأنه غصنٌ تحتَ بارِحٍ .

ومن مِليح التشبيه^(١) قولُ القائلِ :

لَعَيْنُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَيْفَا من الفَنَنِ الْمَنْطُورِ وَهُوَ مَرُوحٌ^(٢)

وذاك : أن الغُصْنَ يَقَعُ المَطْرُ في وَرَقِهِ فيصيرُ منها في مِثْلِ المَدَاهِنِ ، فإذا

هَبَّتْ به الرِّيحُ لم تُدَبِّبْهُ أَنْ تُقَطَّرَهُ .



ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائفَ من تشبيه المحدثين وملاحظاتِهِمْ ، فقد

شرطناه في أولِ البابِ ، إن شاء الله .

قال أبو العباس : ومن أكثرهم تشبيهاً ، لاتساعِهِ في القولِ ، وكثرة

تَفَنُّنِهِ^(٣) ، واتساعِ مذاهبيه^(٤) . - الحسنُ بنُ هانِيٍّ^(٥) . قال في مَدِيحِهِ الفَضْلَ

بنِ يَحْيَى [بنِ خَالِدِ بنِ بَرَمَكٍ]^(٦) :

وَكُنَّا إِذَا مَا الحَائِنُ الْجَدَّ غَرَّهُ سَنَا بَرَقَ غَاوٍ أَوْ ضَجِيجُ رِعَادٍ^(٧)

(١) في ج و س و د « ومن عجب التشبيه » .

(٢) في ج و د « لَعَيْنُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ » وقد غير الشيخ المرصفي الكلمة فجعلها « لَعَيْنَاكَ »

من غير أن يشير إلى الأصل .

(٣) في ج « وكثرة تَفَنُّنِهِ » .

(٤) في ج و د « مذهبه » .

(٥) في حاشية د مانصه « ش : هو أبو نواس ، غير مهموز » .

(٦) الزيادة من د . وزيدت في طبقات مصر من غير إشارة إلى ذلك .

(٧) في ج و س و د « سَنَا بَرَقَ غَاوٍ » .

تَرَدَّى لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَضَى الظُّبَى أَزْهَاهُ طُولُ نِجَادٍ
أَمَامَ خَمِيسِ أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَبِصٌ مَحْوُوكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ
مَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشَقَّى بِهِ وَيُعَادِي

قوله « الحائِنُ الجَدُّ » يقال « حَانَ الرجلُ » إذا دَنَا موْتُهُ ، ويقال رجلٌ حَائِنٌ ،
والمصدرُ « الحَيْنُ » . و « الجَدُّ » الحِطُّ ، و « الجَدُّ » و « الجَدَّةُ » مفتوحان ،
فإذا أردتَ المصدرَ من « جَدَدْتُ » في الأمرِ قلتَ « أَجِدُّ جِدًّا » مكسورَ
الجيمِ ، ويقال « جَدَدْتُ النخلُ أَجْدُهُ جَدًّا [وَجَدَادًا] »^(١) إذا صَرَمْتَهُ ، ويقال
« جَدَدْتُهُ جَدًّا » وتركْتُ الشئَ « جَدَادًا » إذا قَطَعْتَهُ قِطْعًا . وَيُرْوَى هَذَا
البيتُ لجريرٍ على وجهين :

أَلِ الْمُهَلَّبِ جَدَّ اللَّهِ دَابِرِهِمْ أَضَحَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلُ وَلَا طَرْفٌ
ويروى « جَدَّ »^(٢) . وقرأ بعضُ القراءِ ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾^(٣) . فأما قوله :
﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا ﴾^(٤) فلم يُقرأ بغيرِهِ . ويقالُ : كَمْ جِدَادٌ نَحْلُكَ ، أى : كم

(١) الزيادة من هـ .
(٢) «جد» في البيت بالمعجمة ، والرواية الأخرى فيه بالمهملة ، ووضع تحت الدال في طبعة أوروبا نقطة ، على طريقة الفتنين من المتقدمين في وضع علامة تحت الحرف المهمل ضبطاً لإيماله . وفي ج و س و د بعكس ذلك ، أى باعمال الحرف في البيت وإعجابه في الرواية الثانية .
(٣) «مجودود» في هذه القراءة بدالين مهملتين ، ووضع تحت كل منهما نقطة في طبعة أوروبا ، وطبعت في طبعات مصر بالمعجمتين ، وهو خطأ من مصححيها ، لأنه لا يكون شاهداً للقراءة التي يشير إليها أبو العباس . والآية في سورة هود (١٠٨) وهذه القراءة التي حكى المبرد باعمال الدالين لم أجدها عند غيره قط .
(٤) سورة الأنبياء (٥٨) .

تَضَرُّمٌ مِنْهَا^(١). وَيُرْوَى فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(٢)
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: غَنَى رَبِّنَا. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: «جَدًّا رَبَّنَا» وَلَوْ
قَرَأَ قَارِئٌ «جِدًّا رَبَّنَا» عَلَى مَعْنَى: جِدُّ رَبِّنَا. وَلَمْ^(٣) يُقْرَأْ بِهِ، لِتَغْيِيرِ الْخَطِّ،
وَكَذَا قِرَاءَةُ سَعِيدٍ مُخَالَفَةً لَخَطِّ^(٤). وَهَذَا الشَّعْرُ يُنْشَدُ بِالْكَسْرِ:
أَجِدُّكَ لَمْ تَعْتَمِضْ إِسْلَةً فَتَرَقَدَهَا مَعَ رُقَادِهَا
وَمِثْلُهُ [قَوْلُ الْأَعَشَى]^(٥):

- (١) فِي ج و س و د: «كَمْ جِدَادُ أَرْضِكَ؟ أَي كَمْ صُرِّمَ مِنْهَا».
- (٢) سُورَةُ الْجِنِّ (٣). وَقَوْلُهُ «وَأَنَّهُ» كَتَبَ فِي طَبْعَةِ أوروْبِيَّةِ بِكَسْرِ الهمزة فَقَط. وَكَتَبَتْهَا بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، لِأَنَّ الْفَتْحَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَحَفْصِ وَحَمْزَةَ وَالْكَسْرَ قِرَاءَةُ بَاقِي السُّبَّةِ.
- (٣) هَكَذَا فِي الْأَصُولِ بِأَثْبَاتِ الْوَاوِ. وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَقَدْ حُذِفَتْ فِي طَبْعَاتِ مِصْرَ وَجَوَابَ «لَوْ» مَحذُوفٌ.
- (٤) فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ (ص ١٦٢) أَنَّ عِكْرَمَةَ قَرَأَ «جَدًّا رَبَّنَا». وَهُوَ خَطَأٌ فِي الضَّبْطِ مِنْ مِصْحَاحِ الْكِتَابِ، كَمَا سَتَرَى. وَهِيَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي رَوَاهَا أَبُو حَيَّانَ فِي الْبَحْرِ بِلَفْظِهِ (٨: ٣٤٧ - ٣٤٨) قَالَ: «وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ جِدًّا مِنْوَنَا رَبَّنَا مَرْفُوعَ الْبَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَظِيمٌ هُوَ رَبَّنَا، فَرَبَّنَا بَدَلٌ، وَالْجِدُّ فِي اللَّغَةِ الْعَظِيمُ. وَقَرَأَ حَمِيدُ بْنُ قَيْسٍ جِدًّا بِضَمِّ الْجِيمِ مُضَافًا، وَمَعْنَاهُ: الْعَظِيمُ، حَكَاهُ سَيِّدِيهِ، وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، وَالْمَعْنَى: تَعَالَى رَبَّنَا الْعَظِيمُ. وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ جِدًّا رَبَّنَا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْبَدَلِ مِنْوَنَا وَرَفَعَ رَبَّنَا، وَاتْتَصَبَ جِدًّا عَلَى التَّمْيِيزِ الْمَقُولِ مِنَ الْفَاعِلِ، أَصْلُهُ: جَدُّ رَبَّنَا. وَقَرَأَ ابْنُ تَدَاةٍ وَعِكْرَمَةُ أَيْضًا جِدًّا بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالتَّنْوِينِ نَصْبًا رَبَّنَا رَفَعَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: نَصَبَ جِدًّا عَلَى الْحَالِ، وَمَعْنَاهُ: تَعَالَى حَقِيقَةً وَمِتْمَكْنَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: تَعَالَى جِدًّا، وَرَبَّنَا مَرْفُوعٌ بِتَعَالَى وَقَرَأَ ابْنُ السَّبْيَعِ: جِدًّا رَبَّنَا أَي: جَدْوَاهُ وَنَفْعُهُ». وَقَوْلُهُ «جِدًّا» رَسْمٌ فِي الْبَحْرِ «جَدِي» بِالْيَاءِ وَصَوَابُهُ بِالْأَلْفِ كَمَا رَسَمْتَاهُ، لِأَنَّهُ وَآوِيٌّ.
- (٥) الزِّيَادَةُ مِنْ س.

أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدًا^(١)
لأن معناه: أجدًا منك، على التوقيف^(٢)، وتقديره في النصب «أجدُّ جدًا»
ويقال: امرأة «جداء» إذا كانت لا تدي لها، فكأنه قطع منها، لأن
أصل «الجد» القطع، ويقال «بلدة جداء» إذا لم تكن بها مياه،
قال الشاعر:

وَجَدَاءٌ مَا يُرْجَى بِهَا ذَا هَوَادَةٍ لِعُرْفٍ وَلَا يَخْشَى السَّمَاءَ رَيْبُهَا
[القرابة والهوادة في المعنى واحد]^(٣). [قال أبو الحسن: «السماة» هم الصادة
نصف النهار، ورؤي عن بعض أصحابنا عن المازني قال: إنما سُمِّي «ساميًا»
بالمسامة، وهو خُفٌّ يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه، وهو عندي إمين «سما
للصيد»]^(٤) وَيُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتُ:

أَبْنَى حُبِّي سَلِيمِي أَنْ يَبِيدَا وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدًا^(٥)
يقول: أصبح خلقًا مقطوعًا، لأن «جديدًا» في معنى «مجدود» أي

(١) في ج و س و د «نبي الإله» .

(٢) أي أنه جار على ما وقفهم عليه شيوخهم وعلماؤهم وبنوهم لهم .

(٣) الزيادة من حاشية ا وقد روى الشيخ المرصفي البيت من كتاب سيبويه بلفظ:

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة لعطف وما يخشى السماء ريبها

ثم قال: «وكان راوي الكتاب اطلع على هذه الرواية فزعم أن الهوادة في معنى القرابة،
وهو كاذب في زعمه!! وذلك أن الهوادة ليس لها معنى في اللغة سوى اللين وما يرجى به الصلاح
بين القوم، والمراد هنا الأول». وهذا منه قول شديد، والنقل ينقضه، ففي اللسان:
«الهوادة: الحرمة والسب». وفي القاموس: «وتهود: صار يهوديًا، و: توصل برحم
أو حرمة» ومن هذا يفهم أن للسادة أصلا في معنى القرابة .

(٤) الزيادة من س

(٥) في ج «أبني حبي لسلي»

مقطوع ، كما تقول «قتيلٌ ومقتولٌ» و «جريمٌ ومجروحٌ» . ويقال في غير هذا المعنى : رجلٌ «مجدودٌ» إذا كان ذا خطرٍ ^(١) أى حظٍ . وفي الدعاء «ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منك الجِدُّ ، أى : من كان له حظٌ في ديناه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به . ولو قال قائلٌ : ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منك الجِدُّ ، يريدُ الاجتهادَ - : لكان وجهاً .

وقوله «سَنَا بَرَقَ غَاوٍ» ^(٢) و «السَّنَا» من الضياء مقصورٌ ، قال الله جل وعز : ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ^(٣) و «السَّنَاء» من المجدِ ممدودٌ . وقال الشاعرُ :

وهم قومٌ كرامٌ الحى طراً لهم خولٌ إذا ذكِر السَّنَاء
وضربه الحسن ^(٤) ههنا مثلاً . وجمع «الرَّعْدَ» فقال «رِعادٌ» كقولك «كَلْبٌ وكِلَابٌ» و «كَعْبٌ وكِعَابٌ» .

وقوله «بِمَاضِي الطَّبِي» «ظُبَّةٌ» كلُّ شىءٍ : حَدُّهُ ، يقال : وخزَهُ بظُبَّةِ السيفِ ، يراؤُ بذلك : حَدُّ طَرَفِهِ .

وقوله : «أزهاهُ طولُ نِجَادٍ» «النَّجَادُ» هائلُ السيفِ ، و «أزهاهُ» رفَعَهُ وأَعْلَاهُ ، والرجلُ يمدحُ بالطولِ ، فلذلك يُذَكَّرُ طولُ حمائله ، قال مَرْوَانُ بنُ أَبِي حَفْصَةَ يمدحُ المهدى :

(١) في هـ «ذاجد»

(٢) في ج و د «غاد» ورسمت في س بالذال وفوقها واو ، لتقرأ «غاد» و «غاو» على الروايتين أو النسختين

(٣) سورة النور (٤٣)

(٤) يريد أبا نواس الحسن بن هانى

قَصْرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ وَلَقَدْ تَأَنَّقَ قَيْنَهَا فَأَطَالَهَا^(١)

وقال الحسن بن هاني يمدح محمداً الأمين :

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا أَحْتَبَى بِنِجَادِهِ عَمَرَ الْجَمَاعِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ

وقال جريرٌ للفرزدق :

تَعَالَوْا ففَاتُونَا فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبِطَاحِ الْأَكْرَمِ^(٢)

فإِنِّي لَأَرْضِي عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضَى الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ أَهْلِ هَاشِمِ^(٣)

وقال الآخر^(٤) :

لَمَّا التَّقَى الصَّفَانَ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالًا وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا^(٥)

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طَوَّالَهَا

وقوله « أَمَامَ خَمِيسٍ » « الْخَمِيسُ » ههنا الجيشُ ، وكذلك قال ربيعةُ أهلَ خَيْبَرَ

لَمَّا أَطَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ^(٦) : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٧) ، أَى :

وَالجَيْشُ . وقال الشاعرُ ، وهو طَرْفَةٌ :

وَأَيْ خَمِيسٍ لَا أَفَانًا نِهَابَهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمًا

« أَفَانًا » رَدَدْنَا ، يقال « أَفَاءَهُ يُفِيءُ » إِذَا رَدَّ . و « الْأَرْجُونَ » الْأَحْمَرُ ،

(١) في هـ « وَلَقَدْ تَنَوَّقَ » .

(٢) في هـ « ففَاتُونَا » . وفيها أيضاً « مِنْ آلِ الْبِطَاحِ » .

(٣) في د « الطَّوَالَ الْغُرِّ » .

(٤) مضى البيتان وشرحهما مع ثالث في الجزء الأول (ص ٨٢ - ٨٣) وكذلك بيتا جرير .

(٥) في ج و س و د و هـ « وَلَمَّا التَّقَى » وهو موافق لما مضى .

(٦) في ج و س و د و هـ « لَمَّا أَطَلَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ » .

(٧) انظر (باب غزوة خيبر) من البخارى (٧ : ٣٥٦ - ٣٥٩ من الفتح) .

قال الشاعرُ :

عَشِيَّةً غَادَرَتْ خَيْلِي مُحَمَّدًا كَانَ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجُوانِ
و « الجيادُ » الخيلُ ، وفي القرآن : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ ﴾^(١) .

ومن تشبيهه [أي الحسن بن هاني]^(٢) الجيِّد في هذا الشعر الذي
ذكرنا قوله :

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رِجَالٌ دَبَّ وَجَرَادِ^(٣)
فَيَوْمٌ لِلْخَاقِ الْفَقِيرِ بَدَى الْغِنَى وَيَوْمٌ رِقَابٌ بُوَكِرَتْ لِحْصَادِ^(٤)
ومن التشبيه الجيِّد قوله [أي أبي نواسٍ الحسن بن هاني]^(٥) :

فَكَأَنِّي بِمَا أَزَيْنُ مِنْهَا قَعْدِي يُزَيْنُ التَّحْكِيمَا

وكان سببُ هذا الشعرِ : أن الخليفة تشدَّدَ عليه في شربِ الخمر ، وجبَّسه من
من أجل ذلك حبسًا طويلًا ، فقال :

أَيْهَا الرَّائِحَانَ بِاللَّوْمِ لَوْمًا لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا
نَالِنِي بِاللَّامِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا

(١) سورة ص (٣١) .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) « الدبا » مقصور ، وهو بفتح الدال المهمله ، وهو الجراد قبل أن يطير .

(٤) في ج و س و د و هـ « بحصاد » .

كُبْرُحَطَّى مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي بِمَا أَزِينُ مِنْهَا قَعْدِيُّ مُزِينُ التَّحْكِيمَا^(١)
لَمْ يُطِيقْ حَمَلَهُ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرْ بِ فَاَوْصَى الْمُطِيقَ أَلَا يُقِيمَا
فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد^(٢) .

قال : وحدثت أن العُماني^(٣) الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس :

كَأَنَّ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فعلم القوم كلُّهم أنه قد حَنَ ، ولم يهتد منهم أحدٌ لإصلاح البيت إلا
الرشيد ، فإنه قال له : قُلْ : « تَحَالُ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا » . والراجز وإن كان
[قد]^(٤) حَنَ فقد أحسن التشبيه .

ويروى أن جريراً دخل إلى الوليد وابن الرقاع العاملئ عنده يُنشدُهُ

القصيدة التي يقول فيها :

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَنَى قُرَيْشَ الْمُعْضَلَاتِ وَسَادَهَا

قال جرير : فحسدته على أبياتٍ منها ، حتى أنشد في صفة الظبية :

* تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *
* * *

(١) « قعدى » هو الذى يرى رأى القعد من الخوارج . و « القعد » بالقاف والعين المهملة

المتفوحتين : الخوارج الذين يرون التحكيم ولا يخرجون إلى القتال .

(٢) فى هـ « فهذا التشبيه والمعنى الذى لم يسبقه إليه أحد » .

(٣) « العمانى » قال المرسى : « ذكره الأصبهاني فى أغانيه قال : اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن

بن قدامة الحنظلي البصرى ، ولما قيل له العمانى - وليس هو ولا أبوه من عمان - لأنه

كان شديد صفرة اللون . وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، ليس كأمثاله من شعراء الدولة

العباسية » .

(٤) الزيادة من س و د و هـ .

قال: فقلتُ في نفسي: وَقَعَ وَاللَّهِ، مَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ أَوْ يُشَبَّهُ بِهِ، قال:

فقال:

* قَلِمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا لَهُ أَنْ أُقِيمَ حَتَّى انصرفتُ^(١).

ومن تشبيهه^(٢) الحسن الذي نستطرفه قوله:

تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَانَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفٌّ مَدَارِي

ومن التشبيه المليح قوله:

وَكَأَنَّ سُعْدَى إِذْ تُودِّعُنَا وَقَدْ أَشْرَابَ الدَّمْعُ أَنْ يَكِفَّا^(٣)

رَشَاءُ تَوَاصَيْنِ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقَدَنَ بِأُذُنِهِ شُنْفَا

[يقال «أشْرَابٌ» لأن يكلمني: إذا تهيأً لكلامك. «وأشْرَابٌ» الدمعُ:

إذا تهيأً للوكف^(٤).]

وفي هذا الشعر من التشبيه [الجيدِ قوله]^(٥):

خَبَّرَ فَوَادَكَ أَوْ سَتُّخْبِرُهُ قَسَمًا لَيْتُهُيْنِ أَوْ حَلِفًا^(٦)

أَلْبُ ظَهْرُهُ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ انصَرَفَا

(١) قصيدة ابن الرقاق ذكرها الرصفي وشرحها، وانظر شرحه (٧ : ٤٨ - ٥٠).

(٢) في ج و س و د و هـ «ومن التشبيه».

(٣) في ج و س «وكان سلمى».

(٤) الزيادة من هـ.

(٥) الزيادة من س.

(٦) «لَيْتُهُيْنِ» بالياء التحتية، وفي طبقات مصر بالناء المثناة الفوقية. وتقط الحرف فد بالنظين.

و [له] ^(١) من التشبيه الجيد قوله :

إليك رمت بالقومِ حُوصُ كَأَنَّمَا
جَاجِهَا فَوْقَ الْحِجَابِ قُبُورُ
وله أيضاً :

سَأَرَ حَلُّ مَنْ قُوْدِ الْمَهَارَى شِمْلَةً
مُسَخَّرَةً مَا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي ^(٢)
مَعَ الرَّيْحِ مَارَاحَتٍ فَإِنَّهَا أَعْصَفَتْ
نُهُوزٌ بِرَأْسِ كَالْعَلَاةِ وَهَادِي ^(٣)
« الْعَلَاةُ » السُّنْدَانُ ^(٤) . قال جرير :

أَيْفَخْرُ بِالْحَمَمِ قَيْنٌ لَيْلَى
وَبِالْكَبِيرِ الْمَرْقَعِ وَالْعَلَاةِ ^(٥)
وقال الحسن بن هاني في صفة السفينة :

بُنِيَتْ عَلَى قَدَرٍ وَلَا أَمَّ يَبْنِيهَا
طَبَقَانِ مِنْ قَيْرٍ وَمِنْ أَلْوَاحِ ^(٦)

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) قال المرصفي : « الْقُوْدُ : جمع قَوْدَاءَ ، وهي الطويلة الظهر والعنق . والمهاري : بتخفيف الياء مع كسر الراء وفتحها ، مثل المنقوس والقصور ، والأصل في يائها التشديد : جمع مهربية ، بفتح فسكون ، منسوبة إلى مبرة بن حيدان ، بسكون الياء ، وهو أبو حنيفة من العرب » .

(٣) « نهوز » قال المرصفي : « صيغة مبالغة من النهز ، وهو الدفع ، يريد أنها تدفع برأسها في سيرها » وقوله « كالعلاة وهادي » قال المرصفي أيضاً : « وقد تشبه الناقة في خلقها بالعلاة ، يراد صلابتها . والهادي : العنق » .

(٤) « السندان » ضبطت في الأصول كلها بكسر السين ، وضبطها صاحب القاموس بالفتح ، وتبعه الشيخ المرصفي .

(٥) في ج و د « أَتَفَخَّرُ بِالْحَمَمِ قَيْنَ لَيْلَى » . و « الحمم » هو الفحم . و « القين » الحداد . و « الكير » الزق الذي يفتح فيه الحداد .

(٦) في ج « عَلَى قَدَرٍ » . وفي د « وَلَا أَمَّ » .

فَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَنْطَحُ صَدْرَهَا وَالْحَيْزُرَانَةُ فِي يَدِ الْمَلَّاحِ (١)
جَوْثُنٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَبْتَدِرُ الدُّجَى يَهْوِي بِصَوْتٍ وَأَصْطَفَاقِ جَنَاحِ
وقال في شعرٍ آخرَ ، يصفُ الحمرَ ، ويذكرُ صفاءَها ورقَّتَها ، وضياءَها
وإسراقَها :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوْ كَبَا
فَأَمَّا قَوْلُهُ :

بَيْنَمَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءٌ مُدَامَةٌ جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنُجُومِ
فَلوَرُدِّي كِسْرَى بِنِ سَاسَانِ رُوحُهُ إِذَا لِأَصْطَفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمِ
- : فَإِنَّمَا كَانَتْ صُورَةٌ كِسْرَى فِي الْإِنَاءِ . وَقَوْلُهُ « جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنُجُومِ »
فَإِنَّمَا يَرِيدُ مَا تَطَوَّقَ بِهِ مِنَ الزَّبَدِ .

وقد قال في أخرى [أولُ الشعرِ من غيرِ الأُم (٢) :

وَدَارٍ نَدَامَى خَلْفُهَا وَأَدْجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مَسْجَرِ الزَّفَاقِ عَلَى النَّرَى وَأَضْعَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَابِسُ
حَبَسَتْ بِهَا صَحْبِي فَأَلْفَتْ شَمْلَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تَلِكِ حَلَابِسُ (٣)

(١) « الحيزرانة » والحيزران : الشُّكَّانُ ، وهو كَوْنُ تَلُّ السَّفِينَةِ ، أَى مَا يَسْمَى الْآنَ
بِالْعَامِيَةِ : الدَّفَّةُ .

(٢) يريد بقوله « الأُم » أصل الكتاب الذى ألفه أبو العباس ، ونقل عنه الناسخون . وهكذا
كانوا يسمون كل أصل ثابت من أصول الكتب .

(٣) الزيادة من حاشية ج .

أقننا بها يوماً ويوماً وليلة ويوماً له يومُ التَّرحُلِ خامِسٌ^(١)
تدارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجِدِيَّةٍ خَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٌ^(٢)
قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهْمَا تَدْرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسِ^(٣)
فَلِخَمْرٍ مَازَرَتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
« العَسْجِدِيَّةُ » مَنْسُوبَةٌ إِلَى « العَسْجِدِ » وَهُوَ الذَّهَبُ . وَقَالَ الْمُثَقَّبُ
العَبْدِيُّ :

قَالَتْ أَلَا لَأَشْتَرِي ذَاكُمْ إِلَّا بِمَا شِئْنَا وَلَمْ يُوجَدِ
إِلَّا بِبَدْرِي ذَهَبٍ خَالِصٍ كُلَّ صَبَاحٍ آخِرِ الْمُسْنَدِ
مِنْ مَالٍ مَنْ يَجِبِي وَيُجِبِي لَهُ سَبْعُونَ قِنْطَارًا مِنَ الْعَسْجِدِ
وَقَوْلُهُ « تَدْرِيهَا » أَي : تَحْتَمِلُهَا ، يُقَالُ « دَرَيْتُ » الصَّيْدَ : إِذَا خَتَلْتَهُ . قَالَ
الْأَخْطَلُ :

وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَقْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي

بِسَهْمِكَ وَالرَّايِ يَصِيدُ وَمَا يَدْرِي^(٤)

(١) بِمَاشِيَةِ اءِ وَثَالْتَا « بَدَل » وَبِلَيْلَةٍ .

(٢) فِي ج « تَرَّاحَ عَلَيْنَا » . وَفِي هـ « بِأَلْوَانِ التَّصَاوِيرِ » .

(٣) « قَرَارَتِهَا » بِالرَّفْعِ ، وَضَبُّهُ الْمَرْصُوقُ بِالنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ . وَقَوْلُهُ « تَدْرِيهَا » فِي ج وَ د
وَ هـ « تَدْرِيهِ » .

(٤) فِي ج وَ د « بِسَهْمَيْكَ » .



وقال الحسن بن هاني :

مَاحَطَّتْ الوَاشُونَ من رُثْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَكَ مَا اغْتَابُوا^(١) ،
كَأَنَّهُمْ أَتَمُّوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِي عَابُوا^(٢) ،
وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر جِحِلْ بِنِ نَضَلَةَ^(٣) ،
وقد ذكر معاوية بن شكل^(٤) ، فقال : أَيْتَ اللَّعْنِ ، إِنَّهُ لَقَعَوُ الْأَيْتَيْنِ ،
مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ ، فَخِجُ الْفَخِذَيْنِ ، مَشَاءُ بِأَقْرَاءِ ، تَبَاعُ إِمَاءِ ، قَتَالُ ظِبَاءِ . فقال
النعمان : أَرَدْتَ أَنْ تَذِيهَهُ فَذَهَبَتْهُ .

قوله « مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ » يقول : لنعله قِبَالٌ ، يَنْسَبُهُ إِلَى التَّرْفَةِ^(٥) .
و « تَبَاعُ إِمَاءِ » و « قَتَالُ ظِبَاءِ » من ذلك . و « الْقَعَوُ مَا تَدُورُ فِيهِ الْبَكْرَةُ
إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ . وقوله « تَذِيهَهُ » معناه : تَذْمُهُ . يقال « ذَمَّهُ يَذْمُهُ ذَمًّا
و « ذَامَهُ يَذِيهُهُ ذِيْمًا » و « ذَامَهُ يَذَامُهُ ذَامًا » والمعنى واحدٌ . قال الله
تبارك وتعالى : ﴿ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذُومًا مَدْحُورًا ﴾^(٦) وقال الحرث بن خالد
المخزومي لعبد الملك :

(١) في س و د و هـ « ولا ضرك مغتاب » .

(٢) في ج و س و د و هـ « كأنما أتوا » . وفي هـ « ولم يشعروا » .

(٣) « جحل » بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة . وفي س و د و هـ « جحل » بتقديم الحاء ، وعليها نسخة المرصفي ، وهو خطأ . وجحل بن نضلة شاعر ، ذكره المرزباني في المؤلف (ص ٨٢) . و ذكر في الشعراء لابن قتيبة (ص ٣٠) بتقديم الحاء ، وهو خطأ أيضاً . وهناك شاعر آخر اسمه « جحل بن حنظلة » ذكره صاحب الفاموس والذهبي في المشبه (ص ٩٤) . وأما « جحل » بتقديم الحاء فاسم آخر ، ذكر في الفاموس والمشبه .

(٤) « شكل بفتحين . وضبط في ج بسكون الكاف .

(٥) في ج و س « إلى الترففة » .

(٦) سورة الأعراف آية ١٨ .

صَحْبَتِكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَذِيْمَهَا
وقوله « فَدَهْتُهُ » يريدُ : مَدَحْتُهُ . فَأَبْدَلَ مِنَ الْحَاءِ هَاءً لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ .
وَبْنُو سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ كَذَلِكَ تَقُولُ ، وَخَلْمٌ وَمَنْ قَارَبَهَا .
قَالَ رُوَيْبَةُ :

لِلَّهِ دَرُّ الْغَايَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحْنَ وَأَسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّمِي^(١)
يريدُ : المُدَّح . وفي هذه الأَرْجُوزَةِ :

* بَرَّاقُ أَصْلَادِ الْجَبِينِ^(٢) الْأَجَلَهُ *

يريدُ : الْأَجْلَحَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ « جَلَحَ الرَّجُلُ يُجْلِحُ جَلْعًا » وَ « جَلِهَ
يُجْلِهُهُ جَلْمًا » وَ « جَلِيَّ يَجْلِي جَلِيَّ » وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ^(٣) . قَالَ الْعَجَّاجُ :

* مَعَ الْجَلَّاءِ وَالْمُخِ القَتِيرِ *

وَمِثْلُ بَيْتِ الْحَسَنِ وَكَلَامِ النُّعْمَانِ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ :

كَأَنَّ مُحْرَشًا فِي بَيْتِ سَعْدِي يُعَلُّ بِهَيْبِهَا عِنْدِي شَفِيعٌ^(٤)
وفي قصيدة الْحَسَنِ هذه :

(١) فِي ج « مِنْ تَدَلُّمِي » .

(٢) « أَصْلَادِ الْجَبِينِ » أَيْ : لِاشْعَرِ فِي جَبِينِهِ ، تَشْبِيهًا بِالْحَجَرِ الصَّلْدِ .

(٣) ثَقَلُ الْمَرْصَنِ عَنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : « الْأَنْزَعُ : الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَانِبِي جَبِينِهِ ، فَذَا زَادَ قَلِيلًا فَهُوَ أَجْلَحُ ، فَذَا بَلَغَ النِّصْفَ وَنَحْوَهُ فَهُوَ أَجْلِي ، ثُمَّ هُوَ أَجْلَهُ » .

(٤) فِي ج وَ د « يُعَلُّ » بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ ، وَزَادَ الْمَرْصَنِي أَيْضًا فِيهَا كَسْرَ الْعَيْنِ . وَقَالَ :

« مِنْ الْعَلِّ وَالْعَلُّ - بِفَتْحَتَيْنِ - وَهُوَ السَّقِيَّةُ الثَّانِيَّةُ ، وَالْأُولَى تَسْمَى التَّهْلُ . يَرِيدُ : يَنْدَكِرُ

عَيْبَهَا لِمَرَّةٍ بَعْدَ مَرَّةٍ » .

إِنْ جِئْتُ لَمْ تَأْتِ وَإِنْ لَمْ أَجِئْ جِئْتَ فَهَذَا مِنْكَ لِي دَابُّ
كَأَنَّمَا أَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْذِبُ : فِي الْمِعَادِ كَذَابُ
وهذا كلامٌ طريفٌ .



ومن حسن تشبيه المحدثين قولُ بشارٍ [بن بُرَيْدٍ]^(١) :
وكانَّ تحتَ لسانِها هاروتَ يَنْفِثُ فِيهِ سِحْرًا
وتخالُّ ما جمعتُ عليه بنانها ذهبًا وعطرا^(٢)
وهذا التشبيهُ الجامعُ .

ونظيره في جمع شيتين لعنيين ما ذكرتُ لك من قولِ مُسْلِمِ بنِ الوليدِ :
* كانَّ في سَرَجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا *

ومن حسن التشبيه من قولِ المُحدثين قولُ عباسِ بنِ الاخنفِ :
أَحْرَمُ مِنْكُمْ بَمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ^(٣)
فهذا حسنٌ في هذا جدًّا .

ومن حسن ما قالوا في التشبيه قولُ إسماعيلِ بنِ القاسمِ أبي العتاهية
للرَّشيدِ :

(١) الزيادة من س و ه .

(٢) في ج و س و د « ما صمَّت » . وفي ج و د و ه « ثيابها » .

(٣) في ج « وقَدَّت » بدل « نُصِبْتُ » .

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرٌ أَمْنٍ عَلَيْكَ مِنَ الثَّقِيِّ فِيهِ لِبَاسٌ
تُسَاسٌ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ فَضْلٍ وَأَنْتَ بِهِ تُسُوسُ كَمَا تُسَاسُ^(١)
كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكِّبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسٌ
وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة ، فقال في مدحه محمد بن عبد الحميد ،
وزاد في الشرح والترتيب ، فقال :

يَرْتَقِي مَا يَفْتَقِي أَعْدَاؤُهُ وَلَيْسَ يَأْسُو فَتَقَهُ آسِي
فالناس جسمٌ وإمامٌ الهدى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّاسِ
والعربُ تَحْتَصِرُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَرَبَّمَا أَوْمَأَتْ بِهِ إِعْمَاءُ ، قَالَ أَحَدُ
الرُّجَّازِ :

بِتَنَا بِحَسَّانٍ وَمِعْزَاهُ تَنْطُ مَازَلْتُ أَسْمَعِي بَيْنَهُمُ وَالْتَبِطُ^(٢)
حَتَّى إِذَا كَانَ الظَّلَامُ يَخْتَلِطُ جَاؤُا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ^(٣)
يقول في لونِ الذَّنْبِ . وَاللَّابِنُ إِذَا جُهِدَ وَخُطِبَ بِالْمَاءِ ضَرَبَ إِلَى الْعُبْرَةِ .
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

وَتَشْرَبُهُ مَحْضًا وَتَسْقِي عِيَالَهَا سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثَّمَالِبِ أَوْزَقًا
« السَّجَاجُ » الرِّيقُ الْمَمْدُوقُ . وَ« الْقُرْبَانِ » الْجَنَابَانِ ، وَالوَاحِدُ « قُرْبٌ » ،

(١) في ج و س و د « بَكْلٌ بِرٍ » .

(٢) « تَنْطُ » من الأَطِيط ، وهو صوت الأَمْعَاءِ من الجوع . و « أَلْتَبُطُ » أى أَعْدُو وَأَنْبِ ،
وَاللَّتَابُطُ : الْعَدُو وَالْوَثُوبُ . يَرِيدُ بِذَلِكَ طَلَبَ الْغَنَاءِ .

(٣) قال المرصني : « صوابه : إِذَا كَادَ » يعنى بدل « إِذَا كَانَ » . وَلَكِنْ أَيْنَ الدَّلِيلَ النُّقْلَى ؟
أَمَّا الْمَعْنَى عَلَى مَا فِي الْأَصْلِ فَصَحِيحٌ .

[والجَمِيعُ «أقرب»^(١)] من ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شاورَ في رجل جَنَى جِنَايَةً ، وجاء قومه يَشْفَعُونَ له ، فسَفَع له قومه آخرون ، فقال له عمرُ : يارسولَ الله ، أَرى أن تُوجِعَ قُرْبِيهِ ، فقال القومُ : يارسولَ الله ، إِنَّكَ لَن تَشْتَدَّ عَلَى أُمَّتِكَ بقولِ عمر . فنزل إليه جبريلُ صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثاً : يا محمدُ ، القولُ قولُ عمرَ ، شُدَّ الإسلامَ بعمرَ . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فضربَ الرَّجُلَ . و «الأورقُ» لونٌ بين الخُضْرَةِ والسَّوَادِ يقال «جَمَلٌ أَوْرَقٌ بَيْنُ الوُرْقَةِ» وهو أَلَمُّ ألوانِ الإِبِلِ عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا .

وَمِنْ مَلِيحِ التَّشْبِيهِ [لِلْمُحَدَّثِينَ^(٢)] قولُ عبد الصَّمَدِ بنِ المَعْدَلِ

في صفةِ العَربِ :

تُبْرِزُ كَالقَرْنَيْنِ حِينَ تُطْلِعُهُ تُرْحِلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تُرْجِعُهُ^(٣)
 فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ خَلَقَ تُقْطِعُهُ أَعْصَلُ خَطَّارٌ تَلْوُحُ شُنْعُهُ^(٤)

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) «ترحله» أي : تنحيه وتباعده .

(٤) قال المرصني : «السبت بالكسر : الجلد المدبوغ . وخلق : مخلوق ، يريد ذنبها . وتقطعه :

بناء الخطاب ، يقول : تراه فظيماً . شبه دقة خلقتها من جهة الذنب بصدر جلد الحيوان من جهة الرقبة . أعصل : من العصل ، بالتحريك ، وهو الاتواء في الشيء . وخطار : كثير الحركة يميناً وشمالاً . ثم إن بحاشية نسخة ف ما نصه : «الصواب * في مثل صدر السيف حلو مقطعه * لكنه وقع في الأمهات كما في داخل الكتاب ، وهو تصحيف . وقد أتى به صاحب كتاب التشبيهات على الصواب ، كما ذكرته أولاً» .

أَسْوَدُ كَالسُّبْجَةِ فِيهِ مَبْضَعَةٌ لَا تَصْنَعُ الرِّقْشَاءَ مَا لَا يَصْنَعُهُ^(١)
وفي هذه الأرجوزة أيضاً:

بَاتَ بِهَا حَيْنٌ حَبِيشٌ يَدْبَعُهُ وَبَاتَ جَذْلَانٌ وَثِيرًا مَضْجَعُهُ^(٢)
ذَا سِنَّةٍ آمِنَ مَا يُرْوَعُهُ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ لِحْتَفٍ تَزْمَعُهُ
فَاطَلَتْ تَجْمُ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهُ يَا بُوْسَ لِلْمُودَعِ مَا يُودَعُهُ^(٣)
فَشَرَعَتْ أُمَّ الْحِمَامِ إِصْبَعُهُ أَنْحَتَ عَلَيْهِ كَالشَّهَابِ تَلْدَعُهُ^(٤)
عَطَّكَ سِرْبَالٌ حَرِيرٍ تَحْلَعُهُ فَكَلَّ خَلَّ ظَاهِرٍ تَقْجَعُهُ^(٥)
يَزَادُ مِنْ بَعْتِ الْحِمَامِ جَزَعُهُ وَالْيَأْسُ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوْقَعُهُ

وكذلك قال يزيد بن ضبة^(٦): [أَوْ الْعَرَجَمُ^(٧)]. قال أبو الحسن: شكَّ

(١) « السبجة » بضم السين وسكون الباء وبالجميم ، هي برودة من صوف فيها سوادٌ وبياض ، شبه لون ذنب العقرب بها . وقوله « مالا يصنعه » في ج و د « مالا تصنعه » وكتبه الشيخ المرصني « ما قد يصنعه » . وليس في شيء من النسخ . ثم إن بحاشية ف مانصه : « السبجة بالجميم : ثوب أسود ، ووقع في أكثر الأمهات بالحاء غير المعجمة ، على التصحيف » .

(٢) « الحين » الهلاك . و « حبيش » اسم اللدبغ .

(٣) « فاطت » أي فاءت . و « تجم » بمعنى تجمع . وفي ج « لِلْمُودَعِ مَا تُودَعُهُ » .

(٤) « شرعت » أي دنت . و « أم الحمام » النية . ومعناه : دنت لإصبعه من أم الحمام .

(٥) في ج و س و د « سربال حرير تفلعه » وكل خل . وقوله « عطك » الخ قال المرصني : « عطك : بالنصب على التشبيه . والعط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين . . . يريد : لدغته فشققت لإصبعه مثل شق سربال من حرير » .

(٦) هو يزيد بن ضبة الثقفي . وضبة أمه ، واسم أبيه مقسم . له ترجمة في الأغاني (٦ : ١٤١ - ١٤٥ ساسي) .

(٧) « العرجم » في كل الأصول بالجميم . وزعم المرصني أنه غلط من الناسخ ، صوابه « العرم » بالهاء ، وأنه شاعر أمويّ مذكور في النقائض ! ولكن هل هذا كاف في إثبات أن هذا الشاعر هو ذلك ؟ ولم تحصر المصادر التي بين أيدينا أسماء الشعراء .

أبو العباس في أنه لأحدهما، أعنى هذا البيت^(١)]:

ولكنهم بأنوا ولم أدر بعته وأقطع شيء حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه^(٢) ومليحه قول رجل يهجو رجلاً برثائه الحال:

يأتيك في جبة مخرقة أطول أعمار مثلها يوم

وطيلسان كالآل يلبسه على قيص كأنه غيم

والتشبيه كثير. وهو باب كأنه لا آخر له. وإنما ذكرنا منه شيئاً

لثلاثي يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني.

ونحنم ما ذكرنا من أشعار المحدثين بييتين أو ثلاثة من الشعر الجيد.

ثم نأخذ في غير هذا الباب إن شاء الله. قال طفيل:

تقريبه المرطى والجوز ممتد كأنه سبد بالماء مغسول^(٣)

«السبد» طائر بعينه. وقد قالوا: الخصفة التي توضع عند البئر، وهو

بالطائر أشبه^(٤)، وإنما أراد العرق في هذا الوقت، وخير الخليل مالم

يسرع عرقة ولم يبطن، فإذا جاء في وقته شميلة.

(١) الزيادة من د .

(٢) في ج و س و د و هـ «ومن حسن التشبيه» .

(٣) البيت في وصف فرس . و «التقريب» ضرب من العدو، يرفع يديه معاً ويضمهما معاً .

و «المرطى» ضرب من العدو أيضاً، وهو فوق التقريب . وقوله «والجوز» بالزاي،

كأفي ج و س و د . وهو وسط الظهر هنا، وجوز كل شيء: وسطه . وفي

باقي النسخ «والجون» بالنون، وهو خطأ . وقوله «تقريبه» هكذا بضمير المذكر

في كل النسخ واللسان (٤: ١٨٦) . وفي اللسان (٩: ٢٧٨) «تقريبها» بضمير

المؤنث .

(٤) هكذا يقول أبو العباس، وهو من معاني «السبد» ولكن قال في اللسان في شرح البيت

قال الزجاجُ :

كأنه والطرفُ منه سابي مُشتمَلُ جاءَ مِنَ الحَمَامِ

وقال الاعشى :

يُعَادِي النَّحُوصَ وَمِسْحَلَهَا وَعِفْوُهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمَّ^(١)

« النَّحُوصُ » جِماعُها « نُحُوصٌ » وهى التى لم تَحْمِلْ فى عامِها . و « الْمِسْحَلُ » العَيْرُ . و « الْعِفْوُ » الولدُ ، وجمعه « عِفَاءٌ » فاعلم . وهو أَسْمَى له إذا لم يكن لعامِه . و « يَسْتَحِمُّ » يَغْرُقُ .

وفى حديثِ أم^(٢) زَرِيعَ : « مَضْجَعُهُ كَمَسَلِ الشَّطْبَةِ^(٣) ، وَتَكْفِيهِ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ^(٤) » . ومعناه : أنه خَمِيصُ البَطْنِ^(٥) . وهذا تَمَدُّحٌ به العربُ وَتَسْتَحْسِنُهُ . فأما قولُ مُتَمِّمِ بنِ نُؤَيْرَةَ :

* فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أَوْزَعَا^(٦) *

فإنما أراد أنه لا يَسْتَعْجِلُ بالعِشاءِ ، لا نَتَظَارِهِ الضيفَ . كما قال :

(٤ : ١٨٦) : « السبد : ثوب يسد به الحوض المروك ، لثلا يتكدر الماء ، يفرش فيه وتسق الإبل عليه ، وإياه عنى طفيل . »

(١) فى ج و س و د وحاشية ا « يبارى » بدل « يعادى » .

(٢) هو حديث طويل فى البخارى (٩ : ٢٢٠ - ٢٤١ من فتح البارى) والمجلة الشاهد هنا فى (ص ٢٣٤) بلفظ « كسل شطبة ، وبشبهه ذراع الجفرة » .

(٣) « الشطبة » بسكون الطاء : السفة التى تشطب من الجريد ، وقيل : السيف . تريد : أن مضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسل شطبة واحدة ، أو كالسيف سل من نمده .

(٤) « الجفرة » ما بلغ أربعة أشهر من ولد النشاء .

(٥) أى : سائر البطن .

(٦) « المبطان » العظيم البطن من كثرة الأكل .

وَضَيْفٍ إِذَا أَرغَى طُرُوقًا بَعِيرَهُ وَعَانَ نَاهُ الْوَفْدُ حَتَّى تَكْتُمَا^(١)
وقالوا في قول الخنساء :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذَكِّرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
قالوا : أرادتُ بطلوعِ الشمسِ وقتَ الغَارَةِ ، وبغروبِ الشمسِ وقتَ
الأضْيَافِ .

وقال رجلٌ لابن^(٢) له : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِعَظِيمِ الرَّأْسِ فَتَكُونَ سَيِّدًا ،
وَلَا بِأَرْسَحَ^(٣) فَتَكُونَ فَارِسًا . وقال رجلٌ من بني أُسَدٍ لرجلٍ من قَيْسٍ :
وَاللَّهِ مَا فَتَقَّتْ فَتَقَّ السَّادَةَ ، وَلَا مُطَلَّتْ مَطَلَّ الْفُرْمَانَ .

فهذه كلها نعوتٌ قد عُرِفَتْ لِقَوْمٍ حَتَّى كَانَتْ سِمَاتٌ لَهُمْ [وَكَانُوا
يَقُولُونَ^(٤)] : يَنْبَغِي لِلْفَارِسِ أَنْ يَكُونَ^(٥) مُهْفَهَفَ الْخَصْرَيْنِ^(٦) . مُتَوَقَّدَ
العَيْنِينَ ، حَمْسَ الدَّرَاعِينَ^(٧) . وَأَنْشُدَ الْأَصْمَعِيَّ .

* كَأَنَّمَا سَاعِدَاهُ سَاعِدَا ذَيْبٍ *

[وَ^(٨)] قَالُوا : وَمَنْ نَعَتِ السَّيِّدَ أَنْ يَكُونَ لِحَيْمًا ، ضَعْفَمَ الْهَامَةِ ،

- (١) قال المرصفي : « أرغى بعيره : حمله على أن يرغو ليسمع رغاؤه فيضاف . وقد يفعل ذلك
السكرام ليميل إليه ابن السبيل . ومنه المثل : كفى برغائها مناديا . والطروق : الإتيان ليلًا .
وتكنع الأسير في قده : تقبض واجتمع .
(٢) في ج و س و د « لبعض أهله » .
(٣) الأرسح : قليل لحم الفخذين والأليتين .
(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٥) في هذه النسخ المذكورة « ينبغي أن يكون الفارس » .
(٦) مهفهف الخصرين : أي ضامرهما .
(٧) حمس الذراعين : أي دقيقهما .
(٨) الزيادة من ج و س و هـ .

جَهيرَ الصَّوْتِ ، إِذَا خَطَا أَبْعَدَ ، وَإِذَا تُؤْمَلُ مَلَأَ الْعَيْنَ . لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَكُونَ
فِي صَدْرِ مَجْلِسٍ ، أَوْ ذِرْوَةِ مَنبَرٍ ، أَوْ مِنْفَرْدًا فِي مَوْكِبٍ .

وكانوا يقولون في نعمت السيد : يملأ العين جمالاً ، والسَّمعَ مقالاً .

وقال أبو علي دَعْبِل [بن علي ^(١)] في رجلٍ نَسَبَهُ ^(٢) إِلَى السُّودَدِ ، يَقُولُهُ

لُمَاعِزِ بْنِ جَبَلِ بْنِ سَعِيدِ الْحَمِيرِيِّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْفَقِيهِ ^(٣) :

فَإِذَا جَالَسْتَهُ صَدْرَتُهُ وَتَنَحَّيْتَ لَهُ فِي الْحَاشِيَةِ

وَإِذَا سَايَرْتَهُ قَدَمَتُهُ وَتَأَخَّرْتَ مَعَ الْمُسْتَأْنِيَةِ

وَإِذَا يَاسَرْتَهُ صَادَفْتَهُ سَلْسَ الْخُلُقِ سَلِيمِ النَّاحِيَةِ

وَإِذَا عَاسَرْتَهُ صَادَفْتَهُ شَرِسَ الرَّأْيِ أَيْبًا ذَاهِيَةِ

فَاتَّحَدَّ اللَّهُ عَلَى ضُجْبَتِهِ وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ مِنْهُ الْعَاقِبَةَ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ في قوله [الفائق الرائق ^(٤)] :

بَشْرٌ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورٌ ^(٥)

(١) الزيادة من د .

(٢) في ج و س و د و هـ « ينسبه » .

(٣) حميد هذا بصرى من فقهاء التابعين ، كان ابن سيرين يقول هو أفقه أهل البصرة . وهو غير « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » التابعي ، وغير « حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي » المتأخر المتوفى بعد سنة ١٩٠ وللثلاثة تراجم في التهذيب . وأما معاذ بن جبل الحميري فلم أجد ترجمة له . ومن أول قوله « يقوله » إلى هنا وضعه المرصفي بين قوسين إشارة أنه زيادة ، وليس ذلك صحيحاً ، بل هو من أصل الكتاب .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) بشر هو ابن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تَجْمَعُ فِيهِ طَرَائِفُ مِنْ حَسَنِ الْكَلَامِ ، وَجَيْدِ الشَّعْرِ ، وَسَائِرِ
الْأَمْثَالِ ، وَمَأْتُورِ الْأَخْبَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ^(١)] : كَانَ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ يَسْتَنْقِلُ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو
الْعَتَكِيَّ ، فَلَمَّا أَثْنَتِ الْوُفُودُ عَلَى الْحِجَّاجِ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْحِجَّاجُ
حَاضِرٌ ، قَالَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْحِجَّاجَ سَيْفُكَ الَّذِي
لَا يَنْبُؤُ ، وَسَهْمُكَ الَّذِي لَا يَطْلِشُ ، وَخَادِمُكَ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيكَ لَوْمَةٌ لَأَمٍّ .
فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفَّ عَلَى قَلْبِ الْحِجَّاجِ مِنْهُ .

وَلِزِيَادٍ يَقُولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ فِي مَعَاتِبَتِهِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ :

أَبْلَغًا جَارِي الْمُهَلَّبِ عَنِّي كُلُّ جَارٍ مُفَارِقٍ لَا مَحَالَةَ

إِنَّ جَارَاتِكَ اللَّوَاتِي بَتَكْرِيَتٍ لِتَنْبِيذِ رَحْلِهِنَّ مَقَالَهُ ^(٢)

لَوْ تَعَلَّقْنَ مِنْ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو بِحِبَالٍ لَمَا ذَمَّنَ حِبَالَهُ

غَلَبَتْ أُمُّهُ أَبَاهُ عَلَيْهِ فَهُوَ كَالْكَابُلِيِّ أَشْبَهَ خَالَهُ ^(٣)

وَلَقَدْ غَالَنِي يَزِيدُ وَكَانَتْ فِي يَزِيدٍ خِيَانَةٌ وَمَغَالَهُ ^(٤)

عَتَكِيٌّ كَأَنَّهُ ضَوْءٌ بَدْرٍ يَحْمَدُ النَّاسُ قَوْلَهُ وَفَعَالَهُ ^(٥)

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) « تكريت » بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .

(٣) « كابل » بضم الباء ، ثغر من تغور طخارستان . كأنه يتهمه بأنه أشبه بالجم . وفي بعض

النسخ بعد الأبيات زيادة « قال أبو العباس : كانت أم يزيد من سبي كابل » .

(٤) « المغالة » الحيانة .

(٥) المعنى في الأبيات فيه شيء من الاضطراب . ولذلك رجح المرصفي أن صواب ترتيبها أن يكون =

[قال أبو العباس]^(١) : وقال أسماء بنُ خَارجَةَ الفَزَارِيُّ : لا أُشَاتِمُ رجلاً ، ولا أُرُدُّ سائِلاً ، فإنما هو كريم أسدٌ خَلَّتَهُ ، أو لثيمٌ أُشْتَرِيَ عَرَضِي مِنْهُ .

وقال سهلُ بنُ هُروُن^(٢) : يجبُ^(٣) على كلِّ ذِي مَقَالَةٍ أَنْ يَبْدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَبْلَ اسْتِفْتَاكِهَا ، كما بَدَأَ بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا^(٤) .
وكان يقولُ عندَ التَّعْزِيَةِ : التَّهْنِئَةُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى^(٥) مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ الْمَصِيبَةِ .

وأراد رجلُ الحِجِّ فَاتِي شُعْبَةَ بنِ الحِجَّاجِ يُودِّعُهُ ، فقال له شُعْبَةُ :
أَمَا إِنَّكَ إِن لَمْ تَرَ الحِلْمَ ذُلًّا ، والسَّفَهَ أَفْقًا - : سَلِمَ لَكَ حَجُّكَ .

== هذا البيت رابعاً والذي قبله خامساً ، وأن يكون السادس الأخير قوله « غلبت أمه » . وبذلك يظهر المعنى بيننا صحيحاً .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سهل بن هرون فارسي الأصل ، دخل البصرة ، ثم اتصل بالمأمون فولاه خزانه الحكمة ، وكان أدبياً شاعراً كاتباً ، وكان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ، شديداً في ذلك ، بخيلاً مشهوراً بالبخل . له مصنفات منها (كتاب ثعلة وغفراء) يعارض به كفاية ودمنة . مات سنة ٢١٥

(٣) في ج و س و هـ « وجب » وفي د « واجب » .

(٤) قريب من هذا المعنى وأبلغ منه وأعلى قول الشافعي في الرسالة (رقم ٢) : « والحمد لله الذي لا يُودِّى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّي مَاضِي نِعْمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حَادِثَةً يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهَا بِهَا » . وقوله أيضاً (رقم ٤٧) « فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها ، المديمتها علينا ، مع تقصيرنا في

الإتيان على ما أوجب به من شكره بها » الخ .

(٥) في س « أوجب » .

وقال أُوَيْسُ الْقُرَينِيُّ: إِنَّ حَقوقَ اللَّهِ لَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ [عَبْدٍ^(١)] مُسْلِمٍ دِرْهَمًا.

وقال دِعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ يَدُمُ رَجُلًا:

رَأَيْتُ أَبَا عِمْرَانَ يَبْذُلُ عِرْضَهُ وَخُبْرُ أَبِي عِمْرَانَ فِي أَحْرَزِ الْحِرْزِ

يَحْنُ إِلَى جَارَاتِهِ بِعَدِ شِبَعِهِ وَجَارَاتُهُ عَرَّتِي تَحْنُ إِلَى الْخُبْرِ

وقال آخر^(٢):

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَاسْتَوْتَقَوْا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالِدَارِ

لَا يَقْبِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تَسْكَفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

[أظنُّ تَمَامَهُ:

حَتَّى إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلْبُهُمْ قَالُوا لِأَمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ^(٣)

قَامَتْ بِأَحْمَرِهَا تَنْدَى مَشَافِرُهُ كَأَنَّهُ رِيَّةٌ فِي كَفِّ جَزَارِ^(٤)

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيدٌ، من وَلَدِ عُرْوَةَ

بن زيد الخليل، قَتَلَ رجلاً من بني أسدٍ يقال له زيدٌ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ:

(١) الزيادة من ج و س و ه .

(٢) أخطأ الشيخ المرصفي رحمه الله هنا خطأً غريباً، فادعى أن صاحب الحماسة نسب هذا الشعر لدعبل . والذي في الحماسة « قال بعض آل المهلب » . ثم جاء التبريزي في الشرح فقال : « قال دعبل : هو عبد الله بن عبد الرحمن ولقبه أبو الأنوار » . فنقل طابع الحماسة كلمة التبريزي في المتن ، ووضعها بين قوسين أمانة زيادتها . فظنها الشيخ من كلام أبي تمام ، ثم أخطأ قراءتها فظن أن الشعر منسوب لدعبل ، مع أن دعبلًا نسبة لأبي الأنوار . انظر الحماسة (٢ : ٢٠٦ طبعة محمود توفيق سنة ١٣٣٤) وشرح التبريزي (٤ : ٩٠ طبعة التجارية) .

(٣) نسب المرفصني هذا البيت للأخطل . وأن أوله في ديوانه « قوم إذا استنبج » ، وقال عن الذي بعده « لانعلم قائله » . ولعل هذا الشاعر أخذ البيت عن الأخطل فغيره ، أو أخذه عنه الأخطل ، فإنني لم أجد ترجمة أبي الأنوار هذا ، ولا في أي عصر كان .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ الْحِمِي رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَصْقُولِ الْغِرَارِ يَمَانٍ^(١)
فَإِنْ تَقْتُلُوا زَيْدًا بَزِيدٍ فَإِنَّمَا أَقَادِكُمْ السُّلْطَانُ بَعْدَ زَمَانٍ
[قال أبو الحسن : وَأَنْشَدَنَا غَيْرُهُ :

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّقِيِّ رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ يَمَانٍ^(٢)
قال : [وقد^(٣)] كَلِمَةً شَمَعَلُ التَّقْدَبِيُّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَلَامًا لَمْ يَرِضْهُ ،
فَرَمَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْجُرْزِ^(٤) فَخَدَشَ وَهَشَمَ ، فَقَالَ شَمَعَلُ :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بِالرَّجْلِ مَنِي تَبَاشَرْتِ عُدَاتِي فَلَا عَيْبُ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفَهُ لَكَالذَّهْرِ ، لِأَعَارُ بِمَا فَعَلَ الذَّهْرُ^(٥)
وقال الحجاجُ [بن يوسف^(٦)] : البُخْلُ عَلَى الطَّعَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْبَرَصِ
عَلَى الْجَسَدِ .

وقال زيادٌ : كَفَى بِالْبُخِيلِ عَارًا أَنْ اسْمَهُ لَمْ يَقَعْ فِي حَمْدٍ قَطُّ ، وَكَفَى
بِالْجَوَادِ مَجْدًا أَنْ اسْمَهُ لَمْ يَقَعْ فِي ذَمٍّ قَطُّ
وقال آخرُ :

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَدْلًا مَاذَا مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ

(١) في ج و س و د و ه و ف وحاشية ١ « مشعوذ الغرار » .

(٢) الزيادة من حاشية ه .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) « الجرز » بضم الجيم مع سكون الراء وضمة هاء : عمود من حديد . وفي ج و س و د
« بجز » .

(٥) في ج و س و د و ه و ف « وإن » بدل « فإن » . وفي س « وفعله » بدل
« وسيفه » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و ه .

لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرَدُودٍ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَّاحٌ بِهِ لِلْخَابِطِينَ فِإِنِّي لَيِّنُ الْعُودِ^(١)
قَوْلُهُ «إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ» يَرِيدُ الْمَالَ، وَضَرَبَهُ مَثَلًا. وَيُقَالُ «أَتَى فُلَانٌ
فُلَانًا يَخْتَبِطُ مَا عِنْدَهُ» وَ«الْاِخْتِبَاطُ» ضَرْبُ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ الْوَرَقُ،
فَجَعَلَ «الْخَابِطَ» الطَّالِبَ، وَ«الْوَرَقَ» الْمَالَ. كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ:

وَلَيْسَ مَا نِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا^(٢)
وَيُرْوَى: أَنَّ ضَيْفًا نَزَلَ بِالْحَطِيئَةِ، وَهُوَ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ، وَفِي يَدِهِ عَصَا،
فَقَالَ [لَهُ^(٣)]: الضَّيْفُ: يَأْزَعِي الْعَنَمَ [مَا عِنْدَكَ^(٤)]؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الْحَطِيئَةُ
بِعَصَاهُ، وَقَالَ: عَجْرَاءُ مِنْ سَلَمٍ!^(٥) فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي ضَيْفٌ، فَقَالَ الْحَطِيئَةُ:
لِلضَّيْفَانِ أَعْدَتْهُمَا!!

وَقَالَ دِعْبِلٌ:

وَإِنَّ عِمْرَانَ يَبْتَغِي عَرِييًّا لَيْسَ يَرْضَى الْبَنَاتِ لِلْأَكْفَاءِ
إِنْ بَدَتْ حَاجَةٌ لَهُ ذَكَرَ الضَّيْفَ وَيَنْسَاهُ عِنْدَ وَقْتِ الْغَدَاءِ
وَقَالَ أَيْضًا:

أَصْيَافٌ سَالِمٌ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَاةٍ وَفِي شَرَابٍ وَلِحْمٍ غَيْرٍ مَمْنُوعٍ

- (١) «أَرَّاحٌ» يَفْتَحُ أَوَّلُهُ، فَعَلٌ مُضَارِعٌ مُسْتَدٌ لِلتَّكْلَامِ. مِنْ قَوْلِهِمْ «رَاحَ يَرَّاحُ» تَكَفَّافٌ يَخَافُ،
أَي نَشِطٌ لِمَعْرُوفٍ وَأَخَذَتْهُ لَهُ خَفَةٌ.
(٢) فِي جِ وَ سِ وَ هِ «ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ». وَفِي دِ «وَفِي نَسَبٍ». وَفِي جِ
وَ سِ وَ هِ «وَلَا مُعْدِمٍ».
(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ جِ وَ سِ وَ دِ وَ هِ.
(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ سِ.
(٥) «العجراة» العصاة التي فيها عقد. و «السلام» شجر من العضاة.

وَضَيْفٌ عَمْرٍو وَعَمْرٍو يَسْهَرَانِ مَعًا
عَمْرٍو لِبَطْنَتِهِ وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ
وَقَالَ دِعْبِلُ [أَيْضًا]^(١) .

مَا يَرْحَلُ الضَّيْفُ عَنِّي بَعْدَ تَكْرِمَةٍ
إِلَّا بِرِفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْدِرَةٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا
وَصَبَرْنَا عَلَى رَحَى الْأَسْنَانِ^(٢)
صَوْتُ مَضْغِ الضُّيُوفِ أَحْسَنُ عِنْدِي
مِنْ غِنَاءِ الْقِيَانِ بِالْعِيدَانِ
وَقَالَ الْقُرَشِيُّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ^(٣)

إِذَا مَا وَتَرْنَا لَمْ نَتَمَّ عَنْ تَرَاتِنَا
وَلَكِنَّا نُنْضِي الْجِيَادَ شَوَازِبًا
وَقَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ الَّذِي حَرَمَ الْخِلَافَةَ تَغْلِبًا
جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
مُضْرًّا أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ وَهَلْ لَكُمْ
يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَيْدِنَا^(٤)
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً
لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَى قَطِينَا^(٥)

(١) الزيادة من ه .

(٢) في ج و د و هـ « فصبنا » .

(٣) في ج و د و هـ « وقال آخر من بني أمية » . وفي س « وقال رجل من بني أمية » .

(٤) « الترات » جمع « ترة » وهي الثأر ، وقوله « وترنا » أى أصابتنا ما يوجب الثأر .
و « الأوغال » جمع « وغل » بفتح الواو وسكون العين المعجمة ، وهو النذل الضعيف .

(٥) « الشواذب » من الخيل : الضواصر .

(٦) في ج و د و هـ « فهل لكم » . و « الخزر » ضيقو الجفون ، يصفهم
بالعداوة ينظرون بما خير العيون .

(٧) القطين : الخدم والماليك .

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ إِذْ تَحَنَّفَ كَارِهًا أَضْحَى لِتَعَلُّبِ وَالصَّلِيبِ خَدِينًا
وَلَقَدْ جَزَعَتْ إِلَى النَّصَارَى بَعْدَمَا لَقِيَ الصَّلِيبُ مِنَ الْعَذَابِ مُهِينًا
هَلْ تَشْهَدُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا أَوْ تَسْمَعُونَ مِنَ الْأَذَانِ أَذِينًا^(١)

قال أبو العباس : حدثني عمارة بن عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ . قال : لما بلغ
الوليدَ قوله :^(٢)

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئتُ ساقمُ إلى قطينا
قال الوليدُ : أما والله لو قال « لو شاء ساقم » لفعلتُ ذلك به ، ولكنه
قال « لو شئتُ » فجعلني شُرْطِيًّا له .

وَيُرْوَى : أن بلالاً قعد يوماً ينظرُ بين الخصومِ ، ورجلٌ منهم ناحيةً
يتمثلُ قولَ الأخطلِ على غير معرفة :

وإبنُ المِرَاغَةِ حابسُ أعيارِهِ مَرَمَى الْقَصِيَّةِ مَا يَذُقْنَ بِلَالًا
فسمعه بلالٌ ، فلما تقدّم مع خصمه قال له بلالٌ : أعذُ [على] ^(٣) إنشادك ،
فغمزه بعضُ الجلساءِ ، فقال الرجلُ : إني والله ما أدري من قاله ، ولا فيمن
قيلَ ، فقال بلالٌ : أجل ! هو أسيرٌ من ذلك ، هلمَّا ^(٤) فاحتجًّا .

وقال جريرٌ :

(١) في ج و س و د و هـ « من المشاهد » . وفي د « مشهداً » و « الأذنين » الأذان
ويطلق أيضاً على المؤذن .

(٢) في ج و س و د و هـ « قول جرير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) في ج و د و هـ « هلم » .

مَرَرْتُ عَلَى الدَّيَّارِ فَمَا رَأَيْتُنَا كَدَّارٍ بَيْنَ تَلْعَةٍ وَالنَّظِيمِ (١)

عَرَفْتُ الْمُنتَأَى وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا الْقَدْرِ كَالْحِدَا الْجُثُومِ (٢)

وقال آخرُ :

لقد تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ إِذْ تَوَلَّتْ وَلَمْ تَخْشَ الْعُقُوبَةَ فِي التَّوَلَّى (٣)

عَرَفْتُ الدَّارَ يَوْمَ وَقَفْتُ فِيهَا بِرِيحِ الْمِسْكِ تَنْفُحُ فِي الْمَحَلِّ

(١) « تلعة » اسم ماء . و « النظيم » أرض تمسك الماء . وكلاهما في جهة اليمين .

(٢) « الجثوم » جمع « جأمة » على غير قياس .

(٣) في ج و س و د و هـ « يَوْمَ وَآلَتْ » . وقوله « تَبَلَّتْ » أى : أسقمت فؤاده

من الحب .

باب من أخبار الخوارج^(١)

قال أبو العباس: ذكر أهل العلم من الصُفْرِيَّةِ^(٢) أَنَّ الخوارجَ لمَا عَزَمُوا على البيعة لعبد الله^(٣) بن وهب الراسبي من الأزد تَكَرَّرَ ذلك، فَأَبَوْا مَنْ سِوَاهُ^(٤)، ولم يُريدوا غيره. فلمَّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم! اسْتَبَيْتُوا الرأى. أئى دَعَوُهُ يَغِبُ^(٥). وكان يقول: نعوذُ بالله من الرأىِ الدَّبْرِيِّ.

قوله « اسْتَبَيْتُوا الرأى » يقول: دَعُوا رَأْيَكُمْ تَأْتِ^(٦) عليه ليلةٌ ثم تعقبوه، يقال « يَبْتُ فلانٌ كذا وكذا » إذا فَعَلَهُ لَيْلاً. وفي القرآن: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضُونَ مِنَ الْقَوْلِ ﴾^(٧) أئى أَدَارُوا ذلك لَيْلاً^(٨) بينهم. وأُنشِدَ أبو عبيدة:

- (١) « الخوارج » طائفة خرجت على أئمة المسلمين ، وزرعوا الطاعة من أعناقهم ، وقَاتُوا أهل الإسلام . زعموا أنهم أعرف بالحق منهم ، وفعلوا لأممنا كبيراً .
- (٢) « الصفرية » بضم الصاد وسكون الفاء ، نسبة إلى زعيم منهم يدعى « زياد بن الأصفر » ، ويقال لهم « الزيادية » أيضاً . وهذا هو الذى نُسب عليه السمعانى فى الأنساب ، والجوهري فى الصحاح . وزعم بعضهم أنهم سموا بذلك لصفرة ألوانهم . وزعم غيره أن اسمهم « الصفرية » بكسر الصاد وسكون الفاء ، وأنهم نسبوا على غير قياس إلى « عبد الله بن صفار » بفتح الصاد وتشديد الفاء . والأول هو الصحيح .
- (٣) « عبد الله » بالتكبير . وفى نسخة الشيخ المرصفي « عبيد الله » بالتصغير ، وهو خطأ ومخالف لسكل النسخ ، وللثابت فى التاريخ .
- (٤) « من » موصولة . وفى « من » حرف جرّ . وهو جيد أيضاً ، فإن الفعل « أبى » كما يعدى بنفسه يتعدى بحرف « من » يقال « أبى فلان من شرب الماء » وتعديته بالحرف تكثر فى لسان العلماء من أهل الأندلس ، كما رأيت ذلك كثيراً فى كتب ابن حزم وغيره من علمائهم .
- (٥) « يغب » أى : يبيت .
- (٦) فى ج و د و هـ « تأتى » . وفى س « تأتى » .
- (٧) سورة النساء آية ١٠٨ .
- (٨) فى ج و س و هـ « بينهم لَيْلاً » .

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا يَدْتُوا وكانوا أتوني بأمرٍ نكز
لأنكح أئمتهم منذراً وهل ينكح العبد حرّاً

« والرأي الدبري » : الذي يعرض من بعد^(١) وقوع الشيء^(٢) ، كما

قال جرير :

ولا يعرفون الشر حتى يصابهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً
وكان عبد الله بن وهب ذارأي وفهم^(٣) ، ولسان وشجاعة ، وإنما جؤوا
إليه وخلعوا معدان الإبدي لقول معدان :

سلام على من بايع الله شاريًا وليس على الحزب المقيم سلام^(٤)
فبرئت منه الصفرية ، وقالوا : خالفت ، لأنك برئت من القمدي^(٥) .
[قال أبو العباس]^(٦) : والحوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ، ومن
ذي المعصية الظاهرة .

وحدثت : أن أصل بن عطاء أبا حذيفة أقبلي في روفة ، فأحسوا
الحوارج ، فقال أصل لأهل الروفة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا
ودعوني وإبائهم ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقالوا [له]^(٧) : شأنك ،

(١) في ج و س و د و هـ « بعد » بحذف « من » .

(٢) « الدبري » بفتح الباء ، منسوب إلى « الدبر » بسكونها ، وهو آخر الشيء ، وفتح الباء
من تغييرات النسب ، كما في اللسان .

(٣) بحاشية ١ « يقال : فهمم وفهمم . ورجل فهمم من قوم فهماء » .

(٤) « شارياً » أي : بائعاً نفسه في سبيل الله .

(٥) « القمدي » : الذين لا يمضون إلى القتال ، الواحد « قمدي » . والمراد هنا فريق من
الحوارج ، يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .

(٦) الزيادة من ج .

(٧) الزيادة من س .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : مَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ ،
لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُوا^(١) حُدُودَهُ ، فَقَالُوا : قَدْ أَجْرْنَاكُمْ ! قَالَ : فَعَلَّمُونَا ،
فَجَعَلُوا يَعْلَمُونَهُ أَحْكَامَهُمْ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : قَدْ قَبِلْتُ أَنَا وَمَنْ^(٢) مَعِيَ ، قَالُوا :
فَامْضُوا مُصَاحِبِينَ ، فَانْكُمْ إِخْوَانُنَا ! قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾^(٣) فَأَبْلَغُونَا مَأْمَنَنَا^(٤) ، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالُوا : ذَلِكَ
لَكُمْ ، فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ^(٥) حَتَّى بَلَّغُوهُمْ الْمَأْمَنَ .

وَذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِمْ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُنَظِّرَهُمْ ، قَالَ لَهُمْ : مَا الَّذِي تَقِمْتُمْ^(٧) عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا : قَدْ كَانَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا ، فَلَمَّا حَكَمَ فِي دِينِ اللَّهِ خَرَجَ
مِنَ الْإِيمَانِ ، فَلَيْتَيْتُ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِالْكَفْرِ نَعْدُ لَهُ ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
لَا يَنْبَغِي^(٨) لِمُؤْمِنٍ لَمْ يَشُبْ إِيمَانَهُ شَكٌّ أَنْ يُقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ . قَالُوا : إِنَّهُ

(١) فِي ج و د و هـ « وَيَفْهَمُوا » .

(٢) فِي س « أَنَا وَأَصْحَابِي » .

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةٌ ٦

(٤) فِي أ « مَأْمَنًا » بِالْإِدْغَامِ ، وَهُوَ جَائِزٌ .

(٥) فِي ج و د و هـ « بِجَمْعِهِمْ » .

(٦) فِي ج و د و س و هـ « عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ » .

(٧) فِي حَاشِيَةِ مَانِصِهِ : « ابْنُ شَاذَانَ : يَقَالُ : تَقَمَّتْ عَلَى فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ،

وَتَقَمَّتْ . وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا جَمِيعًا : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ﴿ وَمَا نَقَمُوا ﴾ . وَفُلَانٌ

نَاقَمٌ عَلَى فُلَانٍ » .

(٨) فِي ج و د و س و هـ « مَا يَنْبَغِي » .

قد حُكِمَ ، قال : إن الله عزَّ وجلَّ قد أمرنا بالتحكيم في قتلِ صَيْدٍ ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(١) فكيف في إمامةٍ قد أشككت على المسلمين ؟ ! فقالوا : إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ . فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمامُ وجبت معصيته ، وكذلك الحكام ، لما خالفا نُبذت أقوالُهُما^(٢) . فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حُجَّةً عليكم ! فإن هذا من القوم الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^(٣) وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾^(٤) .



وَالشَّيْءُ يُذَكِّرُ بالشيء ، وجاء في الحديث . أن رجلاً أعرابياً أتى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه فقال : إني أصبتُ ظبياً وأنا مُحْرِمٌ ؟ فالتفت عمرُ إلى عبد الرحمن بن عوفٍ ، فقال : قل ، فقال عبد الرحمن : يُهْدَى شاةٌ^(٥) ، فقال عمرُ : أهدِ شاةً ، فقال الأعرابيُّ : والله ما درى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره ! فحَفَقَهُ عمرُ رضوانُ الله عليه بالدرة ، وقال : أتقتلُ في الحَرَمِ وتعمصُ

(١) سورة المائدة آية ٩٥

(٢) في ج « أفوهما » .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨

(٤) سورة مريم آية ٩٧ وهنا في حاشية ١ « ابنُ شاذان : قال أبو عمر : اللدُّ : شدة

الخصومة . والرجلُ اللدُّ ، والقومُ لُدٌّ . وكذا فسر في القرآن » .

(٥) بحاشية ١ « يقال : أهديتُ إلى الكعبة . والهدى : ما أهدى إلى الكعبة .

واحدتها : هدية » .

الفتيا^(١) ؟ ! إن الله عز وجل قال : ﴿يُحْكِمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢) فأننا
عمر بن الخطاب ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

[قال أبو العباس^(٣)] : وفي هذا الحديث ضروب من الفقه : منها ما ذكرنا
أن عبد الرحمن بن عوف قال أولاً ، ليكون قول الإمام حكماً قاطعاً . ومنها
أنه رأى أن الشاة مثل الظبية ، كما قال الله عز وجل : ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ^(٤) مَا قَتَلَ
مِنَ النَّعَمِ﴾^(٥) . وأنه لم يسأله : أخطأ قتله^(٦) أم عمداً ؟ وجعل الأمرين^(٧)
واحداً . ومنها أنه لم يسأله : أقتلت صيداً قبله وأنت محرم ؟ لأن قوماً
يقولون : إذا أصاب ثانية لم يُحكّم عليه ، ولكننا نقول [له^(٨)] : اذهب
فاتق الله ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٩) .

[قال أبو العباس^(١٠)] : من طريف أخبار الخوارج قول قطري بن
الفجاءة المازني لأبي خالد القناني ، وكان من قعد الخوارج :

(١) بحاشية ا « ابن شاذان : يقال : غمّصَ نعمة الله يغمصها غمصاً : إذا كفرها .

وغمّصت الرجل : إذا طعنت فيه » .

(٢) سورة المائدة آية ٩٥

(٣) الزيادة من ج و س .

(٤) في ج « جزاءه مِثْلٌ » بالإضافة ، وهي قراءة عامر وحزرة والكسائي . وأما تنوين

« جزاء » ورفع « مثل » فهو قراءة باقي السبعة .

(٥) سورة المائدة آية ٩٥

(٦) في ج و د و ه « قتله » .

(٧) في ج و س و د و ه « الأمر » .

(٨) الزيادة من س و د و ه .

(٩) سورة المائدة آية ٩٥ وهنا بحاشية ا « ابن شاذان : معنى قولهم انتقم الله منه ، أي : عاقبه .

والنقم معروفة ، الواحدة تقمة » .

(١٠) الزيادة من ج و س .

أبا خالدٍ يأنفِرُ فَلَسْتُ بِخَالِدٍ
وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عَذْرًا لِقَاعِدِ^(١)
أَتْرَعُمُ أَنْ الْخَارِجِيُّ عَلَى الْهُدَى
وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ إِصْبٍ وَجَاوِدِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو خَالِدٍ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُسْبًا
بِنَاتِي ، إِنْهَنِّ مِنَ الضَّعَافِ^(٢)
أَحَاذِرُ أَنْ يَرِيَنَّ الْفَقْرَ بَعْدِي
وَأَنْ يَشْرِبَنَّ رَنْقًا بَعْدَ صَافِ^(٣)
وَأَنْ يَعْرِينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي
فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عَجَافِ^(٤)
وَلَوْلَا ذَلِكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي
وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضَّعْفَاءِ كَافِ
[أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَبَّتْ عَنَا
وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافِ^(٥)]

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وقد كان^(٦) رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم ، قال لما قتل أبو بلال ، وهو مرداس بن أدية ، وهي جدته ، وأبوه حدير ، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال عمران بن حطان :

(١) في ج و س و هـ «أبا خالدٍ يأنفِرُ» . وفي د «أنفِرُ» . وهذه من قولهم «أنفِر» : إذا نصره .

(٢) في ا «بناتي» بهيئة مفتوحة ، ولم أعرف وجهه . وفي ج «أنهن» .

(٣) بحاشية ا «ابن شاذان : الرنق ، الكدر ، رنق يرنق رنقاً ، وهو ملا رنق» .

(٤) «العجاف» جمع «عجفاء» وهو جمع شاذ . والعجفاء : الهزيمة التي ذهب سمنها .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) في ج و س و د و هـ «وكان» .

لقد زاد الحياة إلى بغضاً
أحاذر أن أموت على فراشي
ولو أنني علمت بأن حثني
فمن يك هممة الدنيا فإني
وحسباً للخروج أبو بلال
وأرجو الموت تحت ذرى العوالي
كحثف أبي بلال لم ابال
لها والله رب البيت قالي
وفيه يقول^(١) :

يا رب مرْداسِ أجمعني كهرْداسِ
يا رب مرْداسِ ومصرِعه
تركتني هائماً أبكي لمرزنتي
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه
إمّا شربت بكأس دار أو لها
فكل من لم يذقها شارب عجلاً
على القرون فذاقوا جرعة الكاس
منها بأنفاس وردي بعد أنفاس
في منزل موحش من بعد إيناس
مال الناس بعدك يا مرْداسِ بالناس^(٢)



[قال أبو العباس^(٣)] : وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثني العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن سلام : أنه لما أطردده الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حي انتسب نَسَباً يقرب منه ، ففي ذلك يقول :
نزلنا في بني سعد بن زيد وفي عك وعامر عوثان^(٤)

(١) في طبعات مصر زيادة « أيضاً » وليست في الأصول .

(٢) في بعض النسخ « ما قد كنت » وعليها طبعات مصر .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) في ج و س و د و ه و ف « عوثان » بتقديم التاء الثلاثة على الباء الموحدة وفي

س زيادة نصها : « عامر عوثان قبيلة من الأزدي . والعدان من بني مُدليج

من ولد زاهر بن مراد . وقد قيل هو عوثان بن زاهر بن مراد بن نحير ،

وهو مراد . ويقال عوثان بتقديم الباء ، فوعلان من عبث .

وفي نَحْمٍ وفي أُدَدِ بْنِ عَمْرٍو وفي بَكْرٍ وَحَىٰ بنِي الْعَدَانِ^(١)
ثمَّ خَرَجَ حَتَّى تَزَلَ عِنْدَ رُوحِ بْنِ زَيْبَاعِ الْجُدَامِيِّ ، وَكَانَ رُوحٌ يَقْرِي
الْأَضْيَافَ ، وَكَانَ مَسَامِرًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَثِيرًا عِنْدَهُ^(٢) ، فَانْتَمَى لَهُ مِنَ
الْأَزْدِ . وَفِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ ذَكَرَ رُوحًا فَقَالَ : مَنْ أُعْطِيَ مِثْلَ
مَا أُعْطِيَ أَبُو زُرْعَةَ ؟ أُعْطِيَ فِقْهَ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَدَهَاءَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَطَاعَةَ
أَهْلِ الشَّامِ . رَجَعَ الْحَدِيثُ : وَكَانَ رُوحُ بْنُ زَيْبَاعٍ لَا يَسْمَعُ شِعْرًا نَادِرًا
وَلَا حَدِيثًا غَرِيبًا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَيَسْأَلُ عَنْهُ عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانَ إِلَّا عَرَفَهُ وَزَادَ
فِيهِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : إِنْ لِي جَارًا مِنَ الْأَزْدِ مَا أَسْمَعُ مِنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَبْرًا وَلَا شِعْرًا إِلَّا عَرَفَهُ وَزَادَ فِيهِ ، فَقَالَ : خَبَّرْتَنِي بِبَعْضِ
أَخْبَارِهِ ، فَخَبَّرَهُ وَأَنْشَدَهُ ، فَقَالَ : إِنْ اللَّغَةَ عَدْنَانِيَّةً ، وَإِنِّي لِأَحْسِبُهُ عِمْرَانَ
بْنَ حِطَّانَ ، حَتَّى تَذَاكُرُوا لَيْلَةَ قَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ يَمْدَحُ ابْنَ مُلْجَمٍ
لَعْنَهُ اللَّهُ :

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ
أَوْ فِي الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا
[قَلْبُهُ الْفَقِيهُ الطَّبْرِيُّ^(٣) فَقَالَ :

- (١) زعم الشيخ الموصفي أن صوابه « بنى الغداني » نسبة إلى « غدانة » بضم الغين المعجمة ،
وهي قبيلة من سليم بن منصور ، وقال : « فأما العدان ، بالعين المهملة المفتوحة ، فاسم موضع
ليس من القبائل في شيء . » وهذا النقي البات ليس بشيء . ، فقد ثبت مما نقلنا عن نسخة
س أن بنى العدان قبيلة من بنى مدلج .
(٢) أثيراً ، أى مكرماً ، آثره بالكرامة .
(٣) قال الموصفي . « هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الشافعي » . وأبو الطيب
هذا شيخ أبي إسحق الشيرازي . ولد سنة ٣٤٨ ومات سنة ٤٥٠ في ٢٠ ربيع الأول ببغداد .

ياضربةً من شقي ما أرادَ بها
إني لأذكره يوماً فألعبه
إلا ليهدم من ذي العرش بُنياناً
إيهاً والعن عمران بن حطاناً

قال محمد بن أحمد الطيب يرُدُّ على عمران بن حطان :

ياضربةً من غدور صارَ ضاربها
إذا تفكرتُ فيه ظلتُ ألعبه
أشقى البرية عند الله إنساناً
والعن الكلب عمران بن حطاناً^(١)

فلم يدْرِ عبدُ الملك لِمَن هو ، فرجعَ روحٌ إلى عمران بن حطان ، فسأله عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتلَ علي بن أبي طالب ، فرجعَ روحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال له عبدُ الملك : ضيفك عمران بن حطان ، اذهبْ بجثتي به ، فرجعَ إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك ، قال [له^(٢)] عمران : قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منك ، فامضِ فإني بالأثر ! فرجعَ روحٌ إلى عبد الملك فأخبره^(٣) ، فقال [له^(٤)] عبدُ الملك : أما إنك سترجعُ فلا تجدُه ! فرجعَ وقد ارتحلَ عمران^(٥) ، وخلفَ رُقعةً فيها :

ياروحُ كم من أخي مشوى نزلتُ به
حتى إذا خفيتهُ فارقتُ منزلهُ
قد كنتُ جاركَ حولاً ما ترَوَّعني
قد ظنَّ ظنَّكَ من لخمٍ وغسانٍ
من بعد ما قيلَ عمرانُ بن حطانٍ
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جانٍ^(٦)

(١) الزيادة من حاشية د .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) في ج و س و د و هـ : « غيرة » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

(٥) في ج و س و د و هـ : « فرجع وعمران قد احتمل » .

(٦) في أ « ولا جان » .

حتى أردتَ بِي العُظمَى فأدركني ما أدركَ الناسَ من خوفِ ابنِ مروانٍ^(١)
 فاعذِرْ أخاكَ ابنَ زِنباعٍ فإنَّ له في النَّائباتِ خُطوباً ذاتَ ألوانِ
 يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنِ وإن لَقيتُ مَعديناً فمَعَدناني
 لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ كنتَ المُقدِّمَ في سِرِّي وإعلاني
 لكنَّ أبتَ لي آياتُ مُطَهَّرةٌ عندَ الولايةِ في طهِّ وَعمرانِ
 ثم ارتحل حتى نزل بزُفرَ بن الحُرثِ الكِلَابيِّ، أحدِ بني عمرو بن كلابٍ،
 فانتسبَ له أوْزاعياً، وكانَ عمرانُ يُطيلُ الصلاةَ، وكانَ غلمانُ من بني عامرٍ
 يضحكونَ منه، فأتاه رجلٌ يوماً ممَّن رآه عندَ رَوْحِ بنِ زِنباعٍ فسلمَ عليه،
 فدعاه زُفرٌ فقال: من هذا! فقال: رجلٌ من الأزدِ رأيتُه ضيفاً لروحِ بنِ
 زِنباعٍ، فقال له زُفرٌ: يا هذا! أزدياً^(٢) مرةً وأوزاعياً مرةً^(٣)؟! إن كنتَ
 خائفاً آمناك^(٤)، وإن كنتَ فقيراً جَبَرْنَاكَ، فلما أمسى هَرَبَ وخَلَّفَ في
 منزله رُفْعَةً فيها:

إنَّ التي أصبحتُ يَعبِي بها زُفرٌ أَعيتَ عيَاءَ علي رَوْحِ بنِ زِنباعٍ
 قال أبو العباس: أنشدنيهِ الرِّياشيُّ * أَعْيَا عيَاهَا علي رَوْحِ بنِ زِنباعٍ * وأنكره
 كما أنكرناه، لأنه قَصَرَ الممدودَ، وذلك في الشعرِ جائزٌ، ولا يجوز مدُّ المَقصورِ .

(١) في ج : « فأوجسني ما يوجسُ الناسَ » .

(٢) في هـ « أزدياً » . وفي ج و د « آزدياً » .

(٣) في س و د زيادة « أخرى » .

(٤) في س و د و هـ « أمناك » .

ما زال يسألني حولا لأخبره
حتى إذا انقطعت عني وسأله
فاكف كما كف عني إنني رجل
واكف لسانك عن لومي ومسئلي
أما الصلاة فإني غير تاركها
أكرم بروح بن زباج وأسرته
جاوزتهم سنة فيما أسره به
فاعمل فإنك مني بواحدة
ثم ارتحل حتى أتى عمان ، فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويظهرونه ،
فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عمان^(٢) ، فارتحل
عمران هاربا^(٣) ، حتى أتى قوما من الأزدي فلم يزل فيهم حتى مات . وفي
نزوله بهم يقول :

نزلنا بحمد الله في خير منزل
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم
من الأزدي إن الأزدي أكرم معشر
فأصبحت فيهم أمنا لا كمعشر

نسر بما فيه من الأنس والخفر
وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
يمانية طابوا إذا نسب البشر^(٤)
أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر

(١) في ج و س و د و هـ « فإني لست تاركها * كل امرئ في الذي » الخ .

(٢) في هـ « إلى عامل عمان » .

(٣) في ج و س و د و هـ « فهرب عمران » .

(٤) في هـ وحاشية ا « أكرم أسرة » .

أَمْ الْحَيُّ فَحَطَّانٌ؟ فَتَلَّكُمْ سَفَاهَةٌ كَمَا قَالَ لِي رَوْحٌ وَصَاحِبُهُ زُفْرٌ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنُسْبَةٍ تَقَرُّ بِنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ^(١)
فَمَنْحَنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَأَوْلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مِنْ شُكْرِهِ^(٢)
قوله « يَا رَوْحُ كَمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى تَزَلْتُ بِهِ » قد مرَّ تفسيرُهُ ، يقالُ « هذا
أَبُو مَثْوَى » ولِلأَنثَى « هَذِهِ أُمُّ مَثْوَى » وَمِنْزَلُ الضِّيَافَةِ^(٣) وَمَا أَشْبَهَهَا
« الْمَثْوَى » وَكَذَلِكَ قَالَ الْمَفْسُرُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ يَكْرِمْ مَثْوَاهُ ﴾^(٤)
أَيُّ : إِضَافَتَهُ ، وَيُقَالُ مِنْ هَذَا « ثَوَى يَثْوِي ثَوِيًّا » كَقَوْلِكَ « مَضَى يَمْضِي
مُضِيًّا » ، وَيُقَالُ « ثَوَاءً » وَ « مَضَاءً » كَمَا قَالَ [الشَّمَاخُ]^(٥) :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسْمِ بِيَمُؤُودٍ أَوْ دَىٰ وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُؤَدَىٰ
وَقَوْلُهُ « فِيهِ رَوَائِعٌ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ » الْوَاحِدَةُ « رَائِعَةٌ » يُقَالُ « رَاعَنِي
بِرُوعِي رَوْعًا » أَيُّ : أَفْرَعَنِي . قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾^(٦) . وَيَكُونُ « الرَّائِعُ » الْجَمِيلَ يُقَالُ : جَمَالُ رَائِعٍ ، يَكُونُ
ذَلِكَ فِي الرَّجُلِ وَالْفَرَسِ وَغَيْرِهِمَا ، وَأَحْسِبُ الْأَصْلَ فِيهِمَا وَاحِدًا : أَنَّهُ يُفْرَطُ
حَتَّى يَرُوعَ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ يَكَادُ سَنَابِرُوقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾^(٧)
لِلإِفْرَاطِ فِي ضِيَائِهِ ، وَ « الرَّائِعُ » مَهْمُوزٌ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فِعْلٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ مِمَّا

(١) ج و د و هـ « كَمَا قَالَ رَوْحٌ لِي » .

(٢) « بِنُسْبَةٍ » ضَبَطَتْ فِي كُلِّ الْأَصُولِ الْمُحْتَوِطَةِ بِضَمِّ النُّونِ ، وَهِيَ الْفَرَابِيَّةُ ، كَالنُّسْبَةِ بِكَسْرِهَا .
وَضَبَطَهَا الشَّيْخُ الْمُرْصِنِيُّ بِالْكَسْرِ نَقَطَ .

(٣) فِي ج و س و د « وَمِنْزَلُ الْإِضَافَةِ » .

(٤) سُورَةُ يُوسُفَ آيَةُ ٢١

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ هـ .

(٦) سُورَةُ هُودٍ آيَةُ ٧٤

(٧) سُورَةُ النُّورِ آيَةُ ٤٣

عينه واو أو ياء ، إذا كانت معتلة ساكنة ، تقول « قال يقول » و « باع يبيع » و « خاف يخاف » و « هاب يهاب » يمتثل اسم الفاعل فيهمز موضع العين ، نحو « قائل » و « بائع » و « خائف » و « هائب » . فإن صحّت العين في الفعل صحّت في اسم الفاعل ، نحو « عور الرجل فهو عور » و « صيد فهو صايد » ، و « الصيّد » داء يأخذ في الرأس والعينين والشؤون وإنما صحّت في « عور » و « حور » و « صيد » لأنه منقول من « اخول » و « اعور » . وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب .

وقوله :

« يوماً يمان إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وإن لقيتُ معدياً فعدتاني »
يُرِيد : أنا يوماً يمان ، ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزاً ،
على معنى : أتقل^(١) يوماً كذا ويوماً كذا ، والرفع حسن جميل . وهذا
الشعر يُنشدُ نصباً .

أفي السلم أعياراً جفاءً وغلظةً وفي الحرب أمثال النساء العوارك^(٢)
« العوارك » هنّ الحوائض . وكذلك قوله :

أفي الولائم أولاداً لواحدةٍ وفي المحافل أولاداً لعلاتٍ
قال . « العلات » سُميت لأن الواحدة « تمل » بعد صاحبها ، وهو من
« العلل » وهو الشرب الثاني ، أي يختلفون ويتحولون في هذه الحالات . ومن

(١) في ج و س « اتقل » .

(٢) الأعيار : جمع عبر ، وهو الحمار .

كلام العرب : أتميمًا مرةً وقيسيًا أخرى ؟ وكذلك إن لم تستفهم وأخبرت
قلت : تميميا مرةً عَلِمَ اللهُ وقيسيًا أخرى . أى : تنتقل . ومن ثمَّ قال له زُفَرُ
بنُ الحَرثِ : أزدِيًّا مرةً وأوزاعيًّا أخرى ؟ والرفع على « أنت » جَمِيدٌ بالغٍ .
وقوله : « لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ » يكون على وجهين : لنفسِ
طاغيةٍ ، والآخِرُ للمذكَّر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقال : رجل
راويةٌ وَعَلَامَةٌ وَسَّابَةٌ ، وكلاهما وَجْهٌ . ويقال : جاءت طاغيةُ الرُّومِ ، يرادُ
الجماعةُ الطاغيةُ ، كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « تَقْتُلُكُ
الفِئَةُ الباغِيَةُ »^(١)

وقوله « عندَ الولاية » إذا فتحتَ فهو مصدرُ « الوَلِيَّ » وفي القرآن
المجيد^(٢) : ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) . والولايةُ مكسورةٌ نحو
السياسة والريضة واليالة ، وهى الولايةُ ، وأصله من الإصلاح ، يقال « آلهُ
يُوْثِلُهُ أَوْلًا » إذا أصلحه . قال عمرُ بن الخطابِ : قد أُلْنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا .
تَأْوِيلُ ذَلِكَ : قد ولينا ووُلِيَّ عَلَيْنَا . وهذه كلمةٌ جامعةٌ ، يقول : قد وُلِينَا
فَعَالِمُنَا مَا يُصْلِحُ الْوَالِيَّ ، ووُلِيَّ عَلَيْنَا فَعَالِمُنَا مَا يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ .

(١) هذا معنى حديث متواتر معروف ، فى شأنِ عمار بن ياسر . وفى البخارى من حديث ابن عباس

مرفوعاً : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار » . انظر فتح

البارى (٦ : ٢٣) .

(٢) فى س « العظيم » .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٢

وقوله «حتى إذا ما انتقضت مني وسائله» [«الوسائل» واحدها «وسيلة»^(١)] وهى: الذريعة والسبب. يقال: قد توصلت إلى فلان، قال رؤبة بن العجاج:

والناسُ إن فصلتهم فصائلا كلِّ إلينا يبتغي الوسائلا

وقوله: «ولم يولع بأهلأعي» أى: بإفزاعى وترويعى. والهلعُ من الجبن عند ملاقة الأقران، يقال: نعوذ بالله من الهلع. ويقال: رجلٌ هُلوعٌ إذا كان لا يصبر على خيرٍ ولا شرٍّ، حتى يفعل فى كل واحدٍ منهما غير الحق، قال الله وهو أصدق القائلين^(٢): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٣). وقال الشاعر:

وَلِي قَلْبٌ سَقِيمٌ لَيْسَ يَصْحُو وَنَفْسٌ مَا تَفِيْقُ مِنَ الْهَلَاعِ

وقوله: «إمّا صميمٌ وإمّا فقعةُ القاع» «الصميم» الخالص من كل شىء، يقال: فلانٌ من صميم قوميه، أى: من خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك:

وَتَنْزِلُ مِنْ أُمِّيَّةٍ حَيْثُ تَلَقَى سُؤُونَ الرُّأْسِ مُجْتَمِعِ الصَّمِيمِ

وقوله «وإمّا فقعةُ القاع» يقال لمن لا أصل له: هو فقعةُ بقاع، وذلك لأن الفقعة لا عُروق لها ولا أغصان، والفقعة الكأة البيضاء، ويقال: حمّامٌ فقيعٌ: لبياضه. ومن ذا قولُ الشاعر:

(١) الزيادة من س. وأثبتت فى طبقات مصر من غير إشارة إلى زيادتها، وهو تصرف غير جيد.

(٢) فى ج و س و د و هـ «جل وعز».

(٣) سورة الماعز آيات ١٩ - ٢١

قومٌ إذا نُسِبُوا يَكُونُ أَبُوهُمُ عند المناسِبِ فِقْعَةٌ فِي قَرُورٍ^(١)
وقال بعضُ القرشيين :

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً خَليلاً فلا تَجْعَلْ خَليلاًكَ من تَمِيمِ
بَلَوْتُ صَمِيمَهُمُ والعَبْدَ مِنْهُم فما أَدْنَى العَبِيدِ من الصَّمِيمِ
وقوله « نُسِرْتُ بِمَا فِيهِ مِنَ الأُنْسِ والخَفَرِ » فأصل « الخَفَرِ » شِدَّةُ الحَيَاءِ
يقال « امرأَةٌ خَفِرَةٌ » إذا كانت مُستترةً لاسْتِجْياها . قال ابنُ مُنَيَّرِ الثَّقَفِيُّ :
تَضَوَّعَ مِسْكَ بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ به زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتِ
وقوله « إِنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ »^(٢) يقولُ : عِصَابَةُ وَقَبِيلَةُ ، ويقالُ
للرَّجُلِ : من أَيِّ أُسْرَةٍ أَنْتَ ؟ وَأَصْلُ هَذَا مِنَ الاجْتِمَاعِ ، يقالُ لِلقَتَبِ
« مَأْسُورٌ » وقد مضى تفسيره .

وَيُنْشَدُ « يَمَانِيَةٌ قَرُبُوا إِذَا نُسِبَ البَشَرُ »^(٣) يريدُ « قَرُبُوا » . وهذا
جائزٌ في كلِّ شَيْءٍ مضمومٍ أو مكسورٍ إذا لم يكن من^(٤) حركات الإعرابِ ،
تقولُ في الأسماءِ في « فَخِذٍ » « فَخَذٌ » وفي « عَضِدٍ » « عَضْدٌ » . وتقولُ
في الأفعالِ « كَرَّمَ عَبْدُ اللَّهِ » أي كَرَّمَهُ ، و « قد عَلَّمَ اللَّهُ » أي عَلَّمَ اللَّهُ .
قال الأَخْطَلُ :

(١) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة ، أو الصحراء البارزة . والمناسب : قال المرصق : « كان
واحد منسب ، كقعد ، يريد : عند التفاخر بالأنساب » .
(٢) هكذا ذكر بعض البيت هنا . وإنشاده هناك (ص ٩٠٠) « إن الأزد أكرم معشر » .
وأما « أسرة » فإنها نسخة في هـ وحاشية ا .
(٣) يريد أن في بعض الروايات « قربوا » بسكون الراء ، بدل « طابوا » .
(٤) في ج و س و د « في » بدل « من » .

فان أهجبه يضجرب كما ضجرب بازل من الإبل دبزت صفحتاه وكاهله^(١)
وقال آخر :

عجبت لمولود وليس له أب وذى ولد لم يلد له أبوان
ولا يجوز في « ضرب » ولا في « جمل » أن يسكن ، خلفه الفتحة .
وقوله « أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر » يقول : أمن ربيعة أم من
مضر ؟ ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام^(٢) ، لأن « أم » التي جاءت
بعدها تدل عليها . قال ابن أبي ربيعة :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمز أم بمان
يريد : أبسبع ؟ وقال التميمي :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً شعيت بن سهم أم شعيت بن منقر^(٣)

(١) البازل من الإبل : الذي يزل نابه ، أى يشق في السنة التاسعة ، وربما يزل في الثامنة .
والدبر بفتحين : الجرح يكون في ظهر الدابة . والصفحتان : الجانبان . وقوله « وكاهله » كذا
هو في جميع نسخ الكامل . ولكن الشيخ المرصفي كتبه في طبعته مع شرحه « وغاربه » .
وتبع في ذلك الجوهرى في مادة « ض ج ر » .

(٢) أ كثر النحويين يقيدون جواز حذف الهمزة التي للاستفهام بالشعر . وأجازه الأخفش وغيره
مطلقا ، وهو الصحيح ، وقد ورد في الأحاديث الثابتة الصحيحة ، وخرجت عليه بعض الآيات
الكريمة . قال ابن مالك في شواهد التوضيح والتصحيح (ص ٥٨ - ٦٠) : « وقد كثر
حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذف منه لا يستقيم إلا بتقديرها كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ

نِعْمَةٌ مِّنَّا عَلَىٰ ﴾ قال أبو الفتح وغيره : أراد : أو تلك » . وذكر له شواهد أخرى من
الكتاب والسنة . وقد أكثر الشافعي من ذلك في كتبه ، الرسالة وغيرها ، وهو عربى فصيح ،
لفته حجة . انظر شواهد ذلك من الرسالة ، في المواضع التي أشرنا إليها في الفهرس السابع لها ،
في النوع السادس عشر .

(٣) في ج و س و د « شعيب » .

الرواية على وجهين : أحدهما « من ربيعة أم مضر . أم الحى قحطان^(١) » يريدُ : إذا أم ذا ؟ والأصلح^(٢) في الرواية « من ربيعة أم مضر . أم الحى قحطان^(٣) » لأن ربيعة أخو مضر ، فأراد من أحد هذين أم الحى قحطان ، لأنه إذا قال : أزيد عندك أم عمرو ؟ فالجواب : نعم ، أو : لا ، لأن أحد هذين عندك^(٤) ، ومعنى الأول : أيهما عندك ؟ ويروى - وحدائيه المازني : أن صفيّة بنت عبد المطلب أتاها رجل ، فقال لها : أين الزبير ؟ قالت : وما تريدُ إليه ؟ قال : أريد أن أباطشه ! فقالت : ها هو ذلك ، فصار إلى الزبير فباطشه . فغلبه الزبير ، فرَّبها مفلولاً^(٥) ، فقالت صفيّة :

كيف رأيت زبراً * أقطاً أو تمرّاً * أم قرشيّاً صقراً

لم تشكك بين الأقط والتمر فتقول أيهما هو ؟ ولكنها أرادت : رأيتُه طعاماً أم قرشيّاً صقراً ؟ أى أحد هذين رأيتُه أم صقراً ؟ ولو قالت : أقطاً أم تمرّاً - : كان^(٦) محالاً على هذا الوجه .

وقوله : « وما منهما إلا يسرُّ بنسبة » معناه : وما منهما واحدٌ ، فحذف

-
- (١) هكذا في ج و س و ه و د « من » بدون الهزمة ، وهو الذى فى البيت ، والذى يترن به الشعر . وفى بعض النسخ « أمن » بالهمزة ، وعليها طبعات مصر ، وليست بجيدة .
- (٢) « قحطان » ضبطناها بالخفض والتونين كرواية البيت ، لأن الشاعر صرفها للضرورة . وضبطت فى كل النسخ بالمنع من الصرف ، وهو لا يوافق الوزن ، والمؤلف يحكى رواية البيت . وكذلك « مضر » ضبطت فى النسخ بفتح الراء . وهى فى البيت بسكونها .
- (٣) فى ج و س و ه « والألمع » .
- (٤) فى س و د و ه « لأن المعنى : أحد هذين عندك » .
- (٥) « مفلولا » بالفاء ، أى مهزوما . وفى س و ه « مفلولا » بالعين ، وهو خطأ ، وبه طبع بعض طبعات مصر .
- (٦) فى ج و س و د و ه « لكان » .

لعلم المخاطب . قال الله جلَّ اسمُه : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^(١) . أى : وإنَّ أحدُ . ومعنى « إن » معنى « ما » قال الشاعرُ :
وما الدهرُ إلا تارتانِ فنهما أموتُ وأخرى أبغى العيشَ أكدحُ
يريدُ : فنهما تارة ،

وقوله :

« فَتَحَنُّ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ / وَأَوْلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مِنْ شَاكِرٍ »
يقول : انقطعت الولايةُ إلا ولايةَ الإسلامِ ، لأن ولايةَ الإسلامِ قد قاربتُ
بين الغُرباءِ . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(٢) . وقال عزَّ وجلَّ
فباعده بين القرابة : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾^(٣)
وقال نهارُ بن تَوْسِعَةَ اليَشْكُرِيُّ :

دَعَى الْقَوْمَ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ لِيُلْحِقَهُ بِذِي الْحَسَبِ الصَّمِيمِ
أبَى الْإِسْلَامُ لِأَبِ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

ويقالُ فيما يُروى من الأخبارِ : إنَّ أولَ مَنْ حَكَّمَ عُرْوَةَ بنَ أُدِيَةَ ، وَأُدِيَةَ
جَدَّةُ له جاهليةٌ^(٤) ، وهو عروة بن حُدَيْرٍ ، أحدُ بني ربيعةَ بن حنظلة .

(١) سورة النساء آية ١٥٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٠

(٣) سورة هود آية ٤٦ وقوله « عمل غير صالح » ضبط في الأصول بالفراءتين : قراءة يعقوب
والكسائي « عمل » بكسر الميم فعل ماض ، و « غير » بالنصب مفعول . وقراء باقي العشرة
« عمل » بفتح الميم مصدر منون ، و « غير » بالرفع . وانظر النشر (٢ : ٢٧٨)
والتبشير (ص ١٢٥) .

(٤) في ج و ه « في الجمالية » .

وقال قومٌ : بل أولُ مَنْ حَكَمَ رجلٌ يُقال له سَعِيدٌ من بني مُحَارِبِ بنِ خَصْفَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرَ . ولم يَخْتَلَفُوا في إجماعهم على عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ ، وأنه امتنع عليهم ، وأوماً إلى غيره ، فلم يَقْنَعُوا إِلَّا بِهِ ، فكان إمامَ القومِ ، وكان يُوصَفُ بالرَّأْيِ .

[قال أبو العباس] (١) : فأما أولُ (٢) سيفِ سُلٍّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بنِ أُدِيَةَ ، وذلك : أنه أقبلَ على الأَشْعَثِ (٣) فقال : ماهذه الدُّنْيَةُ (٤) يا أشعثُ ؟ وما هذا التحكيمُ ؟ أشرطُ أوثقُ من شرطِ الله عزَّ وجلَّ ؟ ثم شَهَرَ عليه السيفَ والأشعثُ مؤلٌّ ، فضربَ به عَجْزَ البَغْلَةِ ، فَسَبَّتِ البَغْلَةُ فَفَنَفَرَتِ اليمانيَّةُ ، وكانوا جُلَّ أصحابِ عليٍّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأحنفُ قَصَدَهُ هو وجاريةُ بنِ قُدَّامَةَ ومسعودُ بنِ فدكيٍّ بنِ أعبدٍ وشبثُ بنُ رِبعِيٍّ الرِّياحِيُّ - : إلى الأَشْعَثِ ، فسأله الصَّفْحَ ، ففعل .

وكان عروَةُ بنُ أُدِيَةَ نَجَّامٍ من حربِ النَّهْرَوَانِ ، فلم يَزَلْ باقياً مدةً من خلافة معاوية ، ثم أتى به زيادٌ ومعه مولًى له ، فسأله عن أبي بكرٍ وعمرَ ، فقال خيراً ، ثم سأله فقال : ما تقولُ في أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفَّانَ وأبي ثرابٍ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ؟ فتولَّى عثمانَ سِتَّ سنينَ من خلافتِهِ ، ثم شَهِدَ عليه بالكفرِ ! وفعلَ في أمرِ عليٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَمَ ، ثم شَهِدَ عليه بالكفرِ ! ثم سأله عن

(١) الزيادة من ج .

(٢) في ج « فأول » .

(٣) هو الأشعث بن قيس الكندي .

(٤) في ج « الدُّنْيَةُ » . وفي هـ « الدُّنْيَةُ » .

معاوية؟ فسبّه سبًّا قبيحًا ! ثم سأله عن نفسه؟ فقال: **أُولَئِكَ لِرِزْيَةٍ^(١)**
وَأَخْرُكَ لِذِعْوَةٍ^(٢) ، وأنت بعدُ عاصٍ لربك ! ثم أمر به فضربت عنقه ، ثم
دعا مولاه فقال: **صِفْ لِي أُمُورَهُ؟** فقال: **الْأُطْنِبُ أَمْ أَخْتَصِرُ؟** فقال: **بَلْ**
اخْتَصِرُ ، فقال: **مَا أَتَيْتَهُ بِطَعَامٍ بِنَهَارٍ قَطُّ ، وَلَا فَرَشْتُهُ لَهُ فِرَاشًا بَلِيلٍ قَطُّ .**
وَكَانَ سَبَبُ تَسْمِيَتِهِمُ الْحَرُورِيَّةَ : أن عليًّا لما ناظرهم بعد مناظرة
ابن عباس رحمه الله إياهم ، فكان مما^(٣) قال لهم: **أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ**
لَمَّا رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ قَلْتُمْ لَكُمْ أَنْ هَذِهِ مَكِيدَةٌ وَوَهْنٌ ، وَأَنْتُمْ لَوْ قَصَدُوا
إِلَى حُكْمِ الْمَصَاحِفِ لَمْ يَأْتُونِي ثُمَّ سَأَلُونِي التَّحْكِيمَ ، أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ كَانَ
مِنْكُمْ أَحَدٌ أَكْرَهَ لِدَلِكِ مِنِّي؟ قالوا: **اللَّهُمَّ نَعَمْ .** قال: **فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ**
اسْتَكْرَهْتُمُونِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَجِبْتُمْ إِلَيْهِ ، فَاسْتَرَطْتُمْ أَنَّ حُكْمَهُمَا نَافِذٌ
مَا حَكَمَا بِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ خَالَفَاهُ^(٤) فَأَنَا وَأَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرَاءٌ ،
أَوْ أَنْتُمْ^(٥) تَعْلَمُونَ أَنَّ حِكْمَ اللَّهِ لَا يَعْذُونِي؟ قالوا: **اللَّهُمَّ نَعَمْ .** وفيهم في ذلك
الوقت ابن الكواء^(٦) - وهذا من قبل أن تذبجوا عبد الله بن خباب؟
فإنما ذبجوه بكسكرك في الفرقة الثالثة - : فقالوا: **حَكَمْتَ فِي دِينِ اللَّهِ**

(١) يشير إلى أنه غير معروف النسب .

(٢) يشير إلى أن معاوية ادعى أنه أخوه ، وأن أباه أبا سفيان ادعى أنه ابنه من سمية .

(٣) في هـ « كان مما » . وفي ج و د « كان فيما » .

(٤) في ج و س و د و هـ « فتى خالفاه » .

(٥) في النسخ المذكورة « وأنتم » بدون الهمزة .

(٦) هو عبد الله بن الكواء . واسم الكواء: عمرو بن النعمان بن ظالم ، من بني يشكر بن بكر بن وائل . وهنا في حاشية ما نصه: « قال ابن دريد: رجل كواء: خبيث اللسان ، شتام

للناس » . وانظر الجهرة لابن دريد (١ : ١٨٧) .

برأينا ، ونحن مُقَرَّرُونَ بِأَنَا قَدْ كَفَرْنَا ، ونحن تائبون ! فَأَقَرَّرَ بِمِثْلِ مَا أَقَرَّرْنَا
 [به^(١)] ، وَتُبَّ نَهَضٌ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ !! فقال : أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ
 ثَنَاوُهُ قَدْ أَمَرَ بِالْحَكِيمِ فِي شِقَاقِ بَيْنِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ^(٢) ، فقال تبارك وتعالى :
 ﴿ فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا^(٣) ﴾ وفي صيدٍ أُصِيبَ فِي الْحَرَمِ ،
 كَأَرْبِ يَسَاوَى رُبْعِ دِينَارٍ^(٤) ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
 مِنْكُمْ^(٥) ﴾ فقالوا : إِنْ عَمَرًا لِمَا أَبِي عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ فِي كِتَابِكَ « هَذَا مَا كَتَبَهُ
 عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » مَحَوْتَ اسْمَكَ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَكُتِبَتْ « عَلِيُّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ » فَقَالَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْوَةٌ ،
 حَيْثُ أَبِي عَلَيْهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَكْتُبَ « هَذَا كِتَابُ كِتَابِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
 وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو » فقال : لَوْ أَقَرَّرْنَا^(٦) بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْنَاكَ^(٧) ،
 وَلَكِنِّي أَقَدَّمْتُكَ لِفَضْلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : اكْتُبْ « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » فَقَالَ لِي :
 يَا عَلِيُّ ، امْحُجْ « رَسُولَ اللَّهِ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَسْخُو نَفْسِي بِمَحْوِ
 اسْمِكَ مِنَ النَّبِوَّةِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَفْنِي عَلَيْهِ^(٨) ، فَجَاهُ يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) الزيادة من ج .

(٢) في ج و س و د و هـ « وامرأته » .

(٣) سورة النساء آية ٣٥

(٤) في ج و س و د و هـ « تساوى ربع درهم » .

(٥) سورة المائدة آية ٩٥

(٦) في ج و س و د و هـ « لو أقررت » .

(٧) في هذه النسخ « ما خلفتك » .

(٨) في هذه النسخ « قفني عليه » .

عليه وسلم ، ثم قال اكتب « محمد بن عبد الله » ثم تبسّم إلى فقال : يا علي ،
أما إنك ستسأم مثلها فتعطي^(١) . فرجع معه منهم ألفان من حروراء^(٢) ، وقد
كانوا تجمعوا بها ، فقال لهم على صلوات الله عليه : ما سميكم ؟ ثم قال : أتم
الحرورية ، لاجتماعكم بحروراء .

والنسب إلى مثل « حروراء » « حروراي » فاعلم ، وكذلك كل
ما كان في آخره ألف التانيث الممدودة ، ولكنه نسب إلى البلد بحذف
الزوائد ، فقبيل « الحروري » .



وقال الصلتان العبدى في كلمة له :

أرى أمةً شهرت سيفها وقد زيد في سوطها الاصبحي
بنجدية وحـرورية وأزرق يدعو إلى أزرق
فلتنا أننا المسلمون على دين صديقنا والنبي
وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله :

أشباب الصغير وأفنى الكبير مَرُورُ اللَّيالي وكرُّ العشي^(٣)
إذا ليلة هرمت يومها أنى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

(١) يشير إلى أمر الهدنة في عمرة الحديبية . وانظر سيرة ابن هشام (س ٧٤٠ - ٧٥١ طبعة

أوردية) وتاريخ ابن كثير (٤ : ١٦٤ - ١٧٧) .

(٢) حروراء : قرية قريبة من الكوفة .

(٣) في ج و س و د و هـ « مرُّ الغداة وكرُّ العشي » .

تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبَقِيَ لَهُ حَاجَةٌ مَّا بَقِيَ
قوله « وقد زيد في سوطها الأصبحي » ، فإنه تُسَمَّى هذه السياط التي
يُعَاقِبُ بِهَا السُّلْطَانُ « الأصبحية » وتُنسَبُ إلى ذِي أَصْبَحِ الحِمَيْرِيِّ ، وكان
مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَهَا ، وَهُوَ جَدُّ مَالِكِ بْنِ أَنَسِ
الفقيه رضى الله عنه .

« والنجدية » تُنسَبُ إلى نَجْدَةَ بْنِ عَوْمَيْرٍ ، وَهُوَ عَامِرُ الحَنْفِيِّ ، وَكَانَ
رَأْسًا ذَا مَقَالَةٍ مُنْفَرِدَةٍ^(١) مِنْ مَقَالَاتِ الخَوَارِجِ ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا قَوْمٌ
كثِيرٌ . وَكَانَ نَجْدَةُ يُصَلِّي بِمَكَّةَ بِحِذَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي جَمْعِهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ،
وَعَبَدَ اللَّهَ يَطْلُبُ الخِلَافَةَ ، فَيُمَسِّكَانِ عَنِ القِتَالِ مِنْ أَجْلِ الحَرَمِ . قَالَ الرَّاعِي
يُخَاطَبُ عَبْدَ المَلِكِ :

إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ لَا أَكْذِبُ اليَوْمَ الخَلِيفَةَ قَيْلًا
مَا إِنْ أَتَيْتُ أَبَا حُبَيْبٍ وَافِدًا يَوْمًا أُرِيدُ بِيَعْتِي تَبْدِيلًا^(٢)
وَلَا أَتَيْتُ نُجَيْدَةَ بْنَ عَوْمَيْرٍ أَبْنِي الهُدَى فَيَزِيدَنِي تَضْلِيلًا
مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِنْ حَيَاتِي إِنِّي أَعُدُّ لَهُ عَلَى فُضُولًا

وفي هذه القصيدة :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيَرومَهُ بِالأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولًا^(٣)

(١) فِي ج و س و د و هـ « مفردة » .

(٢) « أبو حبيب » بالتصغير : كنية عبد الله بن الزبير .

(٣) العريف : القيم بأمر القبيلة أو الجماعة ، يتعرف منه أحوالهم . فهو فعل بمعنى فاعل ، وجمعه

« عرفاء » . والحيزوم : الصدر .

قوله « وَأُزْرَقِي يَدْعُو إِلَى أُزْرَقِي » يريدُ مَنْ كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي، وكان نافع شجاعاً مُقدِّماً في فقه الخوارج. وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة، وسند كرجلة منها في هذا الكتاب، إن شاء الله. وقوله « عَلَى دِينَ صِدِّيقِنَا وَالنَّبِيِّ » فالعربُ تفعلُ هذا، وهو في الواو جائز، أن تبدأ بالشيء، وغيره المُقدِّم^(١). قال الله عزَّ اسمه: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرُونَ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) وقال: ﴿ يَوْمَئِذٍ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ ﴾^(٣) وقال: ﴿ وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^(٤) وقال حسان بن ثابت:

بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

يعنى: بنى هاشم. ومن كلام العرب ربيعةٌ ومُضَرٌّ وقَيْسٌ وخِنْدِفٌ وسُلَيْمٌ وعامرٌ. وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذُوو الحَدِّ والجد^(٥)، وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحَّل أكثر أهلها منها، وكان الباقون على الترحُّل^(٦)، فقلد المهلبُ حربهم، فهزمهم إلى الفرات، ثم هزمهم إلى الأهواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارس، ثم أخرجهم إلى كرمان. وفي ذلك يقول شاعرٌ منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحبُ الزنج بالبصرة^(٧)، يرثي البلد، ويدكر

(١) في ج و س و د و هـ « والمقدم غيره » .

(٢) سورة التغابن آية ٢ .

(٣) سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ٤٣ .

(٥) الحد يفتح الحاء المهملة: البأس والنفاذ في النجدة . والجد بكسر الجيم : الاجتهاد والسرعة في الأمر . قاله المرصفي .

(٦) في ج و س و د « على الرحلة » .

(٧) قال المرصفي: « صاحب الزنج رجل ظهر أيام المهدي بالله، يزعم أنه علي بن محمد، من ولد علي =

المنقبة التي كانت لهم . [قال الأخفش : أنشدنيهِ يزيدُ المهلبِيُّ لنفسه] :

سقى الله مِصْرًا خَفَّ أهلوهُ من مِصرِ
ولو كنتُ فيه إذ أُبيحَ حَرِيمُهُ
أُبيحَ فلم أملكْ له غيرَ عِبْرَةٍ
ونحنَ رَدَدْنَا أهلها إذ تَرَحَّلُوا
ومَن يَخْشَ أطرافَ المَنايا فإِننا
فإنَّ كَرِيهَ الموتِ عَذْبُ مَذاقِهِ
وما رُزِقَ الإنسانُ مِثْلَ مَنِيَّةِ
وفي هذا الشعرِ [يقولُ^(١)] :

لِيَشْكُرَ بنو العباسِ نِعْمِي تَجَدَّدَتْ
فقد وَعَدَ اللهُ المَزِيدَ على الشُّكْرِ

== بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وجهور النساين اتفقوا على أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم ، من بني عبد القيس . دعا الناس إلى طاعته ، واستمال عدداً كثيراً من الزوج ، يستعين بهم على العبث والفساد ، فأمر زوجه وجنوده أن يلحوا على أهلها ، فانتشروا في سكك البصرة يقتلون كل من وجدوه ، ودخلوا المسجد الجامع فأحرقوه . ثم ذكر أن ذلك كان سنة ٢٧٠

(١) « عقب الدهر » : نوبه .
(٢) في س « فلم أملك سواي عبرة » . و « العبرة » الدمعة . وقوله « تهيب بها » أي تدعوها . وقوله « حاردت » بتقديم الراء : مستعار من قولهم « حاردت الناقة » إذا قل لبنها أو اطمع . وبمحاشية امانه : « ابن شاذان : يقال حاردت الناقة : إذا قل لبنها حرادا » .

(٣) بمحاشية امانه : « المهلبِيُّ : الجِسْرُ بفتح الجيم ، وتسميه العامة جِسْرًا . قال : وجمع الجِسْرِ جُسُورٌ » . والذي في اللسان وغيره أنه بفتح الجيم وكسرهما ، لفتان . وهل المرصني عن ياقوت : « أنهم إذا أطلقوا الجسر ولم يضيفوه إلى شيء فأنما يريدون به الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة على الفرات ، وكان أهل الحيرة يعبرونه إلى ضياعهم » .

(٤) الزيادة من س .

لقد حَبَبْتَكُمْ أَسْرَةً حَسَدَتْكُمْ فَسَلَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ سَيْفًا مِنَ الْكُفْرِ^(١)

وقد نَعَضَتْهُمْ جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ يُبَيِّتُونَ فِيهَا الْمَسَالِمِينَ عَلَى ذُعْرِ^(٢)

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أَلَا طَرَقَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْبَةَ طَارِقَهُ عَلَى أَنَّهَا مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَهُ^(٣)

تَبَيَّتْ وَأَرْضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَسُؤْلَافُ رُسْتَاقٍ حَمَّتَهُ الْأَزَارِقَةُ^(٤)

إِذَا نَحْنُ شِدْنَا صَادَفْتَنَا عِصَابَةٌ حَرُورِيَّةٌ أَضَحَّتْ مِنَ الدِّينِ مَارِقَهُ

وكان مقدارُ مَنْ أَصَابَ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالنَّهْرِ وَإِنْ أَلْفِينَ وَمِائَتَيْ

مِائَةٍ ، فِي أَصْحَ الْأَقَاوِيلِ ، وَكَانَ عَدْدُهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَكَانَ مِنْهُمْ بِالْكُوفَةِ

زُهَاءُ أَلْفِينَ مِمَّنْ يُسِرُّ أَمْرَهُ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَرْبَ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ

عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ : ارْجِعُوا وَادْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ ، فَقَالُوا :

كُلْنَا قَتْلَهُ وَشَرِكٌ فِي دَمِهِ ! ثُمَّ حَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلِيٍّ ، وَقَدْ قَالَ

عَلِيٌّ : لَا تَبَدُّوهُمْ بِقِتَالٍ ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ثَلَاثَةً وَهُوَ يَقُولُ :

أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى عَلِيًّا وَلَوْ بَدَأَ أَوْجَرُهُهُ الْخَطِيئًا

فخرج إليه على صلوات الله عليه فقتله ، فلما خالطه السيفُ قال : حَبَّذَا

(١) في ج و س و د و هـ « لقد حَبَبْتَكُمْ » .

(٢) في هذه النسخ « وقد نَعَضَتْهُمْ » . وفي ج « على وَتَرٍ » . وفي س و د و هـ

« على وَتَرٍ » .

(٣) في ج و س و د و هـ « من أهل بَيْبَةَ » .

(٤) « سُؤْلَافٍ » قرية من أرض خوزستان . و « الرستاق » ويقال « الرزداق » بضم أوله وسكون ثانيه فهما : اسم للسواد والقرى .

الرَّوْحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : مَا أَدْرِي أَلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ ؟
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ [بَنِي (١)] سَعْدٍ : إِنَّمَا حَضَرْتُ اغْتِرَاراً بِهَذَا ، وَأَرَاهُ قَدْ
شَكَّ ! ! فَانْخَزَلَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَالَ أَلْفٌ إِلَى نَاحِيَةِ أَبِي أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُتَسَلَّلُونَ ، وَقَدْ
قَالَ عَلِيٌّ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْجَسْرَ ؟ فَقَالَ : لَنْ يَبْلُغُوا النُّظْفَةَ ، وَجَعَلَ
النَّاسُ يَقُولُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى كَادُوا يَشْكُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : قَدْ رَجَعُوا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي
أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ
عَشْرَةٌ ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ تِسْعَةً ، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةً .



قال أبو العباس : وقيل : أول من حاكم وأفظ بالحكومة ولم يشد
بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر ، من بني صريم (٢) ، يقال
له الحجاج بن عبد الله ، ويُعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على
أليته ، فإنه لما سمع بذكر الحكمين قال : أبحكم في دين الله ؟
لا حكم إلا لله ! فسمعه سامع فقال : طعن والله فأنفذ (٣) .
وأول من حكم بين الصفيين رجل من بني يشكر بن بكر بن وائل ،

(١) الزيادة من س .

(٢) في هـ « ثم من بني صريم » .

(٣) قال المرصفي : « مستعار من : طعنه رجمه فأنفذه . يريد : أصاب بقوله فلم يخطئ المرعى » .

فإنه كان في أصحاب عليٍّ ، حَمَلَ على رجلٍ منهم فقتله غيلةً ، ثم مَرَقَ بين
الصفين فحَكَمَ ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية ، فكثروه ، فرجع إلى ناحية
على صلوات الله عليه ، فحَمَلَ على رجلٍ منهم ، فخرج إليه رجلٌ من همدانَ
فقتله ، فقال شاعرٌ همدانَ :

ما كان أغنى اليشكريَّ عن التي تصلى بها جمرًا من النار حاميًا
غداةً يُنادي والرياحُ تنوشهُ خلعتُ عليًا باديًا ومعاويًا^(١)
وجاء في الحديث ، أن عليًّا رضى الله عنه تلى بحضرته : ﴿ قل هل
ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعاً^(٢) ﴾ فقال عليٌّ : أهلُ حرِّ وراءِ منهم .
وروى عن عليٍّ صلوات الله عليه : أنه خرج في غداةٍ يوقظُ الناسَ
للصلاة في المسجد ، فرَّ بجماعةٍ تحدثُ ، فسلمَ وسأموا عليه ، فقال وقبضَ
على لحيته : ظننتُ أن فيكم أشقاها ، الذي يخضبُ هذه من هذه . وأوماً بيده
إلى هامته وحليته .

ومن شعرِ عليِّ بن أبي طالبٍ [أمير المؤمنين^(٣)] الذي لا اختلافَ
فيه أنه قاله ، وأنه كان يرددُه : أنَّهُمْ لَمَّا سَأَمُوهُ^(٤) أَنْ يُقَرَّ بالكفر ويتوبَ حتى
يسيرُوا معه إلى الشامِ ، فقال : أَبَعْدَ مُحَبَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
والتفقه في الدين أرجعُ كافرًا ! ؟

(١) « تنوشه » أى : تناه .

(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) الزيادة من س و د .

(٤) في د « سألوه » .

يَشَاهِدَ اللَّهَ عَلَى فَاشِهَدٍ أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدٍ

* مَنْ شَكَ فِي اللَّهِ فَإِنِّي مُهْتَدِي *

* أَنِّي تَوَلَّيْتُ وَوَلِيَّ أَحْمَدٍ * وَيُرْوَى :

ويُرْوَى : « أن رجلاً أسوداً شديداً بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ، ولم تكن إلا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الأسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما عدلت منذ اليوم ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب في وجهه . فقال عمر بن الخطاب : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال رسول الله : إنه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ . »

وفي حديث آخر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : وَيُحْكَا ! فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ ثم قال لأبي بكر : اقْتُلْهُ ، فمضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُهُ رَاكِعًا ، ثم قال لعمر : اقْتُلْهُ ، فمضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُهُ سَاجِدًا ، ثم قال لعلي : اقْتُلْهُ ، فمضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ! لَمْ أَرَهُ ، فقال رسول الله : لَوْ قُتِلَ هَذَا مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ فِي دِينِ اللَّهِ . »

قال أبو العباس : وحدثني إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة^(١) في

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله التيمي الميمري ، يكنى أبا إسحاق . روى عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهما ، وروى عنه أبو داود والنسائي . مدحه أحمد ووثقه النسائي والدارقطني . وولي قضاء البصرة سنة ٢٣٩ ومات سنة ٢٥٠ وهو على القضاء .

إِسْنَادٍ ذَكَرَهُ : « أَنْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِذَهَبَةٍ مِنَ الْيَمَنِ ، فَقَسَمَهَا أَرْبَاعًا ، فَأَعْطَى رُبْعًا لِلأَفْرَعِ بْنِ حَابِسِ الْمَجَاشِعِيِّ ،
وَرُبْعًا لِزَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ، وَرُبْعًا لِمَيْيَنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ ، وَرُبْعًا لَعَلْقَمَةَ
بْنَ عَلَانَةَ الْكِلَابِيِّ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مُضْطَرِبٌ الْخَلْقِ ، غَاثِرُ الْعَيْنِينَ ، نَاتِيٌ
الْجَبَةِ ، فَقَالَ [لَهُ (١)] : لَقَدْ رَأَيْتُ قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ !! فَغَضِبَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّدَ خَدَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُ فَقَالَ : أَلَا أَقْتَلُهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ضِئْضِيِّ (٢) هَذَا قَوْمٌ
يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، تَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا تَرَى
شَيْئًا ، وَتَنْظُرُ فِي الرَّصَافِ فَلَا تَرَى شَيْئًا ، وَتَتَمَارَى فِي الْفُوقِ (٣) . »

قوله صلى الله عليه وسلم « مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا » أى : من جنس هذا .
يقال : فلانٌ مِنْ ضِئْضِيِّ صِدْقٍ ، وَمِنْ مَخْتَدِ صِدْقٍ (٤) ، وَفِي مُرْكَبِ صِدْقٍ .
وَقَالَ جَرِيرٌ لِلْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ
الْحِجَابِ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ :

(١) الزيادة من ج .

(٢) هنا بحاشية أما نصه : « الْمُهَلَّبِيُّ . قَالَ الْأَمَوِيُّ : الضِّئْضِيُّ : الْأَصْلُ » .

(٣) هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف وردت من معناها في كتب السنة . والحديث الأخير ورد
معناه بقريب منه من حديث أبي سعيد الخدري ، رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما . وانظر
المنتقى للمجد بن تيمية (رقم ٤١٢٤ - ٤٢١٩) وشرحه نيل الأوطار للشوكاني (٧ :
٣٣٨ - ٣٥٣) .

(٤) في ج و س و د و هـ « وفي مختد صدق »

أَقْبَلْنَ مِنْ شَهْلَانَ أَوْ وَادِي خَيْمٍ عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خَيْطَانِ السَّلْمِ
إِذَا قَطَعْنَ عَمَلًا بَدَأَ عَمَلٌ حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكْمِ
خَلِيفَةَ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَهَمِ فِي ضَيْضِي الْمَجْدِ وَبُحْبُوحِ الْكِرَمِ
ويقال « مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » إِذَا نَفَذَ مِنْهَا ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ
أَنْ لَا يَعْلُقَ بِهِ مِنْ دَمِهَا شَيْءٌ ، وَأَقْطَعُ مَا يَكُونُ السَّيْفُ إِذَا سَبَقَ الدَّمَ .
قال امرؤ القيس بن عابس السكندى :

وَقَدْ اخْتَلَسَ الضَّرْبَ لَيْدَمِي لَهَا نَصْلِي

فَأَمَّا مَا وَضَعَهُ (١) الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ الْاِخْتِيَارِ فَعَلِيَ غَلَطٌ وَضِعَ . وَذَكَرَ
الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الشَّعْرَ لِإِسْحَقَ بْنِ سُؤَيْدٍ الْفَقِيهِ (٢) ، وَهُوَ لِأَعْرَابِيٍّ لَا يَعْرِفُ
لِلْمَقَالَتِ الَّتِي يَمِيلُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ ، أَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنْ الْغَزَالِ مِنْهُمْ وَابْنُ بَابِ
وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ
وَلِكُنِّي أَحِبُّ بِكَلِّ قَلْبِي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ اللَّهِ وَالصِّدِّيقَ حُبًّا بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ
فَإِنَّ قَوْلَهُ « مِنَ الْغَزَالِ مِنْهُمْ » يَعْنِي وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا حَذِيفَةَ ،
وَكَانَ مَعْتَزِلِيًّا ، وَلَمْ يَكُنْ غَزَالِيًّا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُلَقَّبُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ

(١) فِي ج وَ د « وَصْفَهُ » .

(٢) هَذَا الَّذِي نَسَبَهُ الْمُبَرِّدُ لِلْأَصْمَعِيِّ قَالَهُ عَنْهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (١ : ٣٥) قَالَ : « قَالَ

أَبُو عَمَّانٍ : فَهَذَا ذَلِكَ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي الْعَتَمَرُ بْنُ سَلْيَانَ لِإِسْحَقَ بْنِ سُؤَيْدٍ

الْعَدَوِيِّ » . فَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ الْآتِيَةَ .

الغزَّالينَ ، ليعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فيجعلَ صَدَقَتَهُ لَهُنَّ ، وكانَ طَوِيلَ العُنُقِ . وَيُرَوَّى عَنِ عَمْرِو بْنِ عُيَيْدٍ ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكَلِّمَهُ ، فقالَ : لا يُفْلِحُ هَذَا ما دامتْ عَلَيْهِ هَذِهِ العُنُقُ !

وقالَ بَشَّارُ بْنُ بُرَيْدٍ يَهْجُو وَاصِلَ بْنَ عَطَاءَ :

ماذا مُنيتُ بَغزَّالٍ لَهُ عُنُقٌ كِنَقِيقِ الدَّوِّانِ وَلى وَإِنْ مَثَلًا^(١)

عُنُقَ الزَّرَافَةِ ما بَالِي وبِالسُّكْمِ تُسَكْفَرُونَ رِجالاً أَكْفَرًا وَارْجُلًا^(٢)

ويُرَوَّى ، لا بَلَّ كَأَنَّهُ لا يَشْكُ فِيهِ : إِنْ بَشَّارًا^(٣) كانَ يَتَعَصَّبُ لِلنَّارِ عَلى الأَرْضِ ، وَيُصَوِّبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ - لَعَنَهُ اللهُ - فِي امْتِناعِهِ مِنَ السُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَيُرَوَّى لَهُ^(٤) :

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كانَتِ النَّارُ

فَهَذَا ما يَرَوِيهِ المُتَكَلِّمُونَ .

وَقَتَلَهُ [أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ^(٥)] المَهْدِيُّ عَلى الإِلْحَادِ . وَقَد رَوَى قَوْمٌ أَنْ

كُتِبَتْهُ فَتُشَّتْ فَلَمْ يُصَبْ فِيها شَيْءٌ مِمَّا كانَ يُرْمَى بِهِ ، وَأُصِيبَ لَهُ كِتابٌ

(١) « النقيق » بكسر النونين ويفتحهما : العظيم . و « الدو » بفتح الدال وتشديد الواو : القلاة الواسعة . و « مثل » بفتح التاء الثلاثة وبضمها ، « يمثل » بضم التاء : أى أقام .

(٢) فى س « كفروا رجلا » . وهنا فى حاشية ا ما نصه : « الزرافة : الجماعة . وإنما سميت به هذه الزرافة لأنها تجمع أشياء من خلق البهائم » .

(٣) فى ج « كأنه لا يشك فيه أن بشاراً » .

(٤) قال المرصفي فى قوله « وروى لا بل الخ » : « هذه عبارة سخرية ! يريد : أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبة الكفر إلى أصحابه ، إذ نسبوه إلى واصل ، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار ويصوب رأى إبليس . وكلمة : كأنه لا يشك فيه : معترضة » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فيه : إني أردت هجاء آل سليمان بن علي ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت منهم [إلا أنني قلت :

دينار آل سليمان ودرهمهم كبايديين حفاً بالفاريت

لا يرجيان ولا يرجي نوالهما كما سمعت بهاروت وماروت^(١)

وحدثني المازني قال : قال رجل لبشار : أتأكل اللحم وهو مبين لديانتك ؟
يذهب [به^(٢)] إلى أنه ثنوي ! قال : فقال بشار : ليسوا يدرون أن
[هذا^(٣)] اللحم يدفع عن شر هذه الظئمة .

وكان واصل بن عطاء أحد الأعايب ، وذلك أنه كان الشغ قبيح
اللثة في الرء ، فكان يخلص كلامه من الرء ، ولا يفظن بذلك^(٤) ،
لاقتداره وسهولة أفاضه . ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة ، يمدحه بإطالته
الخطب واجتنابه الرء ، على كثرة ترددها في الكلام ، حتى كأنها ليست فيه :
علمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ لسكلٍ خطيبٍ يغلب الحق باطله
وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً في تصرفه وخالف الرء حتى احتال للشعر^(٤)

ولم يطق مطراً والقول يجعله فعاد بالغيت إشفافاً من المطر

(١) الزيادة من حاشية ١ .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) في ج و س و هـ « بذلك » .

(٤) في نسخة بحاشية ١ « وجانب الرء » .

ومما يُحْكِي^(١) عنه قوله ، وذَكَرَ بَشَارًا : أَمَا لِهَذَا الْأَعْمَى الْمُسْكَتِي
بِأَبِي مُعَاذٍ مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الْغَيْلَةَ خُلِقَتْ مِنْ أَخْلَاقِ الْغَالِيَةِ^(٢)
لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ مَنْ يَبْعَجُ بَطْنَهُ عَلَى مَضْجَعِهِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا سَدُوسِيًّا أَوْ عُقَيْلِيًّا .
فَقَالَ « هَذَا الْأَعْمَى » وَلَمْ يَقُلْ بَشَارًا ، وَلَا ابْنَ بُرْدٍ ، وَلَا الضَّرِيرَ .
وَقَالَ « مِنْ أَخْلَاقِ الْغَالِيَةِ » وَلَمْ يَقُلِ الْمَغِيرِيَّةَ ، وَلَا الْمَنْصُورِيَّةَ . وَقَالَ
« لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ » وَلَمْ يَقُلْ لِأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ . وَقَالَ « عَلَى مَضْجَعِهِ » وَلَمْ يَقُلْ عَلَى
فِرَاشِهِ ، وَلَا مَرَقَدِهِ . وَقَالَ « يَبْعَجُ » وَلَمْ يَقُلْ يَبْقُرُ . وَذَكَرَ « بَنِي عُقَيْلٍ »
لِأَنَّ بَشَارًا كَانَ يَتَوَالَى إِلَيْهِمْ . وَذَكَرَ « بَنِي سَدُوسٍ » لِأَنَّهُ كَانَ نَازِلًا فِيهِمْ .
وَاجْتِنَابُ الْحُرُوفِ شَدِيدٌ .

قال : وَلَمَّا سَقَطَتْ ثَنَائِيَا عَبْدِ الْمَلِكِ [بِنِ مِرْوَانَ فِي الطَّسْتِ^(٣)] قَالَ :
وَاللَّهِ لَوْلَا الْخُطْبَةُ وَالنِّسَاءُ مَا حَقَلْتُ بِهَا .

قال : وَخَطَبُ الْجُمُعِيِّ ، وَكَانَ مَنزُوعَ إِحْدَى الثَّنِيَّتَيْنِ ، وَكَانَ يَصْفِرُ
إِذَا تَكَلَّمَ ، فَأَجَادَ^(٤) الْخُطْبَةَ ، وَكَانَتْ لِتُكَاكِحِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
كَلَامًا جَيِّدًا ، إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِتَمَكُّنِ الْحُرُوفِ^(٥) وَحُسْنِ مَخْرَاجِ السِّكَلَامِ ،

(١) فِي ج و س و د و هـ « حُكِّي » .

(٢) « الْغَيْلَةُ » الْقَتْلُ غَدْرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ الْمَقْتُولُ . وَ « الْغَالِيَةُ » طَائِفَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ جَاوَزُوا الْحَدَّ
فِي حَقِّ أُمَّتِهِمْ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ هـ .

(٤) فِي ج و س و د و هـ « وَأَجَادَ » .

(٥) فِي هَذِهِ النِّسْخِ « بِتَمَكُّنِ الْحُرُوفِ » .

فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك :
صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا فَلَهُ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ
« المزيَّة » الفضيلة .

وأما قوله « وابن باب » فإنه^(١) ، عمرو بن عبيد بن باب ، وكان^(٢) مولى
بني العدوية ، من بني مالك بن حنظلة . فهذان معتزليان ، وليسا من
الخورج ، ولكن قصد إسحق بن سويد إلى أهل البدع والأهواء ،
الآراء ذكرا الراضة معهما ، فقال :

وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا أَشَارُوا بِالسَّلَامِ عَلَى السَّحَابِ
وَيُرَوَّى : * يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ *

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج .

قال [أبو العباس^(٣)] : فلما قتل على [بن أبي طالب^(٤)] أهل النهروان ،

وكان^(٥) بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ، ممن لم يخرج مع عبد الله
بن وهب ، وقوم ممن استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري ، فتجمعوا وأمروا
عليهم رجلاً من طي ، فوجه إليهم على صلوات الله عليه رجلاً ، وهم بالنخيلة ،

(١) في ج و س و د و هـ « فهو » بدل « فانه » .

(٢) فيها أيضاً « وهو » بدل « وكان » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ . وفيها « لما » بدل « فلما » .

(٤) الزيادة من ج و س و هـ .

(٥) في ج و س و د و هـ « كان » بدون الواو ، وبها طبعات مصر .

فدعاهم ورفق بهم ، فأبوا ، فعادوهم فأبوا ، فقتلوا جميعا . فخرجت طائفة منهم نحو مكة ، فوجه^(١) معاوية من يقيم للناس حجهم ، فناوشه هؤلاء الخوارج ، فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لوئى ، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجل من بني شيبه ، لئلا يفوت الناس الحج ، فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها ، فقالوا : إن علينا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة ، فلو قتلناها لعاد الأمر إلى حقه ! وقال رجل من أشجع : والله ما عمرو^(٢) دونهما ، وإنه لأصل هذا الفساد . فقال عبد الرحمن بن ملجم [المرادى لعنة الله عليه^(٣)] : أنا أقتل عليا ، فقالوا : وكيف لك به ؟ قال : أغتاله . فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي ، وهو البرك : وأنا أقتل معاوية . وقال زادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم : وأنا أقتل عمرا . فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة ، فعملوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، فخرج كل واحد منهم إلى ناحية ، فأتى ابن ملجم الكوفة ، فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيمم الرباب ، وكانت ترى رأى الخوارج ، والأحاديث تختلف ، وإنما يؤثر صحيحها ، ويروى في بعض الأحاديث^(٤) أنها قالت : لا أقنع منك إلا بصدق أسميه لك ، وهو ثلاثة آلاف درهم ،

(١) في النسخ المذكورة « وقد وجه » .

(٢) يعنى عمرو بن العاص .

(٣) الزيادة من س .

(٤) في ج و س و هـ « في بعض الحديث » .

وعبدُ وأمةٌ ، وأن تقتل عليًّا ! فقال لها : لك ما سألت ، فكيف^(١) لي به ؟
 قالت : ترؤم ذلك غيلةً ، فإن سلّمت أرحت الناس من شرِّ ، وأقمت مع
 أهلك ، وإن أصبت سرت^(٢) إلى الجنة ونعيم لا يزول ! فأنعم لها^(٣)
 [بذلك^(٤)] . وفي ذلك يقول^(٥) :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وصربُ عليٍّ بالحسامِ المصمِّمِ
 فلا مهرَ أغلى من عليٍّ وإن غلًّا ولا فتكٍ إلا دون فتكِ ابنِ ملجمِ
 [قال أبو العباس^(٦)] : وقد ذكروا أن القاصد إلى معاويةَ يزيدُ بنَ ملجمِ ،
 والقاصد إلى عمرٍ و آخرُ من بني ملجمِ ، وأن أباهم نهماه ، فلما عَصَوْهُ قال :
 استعدُّوا^(٧) للموتِ ، وأن أمهم حَضَّتْهُمْ على ذلك . والخبرُ الصحيحُ
 ما ذكرت لك أولَ مرّةٍ .

فَأَقَامَ ابْنُ مُلْجَمٍ ، فيقالُ : أن امرأته قَطَامٌ لامتهُ ، وقالت : أَلَا تَمْضِي
 لما قصّدت [له^(٨)] ؟ لَشَدَّ مَا أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ^(٩) ! قال : إني قد وَعَدْتُ صَاحِبِيَّ

(١) في س و د و هـ « وكيف » .

(٢) في ج و س و د و هـ « خرجت » .

(٣) « أنعم لها » أي : قال لها : نعم .

(٤) الزيادة من س .

(٥) قال المرصفي : « بل قاله ابن أبي مياس المرادي » .

(٦) الزيادة من ج .

(٧) في س و د و هـ « فاستعدُّوا » .

(٨) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٩) في س و د « أُحْبَبْتَ » .

وقتاً بعينه . وكان هنالك رجلٌ من أشجع ، يقال له شبيبٌ ، فوَاطَاهُ
عبدُ الرَّحْمَنِ .

وَيُرْوَى : أَنَّ الْأَشْعَمَ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَتَقَلِّدًا سَيْفًا فِي بَنِي كِنْدَةَ ،
فَقَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، أَرِنِي سَيْفَكَ ، فَأَرَاهُ [إِيَّاهُ] ^(١) ، فَرَأَى سَيْفًا حَدِيدًا ،
فَقَالَ : مَا تَقَلِّدُكَ [هَذَا] ^(٢) السَّيْفَ وَلَيْسَ بِأَوَانِ حَرْبٍ ؟ فَقَالَ : إِنِّي
أَرَدْتُ أَنْ أَنْحَرَهُ بِهِ جَزُورَ الْقَرْيَةِ ! فَرَكِبَ الْأَشْعَمُ بَغْلَتَهُ وَأَتَى عَلِيًّا
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَبَّرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ بِسَالَةِ ابْنِ مُلْجَمٍ وَقَتْلِكَ ،
فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا قَتَلَنِي بَعْدُ !!

وَيُرْوَى : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ يَخْطُبُ مَرَّةً وَيَذْكُرُ أَصْحَابَهُ ،
وَابْنُ مُلْجَمٍ تَلَقَّاهُ الْمُنْبِرِ ، فَسَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَرِيحُنَّهُمْ مِنْكَ !
فَلَمَّا انْصَرَفَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى بَيْتِهِ أُتِيَ بِهِ مُلَبِّبًا ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ،
فَقَالَ : مَا تَرِيدُونَ ؟ فَخَبَّرُوهُ بِمَا سَمِعُوا ، فَقَالَ : مَا قَتَلَنِي بَعْدُ ! فَخَلَّوْا عَنْهُ .

وَيُرْوَى : أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَتَمَثَّلُ إِذَا رَأَاهُ بَيْتَ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ
فِي قَيْسِ بْنِ مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ ، وَالْمَكْشُوحُ هُبَيْرُهُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ
لَأَنَّهُ ضُرِبَ عَلَى كَشْحِهِ :

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي
عَدِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ ^(٣)

(١) الزيادة من هـ .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) في د « أُرِيدُ حَيَاتَهُ »

فَيَنْتَقِي مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى أَكْثَرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُرَادِيُّ : إِنْ قَضِيَ شَيْءٌ مِنْكَ كَانَ ؛
فَقِيلَ لِعَلِيِّ : كَأَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفْتَ مَا يُرِيدُ بِكَ ، أَفَلَا تَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ :
كَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي ؟ !

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ^(١) إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ
وَشَيْبَةُ الْأَشْجَعِيِّ ، فَاعْتَوَرَا الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ
[عَلَى يُخْرِجُ^(٢)] مُنْمَلَسًا ، وَيُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ ، فَخَرَجَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ،
فَضْرَبَهُ شَيْبَةُ فَأَخْطَأَهُ ، وَأَصَابَ سَيْفُهُ الْبَابَ ، وَضْرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى
صُلْعَتِهِ^(٣) ، فَقَالَ عَلِيُّ : فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ أَشَأْنَكُمْ بِالرَّجُلِ . فَيُرَوَى
عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ بِالْمَسْجِدِ^(٤) مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : سَمِعْتُ كَلِمَةَ عَلِيٍّ ، وَرَأَيْتُ
بَرِيقَ السَّيْفِ . فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَخَمَلَ عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ فَأَفْرَجُوا لَهُ ، وَتَلَقَّاهُ
الْمَغِيرَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ الْحُرَيْثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِقَطِيفَةٍ ، فَرَمَى بِهَا عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَهُ
فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ، وَكَانَ الْمَغِيرَةُ أَيْدًا^(٥) ، فَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ . وَأَمَّا شَيْبَةُ
فَاتَّبَعَ السَّيْفَ مِنْهُ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ ، وَصَرَاعُهُ وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ . وَكَثُرَ

(١) فِي ج « فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً »

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « الصَّلْعَةُ » و « الصَّلْعَةُ » موضع الصلغ من الرأس ، فتح الصاد مع فتح اللام ، وضم
الصاد مع سكون اللام . وأما فتح الصاد مع سكون اللام - كما في طبقات مصر - فخطأ .

(٤) فِي ج و س و د و هـ « فِي الْمَسْجِدِ » .

(٥) « الْأَيْدِ » بفتح الهزنة وكسر الباء المشددة : القوي .

الناسُ ، فجعلوا يصيحون : عليكم صاحبَ السيفِ ، خاف الحَضْرَمِيُّ أن يُكَبِّهُوا عليه ولا يَسْمَعُوا عُذْرَهُ ، فرَمَى بالسيفِ ، وانسَلَّ شَبِيبٌ بينَ الناسِ . فدُخِلَ [ابنِ مُلْجَمٍ^(١)] على عليٍّ رضي الله عنه ، فأومرَ فيه ، فاختلفَ الناسُ في جوابه ، فقال عليٌّ : إن أُعِشَ فالأمرُ إلى^(٢) ، وإن أُصِبَ^(٣) فالأمرُ لكم ، فإن آثَرْتُمُ^(٤) أن تَقْتَضُوا فَضْرَةَ بضربةٍ ، وأن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . وقال قومٌ : بل قال : وإن أُصِبْتُ فاضربوه بضربةٍ في مَقْتَلِهِ^(٥) . فأقام عليٌّ يومين ، فسَمِعَ ابنُ مُلْجَمٍ الرَّثَّةَ من الدارِ ، فقال له مَنْ حَضَرَهُ . أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ ! إنه لا بأسَ على أميرِ المؤمنين ، فقال : أَعْلَى مَنْ تَبْكِي أُمُّ كُنُومٍ ؟ أَعْلَى ؟ أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألفِ درهمٍ ، وما زِلْتُ أَعْرِضُهُ ، فما يَعِينُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْلَحَتْ ذَلِكَ العيبَ ، ولقد أُسْقِيْتُهُ^(٦) السَّمَّ حتى لَفَظَهُ ، ولقد ضربتُهُ ضربةً لو قُسمتْ على مَنْ بالمشرقِ لَأَنْتَ عليهم . ومات عليٌّ صلواتُ الله

(١) الزيادة من ه .

(٢) في ج و س و د و ه « فالأمر لي » .

(٣) في س و د « أُصِبْتُ » .

(٤) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : أخبرني ابنُ شاذانَ عن أبي عمرو عن

ثعلبٍ قال : يقالُ : آثَرْتُ أن أفعل كذا ، أي عزمتُ ، بكسر التاء . وأخبرني

ابنُ رباحٍ عن ابنِ دُرَيْدٍ قال : يقالُ : آثَرْتُ فلانًا بكذا أو كذا ، أو ثَرَهُ إشارًا :

إذا فَضَّلْتُهُ ، فأنا مُؤَثَّرٌ ، وهو مُؤَثَّرٌ » .

(٥) في ج و س و د « وإن أُصِبَ فاقتلوه بضربةٍ في مَقْتَلِهِ » .

(٦) في س و ه « سقيتُهُ » .

ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث ، فدعابه الحسن^(١) رضى الله عنه ، فقال : إن لك عندي سرّاً ! فقال الحسنُ رضوان الله عليه : أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعهما ، فقال : أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها ! فقال الحسنُ : كلا والله ، لأضربنك ضربةً تؤدّيكَ إلى النار ، فقال : لو علمت أن هذا في يديك^(٢) ما اتخذتُ إلهاً غيرك ، فقال عبدُ الله بن جعفر : يا أبا محمد ، اذفعه إلى أشف نفسي منه . فاختلفوا في قتله ، فقال قومٌ : أحمى له ميلين وكحلّه بهما ، جعل يقول : إنك يا ابن أخي لتكحل عمك بمأموئين^(٣) مصاصين^(٤) ، وقال قومٌ : بل قطع يديه ورجليه ، وقال قومٌ : بل قطع رجليه ، وهو في ذلك يدكر الله عز وجل ، ثم عمده إلى لسانه ، فشق ذلك عليه ، فقبل له : لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك ؟ فقال : نعم ، أحببت أن لا يزال في يدك الله رطباً ، ثم قتله .

ويروى : أن علياً رضى الله عنه أتى بامرئ ملجم وقيل له : إننا قد سمعنا من هذا كلاماً فلا^(٥) نأمنُ قتله لك^(٦) ؟ فقال : ما أصنعُ به ؟ ثم قال عليٌّ رضوان الله عليه :

(١) في ج و س و د و هـ « فدعا عبد الرحمن بالحسن » .

(٢) في ج و س و د و هـ « في يدك » .

(٣) « الملول » بضم الميم وبينهما لام ساكنة ، هو الميل النوى يكتحل به ، وهو من الأوزان النادرة ، وزن « مفعول » بضم الميم . وفي بعض نسخ السكامل بفتح الميم الأولى ، وهو خطأ .

(٤) أى : حاربين .

(٥) في ج و س و د و هـ « ولا » .

(٦) في د « إياك » .

اشدُّ حَيَازِيْمَكَ لِمَوْتٍ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْمَا^(١)
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ
وَالشَّعْرُ إِنَّمَا يَصِحُّ^(٢) بَأَنْ تَحْذِفَ « اشدُّ » فَتَقُولَ :

حَيَازِيْمَكَ لِمَوْتٍ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْمَا

وَلَكِنَّ الْفَصْحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ يَزِيدُونَ مَا عَلَيْهِ الْمَعْنَى ، وَلَا يَعْتَدُونَ بِهِ فِي الْوِزْنِ ،
وَيَحْذِفُونَ مِنَ الْوِزْنِ ، عَلِمًا بِأَنَّ الْمَخَاطَبَ يَعْلَمُ مَا يَزِيدُونَهُ ، فَهُوَ إِذَا قَالَ
« حَيَازِيْمَكَ لِمَوْتٍ » فَقَدْ أَضْمَرَ « اشدُّ » فَأَظْهَرَ ، وَلَمْ يَعْتَدَ بِهِ . قَالَ :
وَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ قَالَ : فَصْحَاءُ الْعَرَبِ يُنْشِدُونَ كَثِيرًا :

لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ فَافْرَسِ حِمْرُ
وَإِنَّمَا الشَّعْرُ * لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا^(٣) *



وَأَمَّا الْحَجَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرِيْمِيُّ ، وَهُوَ الْبُرْكُ - : فَإِنَّهُ صَرَبَ مَعَاوِيَةَ
مُصَلِّيًّا فَأَصَابَ مَا كَمَّتَهُ^(٤) ، وَكَانَ مَعَاوِيَةَ عَظِيمَ الْأَوْرَاكِ ، فَقَطَعَ مِنْهُ عِرْقًا

(١) هُنَا بِحَاشِيَةٍ : مَانَصَه : « الْمُهَلَّبِيُّ : الْحَيْرُومُ : مَا شَتَمَلَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ ، وَجَمْعُهُ حَيَازِيْمٌ .
وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : اشدُّ حَيَازِيْمَكَ لِهَذَا الْأَمْرِ : وَطَنْ نَفْسَكَ عَلَيْهِ » .

(٢) فِي س « يَصْلِحُ » .

(٣) قَالَ الْمَرْصِيُّ : « هُوَ لِأَمْرِ الْقَيْسِ بَعِيرٌ مِنْ خَاطِبِهِ بَنِيْنُ فَه » .

(٤) بَفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِهَا . وَبِحَاشِيَةٍ مَانَصَه : « قَالَ الْمُهَلَّبِيُّ ، الْمَأْكُتَانِ :

الْأَحْمَتَانِ اللَّتَانِ عَلَى رُؤُوسِ الْوَرَاكِينِ ، الْوَاحِدَةُ مَا كَمَّتْ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ

مَوْكَمٌ ، وَامْرَأَةٌ مَوْكَمَةٌ ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ » .

يقال [أنه^(١)] عِرْقُ النَّسَاحِ ، فلم يُولَدَ لمعاويةَ بعد ذلك ولدٌ ، فلما أُخِذَ قال : الأمانُ والبشارةُ ، قُتِلَ على^(٢) في هذه الصَّبِيحَةِ ، فاستَوْنِي^(٣) به حتى جاء الخبرُ ، ففَقَطَعَ معاويةُ يَدَهُ ورجله ، فأقام بالبصرة ، فبلغ^(٤) زياداً أنه قد وُلِدَ له ، فقال : أيولَدُ له وأميرُ المؤمنين لا يُولَدُ له ، فقتله . هذا أحدُ الخبرين .

ويُرَوَى : أن معاويةَ قطعَ يديه ورجليه ، وأمرَ بِأَخْذِ المَقْصُورَةِ ، فقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك : ما تأويلُ المَقْصُورَةِ ؟ فقال : يخافون أن يبَهْطَهُمْ^(٥) الناسُ .

وأما زَادَوِيهِ : فإنه أُرْصِدَ لِعَمْرٍو ، واشتكى عَمْرٍو بطنه ، فلم يخرج للصلاة ، وخرج [إلى الصلاة^(٦)] خَارِجَةً^(٧) ، وهو رجلٌ من بني سَهْمِ بنِ عَمْرٍو بنِ هُصَيْنٍ ، رَهْطِ عَمْرٍو بنِ العاصي ، فضربه زَادَوِيهِ فقتله ، فلما دُخِلَ^(٨) به على عَمْرٍو فرآهم يخاطبونه بالإمرةِ قال : أَوْ مَا قَتَلْتُ عَمْرًا ؟ قيل :

(١) الزيادة من ج و د و هـ . وفي س « له » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : قوله استوني ، من الاناء ، وهو الانتظارُ والتأخيرُ ، ممدودٌ »

(٣) في ج و س و د و هـ « ثم بلغ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : يقال بَهْطَهُمُ الأَمْرُ بَهْطَهُمْ بَهْطًا : إذا غلبهم ، والأمرُ باهْطٌ ، والمفعول : مبهوظٌ » . ومعنى بالظاء المعجمة . وفي لغة قليلة بالضاد المعجمة بدل الظاء .

(٥) الزيادة من س .

(٦) هو خارجة بن حذافة بن غانم ، له صحبة ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان على شرطة مصر في إمرة عمرو بن العاص .

(٧) في س و د « فلما دخلوا به » .

لا ، إنما قتلتَ خارجةً ، فقال : أردتُ عمراً واللهُ أرادَ خارجةً (١) .



وقال أبو زبيد الطائي (٢) يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :
 إن الكرامَ على ما كان من خلُقٍ رَهْطُ امرِي خارَهُ للدينِ مُختارُ
 طَبُّ بصيرٍ بأضغانِ الرجالِ ولم يُعدَلْ بحَبْرِ رسولِ الله أخبارُ (٣)
 وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إِذْ حَانَ مَوْعِدُهَا وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَقْتُ وَمِقْدَارُ
 حَتَّى تَنْصَلَّهَا فِي مَسْجِدِ طُهُرٍ عَلَى إِمَامٍ هُدَى إِنْ مَعَشَرَ جَارُوا
 مَحَمَّتٌ لِيَدْخُلَ جَنَاتِ أَبُو حَسَنِ وَأَوْجِبَتْ بَعْدَهُ لِلْقَاتِلِ النَّارُ
 قوله « خارَهُ » إنما هو (٤) : اختاره ، وهو « فَعَلَهُ » و « اختاره »
 « افْتَعَلَهُ » كما تقول : قَدَرَ عليه واقتَدَرَ عليه .

وقوله « بصيرٌ بأضغانِ الرجالِ » ، فهي أسرارُها ومُخبَّأَتُها . قال الله تعالى : ﴿ فَيُخْفِكُمْ تَبَخُلًا وَيُخْرِجُ أَسْغَانَكُمْ ﴾ (٥) . و « الحَبْرُ » العالمُ . ويرَوَى أن علياً رضوان الله عليه مرَّ يهوديٍّ يسألُ مسلماً عن شيء من أمرِ الدين ، فقال له عليٌّ : اسألني ودع الرجلَ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حَبْرٌ ،

(١) في ج و د و هـ « وأراد الله خارجة » .

(٢) اسمه حرمة بن المنذر .

(٣) « طب بصير » بالرفع في كل النسخ على الاستئناف ، وضبطهما الشيخ المرصفي بالجر ، تبعاً لامرئٍ ، وهو وإن كان صحيحاً في العربية ، إلا أنه يخالف لرواية الكتاب .

(٤) في ج و س و د و هـ « إنما يعني » .

(٥) سورة محمدآية ٣٧ وهكذا فسر المبرد الأضغان بالأسرار ، والذي في كتب اللغة كلها أن الأضغان الأحقاد . إلا أن يريد المبرد هنا معنى مجازياً ، لأن الأضغان أسرار مخبأة في القلوب

أى : عالم . قال علي : أن تسألَ عالمًا أجدى لك ^(١)

وقوله « حَتَّى تَنْصَلَهَا » يريدُ : استخرَجَهَا .

وقوله « مُحْتَمٌ » معناه قُدِرَتْ .

قال الكُمَيْتُ :

والوصىُّ الذى أَمَالَ التَّجُوبِ يُّ به عَرَشَ أُمَّةٍ لِانْهَادِمْ

قَتَلُوا يَوْمَ ذَاكَ إِذْ قَتَلُوهُ حَكَمَا لَا كَفَايِرَ الْحِكَاَمْ

الإمامَ الزَّيْكَىَّ وَالْفَارِسَ الْمُعْلِمَ تَحْتَ الْعَجَّاجِ غَيْرَ الْكَهَامِ

رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُوَ فَقَدْ الْمُسِيمِ هُلَكَ السَّوَامِ ^(٢)

قوله « الوصىُّ » ، فهذا شىءٌ كانوا يقولونه ويكثرُونَ فيه . قال

ابن قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ :

نَحْنُ مِنْهُ النَّبِيُّ أَحْمَدُ وَالصِّدِّيقُ قُ مِنْهُ التَّقِيُّ وَالْحَكَمَاءُ ^(٣)

وعلىُّ وَجَعَفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ هُنَاكَ الْوَصِيُّ وَالشَّهَدَاءُ

وقال كثيرٌ لما حَبَسَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الزَّيْبِرِ مُحَمَّدَ بنَ الْحَنْفِيَّةِ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا

من أهله فِي سِجْنِ عَارِمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ بَلِ الْعَائِدُ الْمَحْبُوسُ فِي سِجْنِ عَارِمِ

وصىُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَفَكَأَنَّكَ أَعْنَاقُ وَقَاضِي مَغَارِمِ

(١) فِي ج و س و د و هـ « أجدى عليك » .

(٢) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ : « الْمُهَلَّبِيُّ : أَسْجَحَ الرَّجُلُ إِسْجَاحًا فَهُوَ مُسْجِحٌ : سَهْلٌ » .

(٣) فِي ج و د « النَّبِيُّ » .

أراد : ابن وصي النبي ، والعرب تُقيم المضاف إليه في هذا الباب مُقام المضاف ، كما قال الآخر :

صَبَّحْنَا مِنَ كَاظِمَةِ الْخِصِّ الْحَرْبِ يَحْمِلُنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ

يريدُ : ابنَ عباسِ رضِيَ اللهُ عنه ، وقال الفرزدقُ لسليمانِ بنِ عبدِ الملكِ :

وَرِثْتُمْ ثِيَابَ الْمَجْدِفِيِّ لَبَّوْكُمْ عن ابْنِ مَنْافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

يريد : ابْنِي عَبْدِ مَنْافٍ .

وقال أبو الأسود :

أَحِبُّ مُحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيًّا

أَحِبُّهُمْ حُبُّ اللَّهِ حَتَّى أَجَىءَ إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيًّا

هَوَى أُعْطِيَتْهُ مِنْذَ اسْتَدَارَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَعْدِلْ سَوِيًّا

[« السَّوِيُّ » و « السَّوَاءُ » الذي قد سَوَّى اللهُ خَلْقَهُ ، لا زَمَانَةَ بِهِ وَلا دَاءً .

وفي القرآن : ﴿ بَشَرًا سَوِيًّا ^(١) ﴾ . وتقول : ساويتُ ذلكَ بهذا الأمرِ ، أى :

جعلتُهُ مِثْلًا لَهُ ^(٢)] .

يقول الأزدلون بنو قشيرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ مَا تَنَسَى عَلِيًّا ^(٣)

بنو عمِّ النبيِّ وأقربوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيَّا

فإن يك حبهم رُشدًا أصبهُ وليس بمُخْطِيٍّ إن كان غيًّا

(١) سورة مريم آية ١٧

(٢) الزيادة من حاشية ١ .

(٣) في كل نسخ الكتاب « يقول » ولكن الشيخ المرصفي كتبها « تقول » بالفوقية ، وهو

مخالف لكل الأصول .

[ويروى « ولست^(١) »] وكان بنو قُشَيْرٍ عُثْمَانِيَّةً ، وكان أبو الأسودِ نازِلًا فيهم ، فكانوا يَرْمُونَهُ بالليلِ ، فإذا أصبحَ شكَا ذلك ، فشكاهم مرةً ، فقالوا [له^(٢)] : ما نحنُ نَرْمِيكَ ، ولكنَّ اللهَ يرميكَ ! فقال : كذبتُم واللهِ ، لو كان اللهُ يَرْمِينِي لما أخطأني .

[قال : وكان نقشُ خاتمِهِ :

يا غَالِي حَسْبُكَ مِنْ غَالِبٍ اِرْحَمِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ]^(٣)

وقوله « غيرَ الكَهَامِ » فالكَهَامُ : الكليلُ من الرجالِ والسيوفِ ، يقال سيفٌ كَهَامٌ . وقوله :

« رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَقَدْنَا هُوَ وَقَقْدُ الْمُسِيمِ هُلَكَ السَّوَامِ »

فالمُسِيمُ : الذي يُسِيمُ إبلَهُ أو غنمه ترعى ، وكذلك كلُّ شيءٍ من الماشيةِ ، فجعلَ الراعيَ للناسِ كصاحبِ الماشيةِ الذي يُسِيمُهَا وَيَسُوسُهَا وَيُصَلِّحُهَا ، ومتى لم يَرَجِعْ أمرُ الناسِ إلى واحدٍ فلا نظامَ لهم ، ولا اجتماعَ لأُمُورِهِمْ . قال ابنُ قيسِ الرُّقِيَّاتِ :

أيها المُشْتَهَى فَنَاءُ قُرَيْشٍ بِيَدِ اللَّهِ عُمَرُهَا . وَالْفَنَاءُ

إِنْ تَوَدَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحْيَ بَقَاءُ

لَوْ تُقِنِّي وَيُتْرِكُ النَّاسُ كَانُوا غَنَمَ الذَّنْبِ غَابَ عَنْهَا الرَّعَاءُ^(٤)

(١) الزيادة من حاشية ١ .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) الزيادة من س و د و هـ .

(٤) في ج و س و د و هـ « وَتَتْرِكُ النَّاسَ » .

وقال الحُمَيْرِيُّ يعني عليّاً رضوانُ الله عليه :

كان المُسِيْمَ ولم يكن إلامنَ لزِمَ الطريفةَ واستقامَ مُسِيْمًا
ولما سمع على صلواتُ الله عليه نداءهم « لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » قال : كلمةٌ عادلةٌ
يُرَادُ بها جَوْرٌ ، إنما يقولون لا إِمارةَ ، ولا بُدَّ من إِمارةٍ ، بَرَّةٍ أو فاجرةٍ .



ورَوَوْا أن عليّاً عليه السلامُ لما أوصى إلى الحسن في وَقْفِ أموالِهِ وأن
يَجْعَلَ فيها ثلاثةً من مَوالِيهِ وَقَفَ فيها عينَ أبي نَيْرَزَرٍ^(١) والبُغْيَبِغَةَ . وهذا^(٢)
غلطٌ ، لأن وَقْفَهُ لهُذَيْنِ^(٣) الموضَعَيْنِ لِسَنَتَيْنِ من خِلافتهِ .

[قال أبو العباس^(٤)] : حدثنا أبو محمَّدٍ محمدُ بن هِشَامٍ^(٥) في إسنادٍ ذكره
آخرُهُ أبو نَيْرَزَرٍ ، وكان أبو نَيْرَزَرٍ من أبناء بعضِ ملوكِ الأَعمَاجِمِ ، قال : وصَحَّ
عندي بعدُ أنه من وَلَدِ النَّجَاشِيِّ ، [يعني أبا نَيْرَزَرٍ^(٦)] ، فَرَغِبَ في الإسلامِ
صَغِيرًا ، فَاتَى رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ ، وكان معه في بيوتِهِ ، فلما

(١) هكذا ضبط في أكثر أصول الكتاب بفتح النون وضبط في ١ بكسرهما ، وهو الموافق
لما في الإصابة للحافظ ابن حجر (٧ : ١٩٥) . ولكنه ضبط في الكتاب في المواضع
الآتية كلها بفتح النون .

(٢) في ج و س و د « فهذا » .

(٣) في ج و س « هذين » .

(٤) الزيادة من ج و س .

(٥) « محمَّد » بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة . وأبو علم هذا كان عالماً باللغة
والعربية والشعر وأيام الناس ، وكان رافضياً . ولد سنة ١٤٨ ومات سنة ٢٤٥ وقيل
سنة ٢٤٨ .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَارَ مَعَ فَاطِمَةَ وَوَلَدِهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، قَالَ أَبُو نَيْزَرٍ ^(١) :
جَاءَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢)] وَأَنَا أَقُومُ بِالضَّيْعَتَيْنِ : عَيْنِ أَبِي
نَيْزَرَ وَالبَغْيِيغَةِ ، فَقَالَ لِي : هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ ؟ فَقُلْتُ : طَعَامٌ لَا أَرْضَاهُ
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَرَعْتُ مِنْ قَرَعِ الضَّيْعَةِ صَنَعْتُهُ بِإِهَالَةِ سَنَخَةٍ ^(٣) ، فَقَالَ : عَلِيٌّ
بِهِ ، فَقَامَ إِلَى الرَّبِيعِ ، وَهُوَ جَدْوَلٌ ، فَغَسَلَ يَدَهُ ^(٤) ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ،
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرَّبِيعِ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ بِالرَّمْلِ حَتَّى أَتَقَاهَا ، ثُمَّ ضَمَّ يَدَيْهِ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا إِلَى أُخْتِهَا ، وَشَرِبَ بِهِنَّ حُسًّا ^(٥) مِنْ مَاءِ الرَّبِيعِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا نَيْزَرَ ! إِنْ
الْأَكْفُ أَنْظَفُ الْآيَةِ ، ثُمَّ مَسَحَ نَدَى ذَلِكَ الْمَاءِ عَلَى بَطْنِهِ ، وَقَالَ : مَنْ
أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَانْحَدَرَ فِي الْعَيْنِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ،
وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَخَرَجَ وَقَدْ تَفَضَّجَ جَبِينُهُ عَرَقًا ، فَانْتَكَفَفَ الْعَرَقُ عَنْ
جَبِينِهِ ^(٦) ، ثُمَّ أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَعَادَ إِلَى الْعَيْنِ ، فَأَقْبَلَ يَضْرِبُ فِيهَا ، وَجَعَلَ يُمَهِّمُهُمْ

(١) أبو نيزر هذا ذكره الحافظ في الإصابة . وقال : « ذكره الذهبي مستدركا ، وقال :
يقال أنه من ولد النجاشي جاء وأسلم » . ثم نقل الحافظ قصته التي هنا من كتاب الكامل .
ويظهر لي أنه غير معروف عند الحديثين ، وأنه من الناس الذين يذكرون في الأخبار فقط ،
ولو كان هذا ممن أسلم في عهد النبي ماترك علماء الحديث ذكره أو الرواية عنه .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) الإهالة : ما أذيب من الشحم ، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٤) في س و د وه « يديه » .

(٥) الحسا - بضم الحاء - جمع حسوة ، بضم الحاء وبفتحة هاء ، وهي الشرية ملء انهم .

(٦) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذان ، انفضج الشيء : إذا عرض . . . لمُنْشَدَخٍ

وَتَفَضَّجَ بَدَنُ النَّاقَةِ إِذَا تَحَدَّدَ لَحْمُهَا . قال : قال ابن الأعرابي : النَّكْفُ :

الْقَطْعُ ، يُقَالُ : نَكَفَ اللَّهُ الْغَيْثَ أَي قَطَعَهُ . الْمُهْلَسِيُّ : النَّكْفُ . تَنْفِيتُكَ

الدُّمُوعُ عَنْ خَدِّكَ بِإِصْبَعِكَ » . وفي اللسان : « تفضج عرقا : أي سال » . وكذلك

« انفضج فلان بالعرق : إذا سال به » . وكله بالجيم في آخره ، ويقال أيضا بالحاء المعجمة .

فَانْثَلَّتْ كَأَنَّهَا عُنُقُ جَزُورٍ^(١)، فخرَجَ مُسْرِعًا ، فَقَالَ أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ ،
عَلَىٰ بَدْوَاتٍ وَصَحِيفَةٍ ، قَالَ : فَمَجَلَّتُ بِهِمَا إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،
هَذَا مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، تَصَدَّقَ بِالضَّيِّعَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ
بِعَيْنِ أَبِي نَيْزَرَ وَالْبُعَيْبِغَةِ ، عَلَىٰ فَقْرَاهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، لِيَتَّقِيَ اللَّهَ
بِهِمَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا تَبَاعًا وَلَا تَوْهَبًا ، حَتَّىٰ يَرِيَهُمَا اللَّهُ وَهُوَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِمَا الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ فَهَمَا طَلِقٌ^(٢) لَهُمَا ،
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمَا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ : فَرَكِبَ الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دِينَئُ ،
فَحَمَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي نَيْزَرَ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَ ، وَقَالَ :
إِنَّمَا تَصَدَّقَ بِهَا أَبِي لِيَتَّقِيَ اللَّهَ بِهَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ ، وَلَسْتُ بِأَبِيعَهَا بِشَيْءٍ .

وَتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ : أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَىٰ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَهُوَ
وَالِي الْمَدِينَةِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ أَنْ يَرُدَّ الْأَلْفَةَ ، وَيَسْأَلَ
السَّخِيمَةَ ، وَيَصِلَ الرَّحِمَ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ^(٣) كِتَابِي [هَذَا^(٤)] فَاخْطُبْ
إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ابْنَتَهُ أُمَّ كَلْثُومٍ عَلَىٰ يَزِيدَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَارْغَبْ لَهُ

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان . حدثني أبو عمر عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابي
قال : انثال الرملُ اثنيالاً : تبع بعضُه بعضًا ، مثلُ انهالٍ وانهارٍ وانهمامٍ ،
وانسكالٍ » .

(٢) طلق - بكسر الطاء ، وسكون اللام - أي : حلال .

(٣) في ج و س و د و هـ « فإذا ورد عليك » .

(٤) الزيادة من س و هـ .

في الصَّدَاقِ ، فَوَجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية^(١) ، وأعلمه بما^(٢) في ردِّ الألفة من صلاح ذاتِ البين ، واجتماعِ الدَّعوة^(٣) ، فقال عبد الله : إن خالها الحسينَ يَنْبَغُ ، وليس ممن يفتاتُ عليه بأمرٍ ، فأَنْظِرْني إلى أن يقدِّمَ ، وكانت أمُّها زينبُ بنتُ عليِّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فلما قدِّمَ الحسينُ ذَكَرَ ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ ، فقام من عنده فدخل إلى الجارية ، فقال : يا بُنيَّةُ ! إن ابنَ عمِّك القاسمَ بنَ محمدٍ بن جعفرٍ بن أبي طالبٍ أحقُّ بكِ ، ولعلك ترغبين في كثرةِ الصَّدَاقِ وقد نَحَلْتُكِ البُعَيْبِغَاتِ ، فلما حضرَ القومُ للإملاكِ^(٤) تكلمَ مروانُ بن الحَكَمِ ، فذَكَرَ معاويةَ وما قصَّده من صِلَةِ الرَّحِمِ وجمعِ الكَلِمَةِ ، فتكلمَ الحسينُ فزوَّجها من القاسمِ [بن محمدٍ]^(٥) ، فقال له مروانُ : أَعْدِرًا يا حُسَيْنُ ؟ ! فقال : أنتَ بدأتَ ، خَطَبَ أبو محمدٍ الحُسنُ بنَ عليٍّ عليه السلامُ عائشةَ بنتَ عثمانَ بنِ عَفَّانَ ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتها من عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، فقال مروانُ : ما كان ذلك ،

(١) في ج « كتاب أمير المؤمنين » .

(٢) في ج و س و د و هـ « ما » بدل « بما » .

(٣) بخاشية ا مانصه : « أخبرني أبو يعقوبَ بنُ خُرَزَّادَ قال : أخبرني ابنُ رَبَاحٍ عن ابنِ دُرَيْدٍ في كتابِ الجُمُهرَةِ قال : الدَّعوةُ ، مصدرٌ دَعَا يَدْعُو دَعْوًا ودُعَاءٌ واستجابَ اللهُ دُعَاءَهُ ودَعْوَتَهُ ، والدَّعوةُ في النَّسَبِ . قال : وأخبرني ابنُ شاذانَ عن أبي عُمَرَ عن ثَعْلَبِ قال : الدَّعوةُ بكسرِ الدَّالِ في النَّسَبِ ، والدَّعوةُ إلى

الطعامِ وغيره يفتح الدَّالِ » . وما نقل عن الجُمُهرَةِ انظره فيها (٢ : ٢٨٣) .

(٤) الإملاك عقد النكاح .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال : أُنشِدُكَ اللهَ ، أكان ذلك ؟ قال :
اللهم نعم . فلم تَرَكَ هذه الضيعةُ في يَدَيَّ^(١) بِنِي عبدِ الله بن جعفر ، من
ناحية أم كلثوم ، يتوارثونها ، حتى ملكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ ، فذُكِرَ
ذلك له ، فقال : كلاً ، هذا وَقَفُ عليِّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فانتزَعها
من أيديهم ، وعَوَّضهم عنها ، ورَدَّها إلى ما كانت عليه .



قال أبو العباس : رَجَعَ الحديثُ إلى ذكرِ الخوارجِ وأمرِ عليِّ
بن أبي طالب .

قال : [و^(٢)] [يُرَوَى : أن علياً في أوَّلِ خُرُوجِ القومِ عليه دَعَا صَعَصَةَ
بنِ صُوحَانَ العبدىَّ ، وقد كَانَ وَجْهَهُ إِلَيْهِمْ ، وزيادَ بنِ النَّضْرِ الحارثيَّ^(٣) مع
عبدِ الله بنِ العباسِ ، فقال لصعصعةَ : بأىِّ القومِ رَأَيْتَهُمْ أَشَدَّ إِطَافَةً ؟ فقال :
بيزيدَ بنِ قَيْسِ الأَرَحْبِيِّ ، فركبَ عليٌّ إِلَيْهِمْ إلى حَرُوراءَ ، فجعلَ يَتَخَلَّطُهُمْ ،
حتى صارَ إلى مَضْرَبِ يزيدَ بنِ قَيْسِ ، فصلى فيه ركعتين ، ثم خرجَ فاتسكاً
على قوسِهِ ، وأقبلَ على الناسِ ، ثم قال : هذا مَقَامُ مَنْ فَلَجَ فِيهِ فَلَجَ يَوْمَ
القيامةِ ، أُنشِدُكُمْ اللهُ^(٤) ، أَعَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ كانَ أَكْرَهَ للحكومةِ

(١) في ج و د و هـ « في أيدي » .

(٢) الزيادة من ج و س و هـ و د .

(٣) في النسخ المذكورة : « وقد كان وجه اليهم زياد بن النضر الحارثي » .

(٤) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَشَدْتُكَ اللهُ فَأَنَا أُنشِدُكَ اللهُ ، أى

ذَكَرْتُكَ اللهُ وَعَرَّفْتُكَ » .

مَنِي؟ قالوا: اللهم لا ، قال : أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتُها؟ قالوا :
 اللهم نعم ، قال : فعلامَ خالفتُموني وأنا بذرُكموني^(١)؟ قالوا : إنا أتينا ذنباً
 عظيماً ، فتُبنا إلى الله ، فتبَّ إلى الله منه واستغفره نعدُّ لك ! فقال عليٌّ :
 إني أستغفرُ اللهَ من كلِّ ذنبٍ ، فرجعوا معه ، وهم ستةُ آلافٍ . فلما
 استقرُّوا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليّاً رجَعَ عن التحكيم وراه ضلالاً ، وقالوا :
 إنما ينتظرُ أميرُ المؤمنين أن يسمنَ الكراعُ ويُجبي المالُ فينهضَ إلى
 الشامِ ، فأتى الأشعثُ بن قيسٍ عليّاً عليه السلامُ فقال : يا أميرَ المؤمنين !
 إنَّ الناسَ قد تحدّثوا أنك رأيتَ الحكومةَ ضلالاً والإقامةَ عليها كُفراً !!
 فخطبَ عليٌّ الناسَ فقال : مَنْ زَعَمَ أنَّي رجعتُ عن الحكومةِ فقد كَذَبَ ،
 ومن رآها ضلالاً فهو أضلُّ ، فخرجتِ الخوارجُ من المسجدِ ، فحكمتُ ،
 فقيلَ لعليٍّ : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ،
 فوجهَ إليهم عبدُ الله بن العباسِ ، فلما صار إليهم رَحَبوا به وأكرموه ، فرأى
 منهم جِباهاً قرحةً^(٢) لطولِ السُّجودِ ، وأيدياً كُفَفِناتِ الإبلِ^(٣) ، و^(٤) [عليهم

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : نَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبَذَهُ نَبْذًا : أُلْقَيْتُهُ ، فهو

نَبِيدٌ ومنبُودٌ ، وبه سُمِّيَ النَّبِيدُ ، لِأَنَّ التَّمَرَ كَانَ يُلْقَى فِي الْجَرِّ وَفِي غَيْرِهِ .

(٢) قرحة : أى فيها قروح أو ما يشبهها .

(٣) كففات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت ، كالمرفقين والركبتين : والمراد أنهم كانوا

يكثرون الصلاة وهم كما قال رسول الله فيهم : « يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

قُصُّهُ مُرَحَّضَةً^(١) ، وهم مُشَمَّرُونَ ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟
 فقال : جئتكم من عندِ صِهْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابنِ عمِّه ،
 وأعلمنا برَبِّه وسُنَّةِ نبيِّه ، ومن عندِ المهاجرين والأنصار ، قالوا : إنا أتينا
 عظيماً^(٢) حين حَكَمْنَا الرجالَ في دينِ الله ، فإن تابَ كما تُبْنَا ونَهَضَ لمجاهدةِ
 عدُوِّنَا رجَعْنَا ، فقال ابنُ عباسٍ : نَشَدْتُكُمْ اللهُ إِلَّا مَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ !
 أمَّا علمتُمْ أنَّ اللهَ أَمَرَ بتحكيمِ الرجالِ في أَرْزَبِ تُساوَى رُبْعِ درهمٍ تُصَادُ
 في الحَرَمِ ، وفي شِقَاقِ^(٣) رجلٍ وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نَعَمْ ، فقال :
 فَأَنشُدْكُمْ اللهُ ، هل^(٤) علمتُمْ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَمْسَكَ عن
 القتالِ للهُدَنَةِ^(٥) بينه وبين أهلِ الحُدَيْبِيَّةِ ؟ قالوا : نَعَمْ ، ولكنَّ عليًّا محمَّداً
 نفسه من إمارة المسلمين ، قال ابنُ عباسٍ : ليس ذلك بمنزلةِها عنه ، وقد
 محَّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذَ عليٌّ على الحَكَمَيْنِ
 أن لا يُجُورَا ، وإنَّ يُجُورَا فعلى أُولَى من معاوية وغيره ، قالوا : إنَّ معاويةَ

(١) بحاشية مانصه : « رَحَضْتُ الثَّوْبَ أَرَحَضُهُ رَحَضًا : إِذَا غَسَلْتَهُ ، وَثَوْبٌ

رَحِيضٌ وَمَرْحُوضٌ . وَالرَّحَاضُ : خَسْبَةٌ يُضْرَبُ بِهَا الثَّوْبُ فَيُغْسَلُ » .

(٢) في س « إنا أتينا ذنباً عظيماً » .

(٣) بحاشية مانصه : « قال ابنُ شاذان : الشَّقَاقُ : المُعَادَاةُ والمُغَالِظَةُ ، شاققتُهُ

مُشَاقَّةً وَشَقَاقًا » .

(٤) في ج و س و هـ « فهل » .

(٥) بحاشية مانصه : « ابنُ شاذان : الهُدَنَةُ : السُّكُونُ ، هَدَّنتُ الرجلَ تَهْدِينًا

وَهَادَنْتُهُ مِهَادَنَةً ، وَالْأَسْمُ الهُدَنَةُ » .

يَدْعِي مثل دَعْوَى عَلِيٍّ ، قال : فَأَيْهِمَا رَأَيْتُمُوهُ أَوْ لِي فَوَلُّوهُ ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباسٍ : [و]^(١) مَتَى جَارَ الْحَكَمَانَ فَلَا طَاعَةَ لَهُمَا وَلَا قَبُولَ لِقَوْلِهِمَا ، قال : فَاتَّبَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَانِ وَبَقِيَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَصَلَّى بِهِمْ صَلَوَاتِهِمْ ابْنُ السَّكَوَاءِ ، وقال^(٢) : مَتَى كَانَتْ حَرْبٌ فَرَيْتُسُكُمْ شَبَّتُ بْنُ رَبِيعٍ الرَّيَّاحِيُّ ، فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ يَوْمِينَ ، حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ ، قال : وَمَضَى الْقَوْمُ إِلَى النَّهْرِ وَانٍ ، وَكَانُوا أَرَادُوا الْمَضِيَّ إِلَى الْمَدَائِنِ^(٣) . [قال الأَخْفَشُ : كَذَا كَانَ يَقُولُ الْمُبْرَدُ « النَّهْرُ وَانٍ » بِكَسْرِ النُّونِ وَالرَّاءِ ، وَإِنَّمَا هُوَ « النَّهْرُ وَانٍ »^(٤) بِالْفَتْحِ ، وَأَنْشَدَ لِلطَّرِمَّاحِ :

* قَلَّ فِي شَطِّ نَهْرٍ وَانٍ اغْتِمَاضِي * [٥]

(١) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٢) في ج و د و ه « وقالوا » .

(٣) انظر رواية أخرى لناظرة لابن عباس مع الخوارج فيما مضى في هذا الجزء (ص ٨٩٢ - ٨٩٣)

(٤) كذا قال الأخفش ، وهو المشهور ، وهو الذي اقتصر عليه صاحبنا اللسان والصباح :

ولكن قال ياقوت في البلدان : « وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون » : وفي

القاموس : « بفتح النون وثالث الراء ، وبضمهما » : ففيها لغات مختلفة ، ومن حفظ

حجة على من لم يحفظ .

(٥) الزيادة من حاشية ا وكان في كلمة « اغتماضي » شيء من اللبس على مصحح النسخة الأوروبية

لخذف الألف والعين من أولها ، ووضع بدلها قطعاً ، وكانت العين غير مغممة ، ثم اشتبهت

عليه التاء والميم في الرسم فظنهما قافاً ، فكتب بعد النقط كلمة « قاضي » وبذلك طبعت في نسخ

مصر من غير بحث ، وأما الشيخ المرصفي رحمه الله فخرج بمن ذلك بالسكات ، ولخذف الكلمة

كلها ، وأشار إلى القصيدة التي منها البيت فيما مضى من شرحه ، فوجدناها فيه (٢ : ١٨٤)

(١٨٦) وهذا الشطر هو أولها .



قال أبو العباس : فن طريف أخبارهم : أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً ،
فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني ، فقالوا : احفظوا ذمة نبيكم !!
ولقيهم عبدُ الله بن خبابٍ وفي عنقه مصحفٌ ، ومعه امرأته وهي حاملٌ ،
فقالوا [له ^(١)] : إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك ! قال ^(٢) : ما أحياناً
القرآنُ فأحيوه ، وما أماته فأميئوه ، فوثبَ رجلٌ منهم على رُطبةٍ فوضعاها في
فيه ، فصاحوا به فلفظها تورعاً ، وعرضَ لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ
فقتله ، فقالوا : هذا فسادٌ في الأرض !! فقال عبدُ الله بن خبابٍ : ما على منكم
بأسٌ ، إني مُسلمٌ ، قالوا له : حدّثنا عن أيك ؟ قال : سمعتُ أبي يقولُ :
سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « تكون فتنةٌ يموتُ فيها قلبُ
الرجلِ كما يموتُ بدنه ، يمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً ، فكن عبدَ الله
المقول ، ولا تكن القاتل » . قالوا : فأتقولُ في أبي بكرٍ وعمرٍ ؟ فأثنى خيراً ،
فقالوا : فأتقولُ ^(٣) في عليٍّ [أميرِ المؤمنين ^(٤)] قبل التَّحكيمِ ، وفي عثمانٍ
سِتِّ سنينٍ ؟ فأثنى خيراً ، قالوا : فأتقولُ في الحكومةِ والتَّحكيمِ ؟ قال :
أقولُ : إنَّ عليّاً أعلمُ بكتابِ الله منكم ^(٥) ، وأشدُّ توقُّفاً على دينه ، وأنفذُ

(١) الزيادة من ج و د و ه .

(٢) في ج « ليأمرنا بقتلك ، فقال » .

(٣) في ج « فقالوا له : أتقول » .

(٤) الزيادة من س و د و ه .

(٥) في س و د و ه « أعلم بالله منكم » .

بصيرة^(١)، قالوا: إنك لست تتبّع الهدى، إنما تتبّع الرجال على أسمائها! ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر، فذبحوه، فأمذقر^(٢) دمه، أي: جرى مستطيلاً على دقة^(٣). وساموا رجلاً نصرانياً بخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بشمن! قال: ما أعجب هذا، أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا حتى نخلة^(٤)؟

(١) في س و د و هـ «أبعد بصيرة».

(٢) في ج «فأمذقر» بالباء بدل الميم.

(٣) بحاشية ١ مانصه: «ابن ساذان: قال أبو عمر عن ثعلب: المبدقر والممذقر: المختلط.

وقال: ثعلب: في حديث عبد الله بن خباب: فما أمذقر دمه، بالميم، أي: فما اختلط بالماء».

(٤) عبد الله بن خباب بن الأرت، مدني، حليف بني زهرة، كان من سادات المسلمين، وولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب. أشار الحافظ في التهذيب والإصابة إلى قصة مقتله. وأما السياق الذي ساقه البرد فلم أجده بنصه في كتب الحديث، ولكن زوى أحمد في المسند (٥: ١١٠) من طريق حميد بن هلال: «عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقه، قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجر رداءه، فقالوا: لم ترع، قال: والله لقد رعتموني، قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه؟ قال: نعم، سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول - قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القاتل - قالوا: =

ومن طريف أخبارهم : أن غيلان بن خرشة الضبي سمّر ليلة عند زياد ومعه جماعة ، فدكر أمر الخوارج ، فأنحى^(١) عليهم غيلان ، ثم انصرف بعد ليل إلى منزله ، فلقه أبو بلال مرداس بن أديّة ، فقال له : يا غيلان ! قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق ، من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بديناهم ، ما يؤمنك^(٢) أن يلقاك رجل منهم ، أحرص والله على الموت منك على الحياة ، فينفذ حضانك^(٣) برئحه ؟ فقال غيلان : لن يبلغك أتى ذكرهم بعد [هذه^(٤)] الليلة .

ومرداس تتحله جماعة من أهل الأهواء ، لِقَشْفِهِ وَبَصِيرَتِهِ ، وَصِحَّةِ

= أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : قدموه على ضفة النهر ف ضربوا عنقه ، فسأل دمه كأنه شرك نعل ، ما ابذقر ، وبقروا أم ولده عما في بطنها . ثم رواه مرة ثانية وزاد « ما ابذقر يعني : لم يتفرق » .

وهذه الرواية ذكرها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ : ٣٠٢ - ٣٠٣) ونسبها لأحمد وأبي يعلى والطبراني ، وزاد في أولها شيئا عن الطبراني ، ثم قال : « ولم أعرف الرجل الذي من عبد القيس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) رسمت في النسخ المخطوطة « فأنحى » بالألف . على الرسم القديم .

(٢) في ج و س و هـ « من يؤمنك » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابن شاذان : قال أبو عمر : الحضان : نأحيينا

الإنسان ، والجميع أحضان ، ونواحي كل شيء أحضانه . ويقال : حضنت الدجاجة البيض وغيرها : إذا جعلتها تحت حضنها » .

(٤) الزيادة من س .

عبادته ، وظهور ديانته ، وبيانه . تنتحلّه المعتزلة ، وتزعم أنه خرج منكراً
 لجور السلطان ، داعياً إلى الحق . وتحتج له بقوله لزيد حيث قال على المنبر:
 والله لا أخذن المحسن منكم بالمسيء ، والحاضر منكم بالغائب ، والصحيح بالسقيم ،
 [والمطيع بالعاصى^(١)] ، فقام إليه مرداس فقال : قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان ،
 وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ يقول :
 ﴿ وإبراهيم الذي وفى ، ألا ترز^(٢) وازرة^(٣) وزر أخرى^(٤) ، وأن ليس
 للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى^(٥) ﴾
 وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصى ، ثم خرج في عقب هذا اليوم .
 والشيخ تنتحلّه ، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه:
 [أما^(٥)] إني لست أرى رأى الخوارج ، وما أنا إلا على دين أهلك .

وهذا رأى قد استهوى جماعة من الأشراف . يروى : أن المنذر
 بن الجارود كان يرى رأى الخوارج . وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج
 بن يوسف يراه^(٦) . وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه .
 وكان عدّة من الفقهاء ينسبون إليه ، منهم عكرمة مولى ابن عباس . وكان

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) « ترز » بالرفع ، لأن « أن » هي المخففة من الثقلية . وضبطت في طبعة أوربة بالنصب ،
 وهو خطأ من المصحح ، فإنه لا توجد قراءة بذلك ، ولا في القراءات الشاذة .

(٣) بحاشية ١ ما نصه : « ابن شاذان ، الوزر الإثم » .

(٤) سورة النجم ، الآيات ٣٧ - ٤١

(٥) الزيادة من د .

(٦) بحاشية ١ ما نصه « قال الشيخ : لم يكن يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج ، وإنما كان أخاه
 من الرضاة وكنيته ، وقتل بإفريقية » .

يقالُ ذلك في مالكِ بنِ أنسٍ ، [ولعلَّ هذا يكون باطلاً^(١)] . ويروى
الزُّبَيْرِيُّونَ : أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ المَدِينِيَّ كانَ^(٢) يَذْكُرُ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ
وَالزُّبَيْرِ ، فيقولُ : وَاللَّهِ مَا اقْتَتَلُوا إِلَّا عَلَى التَّرِيدِ الْأَعْفَرِ^(٣) !
فَأَمَّا أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ الْحُكُومَةَ ، وَلَا يَرَى

(١) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٢) في ج و س و د و ه « أن مالكا كان » .

(٣) قال المصنف : التريد الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض ، يريد التريد المعتلىء
بالإدام » .

ثم إن هنا بحاشية ج مانصه : « وُجِدَ عَلَى نَسْخَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي هَذَا
الْحَلِّ مَاصُورَتُهُ ، مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مِسْمَعِ الْبَكْرِيِّ ثُمَّ الْبَصْرِيُّ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَعْظَمُ فَقَاهِمَا فِي زَمَانِهِ ، لِشَرَفِ بَيْتِهِ ، وَتَقَدُّمِهِ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ
فَنٍّ ، وَشُهْرَةِ زُهْدِهِ ، وَكَثْرَةِ تَهَجُّدِهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ مُتَهَمًا بِرَأْيِ الْخَوَارِجِ ،
وَلَمْ يُوقَفْ لِأَمْرِهِ عَلَى حَقِيقَةٍ ، اللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ . وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُبَرِّدُ فِي
السَّكَمَلِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، وَذَكَرَ عَنْهُ مَقَالَةٌ فِي حَقِّ عَلِيِّ
وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَوْهَمَ أَنَّهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيُّ
صَاحِبُ الْمَذْهَبِ . انْتَهَى مَا وَجِدَ » .

ووجد أيضاً بحاشية ف حاشية طويلة بهذا المعنى ، دافع فيها كاتبها عن الإمام مالك
بن أنس ، ومدحه مدحا عظيما . وسمى فيها الشخص الآخر « مالك بن أنس بن مالك
بن مسمع البكري ثم البصري » . وقد بحث كثيرا عن ترجمة مالك البكري هذا فلم أجده .
بل وجدت أن الحافظ ابن الجوزي ذكر في كتاب تلييح فهم أهل الأثر (ص ٣٣٢)
في باب المتفق والمفترق مانصه : « مالك بن أنس : اثنان ، أحدهما : مالك بن أنس
بن مالك الأصبحي ، إمام أهل المدينة في الفقه . والثاني : مالك بن أنس الكوفي ،
يروى عن هانيء بن حزام ، وقيل حرام ، عن عمر بن الخطاب » . ولو كان لهما ثالث
لذكره إن شاء الله . ثم إن قول أبي العباس « وروى الزبيريون أن مالك بن أنس المديني »
الخ يعين أنه يريد الإمام مالك صاحب المذهب .

رأيهم ، وكان إذا جلسَ فتمكَّن في مجلسه ذَكَرَ عُمَانَ قَتَرَ حَمَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ،
وَلَعَنَ قَتَلَتَهُ ثَلَاثًا ، وَيَقُولُ : لَوْ لَمْ نَلْعَنِهِمْ لَلْعَيْنَا ، ثُمَّ يَذْكَرُ عَلِيًّا فِيَقُولُ : لَمْ يَزَلْ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ يَتَعَرَّفُهُ النَّصْرُ^(١) ، وَيُسَاعِدُهُ الظَّفَرُ ، حَتَّى حَكَّمَ ،
فَلِمَ تُحَكِّمُ^(٢) وَالْحَقُّ مَعَكَ ؟ أَلَا تَمْضِي قُدُمًا لَا أَبَالَكَ وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ ؟ ١٩



قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جفأ ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ
على أخذِ الحقِّ والإغراء ، وربما استعملتها الجفأة من الأعرابِ عند المسئلة
والطلب ، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفةِ : انظر في أمرِ رعيتك لا أبالك !
وسَمِعَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ فِي سَنَةِ جَدِيَّةٍ^(٣) يَقُولُ :
رَبِّ الْعِبَادِ مَالَنَا وَمَالِكََا قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَا بَدَا لِكََا
* أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَالَكََا *

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مخرجٍ ، فقال : أشهدُ أنه لا أباله^(٤) ولا ولدَ
ولا صاحبةً ، وأشهدُ أن الخلقَ جميعاً عباده^(٥) . وقال رجلٌ من بني عامر
بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه :

(١) في ج و س و د و هـ « يَتَعَرَّفُ النَّصْرَ » .

(٢) في هذه النسخ « وَلِمَ تُحَكِّمُ » .

(٣) في هذه النسخ « جدبة » .

(٤) في س و د « لا أب له » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « قال الزمخشريُّ في الأساس : هذه كلمة يراد بها الحثُّ والحضُّ ،
ومن لم يدر معناها كفر من قال : ربَّ العباد . الأبيات » . وهذا الذي نقل عن
الأساس ليس فيه بهذا النص ، ولكن فيه إشارة إليه .

أَبْنِي عُقَيْلٍ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ أَيُّ وَأَيْ بَنِي كِلَابٍ أَكْرَمُ
وقال رجلٌ من طَيْيٍّ ، أنشده أبو زيد الأنصاري :

يَا قُرْطُ قُرْطَ حَيٍّ لَا أَبَالَكُمْ يَا قُرْطُ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذِرٌ
أَنْ رَوَى مِرْقَسٌ وَاصْطَفَا أَعْنَزُهُ مِنْ التَّلَاعِ الَّتِي قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ^(١)
قَلَمَ لَهُ أَهْجٌ تَمِيمًا لَا أَبَالَكُمْ فِي كَفِّ عَبْدِكُمْ عَنْ ذَاكُمْ قِصْرُ
فَإِنَّ يَدَ تَمِيمٍ ذُو سَمِعَتْ بِهِ فِيهِ تَنَمَّتْ وَأُرْسَتْ عِزُّهَا مُضْرُ

قوله « يا قُرْطُ قُرْطَ حَيٍّ » نصبُهما معاً كثر على ألسنة العرب ،
وتأويلُهما^(٢) : أنهم أرادوا « يا قُرْطَ حَيٍّ » فأقحموا « قرطاً » الثاني توكيداً ،

وكذلك لجريير :

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَالَكُمْ لَا يُلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوْءَةٍ مُعْمَرُ
ومثله لعمر بن جَلِّ :

يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبَلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَانزِلِ

فإن لم تُردِ التوكيدَ والتكريرَ لم يَحْزُ إِلَّا رَفْعُ الْأَوَّلِ « يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ »
و « يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ » كما تقول « يَا زَيْدُ أَخَا عَمْرٍو » على النعت . ومثله
الأول في التوكيد « يَا بُوْسَانَ لِلْحَرْبِ » أراد : يَا بُوْسَانَ الْحَرْبِ ، فَأَقْحَمَ اللَّامَ

(١) في ج و س و د و هـ « مرقس » بدون ضبط . وفي القاموس : « مَرَقَسٌ »

كَمَقْعَدٍ ، لَقَبُ شَاعِرِ طَائِيٍّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، أَحَدُ بَنِي مَعْنِ بْنِ عَقُوْدٍ .

(٢) في ج و د و هـ « وتأويله » .

توكيداً؛ لأنها توجب الإضافة. وعلى هذا جاء « لا أبالك » و « لا أبالزيد »
ولولا الإضافة لم تثبت الألف في الأب؛ لأنك تقول: رأيت أبك، فإذا
أفردت قلت: هذا أب صالح. وإنما كانت « لا أبالك » كما قال الشاعر:
أبالموت الذي لا بد أن ملاقٍ لا أباك تحوِّفني
وقال آخر:

وقدمت شماخ ومات مزردٌ وأى كريم لا أباك يُخدِّدُ
وقوله: « أن روى مرفش » « مرفش » رجل. و « روى » استقى لأهله،
يقال: فلان رآوية أهله: إذا كان يستقى لأهله، والتي على البعير والحمار
مزادة^(١)، فإذا^(٢) كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهي المثلثة،
وأصغر منها السطيحة، وأصغرهن الطبع.
وقوله « واصطاف أعثره » يريد: افتعلت، من الصيْف، أي:
أصاب البقل فيه.

و « التلعة »: ما ارتفع من الأرض في مستقر المسيل إذا تجافى السيل
عن متنه، وجمعه « تلَاع ».

وقوله: « ذو سمعت به » يريد: الذي، وكذلك تفعل طي، تجعل
« ذو » في معنى « الذي »، قال زيد الخيل لبني فزارة وذكر عامر بن الطفيل
فقال:

إني أرى في عامر ذو ترون

(١) في ج و س و د « المزادة ».

(٢) في ج و س و د و هـ « فان ».

وقال عارق الطائي :

فإن لم يُعَيَّرْ بعضُ ما قد فعلتم
لأنتحين للعظمِ ذو أنا عارقه^(١)

يريد : الذي .

ومن طرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتماداً لإيثار لغة قومه ،
قال الحسن بن هانيء الحكمي :

حُبُّ المدامةِ ذو سمعتَ به
لم يُبقِ في غيرِها فضلاً
وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذو عرفتِ فإن عرتكِ جهالة
وقال الحسن بن وهب الحارثي :

عللاني بذكرها عللاني
أنا ذو لم يزل يهون على الند
واسقياني أولاً فمن تسقيان^(٢)
مان إن عز جانب الندمان
ويكون العزير في ساعة الرو
ع بصدق الطعان يوم الطعان



عاد الحديث إلى ذكر الخوارج^(٣) :

قال أبو العباس : وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج ، على كثرة
خطبائهم وشعرائهم ، ونفاذ بصيرتهم ، وتوطين أنفسهم على الموت ، فمنهم

(١) في ج و ه « تُعَيَّرُ بَعْضَ » .

(٢) في ج « يُسْقِيَانِ » .

(٣) في د و ه « ثم نرجع إلى ذكر الخوارج » .

الذی طَعِنَ فَأَنْفَذَهُ الرُّمْحُ فُجِعَ يَسْمَعِي فِيهِ إِلَى قَاتِلِهِ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١) .

وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَهُمْ قَالَ : « سِيَامُ
التَّحْلِيقِ ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ مُخْدَجٌ الْيَدِ^(٢) » .
وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : « رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَمْرٌو ذُو الْخَوْ بَصِيرَةٍ ، أَوِ الْخُنْيَصِرَةِ » .
وَرَوَى^(٣) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ سَاجِدٍ ، إِلَى
أَنْ صَلَّى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَقْتُلُهُ ؟ فَخَسَرَ أَبُو بَكْرٍ عَنِ
ذِرَاعِهِ وَأَتَتْصَى السَّيْفَ وَصَمَدًا نَحْوَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : أَأَقْتُلُ رَجُلًا يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا رَجُلٌ
يَفْعَلُ ؟ فَفَعَلَ عَمْرٌو مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قَصَدَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَرَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ قَتَلَ لَسَانَ أَوْلَى
فِتْنَةٍ وَآخِرَهَا » .

وَيُرَوَّى عَنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ ذَكَرَ
المُخْدَجُ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ أَبُو مَرْيَمَ : وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مَعْنَى لَنِي

(١) سورة طه آية ٨٤

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان ، قوله عليه السلام مُخْدَجُ الْيَدِ ، أَيْ نَاقِصُهَا .

يقال : أَخْدَجَتِ النَّاقَةُ وَغَيْرُهَا : إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا نَاقِصَ الْخَلْقِ ، فَهِيَ مُخْدَجٌ ،

وَالْوَلَدُ مُخْدَجٌ » .

(٣) فِي سَوْدِ وَه « وَيُرَوَّى » .

المسجد وكان فقيراً ، وكان يحضّر طعام [أمير المؤمنين^(١)] عليّ إذا وضعه للمسلمين ، ولقد كسوته بزُنْسَا لِي ، فلما خرج القومُ إلى حروراء قلتُ : والله لأنظرنَّ إلى عسكرهم ، فجعلتُ أَنخَلَّهُمْ حتى صيرتُ إلى ابن الكوّاء وشبّث بن ربيعيّ ، ورسَلُ عليّ تُناشِدُهُمْ ، حتى وثب رجلٌ من الخوارجِ عليّ رسولِ لعلِي^(٢) ، فضرب دابّته بالسيف ، فحمل الرجلُ سرّجه وهو يقولُ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة ، فجعلتُ أنظرُ إلى كثيرهم كأنّما ينصرفون من عيدٍ ، فرأيتُ المُخَدَجَ ، وكان مِنِّي قريباً ، فقلتُ : أكنتَ مع القومِ ؟ فقال : أخذتُ سلاحِي أريدُهُم فإذا بجماعةٍ من الصبيانِ قد عَرَضُوا لِي فَأَخَذُوا سِلَاحِي وجعلوا يتلاعبون بي ! فلما كان يومُ النَّهْرِ^(٣) قال عليّ^(٤) [أمير المؤمنين] : اطلبُوا المُخَدَجَ ، فطلبوه فلم يجدوه ، حتى ساء ذلك عليّاً ، وحتى قال رجلٌ : لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم ، فقال عليّ : والله ما كذبتُ ولا كذبتُ ، فجاء رجلٌ فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنين ، فخرَّ عليٌّ ساجداً ، وكان إذا أتاه ما يُسرُّ به من الفتوحِ سَجَدَ ، وقال : لو أعلمُ شيئاً أفضلَ منه لفعلته ، ثم قال : سِماهُ أَنْ يَدَهُ كَالثَدْيِ ، عليها شعراتٌ كشاربِ السَّمُورِ ، ايتُونِي بيده المُخَدَجَةِ ، فَأَتَوْهُ بِهَا ، فنصَبَهَا .

(١) الزيادة من س و د .

(٢) في س و د « لأمر المؤمنين » .

(٣) في س و د و هـ « يوم النهروان » .

(٤) الزيادة من س و د .

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي الْجَلْدِ : أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْحَنْظَلِيِّ وَإِلَى نَظَرِهِ
وَتَوَعَّلَهُ وَتَعَمَّقَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَجِدُ^(١) لِحَمِيمِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، وَإِنَّ أَشَدَّهَا حَرًّا
لِلخَوَارِجِ ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ .

قال : وكان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بن العباس فيسأله ، فله
عنه^(٢) مسائل من القرآن وغيره ، قد رجع إليه في تفسيرها ، فقبله وانتحلها ،
ثم غلبت عليه الشقوة . ونحن ذاكرون منها صدرًا إن شاء الله .



حَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيُّ النَّسَابِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ
عِكْرَمَةَ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَعِنْدَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ ،
وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْاِحْتِجَاجَ بِاللُّغَةِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ وَاللَّيْلِ
وَمَا وَسَقَ ﴾^(٣) ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَمَا جَمَعَ ، فَقَالَ : أَتَعْرِفُ ذَلِكَ الْعَرَبُ ؟
قَالَ^(٤) ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا صَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ :

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدَنَّ سَائِقًا ؟

هذا قول ابن عباس ، وهو الحق الذي لا يقدر فيه قادح . ويعرض القول
فيحتاج المبتدئ إلى أن يزاد في التفسير .

(١) في ج و س و د و هـ « إنى أجد » .

(٢) في ج و هـ « فله عليه » وفي س و د « وله عليه » .

(٣) سورة الانشقاق آية ١٧

(٤) في ج و د و هـ « فقال » .

قوله : « حَقَائِقًا » إِنَّمَا بَنَى الْحِقَّةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا . : عَلَى « فَعِيلَةٍ » مِثْلَ « حَقِيقَةٍ » وَلِذَلِكَ جَمَعَهَا عَلَى « حَقَائِقَ » .
ويقال : « اسْتَوْسَقَ الْقَوْمُ » إِذَا اجْتَمَعُوا .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ ، وَرَوَى ذَلِكَ غَيْرُهُ ، وَسَمِعْنَاهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ : أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾^(١) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ الْجَدْوَلُ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّاهِدِ ؟ فَأَنْشَدَهُ :
سَلِمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهَا أَزُورًا إِذَا يَعِجُ فِي السَّرِيِّ هَرَهْرًا^(٢)
« السَّلْمُ » : الدَّلْوُ الَّتِي لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ دَلْوُ السَّقَائِنِ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهُ طَرَفَةُ فَقَالَ :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانَ كَأَنَّمَا أُمْرًا بِسَلْمِي دَالِجٌ مُتَشَدِّدٌ
و« الدَّالِجُ » الَّذِي يَمْشِي بِالدَّلْوِ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْحَوْضِ ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يُنْشِدُونَ :
« تَرَى الدَّالِيَّ مِنْهُ أَزُورًا » وَهَذَا خَطَأٌ لَا وَجْهَ لَهُ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ : أَنَّ نَافِعًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ ﴿ عُتْلٍ ﴾
بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ^(٣) : مَا الزَنِيمُ ؟ قَالَ : هُوَ الدَّعِيُّ الْمُلْزِقُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ
حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْإِكَارِعُ؟

(١) سورة مريم آية ٢٤

(٢) فِي ج وَ د وَ ه « مِنْهُ » بِدَلِّ « مِنْهَا » . وَ « الْأُزُورُ » : الْمَائِلُ . وَقَوْلُهُ « هَرَهْرًا » مِنْ الْهَرْمَرَةِ ، وَهِيَ حِكَايَةُ صَوْتِ الْمَاءِ الْكَثِيرِ عِنْدَ جَرِيهِ .

(٣) سورة ن وَالْقَلَمِ آيَةُ ١٣

ويزعمُ هلُ اللغةُ أنَّ اشتقاقَ ذلك من الزَّعْمَةِ التي بَحَلَقِ الشَّاةِ ، كما يقولون لمن دَخَلَ في قومٍ ليس منهم : زَعْنَفَةٌ^(٢) [الأُمُّ « زَعْنِفَةٌ » بالكسر^(١)] وللجمع « زَعَانِفُ » ، و « الزَّعْنَفَةُ » الجَنَاحُ من أجنحة السمك [قال أبو الحسن الأَخْفَشُ : كذا قال « زَعْنَفَةٌ » والناسُ كلُّهم يقولون « زَعْنِفَةٌ » بكسر الزاي وهو الوجه] .

ويُرْوَى^(٣) عن غيرِ أبي عُبيدةَ : أنه سألَه عن قوله جلَّ اسْمُهُ والتفتَّ السَّاقُ بالسَّاقِ^(٤) ؟ قال : الشَّدَّةُ بالشَّدَّةِ ، فسألَه عن الشاهدِ ؟ فأنشده :
أخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّهَا وإن شَمَرَتْ عن ساقِهَا الحَرْبُ شَمَرَا
قال أبو العباس : وقرأتُ على عُمارةَ بنِ عَقِيلِ بنِ بِلالِ بنِ جَرِيرٍ قصيدةَ جَرِيرٍ ، التي يهجو فيها آلَ المَهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ ، ويمدحُ هلالَ بنِ أَحوزَ المازِنِيَّ ، ويذكرُ الوقعةَ التي كانت لهم عليهم بالسُّنْدِ في سُلطانِ يزيدَ بنِ عبدِ المَلِكِ ، بسببِ خروجِ يزيدَ بنِ المَهَلَّبِ عليه :

أقولُ لها من ليلةٍ ليس طوُّها كطوُّ اللبالي لَيْتَ صُبْحَكَ تَوْرًا
أخافُ على نفسِ ابنِ أَحوزَ إنَّه جَلَّ حَمَمًا فوقَ الوجوهِ فأسْفَرَا

[قال الشيخُ أبو يعقوبَ : الذي رَوَيْتُ في شعرِ جَرِيرٍ :

(١) الزيادة من حاشية ١ .

(٢) « الزعنفه » بكسر الزاي والنون وفتحهما ، لغتان معروفتان ، كما ضبطها في القاموس والمعيار .

(٣) في ج و س و د و هـ « وروى » .

(٤) سورة القيامة آية ٢٩

حِذَارًا عَلَى نَفْسِ ابْنِ أَحْوَزَ إِنَّهُ جَلَا كُلَّ وَجْهِ مِنْ مَعَدِّ فَأَسْفَرًا^(١)
 وقوله « عَدِي^(٢) » يعني عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيِّ ، قَتَلَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ
 بْنِ الْمُهَلَّبِ بَوَاسِطٍ ، وَكَانَ عَامِلَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) :

جَعَلْتَنِي لِقَبْرِ الْخِيَارِ وَمَالِكٍ وَقَبْرِ عَدِيٍّ فِي الْمَقَابِرِ أَقْبَرًا^(٤)
 [وَيُرْوَى « لِلخِيَارِ وَوِاسِطٍ » الخِيَارُ : مَوْضِعٌ بَعْمَانَ ، فِيهِ قَبْرُ الْخِيَارِ بْنِ سَبْرَةَ
 الْمُجَاشِعِيِّ ، وَوِاسِطٌ : بِهَا قَبْرُ عَدِيٍّ بْنِ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيِّ^(٥)] .

وَأَطْفَاتُ نِيرَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلِهَا وَقَدْ حَاوَلُوا فَتْنَةَ أَنْ تَسْعَرَ
 [« الْمَزُونُ » عُثْمَانُ ، بِالْفَارَسِيَّةِ^(٦)] .

فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ رَايَةً يَعْرِفُونَهَا وَلَمْ يُبْقِ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ عَشْكَرًا^(٧)
 الْأَرْبُ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرًا

(١) هذه الرواية توافق رواية النفاض (٩٩٢) والأبيات من قصيدة طويلة فيها (س ٩٩١ -
 ١٠٠٣) عدد أبياتها ١٠٦ وهذا البيت الثامن منها . وأما رواية الديوان فتخالف رواية
 المبرد ورواية أبي يعقوب (س ٢٤٠ - ٢٥١) .

(٢) عدي هذا سيأتي ذكره في البيت الآتي .

(٣) الزيادة من حاشية ١ .

(٤) هكذا في نسخ الكامل « قبر » باللام والذي في الديوان والنفاض « بقبر » بالباء .

(٥) الزيادة من حاشية ١ . وقال الشيخ الرصفي : « هذه رواية منكورة ، كان الصواب إسقاطها ،
 وذلك لأمرين : أحدهما : أن أرباب المعاجم لم يذكروا أن الخيار موضع البتة . ثانيهما :
 فساد التركيب على ما روي ، لأن ظاهره يدل على أن قبر عدي ليس بواسط ، لعطفه بالواو ،
 وهو يزعم أنه بواسط ، على أنه كان اللازم أن يقول : جعلت لقبر بالخيار وواسط ،
 على ما زعم ، وهذا كله غير صواب » .

(٦) الزيادة من حاشية ١ .

(٧) في ج و س « فلم يَبْقِ مِنْهُمْ رَايَةً » .

فهذا نظير ذلك . و « المزون » عثمان . قال الكُمَيْتُ :

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا

وقال آخرُ يعني الحرب :

فَإِنْ شَمَّرْتُ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهَا حُذَيْفَ وَلَا تَسَامُ^(١)

[تقولُ : « وَيَهَا لَزِيدٍ » : إِذَا زَجَرْتَهُ عَنِ الشَّيْءِ فَأَغْرَيْتَهُ بِهِ . و « وَهَا لَهُ » :

إِذَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ . و « حُذَيْفَ » يَرِيدُ حُذَيْفَةَ ، فَرَخِمَ^(٢)] .

وَيُرْوَى^(٣) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ : أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ سَأَلَ

ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، مَعَ مَا خَوَّلَهُ اللَّهُ

وَأَعْطَاهُ ، كَيْفَ غُنِيَ بِالْمُهْدُودِ عَلَى قَلْبَتِهِ وَصُؤُولَتِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّهُ

اِحْتَجَّ إِلَى الْمَاءِ ، وَالْمُهْدُودُ قَنَاءُ^(٤) ، الْأَرْضُ لَهُ كَالزُّجَاجَةِ ، يَرَى بَاطِنَهَا مِنْ

ظَاهِرِهَا ، فَسَأَلَ عَنْهُ لِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ الْأَزْرَقِ : قِفْ يَا وَقَّافُ ! كَيْفَ يُبْصِرُ

(١) قال المرصفي : هذا غلط ، وإنما الرواية :

* فَوَيْهَا رَبِيعَ وَلَا تَسَامُ *

برفع تسام . ثم ذكر أبياتا منها البيت بهذه الرواية ، ونسبها لقيس بن زهير بن جذيمة

العبيسي . ولعل رواية المبرد من أبيات غير ماروي المرصفي .

(٢) الزيادة من حاشية ١ .

(٣) في ج و س و د و هـ « ورموى » .

(٤) بحاشية ١ مانصه : « قَالَ الْخَلِيلُ : يَقَالُ : رَجُلٌ قَنَاءٌ وَمُقَنَّ : صَاحِبٌ قَنَاءٌ .

قَالَ : وَالْقَنَاءُ كَطَلِيمَةٍ تُحْفَرُ تَحْتَ الْأَرْضِ لِجَرَى مَاءِ الْأَنْبَاطِ » .

ماتحت الأرضِ والفتحُ يُعْطَى له بمقدارِ إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُهُ حتى يقعَ فيه؟ فقال ابنُ عباسٍ: ويحك يا ابنَ الأزرقِ! أما علمتَ أنه إذا جاء القَدْرُ عَشِيًّا^(١) البصرُ؟!

ومما سأله عنه **﴿الم﴾** . ذَلِكَ الْكِتَابُ^(٢) فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ . هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهداً عن ابنِ عباسٍ ، وأنا أحسبُه أنه لم يقبله إلا بشاهِدٍ ، وتقديرُه عند النحويين إذا قال « ذلك الكتابُ » : أنهم قد كانوا وعدوا كتاباً ، هكذا التفسيرُ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به^(٣) ﴾ يعني بذلك اليهودَ ، وقال : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم^(٤) ﴾ ، فمعناه : هذا الكتابُ الذي كنتم تتوقعونه . وبيتُ خُفَافِ بنِ نَدْبَةَ^(٥) على ذلك يصحُّ معناه . وكان من خبره : أنه غزا مع معاوية بن عمرو وأخى خنساءً ، مرةً وفزارةً ، فعمدَ ابناً حرملةَ دُرَيْدٍ وهاشمَ المُرِّيَّانِ عمداً معاويةً ، فاستطردَّ له أحدهما ، فحملَ عليه معاويةً ، فطعنه ، وحملَ الآخرُ على معاويةَ فطعنه مُتَمَكِّناً ، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ^(٦) ، فلما تناذوا قتلَ معاويةَ .

(١) في ج « عَشِيًّا » . وفي س « عَمِيًّا » .

(٢) أول سورة البقرة

(٣) سورة البقرة آية ٨٩

(٤) سورة البقرة آية ١٤٦ وسورة الأنعام آية ٢٠

(٥) هكذا ضبط هنا في أكثر النسخ بفتح النون والذال معاً . وفي ج و ه بفتح النون

وسكون الذال ، وفي د بضم النون وسكون الذال . وخُفَافِ هذا صحابي ، وهو أحد

أغربة العرب ، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة . وانظر الشعراء لابن قتيبة (ص ١٩٦ -

١٩٧) وشرحنا على كتاب الرسالة للشافعي في الفقرة (١٠٦) .

(٦) صميم الخيل ، أي عميد الفرسان الذي يعتمدون عليه .

قال خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ، وهى أمُّه، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، [وهو^(١)] أحدُ بنى سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ رِمْتِ^(٢) حَتَّى أَثَارَ بِهِ، فَحَمَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ حَمَارٍ، وَهُوَ سَيِّدُ بَنِي شَمِيخِ بْنِ فَزَارَةَ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ:

إِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مَالِكًا^(٣)
وَقَفْتُ لَهُ عَلْوَى وَقَدْ خَامَ صُحْبَتِي لِابْنِي مَجْدًا أَوْ لِأَثَارِ هَالِكًا^(٤)
أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ: تَأْمَلْ خُفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ^(٥)

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعت به . هذا تأويلُ هذا . وقوله « يَأْطِرُ مَتْنَهُ » أى يَدْنِي . يقال أَطَرْتُ القوسَ أَطْرُهَا أَطْرًا، وهى مَاطُورَةٌ . و« عَلْوَى » فَرَسُهُ . ومما سأله^(٦) عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾^(٧) فقال

- (١) الزيادة من ج و س و د و ه .
(٢) أى : برحت . من قولهم « رام من مكانه » أى برح .
(٣) « إن تك خيلى » قال المرصني : « بغير واو ، على الحزم ، كذا صوب إنشاده ابن برى » .
(٤) « خام » أى رجع ونكس .
(٥) بحاشية امانته « فى الرواية : يَأْطِرُ مَتْنَهُ ، بضم النون ، ومعنى يَأْطِرُ مَتْنَهُ : يَثْنِي وَيَعْطِفُ . ابنُ شاذانٍ يقول : أَطَرْتُ العودَ أَطْرُهُ أَطْرًا ، أى عطفته . وفى الحديث : حتى يَأْطِرُوهُ عَلَى الحقِّ أَطْرًا . أى : حتى يَعْطِفُوهُ . قال : وقال الخليلُ : الأَطْرُ عَوْجُكَ الشىءِ ، تَقْبِضُ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ وَتَأْطِرُهُ فَيَنَاطِرُ . أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا ، وَأَطَرْتُمَا تَأْطِرًا ، فهى مَاطُورَةٌ وَمَوْطَرَةٌ » .

(٦) فى س و د و ه « سأل » .

(٧) سورة فصلت آية ٨ وسورة الانشقاق آية ٢٥

ابن عباس : غيرُ مقطوع ، فقال : هل تعرفُ ذلك العربُ ؟ فقال : قد عرفته
أخو بني يشكر ، حيثُ يقولُ :

وترى خلفهن من سرعة الرِّج مع مَنِينًا كأنه أهْبَاءُ^(١)

قال أبو العباس : « مَنِينٌ » يعنى الغُبَارُ ، وذلك أنها تُقَطَّعُهُ قِطْعًا وراءها ،
و « المَنِينُ » الضعيفُ المؤذِنُ بانقطاعِ ، أنشدنى التَّوْزِيُّ عن أبي زيد :

يارِيهَا إِن سَلِمَتْ يَمِينِي * وَسَلِمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي *
ولم تُحَنِّي عَقْدُ المَنِينِ
تريد الحبلَ الضعيفَ ، فهذا هو المعروفُ ، ويقال « مَنِينٌ » و « مَمْنُونٌ »
كقتيلٍ ومقتولٍ ، وجريحٍ ومجروحٍ ، وذَكَر التَّوْزِيُّ فى كتاب الأضدادِ
أنَّ « المَنِينِ » يكونُ القويَّ ، يجعلُه^(٢) « فَعِيلًا » من « المَنَّةِ » ، والمعروفُ
هو الأولُ .

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ : * لَهِم أَجْرُ غَيْرِ مَمْنُونٍ * لا يَمِينُ عَلَيْهِم فَيَسْكَدَرُ
عندهم .

وَيُرَوَّى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ : أَنَّ ابْنَ الأَزْرَقِ أتَى ابْنَ عَبَّاسٍ [يَوْمًا^(٣)] فَجَعَلَ

(١) بحاشية ا مانصه : « فى رواية ابن شاذان :

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقْعِ مَعِ مَنِينًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ
الرَّجْعُ : رَجَعُ قَوَائِمُهَا . وَالْمَنِينُ : الغُبَارُ الضعيفُ . الإهْبَاءُ : مصدرٌ ، يقال
أَهْبَى : أى أثارَ الترابَ . وَيُرَوَّى أَهْبَاءُ ، بفتح الهمزة ، جمع هَبْوَةٍ ، وهى
الغُبَارُ . وَيَجُوزُ أَنْ قَصَرَ المَدُودَ ثُمَّ جَمَعَهُ » .

(٢) فى ج و د و هـ « جملته » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

يسأله^(١) حتى أمّله ، فجعل ابن عباس يُظهِرُ الصَّجَرَ ، وطلّع عمرُ بن عبد الله
بن أبي ربيعةَ على ابن عباس ، وهو يومئذ غلامٌ ، فسلمَ وجلسَ ، فقال له
ابن عباس : ألا تُتَشِدُّنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده^(٢) :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فُبُكْرٍ غَدَاةَ غَدِ أُمِّ رَائِحٍ فَهَجْرٍ ؟
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبْلِغِ عُدْرًا وَاقَالَةَ تُعَدِّرُ
تَهَيَّبُ إِلَى نَعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ
وَلَا قُرْبُ نَعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ وَلَا نَائِبُهَا يُسَلِّي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعْمٍ وَمِثْلُهَا نَهَى ذَا النَّهْيِ لَوْ يَرَعَوِي أَوْ يَفْكَرُ^(٣)
إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ لَهَا كَلِمًا لَاقِيَتِهِ يَتَنَمَّرُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أُمَّرَّ بِبَابِهَا مُسِرٌّ لِي الشَّحْنَاءَ وَالْبُغْضَ مُظْهِرُ^(٤)
أَلِكِنِّي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يُشَهِّرُ إِمَامِي بِهَا وَيَنْكَرُ
بِأَيَّةٍ مَا قَالَتْ غَدَاةَ لَقِيَتِهَا بَدَفَعَ أَكْنَافِ أَهَذَا الْمَشْهُرِ ؟
قِفِي فَانظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينَهُ ؟ أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُدْكَرُ ؟^(٥)

(١) في النسخ المذكورة « يسأله » .

(٢) مضت أبيات من القصيدة ، فأثبتناها كلها ، بعد جمعها من المصادر الموثوق بها ، وبيننا
الأصل والزيادة هناك ، في الجزء الثاني (ص ٦١٣ - ٦١٨) .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذان : ويروى : نُهَى ذِي النَّهْيِ . نُهَى هَاهُنَا
الغَايَةُ . أَرَادَ : غَايَةَ الْعَاقِلِ . وَالنَّهْيُ : الْعَقْلُ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ويروى : لِلْبُغْضِ مُظْهِرٌ . الْمُهَائِيُّ : الْأَجُودُ : وَالْبُغْضُ
مُظْهِرٌ » .

(٥) « يَا أَسْمَ » رسمت في ج و د « يَا أَسْمَ » .

أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ وَعَيْشِكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ؟
فَقَالَتْ: نَعَمْ، لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنَهُ سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ^(١)
لَيْسَ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا عَنْ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ
حَتَّى أُمَّهَا، وَهِيَ ثَمَانُونَ بَيْتًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَزْرَقِ: اللَّهُ أَنْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ!
أَنْضَرِبُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ^(٢)، نَسَأَلُكَ عَنِ الدِّينِ، فَتُعْرِضُ، وَيَأْتِيكَ
غَلَامٌ مِنْ قَرِيشٍ، فَيُنْشِدُكَ سَفْهًا فَتَسْمَعُهُ؟ فَقَالَ: تَأَلَّهَ مَا سَمِعْتُ سَفْهًا،
فَقَالَ ابْنُ الْأَزْرَقِ: أَمَّا أَنْشِدْكَ:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ؟
فَقَالَ: مَا هَكَذَا قَالَ، إِنَّمَا قَالَ «فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ» قَالَ:
أَوْ تَحْفَظُ الَّذِي قَالَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُهَا إِلَّا سَاعَتِي هَذِهِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ
أُرُدَّهَا لَرَدَدْتُهَا! قَالَ: فَارُدُّدْهَا؟ فَأَنْشِدْهُ إِيَّاهَا [كَلَّمَهَا]^(٣).

وَرَوَى الزُّبَيْرِيُّونَ: أَنْ نَافِعًا قَالَ لَهُ: مَا رَأَيْتُ أَرْوَى مِنْكَ قَطُّ،
فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا رَأَيْتُ أَرْوَى مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ.

(١) بحاشية ا مانصه: «ابن شاذان: يقول: يُصِيدُهُ الْحَرُّ فِي الْهَاجِرَةِ وَالْقُرُ
فِي اللَّيْلِ، فَيَغْيِرُ لَوْنَهُ وَالنَّصُّ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. الْمُهَلَّبِيُّ: نَصَّصْتُ
الْبَعِيرَ فِي السَّيْرِ أَنْصَهُ نَصًّا: إِذَا رَعَّتَهُ».

(٢) في ج «آباط الإبل».

(٣) الزيادة من س و هـ.

وقوله « فَيَضْحَى ^(١) » يقول: يَظْهَرُ لِلشَّمْسِ . و « يَخْصَرُ » يقول: في البَرْدَيْنِ ^(٢) ، فاذا ذكر العشيَّ فقد دلَّ على عَقِيبِ العشيِّ . قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ^(٣) ﴾ « وَالضَّحُّ » الشمسُ ، وليس مِنْ « ضَحِيَّتُ » يقالُ « جاء فلانٌ بِالضَّحِّ وَالرَّيْحِ » يُرَادُ بِهِ الكَثْرَةُ ^(٤) . قال عَلْقَمَةُ :

أَغْرَهُ أُبْرَزُهُ لِلضَّحِّ رَاقِبُهُ مُقَلَّدُ قُضْبِ الرِّيحَانِ مَقْعُومُ

له « فَعَمَّةٌ » أى: رَاحَةٌ طَيِّبَةٌ ^(٥) ، يعنى إِبْرِيْقًا فِيهِ شَرَابٌ . وفي الحديث: « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى تَبُوكَ جَاءَ أَبُو خَيْثَمَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ، وَقَدْ أَعَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِنْ طَيِّبِ نَمْرٍ بَسْتَانِهِ ، وَمَهَّدَتْ لَهُ فِي ظِلِّ ، فَقَالَ: أَظِلُّ مَمْدُودٌ ، وَنَمْرَةٌ طَيِّبَةٌ ، وَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ فِي الضَّحِّ وَالرَّيْحِ !؟ مَا هَذَا بِخَيْرٍ ، فَرَكِبَ نَاقَتَهُ وَمَضَى فِي أُتْرِهِ ، وَقَدْ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ تَخَلَّفُوا ، أَبُو خَيْثَمَةَ أَحَدُهُمْ ، فَجَعَلَ لَا يُبْذَرُ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا قَالَ : دَعَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا

(١) رسمت في الأصول في هذا الموضع « فيضحا » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « قال المَهَلِّيُّ: البَرْدَانِ ، العَدَاةُ والعَشِيرَةُ . قال: والأبْرَدَانِ

طَرَفَا النَّهَارِ » .

(٣) سورة طه آية ١١٩

(٤) في ج و ه « يراد بذلك الكثرة » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذَانَ : فَعَمَّتْنِي رَاحَةُ الطَّيِّبِ : أى: ملأت

أَنْفِي ، تَفَعَّمْتَنِي فَعَمًا » .

يُلْحِقُهُ بِكُمْ ، فَقِيلَ ذَاتَ يَوْمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! نَرَى رَجُلًا يَرْفَعُهُ الْآلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا خَيْشَمَةَ ، فَكَانَ هُوَ ^(١) .
وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو « الضَّحَى » مقصورٌ ، فإذا امتدَّ النهارُ
وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحو ذلك فذلك « الضَّحَاءُ » ممدودٌ مفتوحُ الأولِ .



وذكرتِ الرواةُ : أن الحجاجَ أتى بامرأةٍ من الخوارج ، وبحضرتِه
يزيدُ بن أبي مسلمٍ مولاَه ، وكان يستسرُّ برأى الخوارج ، فكلمَ الحجاجُ
المرأةَ فأعرضت عنه ، فقال لها يزيدُ بن أبي مسلمٍ : الأَمِيرُ وَيَلَكِ يَكَلُمُكَ !
فقالت : بل الوابلُ واللهِ لك يا فاسقُ الرَّدَى ^(٢) . « والرَّدَى » عند الخوارج :
هو الذي يعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتُمُه ^(٣) .

(١) أبو خَيْشَمَةَ هو الأنصاري السالمي ، سماه الواقدي « عبد الله بن خَيْشَمَةَ » وذكر أنه شهد
أحدًا وبقى إلى خلافة يزيد بن معاوية . وقصته هذه أشار إليها كعب بن مالك في حديثه الطويل
في ذكر توبته . في صحيح مسلم (٢ : ٣٢٩ - ٣٣٣) وليس فيها التفصيل الذي هنا
في شأن أبي خَيْشَمَةَ . وذكرها بنحو مما هنا ابن هشام في السيرة (ص ٨٩٧ - ٨٩٨ طبعه
أوربة ، ٤ : ١٧٤ - ١٧٦ طبعه التجارية) وسماه « مالك بن قيس » . وانظر تاريخ ابن كثير
(٥ : ٧ - ٨) .

(٢) في ج و س و ه . « أيها الفاسقُ الرَّدَى »

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : الرَّدَى : مهموزٌ . يقال : رَدَوُ الشَّيْءِ : إذا
صار رَدِيثًا ، والاسمُ الرَّدَاءَةُ والرَّدَى : من الرَّدَّةِ ، والرَّدَةُ : الرجوعُ عن
الشَّيْءِ ، ومنه : رَدَّ عن الإسلام ، والرَّدَةُ : مصدرُ الارتدادِ . في نسخةٍ :
الرَّدَى . وليس بمرويٍّ [في] هذا الخبر » .

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مروانَ أتى برجلٍ منهم فَبَحَثَهُ ، فرأى منه ما شاءَ فهمًا وعلمًا ، ثمَّ بَحَثَهُ ، فرأى ما شاءَ إِرْزَابًا ودَهِيًّا^(١) ، فرَغِبَ فيه واستدعاه^(٢) إلى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مُسْتَبْصِرًا مُحَقِّقًا ، فزاده في الاستدعاء ، فقال له: لَتُغْنِكَ الأولى عن الثانيةِ ، وقد قلتَ فسمعتُ ، فأَسْمَعُ أَقْلُ ، قال له: قُلْ ، فجعلَ يَبْسُطُ له من قولِ الخوارجِ ويزينُ له من مذهبهم بلسانٍ طَلِقٍ وألفاظٍ بَيِّنَةٍ وَمَعَانٍ قَرِيبَةٍ ، فقال عبدُ الملك بعد ذلك على معرفته : لقد كاد يُوقِعُ في خاطرِي أن الجنةَ خُلِقَتْ لهم ، وَأَنْتَ^(٣) أَوْلَى بِالْجِهَادِ منهم ، ثمَّ رَجَعْتُ إلى ما بَدَّتَ اللهُ علىَّ من الحجَّةِ وَقَرَّرَ في قلبي من الحقِّ ، فقلتُ له : اللهُ الآخرةَ والدينا ، وقد سَلَطَنِي^(٤) اللهُ في الدنيا ، وَمَكَّنَ لَنَا فيها ، وأراك لَسْتَ تَجِيبُ بالقولِ^(٥) ، واللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ إن لم تَطِيعْ ، فأنا في ذلك إذْ دُخِلَ علىَّ بابني مروانَ . قال أبو العباس : كان مروان أخا يزيدَ لِأُمِّهِ ، أُمُّهُمَا عاتِكَةُ

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّهْمِيُّ : مصدرٌ دَهَى يَدُهَى دَهْيًا وَدَهَاءً : إذا صار داهيةً . ابنُ شاذانَ : قال أبو يزيد : الإِرْبُ والإِرْبَةُ : الدَّهَاءُ والفِطْنَةُ ، رجلٌ أَرِيبٌ ، بَيْنَ الإِرْبِ والإِرْبَةِ . وقد أَرَبَ يَأْرِبُ أَرَابَةً ، وَالْمُؤَارَبَةُ : المَدَاهَاةُ والمُحَانَاةُ ، وفي الحديثِ : مُؤَارَبَةُ الأَرِيبِ جَهْلٌ وَعَنَاءٌ . لأنَّ الأَرِيبَ لا يُحَدِّثُ عن عَقْلِهِ » .

(٢) في ج و س « فاستدعاه » .

(٣) في ج و س و د و هـ « وَأَنَا »

(٤) في هذه النسخ « سلطنا » .

(٥) في س و د و هـ « بالقبول » .

بنتُ يَزِيدَ بن معاويةَ ، وكان أَيْبًا عَزِيزَ النَّفْسِ ، فَدَخَلَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ - بِأَكْيَا لَضَرْبِ الْمَوَدِّبِ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ،
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْخَارِجِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : دَعَهُ يَبْكُ (١) ؛ فَإِنَّهُ أَرْحَبُ لِشِدْقِهِ ، وَأَصْحَحُ
لِدِمَاغِهِ ، وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ ، وَأُخْرَى أَنْ لَا تَأْتِي عَلَيْهِ عَيْنُهُ إِذَا حَضَرَتْهُ طَاعَةٌ
رَبِّهِ (٢) فَاسْتَدْعَى عِبْرَتَهَا ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ مَتَعَجِبًا :
أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ وَبَعْرَضِهِ عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْغَلَ الْمُؤْمِنَ
عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ شَيْءٌ ، فَأَمَرَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِحَبْسِهِ ، وَصَفَّحَ عَنْ قَتْلِهِ ، وَقَالَ بَعْدُ
يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ : لَوْلَا أَنْ تُفْسِدَ بِالْفَاظِكِ أَكْثَرَ رِعْيَتِي مَا حَبَسْتُكَ ، ثُمَّ قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ شَكَكَنِي وَوَهَمَنِي حَتَّى مَالَتَ بِي عَضْمَةَ اللَّهِ فَعَبْرٌ بَعِيدٌ أَنْ
يَسْتَهْوَى مَنْ بَعْدِي . وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ بِمَوْضِعٍ .

وَتَرْغُمُ الرِّوَاةُ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ
مَوْصُوفًا بِقِرَاءَةِ الْكُتُبِ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَتَجِدُ نَعْتِي فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ
اللَّهِ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ فِي أُمَّةٍ لَوْضَعْتُ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ بَيْنِهِمْ !
قَالَ : فَكَيْفَ تَجِدُنِي ؟ قَالَ : أَجِدُكَ أَوَّلَ مَنْ يُحَوِّلُ الْخِلَافَةَ مُلْكًا ، وَالْخُسْنَةَ
لَيْنًا ، ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ، قَالَ مَعَاوِيَةُ : فَسَرَّيَ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ :
لَا تَقْبَلْ هَذَا مِنِّي ، وَلَكِنْ مِنْ نَفْسِكَ ، فَاخْتَبِرْ هَذَا الْخَبَرَ (٣) ! قَالَ : ثُمَّ يَكُونُ

(١) فِي س وَ ه « يَبْكِي » .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه « طَاعَةَ اللَّهِ » .

(٣) فِي ج « فَاجْتَنِبْ هَذَا الْخَبَرَ » وَ فِي س وَ د وَ ه « فَاجْتَنِبْ هَذَا الْخَبَرَ » =

ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجلٌ شرَّابٌ للخمرِ، سفَّاكٌ للدماءِ، يَحْتَجِنُ
 الأموالَ^(١)، وَيَصْطَنِعُ الرجالَ، وَيَحْنُبُ الخيولَ، وَيُبِيحُ حُرْمَةَ الرسولِ!
 قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكونُ فِتْنَةٌ تَتَشَعَّبُ بِأَقْوَامٍ حَتَّى يُفْضِيَ الأَمْرُ بِهَا
 إِلَى رَجُلٍ أَعْرَفُ نَعْتَهُ، يَبِيعُ الآخِرَةَ الدَّاعَةَ بِحِطِّهِ مِنَ الدُّنْيَا مَخْسُوسٍ،
 فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ، مِنْ آلِكَ وَلَيْسَ مِنْكَ، لَا يَزَالُ لِمَدْوَدِهِ قَاهِرًا، وَعَلَى مَنْ نَاوَأَهُ^(٢)
 ظَاهِرًا، وَيَكُونُ لَهُ قَرِينٌ مُبِينٌ^(٣) لَعِينٌ! قال: أفْتَعْرِفُهُ إِنْ رَأَيْتَهُ؟ قال:
 شَدَّ مَا، فَأَرَاهُ مَنْ بِالشَّامِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ: مَا أَرَاهُ هَهُنَا، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى
 الْمَدِينَةِ مَعَ ثِقَاتٍ مِنْ رُسُلِهِ، فَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ^(٤) يَسْمَعِي مُؤْتَرِرًا فِي يَدِهِ طَائِرٌ،
 فَقَالَ لِلرُّسُلِ: هَاهُوَذَا، ثُمَّ صَاحَ بِهِ: إِلَيَّ أَبُو مَنْ؟ قال: أَبُو الْوَلِيدِ، قال:
 يَا أَبَا الْوَلِيدِ! إِنْ بَشَّرْتُكَ بِبِشَارَةٍ تَسُرُّكَ مَا تَجْعَلُ لِي؟ قال: وَمَا مَقْدَارُهَا مِنْ
 السَّرُورِ حَتَّى نَعْلَمَ مَقْدَارَهَا مِنَ الْجَعْلِ؟ قال: أَنْ تَمْلِكَ الأَرْضَ! قال:
 مَالِي مِنْ مَالٍ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَكَ^(٥) إِنْ تَكَلَّمْتُ لَكَ جُعْلًا أَتَانَا ذَلِكَ قَبْلَ

= وبخاشية امانه: « ابنُ شاذانَ: يقال: اجْتَبَيْتُ الخِرَاجَ اجْتِبَاءً، أَيْ:

جَمَعْتُ، وَمِنْهُ قِيلَ: اجْتَبَيْتُ الرَّجُلَ لِنَفْسِي. »

(١) بخاشية امانه: « ابنُ شاذانَ: اجْتَبَيْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَخَذْتَهُ. »

(٢) بخاشية امانه: « ابنُ شاذانَ: تَقُولُ: نَاوَأْتُ الرَّجُلَ مُنَاوَأَةً: إِذَا

عَادَيْتَهُ. »

(٣) فِي ج وَ س وَ د « مُبِينٌ. »

(٤) فِي ج وَ س وَ د وَ هـ « إِذَا عَبَدَ الْمَلِكُ بِنِ مِرْوَانَ. »

(٥) فِي هَذِهِ النِّسْخِ « أَرَأَيْتَ. »

وقته؟ قال: لا، قال: فإن حَرَمْتُكَ أَتُوخَّرُهُ^(١) عن وقته؟ قال: لا، قال: فسُبُّكَ ما سمعت!! فذكروا أن معاوية كان يُكْرِمُ عبدَ الملك ليَجْعَلَهَا يَدًا عنده يُجَازِيه بها في مُخَلَّفِيهِ^(٢) في وقته^(٣).

وكان عبدُ الملك من أكثر الناس علمًا، وأبرعهم أدبًا^(٤)، وأحسنهم في شِدِيدَتِهِ دِيَانَةً، فَقَتَلَ عَمْرُو بنَ سَعِيدٍ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِهَا أَوْلَ تَسْلِيمَةٍ، وَالْمُصْحَفُ فِي حِجْرِهِ، فَأُطْبِقَهُ وَقَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْنِكَ!!

قال أبو العباس: وحدثني ابنُ عائِشَةَ عن سَمَادِ بنِ سَلَمَةَ في إِسْنَادِ ذِكْرِهِ: أَنَّ عبدَ الملك كان له صَدِيقٌ، وكان من أهل الكتاب، يقال له يوسُفُ، فَأَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ عبدُ الملك يَوْمًا، وهو في عُنْفُوَانٍ نُسِكَه، وقد مضت جِيوشُ يَزِيدَ بنِ معاويةَ مع مسلمِ بنِ عُقْبَةَ المُرِّيِّ، من مُرَّةٍ غَطَفَانَ،

(١) في س و د «أَتُوخَّرُهُ ذَلِكَ».

(٢) في ج و س و د و هـ «مُخَلَّفَتِهِ».

(٣) هذه القصة كذبها ظاهر، ولا يوجد مسلم يعتقد أن كتب الأنبياء السابقين - إن وجدت - فيها وصف تفصيلي لأفراد من هذه الأمة المحمدية، إنما بشر الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالأمّة الإسلامية. ولعل بعض أهل الكتاب كانوا يمدعون بعض العامة من المسلمين بأقوال يفترونها. أما معاوية في إيمانه وعلمه، وفي عقله ودهائه، فلا يمدع بمثل هذه المفتريات السخيفة. ومثل هذا القمص وضعه الوضاعون لمقاصد سياسية، ولا نحب أن تثير فتنة بتعيين الفرق التي وضعت مثل هذا.

(٤) بحاشية ما نصه: «ابنُ شاذان: تقول: برَعَ الرجلُ بَرَاعَةً: إذا تَمَّ في جَمَالٍ أو عِلْمٍ، فهو بارِعٌ، والاسمُ البَرَاعَةُ، والمرأةُ بارِعَةٌ».

يريدُ المدينة - : أَلَا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ اللَّهِ قاصدةً لِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فقال له يوسفُ : جيشُكَ وَاللَّهِ إلى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ جيشِهِ! فَنَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ ثَوْبَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ! قَالَ لَهُ يَوْسُفُ : مَا قُلْتُمْ شَاكًّا وَلَا مُرَّةً تَابًا ، وَإِنِّي لَأَجِدُكُمْ بِجَمِيعِ أَوْصَافِكُمْ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ يَتَدَاوُلُهَا رَهْطُكَ ، قَالَ : إلى متى ؟ قَالَ : إلى أن تَخْرُجَ الرَايَاتُ السُّودُ مِنْ خُرَّاسَانَ (١) .

قال : وَحَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ جَعْدُبَةَ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنَاهُ فِيهِ خُرُوجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ أَحْسَنِ ، قَالَ : فَفَمَّةُ ذَلِكَ ، حَتَّى امْتَنَعَ مِنَ الْغَدَاةِ فِي وَقْتِهِ ، وَطَالَ عَلَيْهِ فِكْرُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَحَدَّثْتُكَ حَدِيثًا ؟ كُنْتُ مَعَ مِرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَقَدْ قَصَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ، [قَالَ (٢)] : فَإِنَّا لَكُنَّا إِذْ نَظَرْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ السُّودِ مِنْ بُعْدٍ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْبُحْتُ الْمَجَلَّةُ ؟ قُلْتُ : هَذِهِ أَعْلَامُ الْقَوْمِ ، قَالَ : فَمَنْ تَحْتَهَا ؟ قُلْتُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : وَأَيُّهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ؟ فَقُلْتُ (٣) : الْفَتَى الْمَعْرُوقُ الطَّوِيلُ (٤) ، الْخَفِيفُ

(١) وهذه أيضاً من القصص المسكونة التي افتريت لنصر بني العباس والظعن في بني أمية ، وكذبها

واضح لا يحتاج إلى برهان .

(٢) الزيادة من ج و ه .

(٦) في ج و س و د و ه « قلت » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : رجلٌ مَعْرُوقٌ وَمَعْرُوقٌ : قليلُ اللَّحْمِ » .

العارضين، الذي رأيته في وليمة كذا يأكل فيجيد، فسألني عنه فنسبته لك، فقلت: إن هذا الفتى لتلقامة^(١)، قال: قد عرفته، والله لو ددت أن علي بن أبي طالب مكانه، قال: فقال لي المنصور: آله لسمعت هذا من مروان بن محمد؟ قلت: والله لقد سمعته منه، قال: يا غلام! هات الغداء.



قال أبو العباس: وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان^(٢)، ممن فارق عبد الله بن وهب، وممن لجأ إلى راية أبي أيوب، وممن كان أقام بالكوفة، فقال: لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا، وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم، فقام منهم^(٣) قائم يقال له المستورد، من بني سعد بن زيد مناة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل، تخفق رايته، مملينا مقاتله، مبلغا عن ربه، ناصحا لأمتيه، حتى قبضه الله خيرا مختاراً، ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه، وذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الصَّلَاةَ

(١) بحاشية ا مانصه: « قال ابن شاذان: حدثني أبو عمر عن ثعلب عن ابن

الأعرابي قال: التلقامة: الشديد الأكل ». يعني بكسر التاء وسكون اللام، ويجوز

أيضاً تشديد الغاف مع كسر اللام. وضبط في أصول الكتاب بالضبطين.

(٢) في ج و س و د و هـ « تجمعت بعد أهل النهروان ».

(٣) في النسخ المذكورة « قام بينهم ».

بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طعن^(١) على الأخرى ، لابل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام [بعده^(٢)] الفاروق ، ففرق بين الحق والباطل ، مسوياً بين الناس في إعطائه ، لا مؤثراً لأفاربه ، ولا محكماً في دين ربّه ، وها أتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣) فكل أجاب وبأبع^(٤) ، فوجه إليهم على بن أبي طالب عبد الله بن العباس داعياً ، فأبوا ، فسار إليهم ، فقال له عفيف بن قيس : يا أمير المؤمنين ! لا تخرج في هذه الساعة ؛ فإنها ساعة نحس لعدوك عليك ! فقال له على : توكلت على الله وحده ، وعصيت رآى كل متكهن ، أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟ ﴿ إِنِّي كَلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ، مَأْمِنٌ دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٥) ، ثم سار إليهم فطحنهم جميعاً ، لم يقلت منهم إلا خمسة ، منهم المستورد ، وابن جوين الطائي ، وفرزة بن شريك الأشجعي ، وهم الذين ذكرهم الحسن البصري ، فقال : دعاهم إلى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرخوا واستكبروا واستكباراً ، فسار إليهم أبو حسن فطحنهم طحنًا .

(١) في النسخ أيضاً « طعناً » . ويكون هذا شاهداً لنصب معمولي « أن » .

(٢) الزيادة من النسخ المذكورة .

(٣) سورة النساء آية ٩٥

(٤) في ج « وتابع » .

(٥) سورة هود آية ٥٦

وفيهم يقولُ عمرَانُ بْنُ حِطَّانٍ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الشَّرَاطَةُ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ عِنْدَ الْجَوْسِقِ الْحَرْبِ
وقال الحُمَيْرِيُّ يعارضُ هذا المذهبَ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الوَصِيُّ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِّينَا
وبالذِي دَانَ يَوْمَ النَّهْرِدِنتِ بِهِ وشاركتُ كَفَّهُ كَفِّي بِصِفِينَا
تلك الدَّمَاءُ مَعَا يَارَبُّ فِي عُنُقِي ومثلها فاسقني آمينَ آمينَا^(١)

وكان أصحابُ النُّخَيْلَةِ قالوا لِأَبْنِ عَبَّاسٍ : إِذْ كَانَ^(٢) عَلِيٌّ عَلَيَّ حَقٌّ لَمْ
يَشْكُكْ فِيهِ وَحَكَمَ مُضْطَرًّا فَمَا بِالْهُ حَيْثُ ظَفَرَ لَمْ يَسْبِ ؟ فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ
عَبَّاسٍ : قَدْ سَمِعْتُمْ الْجَوَابَ فِي التَّحْكِيمِ ، فَأَمَّا قَوْلُكُمْ فِي السَّبَاءِ أَفَكُنْتُمْ
سَائِينَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ ؟ ! فَوَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، وَقَالُوا : أَمْسِكْ عَنَّا
غَرْبَ لِسَانِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ! فَإِنَّهُ طَلَّقَ ذُلُقُ^(٣) ، غَوَاصٌ عَلَيَّ مَوْضِعَ الْحِجَّةِ .

(١) بحاشية ١ مانصه : « قال ابنُ ساذانَ : إِذَا دَعَا الرَّجُلُ قَلْتَ : أَمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
بقصرِ الألفِ . وَإِنْ شِئْتَ طَوَّلْتَ الألفَ فَقَلْتَ : آمِينَ . وَلَا تُشَدِّدِ الميمَ مِنْ
أَمِينَ وَالْآمِينَ ، فَإِنَّهُ خَطَأٌ » .

(٢) فِي ج و س و د و هـ « لَنْ كَانَ » .

(٣) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ ساذانَ : قَالَ أَبُو عَمَرَ : رَجُلٌ طَلَّقَ ذُلُقُ : إِذَا كَانَ
طَلِيقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللِّسَانِ . قَالَ : وَذَلِقَ السِّيفِ : حَدُّهُ ، وَيُقَالُ : لِسَانُ ذَلِيقٍ
طَلِيقٌ ، وَلِسَانُ ذَلِيقٍ طَلِيقٌ ، وَذَلِقُ طَلَّقُ ، وَالْحُرُوفُ الذَّلِيقُ : حُرُوفُ طَرَفِ
اللِّسَانِ ، يُقَالُ : رَجُلٌ طَلَّقَ ذُلُقُ ، وَطَلَّقَ ذُلُقُ : إِذَا كَانَ طَلِيقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللِّسَانِ » .

ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدية على المغيرة بن شعبه ، وهو إلى الكوفة ، فوجه إليه معقل بن قيس الرياحي ، فدعاه المستورد إلى المبارزة ، وقال له : علام يقتل الناس بني وبينك ؟ فقال له معقل : النصف^(١) سألت ، فأقسم عليه أصحابه ، فقال : ما كنت لآبي عليه ، فخرج إليه ، فاختلفا ضربتين ، فخر كل واحد منهما ميتا .

وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آداب يوصى بها ، وهي محفوظة عنه .

كان يقول : إذا أفضيت بسرّي إلى صديق فأفشاء لم أله ، لأنّي كنت أولى بحفظه .

وكان يقول : لا تُفشي إلى أحد سرا ، وإن كان مخلصا ، إلا على جهة المشاورة .

وكان يقول : كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك .

وكان يقول : أول ما يدلُّ عليه حائب الناس معرفته بالعيوب ، ولا يعيب إلا معيب .

(١) بحاشية ١ مانعه : « المهمل : النصف والنصفه والإنصاف : واحد ، والنصف شطر الشيء . وأنصفت الرجل إنصافا : أعطيته الحق ، وتناصف الحق القوم : إذا تماطوا الحق بينهم »

وكان يقول : المالُ غيرُ باقٍ عليك ، فاشترِ من الحمدِ ما يبقى عليك .

وكان يقول : بذلُ المالِ في حقِّه استدعاه للمزيدِ من الجوادِ .
وكان يُكثِرُ أن يقولَ : لو مُلِكتُ الأرضَ بحذافيرِها ثم دُعيتُ إلى أن أُستفِيدَ بها خَطِيئَةً ما فعلتُ .



قال : وخرجتِ الخوارجُ ، واتَّصلَ خُرُوجُها ، وإنما نذَرَ منهم مَنْ كان ذا خبرٍ طريفٍ ، واتَّصلتْ به حِكْمٌ من كلامٍ وأشعارٍ .
فأولُ مَنْ خرَجَ بعد قتلِ عليٍّ [بن أبي طالب]^(١) عليه السلام حَوَثرَةُ الاسديِّ ، فإنه كان مُتَنَحِّياً بالبندِ نِيحِينَ ، فكتبَ إلى حابسِ الطائيِّ يسأله أن يتولَّى أمرَ الخوارجِ حتى يسيرَ إليه بِجَمْعِهِ ، فيتعاضداً على مجاهدةِ معاويةَ ، فأجابهُ ، فرَجَعَا إلى موضعِ أصحابِ النخيلةِ ، ومعاويةُ بالكوفةِ حيثُ دخلها مع الحسنِ بنِ عليٍّ [بن أبي طالب]^(٢) صلواتُ الله عليه ، بعدَ أن بايعهُ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام ، وقيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ ، ثم خرَجَ الحسنُ يريدُ المدينةَ ، فوجَّهَ إليه معاويةُ وقد تجاوزَ في طريقه يسأله أن يكونَ المتولَّى لمحاربتهم ، فقال الحسنُ : والله لقد كففتُ عنك لحقنِ دماءِ المسلمينَ ، وما أحسبُ ذلكَ يسعني ، أفاقاتلُ عنك قوماً أنتَ واللهِ أولى

(١) الزيادة من ج .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه .

بالقتال منهم؟! فلما رجع الجواب إليه وجّه إليهم جيشاً أكثرهم من أهل الكوفة^(١)، ثم قال لأبيه أبي حوثرّة: اكنفي^(٢) أمر ابنك، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأبى فأداره، فصمم، فقال له: يا بني! أجيئك يا بنيك فملكك تراه فتجنّ إليه؟ فقال: يا أبت! أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى ابني! فرجع إلى معاوية فأخبره [الخبر]^(٣)، فقال: يا أبا حوثرّة! عتاً هذا جداً^(٤)، فلما نظر حوثرّة إلى أهل الكوفة قال: يا أعداء الله! أتمم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه، واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه!! فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز، فقال: يا أبت! لك في غيري مندوحة، ولي في غيرك عنك مذهب، ثم حمل على القوم وهو يقول:

أكرز على هذي الجموع حوثرّة فغن قليل ما تنال المغفرة

(١) في ج و د و هـ « أكثره أهل الكوفة »

(٢) في النسخ المذكورة « تقدم فاكفي » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) بحاشية ا مانصه: « قال أبو يعقوب: أخبرني أبو عمران بن رباح عن أبي بكر بن دريد قال: يقال: عتاً الرجل يعتو عتوا فهو عاتٍ: إذا أقدم على الأمر. قال: وأخبرني ابن سيف عن ابن رستم الطبري عن ابن السكيت

قال: يقال عتاً يعتو عتوا: إذا استكبر، وكذلك يعتو عتياً فهو عاتٍ، قال:

والملك الجبار عاتٍ، وجبارة عتاة » .

فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْئِ قَقْتَلَةَ ، فَرَأَى أَثَرَ السُّجُودِ قَدْ لَوَّحَ جَبْهَتَهُ ، فَجَدِمَ
عَلَى قَتْلِهِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْقَوْمُ جَمِيعًا .

وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بَظْهَرَ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذُووِ الْمُيُوبِ
إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ كَلَامِ الْمُسْتَوْرِدِ .

قَالَ رَجُلٌ لِمُسْتَوْرِدٍ : أُرِيدُ أَنْ أَرَى رَجُلًا عَيَّابًا ، قَالَ : التَّمِسْهُ بِفَضْلِ

مَعَايِبَ فِيهِ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ يَعَاتِبُ مِنْ اتِّهَمَهُ بِإِفْشَاءِ سِرِّهِ :

تَعَبَّتْ تَطَلُّبُ مَا اسْتَحِقُّ بِهِ الْمَهْجَرَ مِنْكَ وَلَا تَقْدِرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شَهْرَتِي إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ^(١)
أَمْنِي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِيَّ فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ^(٢)
وَلَوْلَمْ تَكُنْ فِي بُقْيَا عَلَيَّكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

وَيُرْوَى مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ قَالَ : قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ :
« خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْمُشَيْرَةِ .

(١) فِي ج و س و د و هـ « وَمَاذَا يَصِيرُكَ » .

(٢) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ : « رَوَايَةُ ابْنِ شَادَانَ : فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ ، بِكسْرِ السِّينِ . وَفِي

رَوَايَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمُهَلَّبِيِّ : سِتْرِهِ ، بِفَتْحِ السِّينِ » .

فَلَمَّا قَفَلْنَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 نَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ يَتَعَمَلُونَ ، فَتَعَسَّنَا ، فَغَمَمْنَا ، فَسَفَّتْ عَلَيْنَا الرِّيحُ التُّرَابَ ، فَمَا
 تَبَهَّنَا إِلَّا كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِعَلِيِّ : يَا أَبَا تَرَابٍ ! لِمَا
 عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ ، أَتَعَلَّمُ مَنْ أَشَقَى النَّاسَ ؟ فَقَالَ : خَبَّرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
 فَقَالَ : أَشَقَى النَّاسَ اثْنَانِ : أَحْمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، وَأَشَقَاها الَّذِي
 يَخْضِبُ هَذِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، مِنْ هَذَا ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ ^(١) .
 وَيُرَوَّى عَنْ عِيَاضِ بْنِ خَلِيفَةَ الْخَزَاعِيِّ قَالَ : تَلَقَّانِي [أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ] ^(٢)
 عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْغَلَسِ ، فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : عِيَاضُ بْنُ خَلِيفَةَ
 الْخَزَاعِيِّ ، فَقَالَ : ظَنَنْتُكَ أَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى
 لِحْيَتِهِ وَعَلَى قَرْنِهِ .

(١) هذا مختصر من حديث رواه أحمد في المسند (٤ : ٢٦٣) والنسائي في خصائص علي (ص ٢٨ طبعة مصر) والحاكم في المستدرک (٣ : ١٤٠ - ١٤١) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خنيم أبي يزيد عن عمار بن ياسر . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ : ١٣٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار . ورجال الجميع موثقون ، إلا أن التابعي لم يسمع من عمار » . يريد الهيثمي بذلك قول البخاري : « هذا إسناد لا يعرف سماع يزيد من محمد بن كعب ولا محمد بن كعب من ابن خنيم ، ولا ابن خنيم من عمار » . وذلك على قاعدة البخاري المرووفة . وأما مسلم وسائر علماء الحديث فانهم يكتفون في اتصال الإسناد بالمعاصرة ، كما هو معروف في علم المصطلح . ولذلك رد الحافظ ابن حجر في التهذيب (٩ : ١٤٨) على البخاري فقال : « قد ذكر البخاري أن محمد بن خنيم هذا ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، نقله عنه ابن منده ، وكذا ذكر البغوي ، فما المانع من سماعه من عمار . وعند ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن ابن إسحاق التصريح بسماع محمد بن كعب من ابن خنيم ، وسماع يزيد من محمد بن كعب ، فإن في سياقه عن يزيد بن محمد بن خنيم عن محمد بن كعب قال : حدثني أبو [يزيد] محمد بن خنيم » . فظهر بذلك صحة الحديث ، كما صححه الحاكم والذهبي .

(٢) الزيادة من ج و ه .

وَيُرْوَى : أنه كان يقولُ كثيراً - قال أبو العباس : أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه - : ما يمنعُ أشقاها أن يَحْضِبَ هذه من هذا ؟

وَيُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيفٍ أنه قال : خَرَجَ النَّاسُ يَعْلِفُونَ دَوَابَّهُمْ بِالْمَدَائِنِ ، وَأَرَادَ عَلِيٌّ [أمير المؤمنين]^(١) الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ ، فَوَجَّهَهُ مَعْقِلَ بْنِ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ لِيُرْجِعَهُمْ^(٢) إِلَيْهِ ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّ لِي فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ عَشِيَّةٍ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَأْخُذَ لِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فِي التَّرْفِيهِ عَنْ ابْنِ عَمِّي ، فَإِنَّهُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فَقَالَ : تَغْدُو عَلَيْنَا وَالْكِتَابُ مَخْتومٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَبِتُّ لَيْلَتِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ ، فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ ، وَإِذَا بِهِ فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : لَوْلَا مَا حَدَّثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ ، ثُمَّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ! إِنِّي صَلَّيْتُ مَا رَزَقَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْهُمْ ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ ، قَالَ الْحَسَنُ : ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمْتَ .

وَحُدِّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ : أَنْ عَلِيًّا لَمَّا ضُرِبَ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ اعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ثُمَّ أَفَاقَ ، فَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، فَقَالَ : أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالرَّغْبَةِ

(١) الزيادة من ج .

(٢) في ج و هـ « لِيُرْجِعَهُمْ » .

في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفًا على شيء فاتسكًا منها، انعملاً الخير،
وكوناً للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، ثم دعا محمداً فقال: أما سمعت
ما أوصيتُ به أخويك؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك به، وعليك ببرُّ
أخويك وتوقيرها ومعرفة فضلهما، ولا تقطع أمراً دونهما، ثم أقبل عليهما
فقال: أوصيكما به خيراً، فإنه شقيقكما وابن أيكما، وأتما تعلمان أن أباكما كان
يُحِبُّهُ، فأجباه. فلما قضى على كرم الله وجهه قالت أم العريان:

وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِهِ زَمَانًا نَرَى نَبِيَّ رَسُولِ اللَّهِ فِيْنَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا
أَلَا أَبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَلَا قَرَّتْ عُيُونَ الشَّامِتِينَا

ويروى: أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن
قيس بن معدى كرب، وأن حُجْرَ بن عدي سمع الأشعث يقول له:
فضحك الصَّبْحُ، فلما قالوا: قُتِلَ أمير المؤمنين قال حُجْرُ بن عدي للأشعث:
أنت قتلته يا أعور! ويروى: أن الذي سمع ذلك أخو الأشعث، عفيف بن
قيس، وأنه قال لأخيه: عن أمرِك كان هذا يا أعور!

❖

وأخبار الخوارج كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابنا [هذا^(١)] مفرداً لهم،
[و^(٢)] لكننا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب، أو شعرٌ مُستطرفٌ،
أو كلامٌ من خطبةٍ معروفةٍ مختارة.

(١) الزيادة من ج . وفي هـ « وليس هذا كتاباً » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .



خَرَجَ قُرَيْبُ بْنُ مُرَّةَ الْأَزْدِيُّ وَزَحَّافُ الطَّائِي ، وَكَانَا مُجْتَهِدَيْنِ
بِالْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ زِيَادٍ ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أُمُورِهَا ، أَيُّهُمَا كَانَ
الرَّئِيسَ ، فَاعْتَرَضَا النَّاسَ ، فَلَقِيَا شَيْخًا نَاسِكًا مِنْ بَنِي صُبَيْعَةَ بْنِ رَبِيعَةَ
بِزَارٍ ، فَاقْتَلَاهُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُوْبَةُ الضُّبَيْعِيِّ ، وَتَنَادَى النَّاسُ ، نَخْرَجُ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُطَيْبَةَ مِنَ الْأَزْدِ وَفِي يَدِهِ السِّيفُ ، فَنَادَاهُ النَّاسُ مِنْ ظُهُورِ
الْبَيْوتِ : الْحَرُورِيَّةَ الْحَرُورِيَّةَ ^(١) ! انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَنَادَوْهُ : لَسْنَا حَرُورِيَّةً ،
نَحْنُ الشَّرْطُ ، فَوَقَفَ فَاقْتَلَوْهُ ، وَبَلَغَ أَبَا بِلَالٍ خَبْرَهُمَا ، فَقَالَ : قُرَيْبٌ لَأَقْرَبُهُ
اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَزَحَّافٌ لَأَعْفَا اللَّهُ عَنْهُ ، رَكِبَاهَا عَشْوَاءَ مُظْلَمَةً ، يَرِيدُ
اعْتِرَاضَهُمَا النَّاسَ ، ثُمَّ جَعَلَا لَا يَمُرَّانِ بِقَبِيلَةٍ إِلَّا قَتَلَا مِنْ وَجَدَا ، حَتَّى مَرَّ ابْنِي
عَلِيٌّ بِبَنِي سُوْدٍ مِنَ الْأَزْدِ ، وَكَانُوا رُمَاةً ، وَكَانَ فِيهِمْ مِائَةٌ يُجِيدُونَ الرَّمِيَّ ،
فَرَمَوْهُمْ رَمِيًّا شَدِيدًا ، فَصَاحُوا : يَا بَنِي عَلِيٍّ ! الْبُقْيَا ، لَا رِمَاءَ بَيْنَنَا ، فَقَالَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَلِيٍّ :

لَأَشْيءٌ لِلْقَوْمِ سِوَى السَّهَامِ مَشْحُودَةٌ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ ^(٢)
فَعَرَّدَ عَنْهُمْ الْخَوَارِجُ ^(٣) ، وَخَافُوا الطَّلَبَ ، فَاسْتَقْبَلُوا مَقْبَرَةَ بَنِي بَشَكْرٍ ، حَتَّى

(١) كلمة « الحرورية » ذكرت في طبقات مصر مرة واحدة ، وهي ثابتة في الأصول مرتين .

(٢) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ شاذانَ : شَحَدَتُ السِّيفِ وَالسَّهْمِ ، أَشْحَذَهُ شَحْدًا :

إِذَا جَلَوْتَهُ ، فَهُوَ مَشْحُودٌ » .

(٣) بحاشية ١ مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عمرَ : تقولُ : عَرَّدَ الرَّجُلُ =

نَفَذُوا إِلَى مُزَيْنَةَ ، يَنْتَظِرُونَ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ مُضَرَ وَغَيْرِهَا ، فَجَاءَهُمْ
ثَمَانُونَ ، وَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ بَنُو طَاحِيَةَ بْنِ سُودٍ وَقِبَائِلُ مُزَيْنَةَ وَغَيْرُهَا ،
فَاسْتَقْتَلِ الْخَوَارِجَ^(١) فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، ثُمَّ غَدَا النَّاسُ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ : أَلَا
يَنْهَى كُلُّ قَوْمٍ سَفَهَاءَهُمْ ؟ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ! لَوْلَا أَنْكُمْ أَطْفَأْتُمْ هَذِهِ النَّارَ لَقَلْتُمْ
إِنَّكُمْ أَرْتُمُوهَا^(٢) ، فَكَانَتْ الْقِبَائِلُ إِذَا أَحْسَتْ بِخَارِجِيَّةٍ فِيهِمْ شَدَّتْهُمْ
[وَثَاقًا^(٣)] وَآتَتْ بِهِمْ زِيَادًا . فَكَانَ هَذَا أَحَدَ مَا يَذْكُرُ مِنْ صِحَّةِ تَدْيِيرِهِ .

وله أُخْرَى فِي الْخَوَارِجِ : أَخْرَجُوا مَعَهُمْ امْرَأَةً ، فَظَفَرَ بِهَا فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ
عَرَّاهَا . فَلَمْ تَخْرُجِ النِّسَاءُ بَعْدُ عَلَى زِيَادٍ ، وَكَانَ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْخُرُوجِ قُلْنَ :
لَوْلَا التَّعْرِيَةُ لَسَارَعْنَا .

وَلَمَّا قَتَلَ مَصْعَبُ بْنُ الرَّثْبِيِّ بِنْتَ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّةَ امْرَأَةَ
الْمُخْتَارِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ - : أَنْكَرَهُ الْخَوَارِجُ غَايَةَ الْإِنْكَارِ ،
وَرَأَوْهُ قَدِ اتَى^(٤) بِقَتْلِ النِّسَاءِ أَمْرًا عَظِيمًا ، لِأَنَّهُ اتَى مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ

= تَعْرِيدًا : إِذَا عَدَا فَرَعًا ، فَهُوَ مُعَرِّدٌ . وَبِهَذَا سُمِّيَتْ الْعَرَّادَةُ ، لِأَنَّهَا تَعْرُدُ بِالْحَجَرِ ،
أَي : تَرْمِي بِهِ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ .

(١) فِي ج و س و د و هـ « فَاسْتَقْتَلِ الْخَوَارِجِ » .

(٢) بِحَاشِيَةِ أَمَانِصِهِ : « ابْنُ شَازَانَ : قَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَرْتَتْ النَّارَ : أَوْقَدْتَهَا .

وَيُقَالُ : أَرْتَتْ بَيْنَهُمْ ، أَي : أَفْسَدَتْ »

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ ج و س و د و هـ .

(٤) فِي ج « أَنْكَرَهُ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدِ اتَى » .

صلى الله عليه وسلم في سائر نساء المشركين . ولِلْخَوَاصِّ مِنْهُنَّ أَخْبَارٌ ، فقال
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَارِ عِنْدِي قَتَلَ حَسَنَاءَ غَادَةَ عَطْبُولِ
قَتَلْتُ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ^(١)
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ^(٢)



قال : وكانت^(٣) الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين ، يقال
لإحدهما كَحَيْلَةَ ، والأخرى قَطَامِ ، فجعل أصحاب ابن عامر يُعَيِّرُونَهم

(١) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ أبو يعقوب : حدثني ابن شاذان عن أبي عمر
[عن] ثَعْلَبِ قال : يقال : امرأةٌ غَادَةٌ ، وهى الرَّحْصَةُ . الْمُهَلَّبِيُّ : جَارِيَةٌ
عَطْبُولٌ تَأْمَةُ الْخَلْقِ . وقال الْمُهَلَّبِيُّ : قَوْهُمُ : لِلَّهِ دَرُّكَ ، معناه : لِلَّهِ صَالِحٌ
عَمَلِكَ ، لِأَنَّ الدَّرَّ أَفْضَلُ مَا يُحْتَلَبُ . يقال : دَرَّ الضَّرْعُ يَدِرُّ دَرًّا وَدُرُّورًا .
وَالدَّرُّ اللَّبَنُ بَعِينُهُ . »

(٢) فى ج و س و د و هـ « وعلى الغايات » وبحاشية ج « وروى : على المحصنات »
وبحاشية ا مانصه : « قال أبو الحسين المهلبى : يقال : أَحْصَنَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُحْصَنٌ ،
وَأَحْصَنَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُحْصَنَةٌ ، وَامْرَأَةٌ حَصَانٌ ، بفتح الحاء ، أى : عَفِيفَةٌ . قال :
وهذا أحد ما جاء على أفعل فهو مُفْعَلٌ ، قالوا : أَحْصَنَ فَهُوَ مُحْصَنٌ ، وَالْفَجَّ فَهُوَ مُفَجَّجٌ :
إذا قَلَّ مَالُهُ ، وَأَسْهَبَ مِنْ لَدَغِ الْحَيَّةِ فَهُوَ مُسْهَبٌ ، وهو ذهابُ الْعَقْلِ . قال :
وليس فى كلامهم أفعل فهو مُفْعَلٌ غيرُ هذه الثلاثةِ أَحْرَفٌ . »

(٣) فى ج و س و د و هـ « وكان » .

وَيَصِيحُونَ بِهِمْ : يَا أَصْحَابَ كَحَيْلَةَ وَقَطَامِ ! يُعَرِّضُونَ لَهُمْ بِالْفَجْوَرِ ، فتناديهم
الخوارجُ بِالذَّفْعِ وَالرَّدْعِ ، ويقولُ قائلهم : لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .
وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾^(١) قال : أعيادُ المشركين . وقال ابنُ مسعودٍ :
الزُّورُ : الغِنَاءُ^(٢) قَقِيلٌ لابنِ عَبَّاسٍ : أَوْ مَا هَذَا فِي الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ ؟ فقال :
لَا ، إِنَّمَا آيَةُ شَهَادَةِ الزُّورِ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا ﴾^(٣) .



عاد الحديثُ إلى أمرِ الخوارجِ .

وكان^(٤) من المجتهداتِ من الخوارجِ ، ولو قلتَ : من المجتهدين ، وأنت

(١) سورة الفرقان آية ٧٢

(٢) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ شاذان : الزُّورُ والزُّونُ : كلُّ شَيْءٍ يُتَّخَذُ رَبًّا وَيُعْبَدُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى . وَزَوَّرْتُ الْكَلَامَ تَزْوِيرًا : إِذَا قَوَّيْتَهُ . وَبِهِ سُمِّيَ
الْكَلَامُ الزُّورُ ، لِأَنَّهُ يُزَوَّرُ ، أَيْ : يُسَوَّى ثُمَّ يُتَّكَلَّمُ بِهِ ، وَكَذَلِكَ شَهَادَةُ
الزُّورِ ، لِأَنَّهُ يُقَوِّمُهَا وَيُسَدِّدُهَا ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ فَارَسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، لِأَنَّ الزُّورَ بِالْفَارَسِيَّةِ :
الْقُوَّةُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الزُّورِ ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ » .
وانظر المغرب للجواليقي في مادتي « الزور ، و « الزون » طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ،
وما كتبنا عليه هناك (ص ١٦٥ - ١٦٦) .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٦ !

(٤) في ج و د و هـ « وكانت » .

تَعْنِي امْرَأَةً - : كَانَ أَفْصَحَ ، لَأَنَّكَ تَرِيدُ رَجَالًا وَنِسَاءً هِيَ إِحْدَاهُمَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِنِ ﴾^(١) .
 وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ الْإِعْجُوزَ أَيْ الْغَابِرِينَ ﴾^(٢) . مِنْهُمْ^(٣) الْبَلَجَاءُ^(٤) ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، مِنْ رَهْطِ سَجَّاحٍ ، الَّتِي كَانَتْ تَنْبَأُتُ ، وَسَنَدُ كُرْخَبَرِهَا فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 وَكَانَ مِرْدَاسُ بْنُ حُدَيْرٍ أَبُو بِلَالٍ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي رَيْعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ تَعَظَّمَهُ الْخَوَارِجُ ، وَكَانَ مَجْتَهِدًا كَثِيرَ الصَّوَابِ فِي لَفْظِهِ ، فَلَقِيَهُ غَيْلَانُ بْنُ خَرَّشَةَ الضَّبِّيُّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بِلَالٍ ! إِنِّي سَمِعْتُ الْأَمِيرَ الْبَارِحَةَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ يَذْكَرُ الْبَلَجَاءَ ، وَأَحْسِبُهَا سَتَوْخِذُ ، فَضَيَّ إِلَيْهَا أَبُو بِلَالٍ ، فَقَالَ لَهَا :
 إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسَّعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّقِيَّةِ . فَاسْتَتَرِي ؛ فَإِنَّ هَذَا الْمُسْرِفَ

(١) سورة التحريم آية ١٢ وقوله « بكلمات » كتب في ج « بكلمت » فإما أنها على رسم المصحف ، وإما أنها على قراءة الأفراد ، وهي قراءة مجاهد والجدري ، كما في القراءات الشاذة لابن خالويه (س ١٥٩) . وقوله « وكتبه » في ١ « وكتابه » بالأفراد ، وهي قراءة أكثر القراء ، فان قراءتها « وكتبه » بالجمع قراءة أبي عمرو وحفص ويعقوب ، وقرأ باقي الأربعة عشر بالأفراد . كما في إتحاف فضلاء البشر (س ٤١٩) .

(٢) سورة الشعراء آية ١٧١ ، وسورة الصافات آية ١٣٥

(٣) منهم يعني : من المجتهدين من الخوارج .

(١) بحاشية ما نصه : « ابنُ سَازَانَ : قَالَ أَبُو زَيْدٍ : الْأَبْلُجُ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي لَيْسَ بِمَقْرُونِ الْحَاجِبِينَ ، وَالْمَرَأَةُ بَلَجَاءُ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْبَلَجُ : ابْتِيضَاصُ مَا بَيْنَ الْحَاجِبِينَ وَتَقَاؤُهُ . رَجُلٌ أَبْلَجٌ وَامْرَأَةٌ بَلَجَاءُ ، وَالاسْمُ الْبَلَجَةُ » .

على نفسه الجبار العنيد^(١) قد ذكرك، قالت: إن يأخذني فهو أشقى^(٢) بي،
فأما أنا فما أحب أن يُعنتَ إنسانٌ بسبي، فوجهَ إليها عبيدُ الله بن زيادٍ فأَتى
بها ففَقَعَ يديها ورجليها ورَمَى بها في الشوقِ، فرَّ أبو بلالٍ والناسُ
مجتَمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البَلَجَاءُ، فَعَرَّجَ إليها^(٣) فنَظَرَ، ثمَّ عَضَّ
على لِحْيَتِهِ، وقال لنفسه: لَهَذِهِ أَطِيبُ نَفْسًا عَن بَقِيَّةِ الدُّنْيَا مِنكَ يَا مُرْدَاسُ.

ثمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ تَبَعَ الخَوَارِجَ خُبْسَهُمْ، وَحَبَسَ مُرْدَاسًا، فَرَأَى
صَاحِبَ السَّجْنِ شِدَّةَ اجْتِهَادِهِ وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَى لَكَ
مَذْهَبًا حَسَنًا، وَإِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أُولِيكَ مَعْرُوفًا، أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَرَكَتْكَ
تَنَصَّرْتُ لَيْلًا إِلَى بَيْتِكَ، أَتَدَلِّجُ^(٤) إِلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَمَكَانٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ،

(١) بحاشية ما نصه: «ابن شاذان: يقال رجلٌ عنيدٌ: إذا خالف الحقَّ، وعاندَ
الرجلُ الرجلَ معاندةً وعنادًا: إذا خالفه. والعنْدُ: مَيْلُكَ عَنِ الشَّيْءِ، عِنْدَ
عُنُودًا، وَطَرِيقٌ عَائِدٌ: مَائِلٌ، وَنَاقَةٌ عَنُودٌ، وَالْجَمْعُ عُنُودٌ وَعُنْدٌ: إِذَا تَنَكَّبَتِ
الطَّرِيقَ مِنْ نَشَاطِهَا. فَصَلُّوا بَيْنَ الْعَنِيدِ وَالْعَنُودِ».

(٢) «أشقى» كُتِبَتْ فِي الْأَصُولِ «أشقا» عَلَى الرَّسْمِ الْقَدِيمِ. وَفِي ج وَ س وَ د «أشقا به»
وَ فِي ه «أشقاله».

(٣) بحاشية ما نصه: «ابن شاذان: تقول: عَرَّجْتُ عَلَى فُلَانٍ، أَيْ: عَطَفْتُ
عَلَيْهِ، وَالْمَصْدَرُ التَّعْرِيجُ».

(٤) بحاشية ما نصه: «ابن شاذان: قَالَ أَبُو مُحَمَّرٍ: الدَّلَجُ: سَيْرُ اللَّيْلِ، وَهُوَ مَوْضِعَانِ،
يُقَالُ: ادَّلَجَ الْقَوْمُ: إِذَا سَارُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَأَدَّلَجَ الْقَوْمُ: إِذَا قَطَعُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ سَيْرًا.

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ سَيْفٍ عَنِ ابْنِ رُسْتَمٍ الطَّبْرِيِّ عَنِ ابْنِ السَّكِّيتِ =

وَلَجَّ عُيَيْدُ اللَّهِ فِي حَبْسِ الْخَوَارِجِ وَقَتْلِهِمْ ، فَكَلَّمَ فِي بَعْضِ الْخَوَارِجِ فَلَجَّ
وَأَبَى ، وَقَالَ : أَقْمَعُ النِّفَاقَ قَبْلَ أَنْ يَنْجُمَ^(١) ، لَسْكَلامٌ هُوَ لَاءٌ أُسْرِعُ إِلَى
الْقُلُوبِ مِنَ النَّارِ إِلَى الْيَرَاعِ^(٢) ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ
رَجُلًا مِنَ الشَّرَطِ ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ : مَا أَذْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِؤَلَاءِ ، كُلَّمَا أَمَرْتُ
رَجُلًا بِقَتْلِ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَتَسَكُّوا بِقَاتِلِهِ ؟ ! لَأَقْتُلَنَّ مَنْ فِي حَبْسِي مِنْهُمْ ،
فَأَخْرَجَ السَّجَّانُ مِرْدَاسًا إِلَى مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَآتَى مِرْدَاسًا الْخَبْرُ ، فَلَمَّا
كَانَ السَّحَرُ تَهَيَّأَ لِلرُّجُوعِ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ
رَجَمْتَ قُتِلْتَ ، فَقَالَ : إِنِّي مَا كُنْتُ لَأَلْقَى اللَّهَ غَادِرًا ! فَرَجَعَ إِلَى السَّجَّانِ ،
فَقَالَ : إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ ، فَقَالَ : أَعَلِمْتَ وَرَجَعْتَ ؟ !
وَيُرْوَى : أَنَّ مِرْدَاسًا مَرَّ بِعَرَابِيٍّ يَهْنَأُ بَعِيرًا^(٣) لَهُ ، فَهَرَجَ الْبَعِيرُ^(٤) ،

= قال : يقال : أَدَلَجْتُ : إِذَا سِرْتَ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَالْمَصْدَرُ الْإِدْلَاجُ وَالِدَلَجَةُ ،
وَأَدَلَجْتُ : إِذَا سِرْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، وَهِيَ الدُّلَجَةُ وَالْإِدْلَاجُ .

(١) فِي ج « أَقْمَعُ النِّفَاقَ » وَمَعْنَى « يَنْجُمُ » يَطْلُعُ وَيُظْهِرُ ، مِنْ بَابِ « قَعَدَ » وَفِي ج « يَنْجُمُ »
بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) بِحَاشِيَةِ أ مَا نَصَهُ : « الْمُهَلَّيُّ : الْيَرَاعُ : الْقَصَبُ ، الْوَاحِدَةُ يَرَاعَةٌ » .

(٣) أَى : يَطْلُبُهُ بِالْهَاءِ - بِكَسْرِ الْهَاءِ وَبِالْمَدِّ - وَهُوَ الْفَطْرَانُ . يُقَالُ « هَنَّأَ الْبَعِيرُ يَهْنُؤُهُ »

وَيَهْنُؤُهُ وَيَهْنُؤُهُ » بِفَتْحِ النُّونِ وَبِكَسْرِهَا وَبِضَمِّهَا . قَالَ الرَّجَاجُ : « لَمْ نَجِدْ فِيهَا لَامَهُ »

هَمْزَةٌ فَعَلْتُ أَفْعَلُ إِلَّا هَنَّاتُ أَهْنُو ، وَقَرَأْتُ أَقْرُو » . كَذَا فِي اللِّسَانِ .

(٤) بِحَاشِيَةِ أ مَا نَصَهُ : « الْمُهَلَّيُّ : هَرَجَ الرَّجُلُ يَهْرَجُ هَرَجًا : إِذَا أَخَذَهُ الْبُهْرُ »

مِنْ حَرٍّ أَوْ مَشْيٍ .

فسقط مرداسٌ مغشياً عليه ، فظنَّ الأعرابيُّ أنه قد صُرِعَ ، فقرأ في أُذُنِهِ ،
فلما أفاق قال له الأعرابيُّ : قرأتُ في أُذُنِكَ ، فقال له مرداسٌ : ليس بي
ما خِفْتُهُ عليَّ ، ولكنِّي رأيتُ بعيرك هَرَجَ من القَطْرانِ ، فذَكَرْتُ به
قَطْرانَ جهنمَ ، فأصابني ما رأيتَ ، فقال : لا جَرَمَ والله لا فارقْتُكَ أبداً .

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفَيْنِ مع عليِّ بنِ أبي طالبٍ صلوات الله عليه ،
وأنكر التَّحَكِيمَ ، وشهد النَّهْرَ ، ونَجَا فيمن نجا ، فلما أخرج من حبس ابنِ زيادٍ
ورأى جدَّ ابنِ زيادٍ في طلب الشَّرَاةِ عَزَمَ على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه
والله ما يَسْعُنَا المَقَامُ بين هؤلاء الظالمينَ ، تجرى علينا أحكامهم ، مُجَانِبِينَ للعدلِ ،
مفارقين للفَضْلِ^(١) ، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ ، وإن تجر يد السيفِ وإخافة
السبيلِ لعظيمٌ ، ولكنَّا ننتبِذُ عنهم^(٢) ، ولا نجرُّ دُسيفاً ، ولا نقاتلُ إلا مَنْ
قاتلنا ، فاجتمع إليه أصحابه زهاءَ ثلاثينَ رجلاً ، منهم حُرَيْثُ بنُ حَجَلٍ ، وكهَمَسُ
بنُ طَلْقِ الصَّرِيحِيِّ ، فأرادوا أن يُولِّوا أمرهم حُرَيْثاً ، فأبى فَوَلَّوا أمرهم
مِرْداساً ، فلما مضى بأصحابه لقيه عبدُ الله بنُ رَبَاحٍ^(٣) الأنصاريُّ ، وكان له

(١) بحاشية ١ مانصه : « قال الخليلُ : الفَضْلُ : القضاءُ بين الحقِّ والباطلِ ، واسمُ
ذلك القضاء الذي يَفْصِلُ بينهما فيَصِلُ » .

(٢) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ سَازَانَ : يقال : في أرضِ بني فلانٍ تَبَدُّ من بني فلانٍ
أى : فَرَّقُ يَسِيرَةً » .

(٣) « رِيحٌ بفتح الراءِ وتخفيف الباءِ الموحدة . وفي س و د وه « رِيحٌ » بكسر الراءِ وبالياءِ
التحتيةِ المثناة ، وهو خطأ . وعبد الله بنُ رباحٍ هذا مدنيٌّ تابعيٌّ ثَمَّةٌ ، سكن البصرةَ ،
ومات في حدود سنة ٩٠ وله ترجمة في التهذيب .

صديقاً ، فقال له : [يَأْخِي ^(١)] أين تريد ؟ قال : أريد أن أهرُبَ بدينى وأديازِ أصحابى من أحكامِ هؤلاء الجورَةِ ^(٢) ، فقال له : أعلمَ بكم أحداً ؟ قال : لا ، قال : فارجعْ ، قال : أو تخافُ على مكر وهما ؟ قال : نعم ، وأن يؤثرتى بك ، قال : فلا تخفْ ، فإنى لا أجرُّ دُسيفاً ، ولا أخيفُ أحداً ، ولا أقاتلُ إلا مَنْ قاتلنى ، ثم مضى حتى نزلَ آسَكَ ، وهو ما بين رامهرمزَ وأرجانَ ، فررَ به مالٌ يُحملُ لابن زيادٍ ، وقد قاربَ أصحابُه الأربعينَ ، فحطَّ ذلك المالَ فأخذَ منه عطاءَهُ وأعطياتِ ^(٣) أصحابِهِ ، وردَّ الباقيَ على الرُّسلِ ، وقالَ : قولوا لصاحبكم : إنما قبضنا أعطياتنا ، فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ ندعُ الباقيَ ؟ فقال : إنهم يقسمونَ هذا الفىءَ كما يقيمون الصلاةَ فلا تقاتلهم .



ولأبى بلالٍ أشعارٌ فى الخروجِ اخترتُ منها قوله :

أبعَدَ ابنِ وهبٍ ذى النزاهةِ والثقى ومَن خاضَ فى تلكِ الحروبِ المهالكِ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الجورُ : ضدُّ القصدِ . جازَ عن الطريقِ :

إذا مالَ ، وجرَّ الحاكمُ : مالَ عن الحقِّ . ويقولون : طريقُ جورٍ : كما يقولون

جائرٌ . ورجلٌ جورٌ ، أى : جائرٌ . وكذلك : رجلٌ زورٌ ، فى معنى زائرٍ ،

ونومٌ ، فى معنى نائمٍ ، ودومٌ ، فى معنى دائمٍ . »

(٣) فى ج س و د و ه « وأعطية » .

أَحِبُّ بَقَاءً أَوْ أُرْجِي سَلَامَةً وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكًا
فِيَارَبِّ سَلِّمْ نَيْتِي وَبَصِيرَتِي وَهَبْ لِي التُّقَى حَتَّى الْأَقَى أَوْلِيكََا
قوله : « وقد قتلوا » ولم يذكر أحداً ، وإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه
يعني محالفيه ، وإنما يحتاج الضمير إلى ذكرٍ قبله ليُعرف ، فلو قال رجلٌ :
ضربته ، لم يجز ، لأنه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء ، ولو رأيت قوماً
يلتمسون الهلال فقال قوم^(١) : هذا هو ، لم يحتج إلى تقدمة الذكر ؛ لأن
المطلوب معلوم ، وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في افتتاح قصيدته :
هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ تأتلك اليوم مصروم
لأنه قد علم أنه يريد حبيبة له .

وقوله : « حتى الأقي » ولم يحرك الياء فقد مضى شره مستقصى^(٢) .



ويروى : أن رجلاً من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا في جيش نريد
خراسان ، فررنا بأسك ، فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا
أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أتم ؟ وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرباً ، فوقف
أخي ببابه فقال : السلام عليكم ، فقال مرداس : وعليكم السلام ، فقال لأخي :
أجتم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خراسان ، قال : فأبلغوا من لقيكم

(١) في ج و س و د و هـ « فقال فائل » .

(٢) في الجزء الثاني (ص ٧٢٨) .

أَنَا لَمْ نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا لِنُرْوِعَ أَحَدًا^(١) ، وَلَكِنْ هَرَبْنَا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَسْنَا نَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ يُقَاتِلُنَا ، وَلَا نَأْخُذُ مِنَ النَّيِّءِ إِلَّا أُعْطِيَائِنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَنْدِبَ إِلَيْنَا أَحَدٌ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، أَسْلَمَ بِنُ زُرْعَةَ الْكِلَابِيِّ ، قَالَ : فَتَى تَرُونَهُ يَصِلُ إِلَيْنَا ؟ قُلْنَا : يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَجَهَرَ عَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ بِنُ زُرْعَةَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ، وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْفَيْنِ ، وَقَدْ تَنَامَ أَصْحَابُ مِرْدَاسٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ أَسْلَمُ صَاحَ بِهِ أَبُو بِلَالٍ : اتَّقِ اللَّهَ يَا أَسْلَمُ ؛ فَإِنَّا لَنُرِيدُ قِتَالًا ، وَلَا نَحْتَجِبُ فِينَا ، فَمَا الَّذِي تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّكُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، قَالَ مِرْدَاسٌ : إِذَا يَقْتُلُنَا ، قَالَ : وَإِن قَتَلَكُمْ ! قَالَ : تَشْرِكُهُ فِي دِمَائِنَا ؟ قَالَ : إِنِّي أَدِينُ [اللَّهُ^(٢)] بِأَنَّهُ مُحِقٌّ وَأَنْتُمْ مَبْطُلُونَ ، فَصَاحَ بِهِ حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ : أَهْوُ مُحِقٌّ وَهُوَ يُطِيعُ الْفَجْرَةَ ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، وَيَقْتُلُ بِالظَّنَّةِ ، وَيُنْخَصُّ بِالْفِيءِ ، وَيَجُورُ فِي الْحَكْمِ ؟ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَتَلَ بَابَنَ سَعَادٍ أَرْبَعَةَ بَرَاءَ ، وَأَنَا أَحَدُ قَتَلْتِهِ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ فِي بَطْنِهِ دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ ؟ ! ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ! وَكَانَ مَعْبُودًا - أَحَدُ الْخَوَارِجِ -

(١) بحاشية ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : رُعْتُ الرَّجُلَ أَرْوَعُهُ رَوْعًا ،

وَرَوْعَتُهُ تَرْوِيعًا : إِذَا فَرَّعْتَهُ . »

(٢) الزيادة من د و س و ه .

قد كاد يأخذه . فلما وردَ على ابن زيادٍ غضب عليه غضباً شديداً ، وقال :
وَيْلَكَ ! ائْتَضِي فِي أَلْفِينَ فَتَنْهَزُمُ حَلْمَةَ أَرْبَعِينَ ؟ ! وكان أسلمٌ يقولُ : لِأَنَّ
يَذُمْنِي ابْنُ زِيَادٍ حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَمْدَحَنِي مَيِّتًا !! وكان إذا خرج إلى
السوق أو مرَّ بصبيانٍ صاحوا به : أبو بلالٍ وراءك !! وربما صاحوا به :
يَا مَعْبُدُ خُذْهُ !! حتى شكَا ذلك إلى ابن زيادٍ ، فأمر ابن زيادٍ الشرطَ أن
يَكْفُوفُوا النَّاسَ عَنْهُ ، ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ ، من بني تيمِّمِ اللَّاتِ
بنِ ثعلبَةَ^(١) ، في كلمةٍ له :

فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَلَّوْا وَقَامُوا	إِلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ مُسَوِّمِينَ ^(٢)
فَلَمَّا اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عَلَيْهِم	فَظَلَّ ذَوُو الْجَعَائِلِ يُقْتَلُونَا
بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ	سَوَادُ اللَّيْلِ فِيهِ يُرَاوِغُونَا
يَقُولُ بِصَبْرِهِمْ لَمَّا أَتَاهُمْ	بِأَنَّ الْقَوْمَ وُلُّوا هَارِيئَنَا
أَلْفًا مُؤْمِنٍ فِيمَا زَعَمْتُمْ	وَيَهْزُمُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَا
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا زَعَمْتُمْ	وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا

(١) هذا الشاعر سماه ياقوت في معجم البلدان في مادة « آسك » « عيسى بن فاتك الخطي »
وقال المرزباني في معجم الشعراء (ص ٢٥٨) « عيسى بن عاتك الخطي ، عاتك أمه ، وهو
عيسى بن حدير ، أحد بني وداعة بن مالك بن تيمم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن
بكر بن وائل ، أحد شعراء الخوارج » .

(٢) بحاشية ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : سَأَمَ الرَّجُلُ مَا شَيْئَهُ يُسَوِّمُهَا سَوِّمًا
وَسَوِّمَهَا : إِذَا رَعَاهَا ، فَلِمَا شَيْئُهُ سَأَمَهُ ، وَالرَّجُلُ مُسِيمٌ ، وَلَمْ يَقُولُوا ، سَأَمْتُ : خَرَجَ
هَذَا عَنِ الْقِيَاسِ » .

هُمُ الْفِئَةِ الْقَلِيلَةُ غَيْرِ شَكِّ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس ، فاختر عباد بن أخضر ، وليس
بابن أخضر ، هو عباد بن علقمة المازني ، وكان أخضر زوج أمه ، فغلب
عليه ، فوجهه في أربعة آلاف ، فهد لهم ، ويزعم أهل العلم أن القوم قد
كانوا تنحوا عن درأ بجرود^(١) من أرض فارس ، فصار إليهم عباد ، وكان
التقاؤهم في يوم جمعة ، فناداه أبو بلال : اخرج إلي يا عباد ، فإني أريد أن
أحاورك ! فخرج إليه ، فقال : ما الذي تبغي ؟ قال : أن آخذ بأقفاكم
فأردكم إلى الأمير عبيد الله بن زياد ! قال : أو غير ذلك ؟ قال : وما هو ؟
قال : أن ترجع ، فإننا لا نحيف سبيلاً ، ولا نذعر مساماً ، ولا نحارب إلا
من حاربنا ، ولا نجبي إلا ما حمينا ، فقال له عباد : الأمر ما قلت لك ،
فقال له حرث بن حنبل : أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار
عبيد ؟ قال لهم : أتم أولى بالضلال منه ، وما من ذلك بدين .

وقدم القمقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج ، فلما رأى الجمعين
قال : ما هذا ؟ قالوا : الشراة ، حمل عليهم ، ونشبت الحرب ، فأخذ القمقاع أسيراً ،
فاتى به أبو بلال ، فقال : ما أنت ؟ قال : لست من أعدائك ، وإنما قدمت
للحج فجهلت وغررت ! فأطلقه ، فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه ، ثم
حمل عليهم ثانية ، وهو يقول :

(١) في ج و ه « درا بجرود » . وفي س و د « دراب جرود » . وانظر العرب

للجواليقي بتحفيظنا (ص ١٥٣ - ١٥٤ طبعة دار الكتب) .

أَقَاتِلَهُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ بَعَثُ نَشَاطًا لَيْسَ هَذَا بِالنَّشَاطِ

أَكْرَهُ عَلَى الْحُرُورِيِّينَ مُهْرِي لِأَجْلِهِمْ عَلَى وَضَحِ الصَّرَاطِ

فَعَمَلَ عَلَيْهِ حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ السَّدُوسِيُّ وَكَهْمَسُ بْنُ طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ، فَأَسْرَاهُ
فَقَتَلَاهُ، وَلَمْ يَأْتِيَاهُ أَبُو بَلَالٍ، فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَحْتَلِدُونَ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ،
صَلَاةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَنَادَاهُمْ أَبُو بَلَالٍ: يَا قَوْمُ! هَذَا وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَوَادِعُونَا
حَتَّى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قَالُوا: لَكَ ذَلِكَ، فَرَمَى الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَعَمَدُوا
إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَسْرَعَ عَبَّادٌ وَمَنْ مَعَهُ وَالْحُرُورِيَّةُ مُبْطِئُونَ، فَهَمَّ مِنْ بَيْنِ رَاكِعٍ
وَقَائِمٍ وَسَاجِدٍ فِي الصَّلَاةِ وَقَاعِدٍ، حَتَّى مَالَ عَلَيْهِمْ عَبَّادٌ وَمَنْ مَعَهُ فَقَتَلُوهُمْ
جَمِيعًا، وَأَتَى بِرَأْسِ أَبِي بَلَالٍ (١).

وَتَرَوَى الشُّرَاةُ: أَنَّ مِرْدَاسًا أَبَا بَلَالٍ لَمَّا عَقَدَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَعَزَمَ عَلَى
الْخُرُوجِ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا نَحْنُ فِيهِ حَقًّا فَأَرِنَا آيَةَ، [قَالَ (٢)]:
فَرَجَفَ الْبَيْتُ. وَقَالَ آخَرُونَ: فَارْتَفَعَ السَّقْفُ.

فَرَوَى أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي الْعَالِيَةِ
الرِّيَّاحِيِّ يُعْجِبُهُ مِنَ الْآيَةِ، وَيُرَغِّبُهُ فِي مَذْهَبِ الْقَوْمِ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ:
كَأَذِ الْخَسْفِ يَنْزِلُ بِهِمْ ثُمَّ أَدْرَكَتْهُمُ نَظْرَةُ (٣) اللَّهِ.

(١) وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ غَدْرًا فَاجِرًا.

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ جِ وَ سِ وَ هِ.

(٣) بِمَاشِيَةِ ١. مَانِصِهِ: « قَالَ الْخَلِيلُ: النَّظْرَةُ: عَيْنُ الْجِنِّ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ، =

فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصليبت رؤوسهم ، وفيهم داؤودُ
بن شَبَثٍ ، وكان ناسكاً ، وفيهم حبيبة النضري من قيس وكان مجتهداً .
فَيُرْوَى عن عمران بن حِطَّانَ : أنه قال : قال لي حبيبة : لما عزمتُ
على الخروج فسكرتُ في بناتي ، فقلتُ ذات ليلة : لأُمسكنَ عن تقمُّدهن^(١)
حتى أنظرَ ، فلما كان في جوف الليل استسقتُ بُنيةً لي ، فقالت : يا أبة
اسقني ، فلم أجبها ، فأعادت ، فقامتُ أخية لها أسنُّ منها فسقتها ، فعلمتُ
أن الله عزَّ وجلَّ غيرُ مُضيعهنَّ ، فأتممتُ عزمي .
وكان في القوم كهْمَسُ ، وكان من أبرِّ الناسِ بأمِّه ، فقال لها :
يا أُمَّة^(٢) ! لولا مكانك لخرجتُ ، فقالت : يا أبتي ! قد وهبتك لله ، ففي
ذلك يقول عيسى بنُ فاتك الحبطي^(٣) :

بداؤودٍ وإخوته الجدوعُ	ألا في الله لافي الناسِ شالتُ
تحومُ عليهم طيرٌ وقوعُ	مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً
فيسفرُ عنهم وهم رُكوعُ	إذا ما الليلُ أظلمَ كابدوهُ
وأهلُ الأمن في الدنيا هُجوعُ	أطارَ الخوفُ نومهمُ فقاموا

= يقال : نظِرَ فلانٌ ، ويقال : بفلانٍ نظرةٌ ، أى : سوءُ هيئةٍ .

أقول : ضبطت « نظرة » في الأصول بسكون الظاء وبكسرها ، والمعنى الذى نقل
بماشية ا عن الخليل لا يصلح في هذا الموضع ، لئما النظرة هنا بكسر الظاء وهى التأخير في
الأمر والإمهال . ويجوز تسكين الظاء تخفيفاً .

(١) في ج و س و د و هـ « عن نفعهن » .

(٢) في ج « يا أُمَّة » .

(٣) هذا موافق لما في بعض نسخ معجم الشعراء للرزباني . وفي ج و د و هـ :

« الحطِّيُّ » وهو موافق لما قلنا عنه في ترجمة عيسى بن فاتك ، فيما مضى (س ٩٩٥)

وقال عمران بن حطان^(١) :

يا عينُ بكى لمرْداسٍ ومصرعه
يا ربِّ مرداسٍ اجْعَلْني كمرْداسٍ
تركتني هائمًا أبكى لمرزنتي
في منزلٍ موحشٍ من بعدِ ايناسٍ
أنكرتُ بعدك من قد كنتُ أعرفه
ما الناسُ بعدك يا مرداسُ بالناسِ^(٢)
إِما شربتُ بكأسٍ دارٍ أو لها
على القرونِ فذاقوا جرعةَ الكاسِ
فكلُّ من لم يذُقها شاربٌ عجلاً
منها بأنفاسٍ وردٍ بعدَ أنفاسٍ



[قال أبو العباس^(٣)] : ثم إنَّ عبَّاد بنَ أخضرَ المازنيَّ لبثَ دهرًا
في المصرِ ، محمودًا موصوفًا بما كان منه ، فلم يزلْ على ذلك حتى انتمَرَ به
جماعةٌ من الخوارج أن يفتكوا به ، فذَمَر بعضهم بعضًا على ذلك^(٤) ، فجلسوا
له في يومٍ جمعةٍ ، وقد أُقبل على بغلةٍ له ، وابنه رديفُه ، فقام إليه رجلٌ منهم ،
فقال : أسألك عن مسألةٍ ؟ قال : قل ، قال : أرايتَ رجلًا قتلَ رجلًا بغيرِ
حقٍ ، وللقاتلِ جاهٌ وقدرٌ وناحيةٌ من السلطانِ ، ألوِيَّ ذلك المقتولِ أن
يقتك به إن قدرَ عليه ؟ قال : بل يرفعه إلى السلطانِ ، قال : إن السلطانَ
لا يُمدِي عليه لمكانه منه وعظيمِ جاهِهِ عنده ، قال : أخافُ عليه إن قَتَكَ به

(١) مضت الأبيات في (ص ٨٩٦) .

(٢) في ج و د « ما قد كنت » .

(٣) الزيادة من س و د .

(٤) « ذممه » أي : لامه وحضه .

فَتَكَ بِهِ السَّاطَانَ ، قَالَ : دَعَّ مَا تَخَافُهُ مِنْ نَاحِيَةِ السَّاطَانَ ، أَلْتَلَحُّقُهُ تَبِعَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَحَكِّمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَخَبَطَوْهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، وَرَمَى عَبَّادُ ابْنَهُ فَنَجَا ، وَتَنَادَى النَّاسُ : قُتِلَ عَبَّادُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَأَخَذُوا أَفْوَاهَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ مَقْتُلُ عَبَّادٍ فِي سَكَّةِ بَنِي مَازِنٍ عِنْدَ مَسْجِدِ بَنِي كَلْبِيِّ ، فَجَاءَ مَعْبُدُ بْنُ أَخْضَرَ أَخُو عَبَّادٍ ، وَهُوَ مَعْبُدُ بْنُ عُلْقَمَةَ ، وَأَخْضَرُ زَوْجُ أُمِّهِمَا ، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مَازِنٍ ، فَصَاحُوا بِالنَّاسِ : دَعُّوْنَا وَثَارْنَا ، فَأَحْجَمَ النَّاسُ^(١) وَتَقَدَّمَ الْمَازِنِيُّونَ ، فَحَارَبُوا الْخَوَارِجَ حَتَّى قَتَلُوهُمْ جَمِيعًا ، لَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا عَيْبِدَةَ بْنَ هِلَالٍ ، فَإِنَّهُ خَرَقَ خُصًّا وَنَفَذَ مِنْهُ ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

لَقَدْ أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ إِذَا ذَمَّ طُلَابُ الثَّرَاتِ الْأَخْضِرُ

هُمْ جَرَدُوا الْأَسْيَافَ يَوْمَ ابْنِ أَخْضَرَ فَنَالُوا الَّتِي مَا فَوْقَهَا نَالَ ثَائِرُ

أَقَادُوا بِهِ أَسْدًا لَهَا فِي اقْتِحَامِهَا إِذَا بَرَزَتْ نَحْوَ الْحُرُوبِ بَصَارُ

ثُمَّ ذَكَرَ بَنِي كَلْبِيِّ ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ بِحَضْرَةِ مَسْجِدِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُ ، فَقَالَ فِي كَلِمَتِهِ هَذِهِ :

كَفَعَلَ كَلْبِيُّ إِذَا أَخَلَّتْ بِي جَارِهَا وَنَصَرَ الْإِثِيمَ يُعْتِمُ وَهُوَ حَاضِرُ^(٢)

(١) فِي ج وَ د « فَأَحْجَمَ » بِتَقْدِيمِ الْجِيمِ عَلَى الْهَاءِ . وَفِي حَاشِيَةِ مَا نَصَهُ : « قَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَخْجَمْتُ عَنِ الْأَمْرِ وَأَجْجَمْتُ ، أَيْ : تَأَخَّرْتُ » .

(٢) بِحَاشِيَةِ مَا نَصَهُ : « الْمُهَلَّبِيُّ : أَعْتَمَ الرَّجُلُ فِي الشَّيْءِ : إِذَا أَبْطَأَ فِيهِ ، وَكَلَّ مِنْ أَبْطَأَ عَنِ شَيْءٍ فَقَدْ أَعْتَمَ وَعَعَمَ ، وَجَمِنْنَا مُعْتِمًا وَعَعَاتِمًا ، وَالْعَتَمَةُ رُجُوعُ الْإِبِلِ مِنَ الْمَرْعَى بَعْدَ مَا تَمَسَّى ، وَبِهِ سُمِّيَتْ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ » .

وما ليكليب حين تُذكر أولًا وما ليكليب حين تُذكر آخرًا
وقال معبد بن أخضر :

سأحمي دماء الأخرعيين إنه أبي الناس إلا أن يقولوا بن أخضرًا
وكان مقتل عبّاد وعبيد الله بن زياد بالكوفة ، وخليفته على البصرة
عبيد الله بن أبي بكر ، فكتب إليه يأمره أن لا يدع أحدًا يُعرف بهذا
الرأي إلا حبسه وجدّ في طلبه ، ممن تعيّب منهم ، فجعل عبيد الله بن أبي
بكر يتتبعهم فيأخذهم ، فإذا شفيع إليه في أحدٍ منهم كفله إلى أن يقدم
ابن زياد ، حتى أتى عروة بن أدية فأطلقه ، وقال : أنا كفيلك ، فلما قدم
عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن^(١) منهم فقتلهم جميعًا ، وطلب
الكفلاء بمن كفّلوا به منهم ، فكل من جاءه بصاحبه أطلقه وقتل
الخارجي ، ومن لم يأت بمن كفّل به منهم قتله ، ثم قال لعبيد الله
بن أبي بكر : هات عروة بن أدية ، قال : لا أقدر عليه ، قال : إذا والله
أقتلك فإنك كفيله ! فلم يزل يطلبه حتى ذلّ عليه في سرّب العلاء بن
سوية^(٢) المنقري ، فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فقرأ عليه
الكتاب : إنا أصبناهُ في سرّب ، فتهاتف به عبيد الله بن زياد^(٣) ، وكان

(١) في ج و س و د و هـ « في الحبس » .

(٢) « سوية » بضم السين وفتح الواو . وفي ج و د و هـ « سوية » بفتح السين وكسر
الواو ، وهو الذي ضبطه به المرصفي في شرحه .

(٣) بمجاشية اما نصه : « قال الخليل : الهنأف : مهأنفة الجوارى بالضحك ، وهو
فوق التبسم ، وكذلك التهأنف ، قال : وهذا نعت في ضحك النساء ، =

كثيرَ المحاورَةِ ، عاشقًا للكلامِ الجيِّدِ ، مستحسنًا للصوابِ ^(١) منه ، لا يزالُ يبحثُ عن عُذْرِهِ ، فإذا سمعَ الكلمةَ الجيِّدةَ عرَّجَ عليها .

ويُرْوَى : أنه قال في عَقَبِ مقتلِ الحسينِ بنِ عليٍّ عليه السلامُ زَيْنَبَ بنتِ عليٍّ رحمهما اللهُ ، وكانتُ أَسَنَّ مَنْ حَمَلَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ ، وقد كَلَّمْتُهُ فَأفصحتُ وأبلغتُ ، وأخذتُ من الحجَّةِ حاجتَها ، فقال لها : إنْ تكوْنِي بِلغْتِ من الحجَّةِ حاجتَكَ فقد كان أبوكِ خطيبًا شاعرًا ، فقالت : ما لِلنساءِ والشعرِ ^(٢) ؟! وكان مع هذا أَلْكَنَ يَرْتَضِخُ لُغَةً فارسيةً ^(٣) ، وقال لرجلٍ مرَّةً ، وأتَمَّه برأى الخوارِجِ : أهرُورِي مُنْذُ اليَوْمِ ؟!

رجع الحديثُ :

فقال للكاتبِ : صَحَّفْتَ وَاللَّهِ وَلَوْ مُتَّ ، إنما هو « في سَرَبِ العَلَاءِ بنِ سُوَيْبَةَ ^(٤) » وَلَوْ دِدْتُ أَنَّهُ كان ممن يشرب النبيذَ ، فلعلمًا أُقِيمَ عُرْوَةُ بنِ

= لا يوصف به الرجالُ قال: والتراضخُ: تَرَامِي القومِ بالنَّشَابِ ، بينهم ، وتقول: راضخُ فلانٌ شيئًا إذا أعطى وهو كَرِيهٌ ، وقد راضخنا منه شيئًا ، أي : أصبناهُ . ابنُ شاذانَ : تقولُ : سمعتُ رَضَخًا من حَبْرٍ : وهو اليَسِيرُ منه ، وكذلك هو من العطيَّةِ القليلُ منها ، قال : ويقالُ : هو رَضِخٌ ، أي : قليلٌ من الحَبْرِ والعطيَّةِ . وتفسيرُ « الرضخ » مقدم عن موضعه ، وسيأتي بعد أسطر قوله « يراضخ لغة فارسية » .

(١) في ج و س و د و هـ « لصوابه » .

(٢) في ج و س و د و هـ « وللشعر » .

(٣) في س و د « يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فارسيةً » .

(٤) في ج و د و هـ « سُوَيْبَةَ » .

أَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَاوِرَهُ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي خَبْرِهِ ^(١) ، وَأَصْحَهُ عِنْدَنَا : أَنَّهُ قَالَ لَهُ : [لَقَدْ ^(٢)] جَهَّزْتَ أَخَاكَ عَلِيًّا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ بِهِ ضَنِيدًا ، وَكَانَ لِي عِزًّا ، وَلَقَدْ أُرِدْتُ لَهُ مَا أُرِيدُهُ ^(٣) لِنَفْسِي ، فَعَزَمَ عَزْمًا فَمَضَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ لِنَفْسِي إِلَّا الْمَقَامَ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ ، قَالَ لَهُ : أَفَأَنْتَ عَلِيٌّ رَأَيْهِ ؟ قَالَ : كَلْنَا ^(٤) نَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا ! قَالَ : أَمَا لَأَمْتَلَنَّ بِكَ ^(٥) ! قَالَ : اخْتَرَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ الْقِصَاصِ مَا شِئْتَ ؟ فَأَمَرَ بِهِ فَقَطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ [لَهُ ^(٦)] : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَفْسَدْتَ عَلِيًّا دُنْيَايَ وَأَفْسَدْتُ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقَتِلَ ثُمَّ صُلِبَ عَلِيٌّ بَابَ دَارِهِ ، ثُمَّ دَعَا مَوْلَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْهُ ، فَأَجَابَهُ جَوَابًا قَدْ ^(٧)] مَضَى ذِكْرُهُ ^(٧) .

(١) فِي ج و س و د و هـ « وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي خَبْرِهِ » .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) فِي ج و س و د و هـ « أُرِيدُ » .

(٤) فِي ج و س و د و هـ « كَلْنَا » .

(٥) بِحَاشِيَةِ مَا نَصَّهُ : « قَالَ الْخَلِيلُ : الْمُثَلَّةُ وَالْمُثَلَّةُ لِعَتَانٍ : أَنْ يُمَثَّلَ بِذِي رُوحٍ فَيُعْبَثَ بِهِ فِي عَذَابِهِ ، وَيُقَالُ أَنْ حَلَقَ رَأْسَ الْمَرْأَةِ مُثَلَّةً . وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْزَلَتْ بِهِ مَا يُشَوِّهُهُ مُثَلَّةٌ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ : مَثَّلَ بِهِ يُمَثِّلُ مُثُولًا ، مِنَ الْمُثَلَّةِ : إِذَا شَانَهُ ، وَالْجَمْعُ الْمُثَلَّاتُ . وَيُقَالُ أَيْضًا مَثَّلْتُ بِالرَّجْلِ : إِذَا نَكَلْتَهُ بِهِ ، وَكَذَلِكَ الْقَتِيلُ إِذَا جَدَعْتَهُ . وَالْمُثَلَّاتُ وَاحِدُهَا مُثَلَّةٌ وَمُثَلَّةٌ ، وَهُوَ التَّنْكِيلُ » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) فِي (س ٩٠٩ - ٩١٠) .

قوله « قَتَّهَانَفَ » حقيقته : تَضَاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءً ، وقال ابنُ أبي ربيعة المخزومي :

ولقد قالت لجاتٍ لها وتعرّت ذات يومٍ تبترد^(١) :
أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي عَمَرَ كُنَّ اللهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ ؟
قَتَّهَانَفَنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا : حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَدٌ مُمَلَّنَةٌ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ



وكان عبيدُ الله لا يُلبِّثُ الخوارجَ ، يُحبِّسُهُمْ تارةً وَيَقْتُلُهُمْ تارةً ، وأكثرُ ذلكَ يَقْتُلُهُمْ ، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم . وسببُ ذلكَ أنه كان أطلقَهُمْ من حبسِ زيادٍ لَمَّا وُلِّيَ^(٢) بعده ، فخرجوا عليه .

فأما زيادٌ فكان يقتلُ المعلنينَ وَيَسْتَصْلِحُ الْمُسِرِّ ، ولا يُجرِّدُ السيفَ حتى تزولَ التَّهْمَةُ ، وَوَجَّهَ يوماً بِحَيْنَةَ بْنِ كُبَيْشٍ الْأَعْرَجِيَّ إلى رجلٍ من بني سعدٍ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، فجاءه بِحَيْنَةَ فَأَخَذَهُ ، فقال : إني أريدُ أن أُحدثَ وضوءَ للصلاة ، فدعني أدخلُ إلى منزلي^(٣) ، قال : ومن لي بخروجك ؟ قال : اللهُ عز وجل ، فتركه ، فدخل فأحدثَ وضوءَ ، ثم خرج ، فأتى به بِحَيْنَةَ زياداً ، فلما مثَّلَ بين يديه ذكرَ اللهُ زياداً ، ثم صَلَّى على نبيه ، ثم ذكرَ أبا بكر

(١) في بعض النسخ « يوم حرّ تبترد » .

(٢) في ج و د « وَلِيَّ » .

(٣) في ج و س و د و هـ « فقال : دَعْنِي أدْخُلْ منزلي » .

وعمرَ وعثمانَ بخيرٍ ، ثم قال : قعدتُ عنِّي فأنكرتُ ذلك ، فذكرَ الرجلُ ربَّه فحمدَهُ ووحدَهُ [وأثنى عليه]^(١) ، ثم ذكرَ النبيَّ عليه السلام ، ثم ذكرَ أبا بكرٍ وعمرَ بخيرٍ ، ولم يذكرَ عثمانَ ؛ ثم أقبلَ على زيادٍ فقال : إنك قد قلتَ قولاً فصَدَّقَهُ بفعلك^(٢) ، وكان من قولك : ومن قعدَ عنَّ لم نهجهُ ، فقعدتُ ، فأمر له بصلَّةٍ وكِسوةٍ ومُحْلانٍ ، فخرجَ الرجلُ من عند زيادٍ وتلقاهُ الناسُ يسألونه ، فقال : ما كلُّكم أستطيعُ أن أخبره ، ولكنِّي دخلتُ على رجلٍ لا يملكُ ضراً ولا نفعاً لنفسه ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فرزقَ اللهُ منه ما ترونَ .

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعةِ منهم فيقول : ما أحسبُ الذي يمنعكم من إتياني إلا الرُّجْلَةَ^(٣) ، فيقولون : أجلٌ ، فيجملُهم ، ويقول : اغشوني الآنَ واسمروا عندي ، فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز ، فقال : قاتلَ اللهُ زياداً ، جمعَ لهم كما تجمَعُ الذرَّةُ ، وحاطَهم كما تحوِطُ^(٤) الأمُّ البرَّةُ ، وأصلحَ العِراقَ ، بأهلَ العِراقِ ، وتركَ أهلَ الشَّامِ في شأَمِهِمْ^(٥) ، وجبَى العِراقَ مائةَ ألفٍ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ .

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) في ج و س و د و هـ « فَصَدَّقَهُ فِعْلُكَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « المَهْلِيُّ : يقالُ : شَكَا فلانُ الرُّجْلَةَ ، أى المشى . وقالوا : راجلٌ

بَيْنَ الرُّجْلَةِ » .

(٤) في ا « كما تحوِطهم » .

(٥) في د و هـ « بشامهم » .

قال أبو العباس . وبلغ زياداً عن رجل يُكنى أبا الخير، من أهل البأس والنجدة ، أنه يرى رأى الخوارج ، فدعاه فولاه جُندى سابور وما يليها ، ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر ، وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف ، فكان أبو الخير يقول : ما رأيتُ شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة !! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادُ شيئاً ، فتنمرَّ لزيادِ حبسه^(١) ، فلم يخرج من حبسه حتى مات .



وقال الرُّهَيْنِيُّ ، وكان رجلاً من مُرادٍ ، وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه - : بقول الخوارج ، بمنزلة عمران بن حطان ، وكان عمران بن حطان في وقته شاعراً قعد الصُّفْرِيَّةَ ورئيسهم ومفتيهم .

وللرُّهَيْنِيِّ المرادى ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن و [في^(٢)] الآثار ، وفي السِّيرِ والسَّنَنِ ، وفي الغريب و [في^(٣)] الشعر ، نذكر طرفها إن شاء الله . قال المرادى :
يا نفسِ قد طال في الدنيا مُراوِغَتِي لا تأمِنِ لِصَرَفِ الدَّهْرِ تَنْغِيصاً^(٣)

(١) بحاشية ا مانسه : « ابن شاذان : قال أبو عمر : يقال : تنمرَّ الرجلُ تنمرّاً :

إذا تهدَّدَكَ » .

(٢) الزيادة من ج و س و ه .

(٣) في ج و ه « تنغيصاً » .

إِنِّي لَبَائِعٌ مَا يَفْنَى لِبَاقِيَةٍ إِنْ لَمْ يَعْتُنِي رَجَاءُ الْعَيْشِ تَرْيِصًا
وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْتَسِبًا حَتَّى الْأَقَى فِي الْفِرْدَوْسِ حُرْقُوصًا
[قَالَ الْأَخْفَشُ : حَرْقُوصٌ : ذُو الثُّدَيَّةِ] (١) .

وَابْنُ الْمُنَيْحِ وَمِرْدَاسًا وَإِخْوَتَهُ إِذْ فَارَقُوا زَهْرَةَ الدُّنْيَا مَخَامِيصًا (٢)
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ . وَهَذِهِ كَلِمَةٌ لَهُ ، وَهِيَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَذَاهِبِهِمْ .

وَكَانَ زِيَادٌ وَوَلِيُّ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيِّ صَاحِبِ مَقْبَرَةِ بَنِي شَيْبَانَ
بَابِ عُمَانَ (٣) وَمَا يَلِيهِ ، فَجَدَّ فِي طَلَبِ الْخَوَارِجِ وَأَخْفَهُمْ ، وَكَانُوا [قَدْ (٤)]
كَثُرُوا ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَنَاهُ لَيْلَةً وَهُوَ مَتَكِّيٌّ بِيَابِ دَارِهِ رَجُلَانِ مِنَ
الْخَوَارِجِ ، فَضْرَبَاهُ بِأَسْيَافِهِمَا فَقَتَلَاهُ ، وَخَرَجَ بَنُونَ لَهُ لِلْإِغَاثَةِ فَقَتَلُوا ، ثُمَّ
قَتَلَهُمَا النَّاسُ (٥) فَأَتَى زِيَادٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ : اقْتُلُوهُ
مُتَّكِّئًا كَمَا قُتِلَ شَيْبَانُ مُتَّكِّئًا ، فَصَاحَ الْخَارِجِيُّ : يَا عَدْلَاهُ !! يَهْزَأُ بِهِ !
فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ :

وَمِنَّا فَتَى الْفَتِيَانِ وَالْبَاسِ مَعْقِلٌ وَمِنَّا الَّذِي لَأَقَى بِدِجْلَةَ مَعْقِلًا

(١) الزيادة من حاشية ا و س و ه .

(٢) « مخاميس » جمع « خماس » وهم الضامرو البطون . يريد أنهم لم يملؤا بطونهم من الدنيا زهادة فيها . قاله المرصفي .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ : باب عثمان : موضع فيه البرازون في

شاطى المربد » .

(٤) الزيادة من ج و ه .

(٥) في ج « ثم قتلوا الناس » وهي لغة جائزة معروفة ، ولكنها قليلة .

- : فانه أراد مَعْقِلَ بنِ قَيْسِ الرِّياحِيِّ ، ورياحُ ابنِ يربوعٍ^(١) ، وجريرٌ من [بني] كَلَيْبِ بنِ يربوعٍ .

وقوله « ومِنَّا الذي لآقِي بِدِجْلَةَ مَعْقِلًا » يريدُ المَسْتُورِدَ التَّيْمِيَّ ، وهو من [بني] تَيْمِ بنِ عبدِ مناةَ بنِ أَدِّ ، وتَيْمِ بنِ مُرِّ بنِ أَدِّ .
وأما قولُ ابنِ الرُّقِيَّاتِ :

والذي نَعَصَ ابنَ دَوْمَةَ مائُو حِجَى الشَّيْطَانِ وَالسَّيُوفِ ظِمَاءُ
فَأَباحَ العِراقَ يَضْرِبُهُمُ بِالسَّيْفِ صَلَّتْنا وَفِي الضَّرابِ غِلاؤُ^(٢)
- : فانما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المَخْتارَ بنَ أَبِي عُبيدِ الثَّقَفِيِّ ، والذي نَعَصَهُ مُصْعَبُ
بنِ الزَّيْبِرِ ، وكان المَخْتارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ ، كان خارجياً ، ثم صار
زُيْبِرِيًّا ، ثم صار رافضياً في ظاهره !!

وقوله « ما تُوحى الشَّيْطَانِ » فان المَخْتارَ كان يدَّعي أنه يُلهمُّ ضرباً من
السَّجَّاعةِ^(٥) لأُمُورٍ تكونُ ، ثم يَحْتالُ فيوقِعُها ، فيقولُ للناسِ : هذا من عند

(١) في ا و ج و س و هـ « ورياحُ بنِ يربوعٍ » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) بمحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثني أبو عمرَ عن ثعلبِ عن سَلَمَةَ عن

الفرَّاءِ قال : يقالُ : ضَرَبَهُ بالسَّيْفِ صَلَّتْنا وَصَلَّتْنا ، ورجلٌ صَلَّتْ ، أى ماضٍ ،
وسيفٌ إِصْلَيْتْ ، أى صارمٌ .

وأما قوله « غلاء » فانه بكسر العين المعجمة ، من قولهم « غلا في الأمرِ غلواً » أى جاوز
حده . فنه « غالى به وغالاه مغالاةً وغلاءً » . وضمُّه المرصفي بفتح العين ، وهو مخالف
للأصول ، وهو غير جيد أيضاً ، لأن « الغلاء » بالفتح ضد الرخص .

(٥) « السجاعة » بكسر السين المهملة : صناعة السجع .

الله عزَّ وجلَّ .

فمن ذلك قوله ذات يومٍ : لَتَنْزِلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ دَهْمَاءٌ ، فَتَحْرِقَنَّ دَارَ
أَسْمَاءَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ ، فَقَالَ : أَقْدَسَ سَجَعِ بِي أَبُو إِسْحَاقَ ؟
هُوَ وَاللَّهِ مُحْرَقٌ دَارِي ! فَتَرَكَهُ وَالِدَارَ وَهَرَبَ مِنَ الْكُوفَةِ .
وَقَالَ فِي بَعْضِ سَجَعِهِ : أَمَّا وَالَّذِي شَرَعَ الْأَدْيَانَ ، وَجَنَّبَ الْأَوْثَانَ ،
وَكَرَّهَ الْعِصْيَانَ ، لِأَقْتُلَنَّ أَزْدَ دُحْمَانَ ، وَجُلَّ قَيْسَ عَيْلَانَ ، وَتَمِيماً أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ،
حَاشَا النَّجِيبَ ظَبْيَانَ ! فَكَانَ ظَبْيَانُ النَّجِيبُ يَقُولُ : لِمَ أَزَلُّ فِي عُمَرِ الْمُخْتَارِ
أَتَقَلَّبُ آمِنًا .



وَيُرَوَّى : أَنَّ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُيَيْدٍ حَيْثُ كَانَ وَالِيًا لِبَنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْكُوفَةِ
أَتَاهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَوَلَّى رَجُلًا مِنْ قُرَيْشِ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا أَطَّلَّ قَالَ لِمَجَاعَةٍ مِنْ
أَهْلِهَا : أَخْرُجُوا إِلَى هَذَا الْمَغْرُورِ فَرُدُّوهُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
وَاللَّهِ لئن دَخَلْتَ الْكُوفَةَ لَيَقْتُلَنَّكَ الْمُخْتَارُ ، فَرَجَعَ وَكَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى ابْنِ
الزُّبَيْرِ : إِنْ صَاحَبَكَ جَاءَنَا فَلَمَّا قَارَبْنَا رَجَعَ ، فَمَا أُدْرِى مَا الَّذِي رَدَّهُ !
فغَضِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى الْقُرَشِيِّ وَعَجَّزَهُ وَرَدَّهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا شَارَفَهَا قَالَ
الْمُخْتَارُ : أَخْرَجُوا إِلَى هَذَا الْمَغْرُورِ فَرُدُّوهُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ وَاللَّهِ قَاتِلُكَ ،
فَرَجَعَ ، وَكَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمِثْلِ (١) كِتَابِهِ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّ الْقُرَشِيُّ ،
فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ فَطَنَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ الْمُخْتَارُ ، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ

(١) فِي س وَ د وَ ه « مِثْل » .

حَبَسَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ مَعَ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ : لَتَبَايَعُنَّ
أَوْ لِأَخْرَجَنَّكُمْ ، فَأَبَوْا يَبْعَتَهُ ، وَكَانَ السِّجْنُ الَّذِي حَبَسَهُمْ فِيهِ يُدْعَى سِجْنَ
عَارِمٍ ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ كَثِيرٌ :

تَخْبِرُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنْكَ عَائِدٌ بَلِ الْعَائِدُ الْمَظْلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمِ
وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي مَنْ النَّاسُ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ
سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمِصْطَفَى وَابْنِ عَمِّهِ وَفِكَالُ أَغْلَالِ وَقَاضِي مَفَارِمِ
وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يُدْعَى الْعَائِدَ ، لِأَنَّهُ عَادَ بِالْبَيْتِ ، فَمِنَ ذَلِكَ يَقُولُ
ابْنُ الرَّقِيَّاتِ يَذْكَرُ مُضَعَبًا :

بَلَدٌ تَأْمَنُ الْحَمَامَةُ فِيهِ حَيْثُ عَادَ الْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدْعَى الْمُحِلَّ ، لِإِحْلَالِهِ الْقِتَالَ فِي الْحَرَمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
رَجُلٌ فِي رَمْلَةَ بِنْتِ الزَّيْبِرِ :

أَلَا مَنَ لِقَلْبِ مُعَنَى غَزَلِ بِذِكْرِ الْمُحِلَّةِ أُخْتِ الْمُحِلِّ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يُظْهِرُ الْبَغْضَ لِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِهِ ، وَكَانَ
يُحْسِدُهُ عَلَى أَيْدِهِ^(١) ، وَيُقَالُ : أَنَّ عَلِيًّا اسْتَطَالَ دِرْعًا فَقَالَ : لِيُنْقَصَ مِنْهَا
كَذَا وَكَذَا حَلْقَةً ، فَقَبِضَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى ذَيْلِهَا ، وَبِالْأُخْرَى
عَلَى فَضْلِهَا ، ثُمَّ جَذَبَهَا فَقَطَعَهَا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي حَدَّهُ أَبُوهُ ، فَكَانَ ابْنُ
الزَّيْبِرِ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ غَضِبَ وَاعْتَرَاهُ لَهُ أَفْكَالٌ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَى

(١) « الأيد » القوة .

(٢) « الأفكل » اسم للرعدة التي تعلق الانسان .

المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه : من المختار بن أبي عبيد
الثقفى خليفة الوصى محمد بن علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء^(١) ،
ثم ملأ الكتاب بسببه وسب أبيه ، وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة
ابن الزبير يدس إلى الشيعة ، ويعلمهم^(٢) مولاته إياهم ، ويخبرهم^(٣) أنه على
رأيهم ويحمد مذاهبهم ، وأنه سيظهر ذلك عما قليل ، ثم وجّه جماعة تسير
الليل وتكمن النهار ، حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ،
ثم ساروا بهم إلى ما منهم .

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر يسأله
الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأبى عليه إبراهيم
إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب ، فكتب إليه يستأذنه [في
ذلك^(٤)] ، فعلم محمد أن المختار لا عقده له ، فكتب محمد إلى إبراهيم بن
الأشتر : إنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يدي من يشاء^(٥) من خلقه ،
فخرج معه إبراهيم بن الأشتر ، فتوجه^(٦) نحو عبيد الله بن زياد ، وخرج
يُشيعه ماشياً ، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا إسحق ! فقال : إني أحب أن
تعبّر قدمي في نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فشيعه فرسخين ، ودفع

(١) نسبه لأمه « أسماء بنت ابى بكر الصديق » سفهاً منه وعدواناً ، وإنما ينسب الرجل لأبيه .

(٢) في ج « ويعلمهم » .

(٣) في ج و س و د و ه « ويخبر » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٥) في ج و س و د و ه « من شاء » .

(٦) في النسخ المذكورة « فوجهه » .

إلى قومٍ من خاصّته حمّاماً بيضاً ضيّحاً، وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعواها،
 وإن رأيتم الأمر علينا فأزملوها، وقال للناس: إن استقمتم فبئصر الله^(١)،
 وإن حصتم حيصة^(٢) فإني أجد في محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب،
 أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحمام^(٣) ذوين
 السحاب! فلما صار ابن الأشر بنحازر^(٤) وبها عبيد الله بن زياد قال: من
 صاحب الجيش؟ قيل له: ابن الأشر، قال: أليس الغلام الذي كان يطير^(٥)
 الحمام بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشيء، وعلى ميمنة ابن زياد حُضين
 بن نمير السكوني من كندة^(٦)، ويقال السكوني والشكوني، والسدوسي
 والسدوسي، كذا كان أبو عبيدة يقول، [قال أبو الحسن: السكوني
 أكثر^(٧)] وعلى ميسرته حمير بن الحباب فارس الإسلام، فقال حُضين

(١) في ج و د و هـ «فبئصر الله».

(٢) «حصم حيصة» بالحاء والصاد المهملتين. وفي حاشية ا مانصه «المهلبسي»: الحيص:
 الحيد عن الشيء، حاص يحيص: إذا حاد. ويقال: مالك من هذا الأمر
 يحيص، أي يحيد».

وفي د «حصم حيصة» بالميم والصاد المعجمة، وهو صحيح أيضاً. يقال: جاص
 عنه يحيص، أي حاد وعدل.

(٣) في ج و د و هـ «الحمام».

(٤) «نحازر» بالحاء المعجمة وكسر الزاي وآخره راء، وهو نهر بين إربل والموصل. وفي
 و هـ «بنحازر» بالميم مع كسر الزاي. وفي د بالحاء مع فتح الزاي.

(٥) في ج «يطير».

(٦) كذا في طبعة أوربة نقلت عن الأصول المخطوطة «حُضين» بالضاد المعجمة. والمعروف أن
 كل «حُصين» فهو بالصاد لمهملة إلا «حُضين بن المنذر» فبالعجمة.

(٧) الزيادة من س.

بنُ نُمَيْرٍ لابن زيادٍ : إن عميرَ بنَ الحُبَابِ غيرُ ناسٍ قَتَلَى المَرَجَ^(١) ، وإني لا أثقُ لك به ، فقال ابنُ زيادٍ : أنتَ لى عدوٌّ ، قال حُصَيْنٌ : ستعلمُ ، قال ابنُ الحُبَابِ : فلما كان فى الليلة التى تُريدُ أن تُواقعَ ابنَ الأَشْترِ فى صبيحتها خرجتُ إليه ، وكان لى صديقًا ، ومعى رجلٌ من قومي ، فصرتُ إلى عسكره ، فرأيتُه وعليه قميصُ هَرَوِيٍّ ومُلاءةٌ ، وهو مُتَشَحُّحُ السيفِ^(٢) يَحْمُسُ عسكره فيأمرُ فيه وينهى ، فالتزمتُه من ورائه ، فوالله ما التفتَ إلى ، ولكن قال : مَنْ هذا ؟ فقلتُ : عميرُ بنُ الحُبَابِ ، فقال : مرحبًا بأبى المغلِّسِ ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك ، فقلتُ لصاحبي : أرايتَ أشجعَ من هذا قط ؟ ! يحتضنه رجلٌ من عسكرِ عدوِّه ، ولا يدري من هو ؟ فلا يلتفتُ إليه ! ثم عاد إلىَّ وهو فى أربعة آلافٍ ، فقال : ما الخبرُ ؟ فقلتُ : القومُ كثيرٌ ، والرأى أن تُناجزهم ، فانه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولَةِ هذا الجمعِ الكثيرِ ، فقال : نُصَبِحُ إن شاء الله ثم نحاكهم إلى طُبَاتِ السيفِ^(٣) وأطرافِ القنأ ، فقلتُ : أنا مُنخَزِلٌ عنك بثُلثِ الناسِ غدًا ، فلما التَقَوْا كانت على أصحابِ إبراهيمَ فى أولِ النهار ، فأرسلَ أصحابُ المختارِ الطيرَ ، فتصايحُ الناسُ : الملائكةُ ! ! فتراجعوا ، ونكَّسَ عميرُ بنُ الحُبَابِ رايتهُ ، ونادى : يا لثاراتِ المَرَجِ ! وانخزلْ بالميسرةِ كلَّها ، وفيها قيسٌ فلم يعصوه ، واقتل الناسُ حتى اختلطَ الظلامُ ، وأسرعَ القتلُ فى أصحابِ

(١) فى ج و د « قتل المَرَجِ »

(٢) فى ج و س و هـ « وهو مُتَشَحُّحُ السيفِ » .

(٣) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ شاذان : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ قال : طُبَّةٌ =

عبيد الله بن زياد، ثم انكشفوا، ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أفضوا، فقال ابنُ الأَشرَ: لقد ضربتُ رجلاً على شاطئِ هذا النهرِ فرجعَ إلى سيفي ومنه^(١) رائحةُ المسكِ! ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأَةً، فصرعته فذهبتُ يداهُ قِبَلَ المشرقِ ورجلاه قِبَلَ المغربِ، فانظروهُ، فأَتَوْهُ بالنَّيرانِ، فاذا هو عبيد الله بن زيادِ.

وقد كان عند المختار كرسىٌ قديمُ العهد، فغشاهُ بالديباجِ، وقال: هذا الكرسىُّ من ذخائرِ أميرِ المؤمنينِ عليِّ بنِ أبي طالبِ رضَى اللهُ عنه، فضعوه في بَرَاكاهِ الحربِ، وقَاتِلُوا عليه، فإنَّ مَحَلَّهُ فيكم مَحَلُّ السَّكِينَةِ في بني إِسرائيلَ!! ويقالُ أنه اشترى ذلك الكرسىَّ بدرهمينِ من نَجَّارٍ^(٢).

وقوله « في بَرَاكاهِ القتالِ » يقالُ بَرَاكاهِ وِبَرُوكاهِ، وهو موضِعُ اصْطِدَامِ القومِ^(٣)، قال الشاعرُ:

وليسُ بِمُنْقِذٍ لكِ مِنْهُ إِلَّا بَرَاكاهِ القتالِ أَوْ الفِرَارِ^(٤)

= السَّيْفِ: حِدَّةٌ، ويقالُ طَرَفُهُ، والجمعُ الطُّبَّاتُ والطُّبُونُ في الرنحِ، والطُّبِينُ في النصبِ والجِرِّ. ويقالُ لَطَرَفِ سِنَانِ الرُّمَحِ وَلَطَرَفِ نَضْلِ السَّهْمِ: طُبَّتُهُ.

(١) في ج « وفيه ». وفي د « وفيه منه ».

(٢) في ج و س و د و هـ « من نجار بدرهمين ».

(٣) بحاشية ١ ماضيه: « ابنُ شاذان: اصْطِدَامٌ: افْتِعَالٌ، من الصَّدَمِ، من قولهم:

صَدَمْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ أَصْدِمُهُ صَدْمًا، وكلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتَهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ صَدَمْتَهُ بِهِ بعدَ أن يكونَ صُلْبًا ».

(٤) بحاشية ١ ماضيه: « قال ابنُ شاذان: روايةُ أبي عمر:

ولا انتحى من العَمَرَاتِ إِلَّا بَرَاكاهِ القتالِ =

هذا باب اللام

التي للاستغاثة والتي للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ ، تقول : يا لَرَجَالٍ ،
ويا لَلقومِ ، ويا لَزَيْدٍ ، إذا كنتَ تدعوهم .

وإنما فتحتها لتفصيلِ بين المدعوِّ والمدعوِّ له ، ووجب أن تفتحها لأن
أصلَ اللامِ الخافضةً إنما كان الفتح ، فَكُسِرَتْ مع المظهرِ ليُفصلَ بينها
وبين لامِ التوكيدِ ، تقول : إنَّ هذا لَزَيْدٌ ، إذا أردتَ إنَّ هذا زَيْدٌ ،
وتقول : إنَّ هذا لَزَيْدٍ ، إذا أردتَ أنه في ملكِهِ ، ولو فتحتَ لَأَلْتَبَسَا^(١) .

فإن وقعتِ اللامُ على مضمَرٍ فتحتها على أصلها ، فقلتَ : إنَّ هذا لَكَ ،
وإنَّ هذا لَأَنْتَ ، إذا أردتَ لامِ التوكيدِ ، لأنه ليس ههنا لبسٌ ، وذلك أن الأسماءَ
المضمرةَ على غيرِ لفظِ المظهرِ ، فهذا أُجْرِيَتْهَا على الأصلِ ، والاستغاثةُ
تُرَدُّهَا إلى أصلها من أجلِ اللبسِ

والمدعوُّ له في بابهِ ، فاللامُ معه مكسورةٌ ، تقولُ : يا لَرَجَالِ إِيَّامِ ،
ويا لَرَجَالِ لَلعَجَبِ ، ويا لَزَيْدٍ لَلخُطْبِ الجليلِ ، قال الشاعرُ :

= قال : وبراكاه هو الثباتُ في الحربِ .

وقوله في رواية أبي عمر : « ولا أتجى » كذا في الأصل المنقول منه ، وهو خطأ ، صوابه
ما ذكره المرصني في شرحه « ولا يُنجى » . ونسب المرصني البيتَ لدهر بن أبي خازم .

(١) في ج و د و هـ « لَأَلْتَبَسَا » .

يَا لَرِّجَالٍ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَا يَنْفَكُ يَبْعَثُ لِي بَعْدَ النَّهْيِ طَرَبًا
وقال آخرُ :

تَكَنَّفَنِي الْوُشَاءُ فَأَزْجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأَشِيِّ الْمُطَاعِ
وفي الحديث لَمَّا طَعَنَ الْعَلِيجُ أَوْ الْعَبْدُ^(١) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ
صَاحٌ : يَا لِلْمُسْلِمِينَ .

وتقولُ : يَا لِلْمَعْجَبِ ، إِذَا كُنْتَ تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَ « يَا^(٢) » لَغَيْرِ الْعَجَبِ ،
كَأَنَّكَ قُلْتَ : يَا لِلنَّاسِ لِلْمَعْجَبِ ، وَيُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتُ :

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارِ^(٣)
ف« يَا » لَغَيْرِ اللَّعْنَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ .

وَزَعَمَ سَيَبُويهِ أَنَّ هَذِهِ اللَّامُ الَّتِي لِلِاسْتِغَاثَةِ دَلِيلٌ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَلِفِ الَّتِي
تُبَيِّنُ بِالْهَاءِ فِي الْوَقْفِ إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تُسْمَعَ بَعِيدًا ، فَإِنَّمَا هِيَ لِلِاسْتِغَاثَةِ بِمَنْزِلَةِ
هَذِهِ اللَّامِ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : يَا قَوْمَاهُ ، عَلَى غَيْرِ النَّدْبَةِ ، وَلَكِنْ لِلِاسْتِغَاثَةِ
وَمَدَّ الصَّوْتِ .

وَالْقَوْلُ كَمَا قَالَ ، مَحْلُهُمَا عِنْدَ الْعَرَبِ مَحَلٌّ وَاحِدٌ ، فَإِنِ وُصِلَتْ حَذَفَتْ
الْهَاءُ ، لِأَنَّهَا زِيدَتْ فِي الْوَقْفِ خَلْفَاءَ الْأَلِفِ ، كَمَا تُرَادُ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ ، فَإِذَا
وُصِلَتْ أَغْنَى مَا بَعْدَهَا عَنْهَا ، تَقَوْلُ : يَا قَوْمًا تَعَالَوْا ، وَيَا زَيْدًا لَا تَفْعَلْ . وَلَا

(١) هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

(٢) في ج و هـ « يا » .

(٣) « سمعان » بكسر السين . وفي د و هـ بفتحها ، وكلاهما صحيح .

يجوز أن تقول يا زَيْدٌ وهو مُقْبِلٌ عليك ، وكذلك لا يجوز أن تقول : يا زَيْدَاهُ وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيد ، أو يُدْبَهُ به النَّائمُ .

فإن قلت : يا زَيْدٍ ولِعَمْرٍو ، كسرت اللام في « عمرو » وهو مَدْعُوٌّ ، لأنك إنما فتحت اللام في « زيدٍ » لتفصل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ إِلَيْهِ ، فلما عطفت على « زيدٍ » استغنيت عن الفصل ، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار في مثل حاله .

ونظير ذلك الحكاية ، يقول الرجلُ : رأيتُ زيداً ، فتقولُ ، مَنْ زيداً ؟ [ويقولُ : مررتُ بزَيْدٍ ، فتقولُ : مَنْ زيدٍ ؟]^(١) وإنما حكيت قوله لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمه عن الذي ذَكَرَ بَعِيْنِهِ ، ولا تسأله عن زيدٍ غيره ، والموضع موضع رفعٍ ، لأنه ابتداء وخبرٌ ، فإن قلت : وَمَنْ زيدٌ ؟ أو فَمَنْ زيدٌ ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لأنك عطفت على كلامه ، فاستغنيت عن الحكاية ، لأن العطف لا يكون مستأنفاً .

وَنَظِيرُ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ فِي اللَّامِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
يَبْكِيكَ نَاءُ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَأَلُّ كَهُولَ وَ الشَّبَانَ لِلْمَعْجَبِ
فقد أَحْكَمْتُ لَكَ كُلَّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ .

ثم نعود إلى ذكر الخواارج

قال [أبو العباس] ^(٢) : وَذَكَرَ لِمُبِينِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ ،

(١) الزيادة من س و د و هـ .

(٢) الزيادة من س .

يقال له خالد بن عَبَّادٍ^(١) ، أو ابن عُبَادَةَ ، وكان من نَسَائِكِهِمْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ آلِ ثَوْرٍ ، فَكَذَّبَ عَنْهُ ، وَقَالَ : هُوَ صِهْرِي وَهُوَ فِي ضِمْنِي ، نَخَلِي عَنْهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الرَّجُلُ يَتَقَقَّدُهُ حَتَّى تَغَيَّبَ ، فَأَتَى ابْنَ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبَّادٍ فَأَخَذَ ، فَقَالَ عُبيد الله بن زيادٍ : أَيْنَ كُنْتَ فَواعِيَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَوْمٍ يَذُكُرُونَ اللَّهَ وَيَذُكُرُونَ أُمَّةَ الْجَوْرِ فَيَتَبَرَّوْنَ مِنْهُمْ ! قَالَ : ذُلُّنِي عَلَيْهِمْ^(٢) ، قَالَ : إِذَنْ يَسْعُدُوا وَتَشْقَى ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْوَعِهِمْ ! قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ؟ قَالَ : خَيْرًا ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ، أَتَتَوَلَّاهُ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَا وَوَلِيِّيْنِ لِلَّهِ فَلَسْتُ أُعَادِيهِمَا ، فَأَرَاغَهُ مَرَاتٍ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ إِلَى رَحْبَةَ^(٣) تُعْرَفُ بِرَحْبَةَ الزُّبَيْدِيِّ^(٤) ، فَجَعَلَ الشَّرْطَ يُتَفَادَوْنَ مِنْ قَتْلِهِ ، وَيَرْوَعُونَ عَنْهُ تَوْقِيًا ، لِأَنَّهُ كَانَ شَاسِفًا^(٥) عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ ، حَتَّى أَتَى الْمُتَمَلِّمُ بْنُ مَسْرُوحٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ مِنَ الشَّرْطِ ، فَتَمَقَّدَ فَقَتَلَهُ ، فَأَتَمَّرَ بِهِ

(١) فِي ج وَ د وَ ه « عُبَّادٍ » .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه « أَذُلُّنِي عَلَيْهِمْ » .

(٣) بِحَاشِيَةِ أَمَانِصَ : « قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : الرَّحْبَةُ بِتَسْكِينِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا : الْفَجْوَةُ الْوَاسِعَةُ

بَيْنَ دُورٍ وَغَيْرِهَا » .

(٤) فِي ج وَ د وَ ه « الزُّبَيْدِيُّ » .

(٥) الشَّاسِفُ : الْيَاسُ مِنَ الْمَزَالِ .

الخوارج ليقتلوه^(١)، وكان [رجلاً]^(٢) مُعَرِّمًا بِاللِقَاحِ^(٣)، يَتَّبِعُهَا^(٤) فَيَشْتَرِيهَا
 مِنْ مَظَانِّهَا، وَهِيَ فِي تَقَقُّدِهِ، فَدَسُّوا إِلَيْهِ رَجُلًا فِي هَيْئَةِ الْفَتِيَانِ، عَلَيْهِ رَدْعُ
 زَعْفَرَانٍ^(٥)، فَلَقِيَهُ بِالْمَرْبَدِ وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ لِقْحَةٍ^(٦) صَنِِيٍّ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: إِنْ
 كُنْتَ تَبْلُغُ^(٧) فَعِنْدِي مَا يُغْنِيكَ عَنْ غَيْرِهِ، فَاْمُضِ مَعِي، فَمَضَى الْمَتَلَمُّ عَلَى
 فَرَسِهِ وَالْفَتَى أَمَامَهُ، حَتَّى أَتَى بِهِ بَنِي سَعْدِ، فَدَخَلَ دَارًا، وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ عَلَى
 فَرَسِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ وَتَوَغَّلَ فِي الدَّارِ أَغْلَقَ الْبَابَ، وَثَارَتْ بِهِ الْخَوَارِجُ فَاعْتَوَرَهُ
 حُرَيْثُ بْنُ جَعْلٍ، وَكَهْمُسُ بْنُ طَلْقِ الصَّرِيْمِيِّ فقتلاه، وَجَعَلَا دِرَاهِمَ كَانَتْ
 مَعَهُ فِي بَطْنِهِ، وَدَفَنَاهُ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ، وَحَكَآ آثَارَ الدَّمِ، وَخَلَّىا فَرَسَهُ فِي
 اللَّيْلِ، فَأَصِيبَ مِنَ الْغَدِ فِي الْمَرْبَدِ، وَتَحَسَّسَ^(٨) عَنْهُ الْبَاهِلِيُّونَ فَلَمْ يَرَوْا لَهُ
 أَثْرًا، فَاتَّهَمُوا بِهِ بَنِي سَدُوسٍ، فَاسْتَعَدُّوا عَلَيْهِمُ السُّلْطَانَ، وَجَعَلَ السُّدُوسِيُّونَ
 يَحْلِفُونَ، فَتَحَامَلُ^(٩) ابْنُ زِيَادٍ مَعَ الْبَاهِلِيِّينَ، فَأَخَذَ مِنَ السُّدُوسِيِّينَ أَرْبَعَ دِيَارٍ،

(١) فِي ج و س و د و هـ « أَنْ يَقْتُلُوهُ » .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ ج و د و هـ .

(٣) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ: « ابْنُ شَاذَانَ: اللَّائِحَةُ: النَّاقَةُ الَّتِي لَهَا لَبَنٌ، وَالْجَمْعُ لِقَاحٌ

وَلِقْحٌ » .

(٤) فِي س و د « يَتَّبِعُهَا » .

(٥) الرَّدْعُ: اللَّطِخُ بِالزَّعْفَرَانِ وَالطَّيْبُ .

(٦) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ: « الْمُهْلِكِيُّ: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الصَّيُّ مِنَ الْإِبِلِ: الْغَزِيرَةُ

اللَّبَنُ » .

(٧) قَالَ الْمَرْصِيُّ: يَرِيدُ إِنْ كُنْتَ تَبْلُغُ بِهَا ثَمًّا جَيِّدًا .

(٨) فِي س و هـ « وَتَحَسَّسَ » بِالْجِيمِ .

(٩) فِي س و د و هـ « وَتَحَامَلُ » .

وقال : ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج ؟ كلما أمرتُ بقتل رجلٍ منهم اغتالوا قاتله فلم يُعلمَ بمكانه ، حتى خرج مرداسٌ . فلما واقفهم ابنُ زُرْعَةَ الكلابيُّ صاح بهم حُرَيْثُ بْنُ جَحَلٍ : أهْمنا من باهلةٍ أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، قال : يا أعداءَ اللهِ ! أخذتم بالمشلم^(١) أربعَ دياتٍ وأنا قاتله^(٢) وجعلتُ دراهمَ كانتَ معه في بطنه ، وهو في موضعٍ كذا مدفونٌ ، فلما انهزموا صاروا إلى الدارِ ، فأصابوا أشلاءه والدرهمَ ، ففي ذلك يقولُ أبو الأسودِ الدؤليُّ :

آيْتُ لا أَغْدُو إلى رَبِّ لِقْحَةٍ أساومُهُ حتى يَعُودَ المُشَلَّمُ
ثم خَرَجَتْ خِوارجُ لا ذِكرَ لهم ، كلُّهم قُتِلَ ، حتى انتهى الأمرُ
إلى الأزارقةِ .



ومن هاهنا افتردت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضربٍ :

الإباضيَّةُ ، وهم أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ .
والصفريَّةُ ، واختلفوا في تسميتهم ، فقال قومٌ : سُمُّوا بـابنِ صفارٍ ،
وقال آخرونَ - وأكثر المتكلمين عليه - : هم قومٌ نهكتمُ العبادَةَ
فاصفرت وجوههم .

ومنهم البيهسيَّةُ ، وهم أصحابُ أبي يَبَسِّ^(٣) .

(١) في ج و س و هـ « اللعلم » .

(٢) في ج و س و د و هـ « وأنا قتلته » .

(٣) اسمه « هيصمُ بن جابر » .

ومنها الأزارقة ، وهم أصحابُ نافع بن الأزرقِ الحنفيِّ ، وكانوا قبلَ
على رأي واحدٍ ، لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع ، كما قال صخرُ
بن عروةَ : إني كرهتُ قتالَ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لسابقتِهِ
وقرابتِهِ ، فأما الآن فلا يسعني إلا الخروجُ . وكان اعتزلَ عبد الله بن وهبٍ
يومَ النهْرِ ، فضلَّته الخوارجُ بامتناعِهِ من قتالِ عليٍّ .

فكان أولُ أمرِهِم الذي نستأقُهُ : أن جماعةً من الخوارجِ ، منهم نجدةُ
بن عامرِ الحنفيِّ ، عزُّوا على أن يقصدوا مكةَ ، لما توجهَ مسلمُ بن عُقبةَ
يريدُ المدينةَ لوقعةِ الحرَّةِ ، فقالوا : هذا ينصرفُ عن المدينةِ إلى مكةَ ، ويجبُ
علينا أن نمنعَ حرمَ اللهِ منه ، ونمتحنَ ابنَ الزُّبيرِ ، فإن كان على رأينا بايئناه^(١) ،
فمضوا لذلك .

فكان أولُ أمرِهِم : أن أبا الوازِعِ الراسبيِّ ، وكان من مجتهدي
الخوارجِ كان يذمُّ نفسه^(٢) ويلومُها على القعودِ ، وكان شاعراً ، وكان
يفعلُ ذلك بأصحابِهِ ، فأتى نافعُ بن الأزرقِ وهو في جماعةٍ من أصحابِهِ ،
يصفُ لهم جورَ السلطانِ ، وكان ذا لسانٍ عَصَبٍ ، واحتجاجٍ وصبرٍ على
المنازعةِ ، فأتاه أبو الوازِعِ ، فقال : يا نافعُ ! لقد أعطيتَ لساناً صارماً ،
وقلباً كليلاً ، فلو ددتُ أن صرَّامةَ لسانِكَ كانت لقلبِكَ ، وكرالَ قلبِكَ

(١) في ج و د « تابعتاه » .

كان لِّلِسَانِكَ ، أَتَحْضُ عَلَى الْحَقِّ وَتَقْعُدُ عَنْهُ ، وَتُقْبِحُ الْبَاطِلَ وَتُقِيمُ عَلَيْهِ ؟
فَقَالَ : إِلَى أَنْ تَجْمَعَ (١) مِنْ أَصْحَابِكَ مِنْ تَنْكِي بِهِ عَدُوَّكَ (٢) ، فَقَالَ
أَبُو الْوَازِعِ :

لِسَانُكَ لَا تَنْكِي بِهِ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَنَالُ بِكَفَيْكَ النَّجَاةَ مِنَ الْكَرْبِ (٣)
فَجَاهِدْ أَنَا سَا حَارَبُوا اللَّهَ وَاصْطَبِرْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُجْزِيَ غَوِيَّ بَنِي حَرْبٍ
ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَلُومُكَ وَنَفْسِي أَلُومٌ ، وَلَا أَعْدُونَ عَدُوَّةَ لَا أَشْنِي بَعْدَهَا أَبَدًا ، ثُمَّ
مَضَى فَاشْتَرَى سَيْفًا ، وَأَتَى صَيْقِلًا كَانَ يَذْمُ الْخَوَارِجَ وَيَدُلُّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ ، فَشَاوَرَهُ
فِي السَّيْفِ فَمَدَّهُ ، فَقَالَ : اشْحَذْهُ ، فَشَحَذَهُ ، حَتَّى إِذَا رَضِيَهُ حَكَمَ وَخَبَطَ
بِهِ الصَّيْقِلَ ، وَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَهَارَبُوا مِنْهُ ، حَتَّى أَتَى مَقْبَرَةَ بَنِي يَشْكُرَ ،
فَدَفَعَ عَلَيْهِ رَجُلٌ حَائِطَ الشُّتْرَةِ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ بَنُو يَشْكُرَ ، خَوْفًا أَنْ
تَجْعَلَ الْخَوَارِجُ قَبْرَهُ مُهَاجِرًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَافِعُ [بَنُ الْأَزْرَقِ (٤)] وَأَصْحَابُهُ
جَدُّوهُ ، وَخَرَجَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ ، فَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ عَيْسَى بْنُ فَاتِكِ الشَّاعِرُ
الْخَطَّيْ ، مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَمَقْتَلُهُ بَعْدَ خُرُوجِ الْأَزَارِقَةِ .

(١) فِي ج وَ د وَ هـ « يَجْتَمِعَ » .

(٢) بِحَاشِيَةِ مَا نَصَّهُ : « يُقَالُ : نَكَيْتُ فِي الْعَدُوِّ أَنْكِي نِكَايَةً ، وَنَكَاتُ الْقَرْحَةَ
أَنْكُوهُمَا نَكَاً : إِذَا قَشَرْتَهُمَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : تَقُولُ نَكَاتُ فِي الْعَدُوِّ نَكَاً
بِالْهَمْزِ ، وَنَغَةً أُخْرَى : نَكَيْتُ فِي الْعَدُوِّ نِكَايَةً ، وَنَكَاتُ الْجُرْحِ وَالْقَرْحَةَ ،
وَأَنَا أَنْكُوهُمَا نَكَاً : إِذَا قَشَرْتَهُمَا بَعْدَ مَا كَادَا يَبْرَأَنَّ » .

(٣) فِي ج وَ د وَ هـ « لَا يُنْكِي بِهِ الْقَوْمَ » .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ هـ .

فضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة ، ليمنعوا
الحرم من جيش مسلم بن عقبة ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم ،
فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام ، فدافعهم
إلى أن يأتى زيد بن معاوية ، ولم يبايعوا ابن الزبير ، ثم تناظروا فيما
بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدم أبا بكر وعمر ،
وبرى من عثمان وعلي ، وكفر أباه وطلحة - : بايعناه ، وإن تكن الأخرى
ظهر لنا ما عنده ، فتشاغلنا بما يجدى علينا ، فدخلوا على ابن الزبير ، وهو
متبذل ، وأصحابه متفرقون عنه ، فقالوا : إنا جئناك لتخبرنا رأيك ، فإن
كنت على الصواب بايعناك ، وإن كنت على غيره ^(١) دعوناك إلى الحق ،
ما تقول فى الشيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقول فى عثمان ، الذى أحمى
الحمى ، وأوى الطريد ^(٢) ، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه ، وأوطأ
آل أبى معيط رقاب الناس وأثرهم ببقية المسلمين ؟ وفى الذى بعده ^(٣)

(١) فى ج و س و د و هـ « على خلافه » .

(٢) بحاشية ما نصه : « قال الخليل : أوى الإنسان إلى منزله أوياً ، وأويت فلاناً
إيواءً . وتقول : أويت إلى منزلى ، وآوانى فلان إلى منزله . والمأوى : كل
شئ تأوى إليه ليلاً أو نهاراً . قال الكسائى : يقال : أويت الرجل إيواءً
وأويتته ، وأويت إلى أهلى وأويت أهلى ، وأويت الحمى أشد الإوى » ، بكسر
الألف .

(٣) يعنون على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الذي حكم في دين الله الرجال ، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ؟ وفي
أيك وصاحبه^(١) ، وقد بايعاً علياً وهو إمام عادل مرضي ، لم يظهر منه كفر ،
ثم نسكنا ، بعرض من أعراض الدنيا ، وأخرجنا عائشة ثقاتل ، وقد أمرها الله
وصواحبه أن يقرن^(٢) في يوتهن ، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة ،
فإن أنت قلت كما تقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ، ونسأل
الله لك التوفيق ، وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول ، وتصويب أيك
وصاحبه ، والتحقيق بعثمان ، والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ،
ونقضت عهده^(٣) ، وأفسدت إمامته - : خذلك الله وانتصر منك بأيدينا !!
فقال ابن الزبير : إن الله أمر - وله العزة والقدرة - في مخاطبة أ كافر
السافرين وأعتى العتاة بأرف^(٤) من هذا القول ، فقال لموسى وأخيه^(٥) -
صلى الله عليهما - في فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ
يَخْشَى ﴾^(٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بسبب »

(١) يعنون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، رضي الله عنهما .

(٢) في ج « يَقْرَنَ » . و « قَرَّ » من بابي « فَرَّ » و « مَلَّ » وهذا إشارة منهم إلى

قوله تعالى : ﴿ وَقْرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣ وهي قراءة نافع وعاصم

وأبي جعفر « قرن » بفتح القاف ، وقرأها باقي الأربعة عشر بكسر القاف .

(٣) كلمة « عهده » في موضعها بياض في أكثر النسخ ، وهي ثابتة في بعضها ، وعليها نسخة

المرصفي ، وكتب مصحح بعض طبعات مصر بدلها « أحكامه » وما هنا أصح وأجود .

(٤) في ج و س و هـ « بِأَرْفَ » .

(٥) في ج و س و د « وَأَخِيهِ » .

(٦) سورة طه آية ٤٤

الموتى»^(١) فَنهَى عن سَبِّ أَبِي جَهْلٍ من أجل عِكْرِمَةَ ابْنِهِ ، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرسولِ ، والمقيم^(٢) على الشُّركِ ، والجأذ في المحاربة ، والمُتَبَعِضُ^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهجرة ، والمحاربُ له بعدها ، وكنى بالشركِ ذنبًا ، وقد كان يُعْنِيكم عن هذا القولِ الذي سَمِيَتْ فيه طلحةٌ وأبي أن

(١) في ج و هـ « بسب الأموات » . والحديث رواه أحمد والنسائي من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ : « لا تُسَبُّوا الأمواتَ فَمَتَّوَذُوا الأحياءَ » وروى ابن سعد في الطبقات (ج ٤ : ق ١ ص ١٦) : « أن رجلاً من المهاجرين لقيَ العباسَ بنَ عبدِ المطلب فقال : يا أبا الفضل ! أرايتَ عبدَ المطلب بنَ هاشمٍ والغَيْطَلَةَ كاهنَةَ بنى سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللهُ جميعاً في النَّارِ ؟! فصَفَحَ عنه ، ثم لقيه الثانيةَ فقال له مثل ذلك ، فصَفَحَ عنه ، ثم لقيه الثالثةَ فقال له مثل ذلك ، فرفع العباسُ يده فَوَجَّأَ أنفَهُ فكَسَرَهُ ، فانطلق الرجلُ كما هو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : ما هذا ؟ قال : العباسُ ، فأرسلَ إليه فجاءه ، فقال : ما أردتَ إلى رجلٍ من المهاجرين ؟ فقال : يا رسولَ اللهِ ! والله لقد علمتُ أنَّ عبدَ المطلبِ في النَّارِ ، ولكنه لقيني فقال يا أبا الفضل أرايتَ عبدَ المطلبِ بنَ هاشمٍ والغَيْطَلَةَ كاهنَةَ بنى سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللهُ جميعاً في النَّارِ ، فصَفَحْتُ عنه مرارًا ، ثم والله ما ملكتُ نفسى ، وما إياه أَرَادَ ، ولكنه أَرَادَنِي ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ما بالُ أَحَدِكُمْ يُؤَذِي أَخَاهُ في الأمرِ وإن كان حقًّا ؟! » .

(٢) في ج و د و هـ « عدوُّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وعدوُّ اللهِ ، المقيمُ » الخ .

(٣) بحاشية ١ ما نصه : « في نسخة : المُتَبَعِضُ » .

تقولوا: أتَبْرَأُ^(١) من الظالمين؟ فإن كانوا منهم دخلاً في عُمارِ الناس^(٢)، وإن لم يكونا منهم لم تُحْفِظُونِي^(٣) بِسَبِّ أَبِي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن في أبويهِ: ﴿وإن جَاهَدَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، وصاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٤) وقال جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وقولوا للنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٥) وهذا الذي دَعَوْتُمْ إليه أمرٌ له ما بعده، وليس يُقْنِعُكُمْ إِلَّا التَّوْقِينُ والتَّصْرِيحُ، ولَعَمْرِي إن ذلك لَأَخْرَى بِقَطْعِ الْحَجَجِ، وأَوْضَحَ لِمَنْهَاجِ الْحَقِّ، وأَوْلَىٰ بَأَنْ يَعْرِفَ كُلُّ صَاحِبِهِ من عَدُوِّهِ، فرُوحُوا إِلَىٰ مِنْ عَشِيَّتِكُمْ هذه أَكْشِفْ لَكُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ إن شاء الله. فلما كان العَشِيُّ رَاحُوا إِلَيْهِ، فخرَجَ إِلَيْهِمْ وقد لبَسَ سِلَاحَهُ، فلما رَأَى ذلك نَجْدَةً قَالَ: هذا خُرُوجٌ مُنَابِذٍ لَكُمْ، فجلس على رَفْعٍ^(٦) من الأَرْضِ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ [مُحَمَّدٍ^(٧)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ أَحْسَنَ ذِكْرٍ، ثم ذَكَرَ عُمَانَ فِي السَّنِينَ الْأَوَائِلِ من خِلافَتِهِ، ثم وَصَلَهُنَّ بِالسَّنِينَ الَّتِي أَنْكَرُوا سِيرَتَهُ فِيهَا، فجعلها كالمَاضِيَةِ، وخَبَّرَ أَنَّهُ آوَى الْحَكَمَ

(١) في ج و س « تَبْرَأُ ». وفي د « تَبْرَأُ أَنَا ».

(٢) « عُمارِ الناس » بضم العين وفتحها : جماعتهم .

(٣) أى : لم تفضبوني .

(٤) سورة لقمان آية ١٥

(٥) سورة البقرة آية ٨٣

(٦) في ا « رُبُوعَةٌ » وعليها « صح » . و « الربوة » المكان المرتفع ، يضم الراء وهو

الأكثر ، والفتح لغة بني تميم ، والكسر لغة أخرى ، كما في المعيار .

(٧) الزيادة من ج و س .

بن أبي العاصِ بإذنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرَ الحِمِيُّ وما كان فيه من الصَّلاحِ ، وأنَّ القومَ اسْتَعْتَبُوهُ منْ أمورٍ ، وكان له أن يفعلها أولاً مُصِيباً ، ثم أَعْتَبَهُمْ بعدُ مُحْسِنًا ، وأنَّ أهلَ مِصرَ لما أتوه بكتابِ ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أن ضَمِنَ لهم العُتْبَى ، ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه ، فحلف أنه لم يَكْتُبْهُ ولم يَأْمُرْ به ، وقد أمرَ بِقبولِ اليمينِ ممن ليس له مثلُ سابقتهِ ، مع ما اجتمعَ له من صِهرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الإمامةِ ، وأن بيعةَ الرضوانِ تحتَ الشجرةِ إنما كانت بسببه ، وعثمانُ الرجلُ الذي لزمتهِ يمينُ لو حلفَ عليها حَلَفَ على حقٍّ فاقتداها بمائةِ ألفٍ ولم يحلفِ ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ » (١) فعثمانُ أميرُ المؤمنينِ كصاحبِيه ، وأنا وليُّ وَايَهْ ، وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ ، وَأَبِي وصاحبِيه صاحبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله يقولُ (٢) « عن الله تعالى يومَ أُحُدٍ لما قُطِعَتْ إصْبَعُ طَلْحَةَ : « سَبَقْتَهُ إِلَى الْجَنَّةِ » (٣) وقال : « أَوْجَبَ طَلْحَةُ » (٤) . وكان الصَّدِيقُ إذا ذَكَرَ يومَ أُحُدٍ قال : ذلك (٥) يومٌ كَلَّهُ أو جَلَّهُ لطلْحَةَ ، والزبيرُ حواريُّ رسولِ الله وَصِفْوَتُهُ (٦) ، وقد ذَكَرَ أَنهما في الجنةِ ،

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ .

(٢) في ج و هـ « وهو يقول » .

(٣) الحديث لم أجد هذا اللفظ أيضاً .

(٤) الحديث رواه الترمذى في السنن في كتاب المناقب (٢ : ٣٠٢ طبعة بولاق ، ٤ : ٣٣٢ من شرح المباركفوري) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٥) في ج و س و د و هـ « ذلك » .

(٦) في جميع الأصول بكسر الصاد ، و « الصفوة » مثلثة الصاد .

وقال جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١) وما أَخْبَرَنَا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكن ماسِعُوا فيه حقًّا فأهلُ ذلك هم ، وإن يكن زَلَّةً^(٢) فَنَفَى عَفْوُ اللَّهِ تَمَجُّبُهَا ، وفيما وَفَّقَهُمْ له من السابقة مع نَبِيِّهم صلى الله عليه ، ومهما ذَكَرَتْهُمَا به فقد بَدَأْتُمْ بِأُمَّكُمْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها ، فإن أبا أن تكون له أُمًّا تَبَدَّ اسمَ الإِيْمَانِ عنه^(٣) ، قال اللهُ جلَّ ذِكْرُهُ وقولُهُ الحقُّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٤) فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ثم انصرفوا عنه .

وكان سببُ وضعِ الحربِ [أوزارها]^(٥) بينَ ابنِ الزبيرِ وبينِ أهلِ الشَّامِ - بعدَ أن كان^(٦) حُضَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبيرِ - أنه أتاهم موتُ يزيدِ بنِ معاويةَ فتوادَعَ الناسُ ، و [قد]^(٧) كان أهلُ الشَّامِ ضَجِرُوا من المَقَامِ على ابنِ الزبيرِ ، وَحَنَقَتِ الخوارجُ^(٨) في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجلٌ من قُضَاعَةَ :

(١) سورة الفتح آية ١٨

(٢) في ١ « وَإِنْ تُكُنْ زَلَّةً » .

(٣) في س « نَفَى عَنْهُ اسْمَ الإِيْمَانِ » .

(٤) سورة الأحزاب آية ٦

(٥) الزيادة من ه .

(٦) في ج و د و ه « بعد إذ كان » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٨) في ج و س و د « وَحَنَقَتِ الخوارجِ » . وبجاشية ما نصه : « الحَنَقُ : =

يا صاحبي ارتحلاً ثم املساً لا تحبسنا لدى الحُضَيْنِ مَحْبَسَا
إِنَّ لَدَى الْأَرْكَانِ نَاسًا بُوَّسَا

[قال الأَخْفَشُ: حَفِظِي « بَأْسًا أَبُو سَا »]^(١) :

وبارقاتٍ يَحْتَلِسْنَ الْأَنْفُسَا إِذَا الْفَتَى حَكَمَ يَوْمًا كَلْسَا
قوله: « ثم املساً » يريد: تَخَلَّصًا تَخَلُّصًا سَهْلًا. « وَكَلَسَ » أَي
حَمَلَ وَجَدَّ .

ولما سَمَّحَ ابْنُ الزَّيْبِرِ لِلخَوَارِجِ فِي الْقَوْلِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مِنْهُمْ قَالَ [لَهُ]^(٢)
رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ هَمَّامٍ^(٣) مِنْ رَهْطِ الْفَرَزْدَقِ :

يَا بْنَ الزَّيْبِرِ أَتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا ظَلَمًا أَبَاكَ وَلَمَّا تُنَزَّعِ الشُّكَّكَ
صَحَّوْا بِعِثَانَ يَوْمِ النَّحْرِ ضَاحِيَةً مَا أَعْظَمَ الْحَرَمَةَ الْعُظْمَى الَّتِي أَنْتُمْ كُورَا
فَقَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ: لَوْ شَاحِيَعْتَنِي الْتَرَكْتُ وَالذَّيْمُ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ لَشَاحِيَعْتَهَا.

« الشُّكَّكَ » جَمْعُ « شِكَّةٍ » وَهِيَ السَّلَاحُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمُدَجَّجًا يَسْمَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ كَالْكَأْبِ

= الْحِقْدُ ، حَنِقَ يَحْنُقُ حَنْقًا ، فَأَحْنَقْتُ الرَّجُلَ إِحْنَاقًا : إِذَا أَحْقَدْتَهُ ، وَالرَّجُلُ
حَنِقٌ وَحَنِيقٌ .

(١) الزيادة من أ .

(٢) الزيادة من ج .

(٣) في ج و س و د و ه « فلان بن همام » .



فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان ، فصارت طائفة إلى
البصرة ، وطائفة إلى اليمامة ، وكان رجاء الثميري^(١) هو الذي كان جمعهم
للمدافعة عن الحرم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافع بن الأزرق الحنفي ؛
وبنو الماحوز^(٢) السليطيون ، ورئيسهم حسان بن بحزج^(٣) ، فلما صاروا إلى
البصرة نظروا في أمورهم فأمرُوا عليهم نافعاً .

ويروى : أن أبا الجلد اليشكري قال لنا نافع يوماً : يا نافع ! إن لجهنم
سبعة أبواب ، وإن أشدها حرًا للباب الذي أعد للخوارج ، فإن قدرت
أن لا تكون منهم فافعل ، فأجمع القوم على الخروج ، فضى بهم نافع إلى
الأهواز في سنة أربع وستين ، فأقاموا بها ، لا يهيجون أحدًا ، ويُناظرهم الناس .



وكان سبب خروجهم إلى الأهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة
عبيد الله بن زياد ، وكان في السجن يومئذ أربع مائة رجل من الخوارج ،
وضعت أمر ابن زياد ، فكلم فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البيعة عليه ، وفشوا في
الناس ، يدعون إلى محاربة السلطان ، ويظهرون ما هم عليه ، حتى اضطرب
على عبيد الله أمره ، فتحوّل عن دار الإمارة إلى الأزد ، ونشأت الحرب بسببه

(١) في ج و د و هـ « رجاء النصري » .

(٢) قال المرصفي : « هم الزبير وعثمان وعليّ وعبد الله وعبيد الله بن بشير بن يزيد المعروف بالماحوز ،
وهم من بني الحرث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، وكلهم
أمراء الأزارقة » .

(٣) في ج « بحذج » وفي د « بحذج » وفي هـ « بحذج » .

بين الأزدي وربيعة وبين بنى تميم ، فاعتزلهم الخوارج إلا نفرًا منهم من بنى تميم ، معهم عبس بن طلق الصريمي أخو كهمس ، فانهم أعالوا قومهم ، فكان عبس الطعان في سعد ، والرباب في القلب بجذاه الأزدي ، وكان حارثة بن بدر اليربوعي في حنظلة بجذاه بكر بن وائل ، وفي ذلك يقول حارثة بن بدر للأخيف ، وهو صخر بن قيس :

سَيَكْفِيكَ عَبْسُ أَخُو كَهْمَسٍ مُوَاقِفَةَ الْأَزْدِ بِالْمُرْبَدِ
وَتَكْفِيكَ عَمْرُو عَلَى رِسْلِهَا لُكَيْزُ بْنُ أَفْصَى وَمَا عَدَدُوا
« لُكَيْزٌ » هُوَ عَبْدُ الْقَيْسِ .

وَتَكْفِيكَ بَكْرًا إِذَا أَقْبَلْتُ بِضَرْبِ يَشِيبُ لَهُ الْأَمْرَدُ
فَمَا قُتِلَ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو الْمَعْنَى وَتَسَكَّفَ النَّاسُ أَقَامَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرُقِ بِمَوْضِعِهِ
بِالْأَهْوَاذِ ، وَلَمْ يَمُدَّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَطَرَدُوا عُمَّالَ السُّلْطَانِ عَنْهَا ، وَجَبَّوْا النَّيْءَ .
وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ ، يَتَوَلَّوْنَ أَهْلَ النَّهْرِ وَمِنْ دِاسَاوٍ مِنْ خَرَجَ مَعَهُ ،
حَتَّى جَاءَ مَوْئِيَّ ابْنِي هَاشِمٍ إِلَى نَافِعٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَطْفَالَ الْمَشْرِكِينَ فِي النَّارِ ،
وَإِنْ مَنْ خَالَفَنَا مُشْرِكٌ ، فِدْمَاءُ هُوَ لِأَوْلَادِ الْأَطْفَالِ لَنَا حِلَالٌ ، قَالَ لَهُ نَافِعٌ :
كَفَرْتَ وَأَدَلَّتْ بِنَفْسِكَ^(١) ، قَالَ لَهُ : إِنْ لَمْ آتِكَ بِهَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاقْتُلْنِي
﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾^(٢) فهذا أمر الكافرين وأمر

(١) في س و هـ « وَأَحْلَيْتَ بِنَفْسِكَ » .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ و ٢٧

أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعاً في النار ، ورأى قتلهم ، وقال : الدارُ دارُ
كُفرٍ إلّا مَنْ أظهرَ إيمانهُ ، ولا يحِلُّ أكل ذبائحهم^(١) ، ولا تناكحهم ، ولا
توارثهم ، ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب ،
لا نقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف ، والقعد بمنزلتهم ، والتقية لا تحل ، فان
الله تعالى يقول : ﴿ إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ
خشيةً ﴾^(٢) وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم : ﴿ يجاهدون في سبيل
اللهِ ولا يخافون لومةَ لائمٍ ﴾^(٣) . فنقر جماعة من الخوارج عنه ، منهم نجدة
بن عامر ، واحتج عليه بقول الله عز وجل : ﴿ إلّا أن تتقوا منهم ثقاةً ﴾^(٤)
وبقوله عز وجل : ﴿ وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانهُ ﴾^(٥) .
فالقعد منا ، والجهاد إذا أمكن أفضل ، لقوله جل وعز : ﴿ وفضلَ اللهُ
المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً ﴾^(٦) . ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة
وتفرقوا في البلدان .

فلما تتابع^(٧) نافع في رأيه وخالف أصحابه ، وكان أبو طلوت سالم

(١) في ج و س و د و هـ « ولا تحل ذبائحهم » .

(٢) سورة النساء آية ٧٧

(٣) سورة المائدة آية ٥٤ وفي ج و س و د « يقاتلون » بدل « يجاهدون » وهو خطأ
مخالف للتلاوة .

(٤) سورة آل عمران آية ٢٨

(٥) سورة غافر آية ٢٨

(٦) سورة النساء آية ٩٥

(٧) « تابع » بإياء المثناة التحتية . قال في اللسان : « التابع في الشيء وعلى الشيء : التهافت
فيه والتابعة عليه : الإسراع إليه . يقال : تابعوا في الشر : إذا تهاوتوا وسارعوا إليه » .
ثم نقل عن الأزهرى قال : « ولم نسمع التابع في الخير ، وإنما سمعنا في الشر ، والتابع : =

بن مطرٍ بالخضارمِ في جماعةٍ قد بايعوه ، فلما انخزل نَجْدَةٌ خَلَعُوا أَبَا طَالُوتَ ،
 وصاروا إلى نَجْدَةٍ فبايعُوهُ ، وَلَسِقَى نَجْدَةٌ وَأَصْحَابُهُ قَوْمًا مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْعَرَمَةِ ،
 « وَالْعَرَمَةُ » كَالسَّكْرِ^(١) ، وَجَمْعُهَا « عَرِمٌ » وَفِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾^(٢) ، وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :

مِنْ سَبَبِ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا
 فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ نَجْدَةٍ : إِنْ نَافِعًا قَدْ كَفَّرَ^(٣) الْقَعْدَ وَرَأَى الْاِسْتِعْرَاضَ^(٤) ،
 وَقَتَلَ الْأَطْفَالَ^(٥) ، فَانصَرَفُوا مَعَ نَجْدَةٍ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْيَمَامَةِ كَتَبَ إِلَى نَافِعٍ :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ
 الرَّحِيمِ ، وَاللَّضَعِيفِ كَالْأَخِ الْبَرِّ ، لَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمَّةٌ ، وَلَا تَرَى

= التهاافت في الشرّ واللجاج ، ولا يكون النتائج إلا في الشرّ . وفي ج و س و د و هـ
 « نتابع » بالباء الموحدة ، وعليها طبقات مصر .

(١) هنا بحاشية ما نصه : « السَّكْرُ : ما سَكَّرَتْ بِهِ الْمَاءُ فَمَنَعَتْهُ عَنِ جَرِيهِ ،
 وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَكَّرَتْ الرِّيحُ : إِذَا سَكَنَتْ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّكْرُ سَدٌّ
 بِمَقْوَلِ الْمَاءِ ، وَالسَّكْرُ اسْمٌ لِذَلِكَ السَّدَادِ الَّذِي تَجْعَلُهُ سَدًّا لِلْبَثْقِ . قَالَ
 ابْنُ دُرَيْدٍ : الْعَرِمَةُ : سَدٌّ يُمْتَرَضُ بِهِ الْوَادِي لِيَحْبَسَ الْمَاءَ ، وَالْجَمْعُ عَرِمٌ .
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْعَرِمُ وَاحِدٌ لِاجْمَعِ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ . »

وهنا أيضاً بحاشية هـ ما نصه : « قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : غَيْرُهُ يَقُولُ الْعَرَمَةَ بِالْفَتْحِ ،
 وَالصَّوَابُ الْعَرِمَةُ بِالْكَسْرِ . »

(٢) سورة سبأ آية ١٦

(٣) في ج و س و د و هـ « أَكْفَرَ » .

(٤) « الاستعراض » قال المرصني : « يريد اعتراضه الناس يقتلهم ، لا يبالي أمسما قتل أم كافرًا » .

(٥) في ا « وَقَتَلَ الْأَطْفَالَ » .

مَعُونَةَ ظَالِمٍ ، كَذَلِكَ كُنْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، أَمَا تَذَكُرُ^(١) قَوْلَكَ : لَوْلَا
أَنْتَى أَعْلَمُ أَنَّ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ مِثْلَ أَجْرِ جَمِيعِ رَعِيَّتِهِ مَا تَوَلَّيْتُ أَمْرَ رَجُلَيْنِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ؟ فَلَمَّا شَرَّيْتَ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ ، وَأَصْبْتَ مِنَ
الْحَقِّ فَصَّهُ ، وَرَكِبْتَ مَرَّةً ، تَجَرَّدَ لَكَ الشَّيْطَانُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدًا أَثْقَلَ عَلَيْهِ
وَطَآءَةً مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ ، فَاسْتَمَلَكَ وَاسْتَهْوَاكَ وَاسْتَغْوَاكَ وَأَغْوَاكَ ، فَغَوَّيْتَ ،
فَأَكْفَرْتَ^(٢) الَّذِينَ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَعَدِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعَقَتِهِمْ ، فَقَالَ
جَلِ ثَنَاؤُهُ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى
الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ ﴾^(٣) ثُمَّ سَمَّاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنَ
سَبِيلٍ ﴾^(٤) ثُمَّ اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهِمْ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَرْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ
أُخْرَى ﴾^(٥) وَقَالَ فِي الْقَعْدِ خَيْرًا ، وَفَضَّلَ اللَّهُ مَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَدْفَعُ
مَنْزِلَةً أَكْثَرَ النَّاسِ عَمَلًا مَنْزِلَةً مَنْ هُوَ دُونَهُ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾^(٦) فَعَلِمَهُمُ اللَّهُ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَرَأَيْتَ الْأَثْوَدَى الْأَمَانَةَ

(١) فِي ج و س و د و ه « أَوْ مَا تَذَكُرُ » .

(٢) فِي ج و س و د و ه « فَكَفَّرْتَ » .

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ ٩١

(٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ ٩١

(٥) سُورَةُ الْأَنْعَامِ آيَةُ ١٦٤ وَسُورَةُ الْإِسْرَاءِ آيَةُ ١٥ وَسُورَةُ فَاطِمَةَ آيَةُ ١٨ وَسُورَةُ الزُّمَرِ آيَةُ ٧

(٦) سُورَةُ النَّسَاءِ آيَةُ ٩٥ وَقَرَأَ نَاعِبُ وَابْنُ عَامِرٍ وَالسَّكَّانِيُّ « غَيْرُ » بِنَسْبِ الرَّاءِ ، وَبَقِيَ السَّبْعَةُ

إلى مَنْ خَالَفَكَ ، وَاللَّهُ يَأْمُرُ أَنْ تُؤَدَّى الْأَمَانَاتُ إِلَى أَهْلِهَا ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانظُرْ
لنَفْسِكَ ، وَاتَّقِ يَوْمًا * لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ
وَالِدِهِ شَيْئًا * (١) فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرُهُ بِالرِّصَادِ ، وَحُكْمِهِ الْعَدْلُ ، وَقَوْلِهِ
الفصلُ ، والسلامُ .



فَكُتِبَ إِلَيْهِ نَافِعٌ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَعْظُمُنِي فِيهِ
وَتُذَكِّرُنِي ، وَتَنْصَحُنِي وَتَرْجُرُنِي ، وَتَصِفُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ،
وَمَا كُنْتُ أُؤْتِرُهُ مِنَ الصَّوَابِ ، وَأَنَا أَسْتَلُّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ
الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَعَيْبَتَ عَلَيَّ مَا دِنْتُ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ
الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ ، فَسَأَفْسُرُ لَكَ لِمَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :
أَمَّا هَؤُلَاءِ الْقَعْدُ فَلَيْسُوا كَرَنٌ ذَكَرْتِ مَنْ كَانَ بِمَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ مَقْهُورِينَ مَحْصُورِينَ ، لَا يَجِدُونَ إِلَى الْمَهْرَبِ
سَبِيلًا ، وَلَا إِلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمَسَامِينِ طَرِيقًا ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ فَقَهُوا فِي الدِّينِ ،
وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَالطَّرِيقُ لَهُمْ نَهْجٌ وَاضِحٌ ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِي مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ ، إِذْ قَالُوا : * كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ * (٢) فَقِيلَ لَهُمْ :

(١) سورة لقمان آية ٣٣ والتلاوة « واخشوا يوما لا يجزي » .

(٢) سورة النساء آية ٩٧

﴿ أَلَمْ تَسْكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسْمَعَهُ قُمْهَا جَرُوا فِيهَا ﴾^(١) وَقَالَ : ﴿ فَرِحَ
 الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾^(٢) وَقَالَ : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ
 الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾^(٣) فَخَبَّرَ بِتَعْذِيرِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،
 وَقَالَ : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤) فَانظُرْ إِلَى أَسْمَائِهِمْ
 وَسَمَاتِهِمْ ، وَأَمَّا أَمْرُ الْأَطْفَالِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ -
 يَا نَجْدَةٌ - مِنِّي وَمِنْكَ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
 دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَّارًا ﴾^(٥)
 فَسَمَّاهُمُ بِالْكَفْرِ وَهُمْ أَطْفَالٌ ، وَقَبْلَ أَنْ يُوَلَّدُوا ، فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ فِي قَوْمِ
 نُوحٍ وَلَا نَسْكَوْنُ تَقْوَاهُ فِي قَوْمِنَا ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ
 أَوْلَائِكُمْ ، أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾^(٦) وَهَؤُلَاءِ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ ،
 لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ جَزِيَّةٌ ،^(٧) وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ أَوِ الْإِسْلَامُ . وَأَمَّا
 اسْتِحْلَالُ أَمَانَاتِ مَنْ خَالَفَنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَنَا أَمْوَالَهُمْ ، كَمَا أَحَلَّ
 لَنَا دِمَائَهُمْ ، فَدِمَاؤُهُمْ حَلَالٌ طَلِقٌ ،^(٨) وَأَمْوَالُهُمْ فِي ذِي السَّلَامِينَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ

(١) سورة النساء آية ٩٧

(٢) سورة التوبة آية ٨١

(٣) سورة التوبة آية ٩٠

(٤) سورة التوبة آية ٩٠

(٥) سورة نوح آية ٢٦ و ٢٧

(٦) سورة القمر آية ٤٣

(٧) في س و د « لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ جَزِيَّةٌ » .

(٨) « الطلق » بكسر الطاء وسكون اللام : الحلال . فهو توكيد ، يراد به أنه حلال طيب .

وَرَجِعْ نَفْسَكَ ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ ، وَلَنْ يَسْمَعَ خِذْلَانُنَا ،
وَالْقَعُودُ عِنَّا ، وَتَرَكُ مَا نَهَجْنَا لَكَ^(١) مِنْ طَرِيقَتِنَا وَمَقَالَتِنَا ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ
أَقْرَبَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ .



وَكَتَبَ نَافِعٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَدْعُوهُ إِلَى أَمْرِهِ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحذَرُكَ مِنَ اللَّهِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ
خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَيَدَّنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ،
وَيُحْذَرُ كُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^(٢) ﴾ فَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ ، وَلَا تَتَوَلَّ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ
يَقُولُ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ^(٣) ﴾ وَقَدْ حَضَرَتْ عُمَانَ يَوْمَ قِتْلِ ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ
كَانَ قِتْلٌ مَظْلُومًا لَقَدْ كَفَرَ قَاتِلُوهُ وَخَاذِلُوهُ ، وَإِنِّي كَانَ قَاتِلُوهُ مُهْتَدِينَ -
وَإِنَّهُمْ لَمُهْتَدُونَ - لَقَدْ كَفَرَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَعُضُدُّهُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ
أَبَاكَ وَطَلْحَةَ وَعَلِيًّا كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَكَانُوا فِي أَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ قَاتِلِي
وَخَاذِلِي ، وَأَنْتَ تَتَوَلَّى أَبَاكَ وَطَلْحَةَ وَعُمَانَ ، وَكَيْفَ^(٤) وَلايَةَ قَاتِلِي مُتَعَمِّدٍ

(١) هنا بحاشية اما نصه : « ابن شاذان : النهج : الطريق الواضح ، والجمع نهوج ،

وهو المنهج ، والجمع مناهج » .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨

(٤) في ج و س و د و ه « فكيف » .

ومقتول في دين واحد!؟ ولقد مَلَكَ علىٰ بعده فننفي الشُّبُهَاتِ ، وأقامَ الحدودَ ، وأجرى الأحكامَ مجاريها ، وأعطى الأمورَ حقائقها ، فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحةُ ، ثمَّ خَلَعَاهُ ظالمينِ له ، وإنَّ القولَ فيك وفيهما لَكَمَا قَالَ ابنُ عباسٍ : إنَّ يَكُنْ عَلِيٌّ فِي وَقْتِ مَعْصِيَتِكُمْ وَمُحَارَبَتِكُمْ لَهُ كَانَ مُؤْمِنًا أَمَا لَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ^(١) وَأُتِمَّةِ الْعَدْلِ ، ولئن كان كافرًا كما زعمتم وفي الحُكْمِ جَائِرًا لَقَدْ بُؤِثْتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ لِفِرَارِكُمْ مِنَ الرَّحْفِ ، ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولِسِيرَتِهِ عَائِبًا ، فكيف تَوَلَّيْتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ !؟ فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ^(٢) ﴾ .



وكتب نافعٌ إلى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْمُحْكَمَةِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(٣) ، وَاللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ وَاحِدَةٌ ، وَالدِّينَ وَاحِدٌ ، فَفِيمَ الْمَقَامِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْكُفَّارِ ، تَرَوْنَ الظُّلْمَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَقَدْ نَدَبَكُمْ اللَّهُ إِلَى الْجِهَادِ فَقَالَ : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً^(٤) ﴾ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَذْرًا

(١) ج و س و د و هـ « لقتال المؤمنين » .

(٢) سورة المائدة آية ٥١

(٣) في سورة البقرة آية ١٣٢ « وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

(٤) سورة التوبة آية ٢٦ وفي ج و د و هـ « قاتلوا » بدون ذكر واو العطف .

في حالٍ من الحال^(١) ، فقال : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا^(٢) ﴾ . وإنما عَذَرَ
 الضُّعْفَاءَ وَالْمَرَضَى وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ وَمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ لَعِيلَةً ،
 ثُمَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ الْمَجَاهِدِينَ فَقَالَ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 غَيْرُ^(٣) أُولِي الضَّرَرِ وَالْمَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٤) ﴾ . فَلَا تَغْتَرَّوْا وَلَا تَطْمَئِنُّوْا
 إِلَى الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ مَكَّارَةٌ ، لَدَّتْهَا نَافِذَةٌ ، وَنِعْمَتُهَا بَائِدَةٌ ، حُفَّتْ
 بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا ، وَأُظْهِرَتْ حَبْرَةٌ^(٥) ، وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ آكُلُ مِنْهَا
 أَكْلَةً تُسْرَهُ ، وَلَا شَارِبٌ شُرْبَةً تُؤْتِقُهُ^(٦) . - إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةً إِلَى أَجْلِهَا ،
 وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةً مِنْ أَمَلِهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النِّعَمِ
 الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ، فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا^(٧) ، وَلَا حَلِيمٌ بِهَا قَرَارًا ،
 فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى^(٨) ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ
 اتَّبَعَ الْهُدَى .

فَوَرَدَ كِتَابُهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو يَهُسَّاسٍ هَيْصَمُ بْنُ جَابِرٍ
 الضُّبَعِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضِ الْمُرِّيُّ ، مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، فَأَقْبَلَ أَبُو يَهُسَّاسٍ

(١) في س « من الأحوال » .

(٢) سورة التوبة آية ٤١

(٣) قرأ نافع وابن عامر والسكاسي « غير » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها . وضبطت في
 أصول الكتاب هنا بالإعرابين .

(٤) سورة النساء آية ٩٥

(٥) « حبرة » بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ، وهي النعمة وسعة العيش . وفي بعض
 النسخ المطبوعة بمصر « حيرة » بالتحية ، وهو تصحيف .

(٦) « تؤتقه » أى تعجبه .

(٧) في ج « أجار » .

(٨) سورة البقرة آية ١٩٧

على ابن إياض فقال : إن نافعاً غلاً فكفر ، وإنك قصرت فكفرت ! تزعم
أن من خلفنا ليس بمشرك ، وإنما هم كفار النعم ؛ لتسلكهم بالكتاب ،
وإقرارهم بالرسول ، وتزعم أن منا كحهم ومواريتهم^(١) والإقامة فيهم حل
طلق^(٢) ؟ وأنا أقول : إن أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تحل لنا الإقامة فيهم ، كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة ، وأحكام المشركين
تجرى فيها^(٣) ، وأزعم أن منا كحهم ومواريتهم تجوز لأنهم منافقون
يظهرون الإسلام ، وأن حكمتهم عند الله حكم المشركين !!



فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل : قول نافع في البراءة
والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال . وقول أبي يهس الذي
ذكرناه . وقول عبد الله بن إياض . وهو أقرب الأقاويل إلى السنة من
من أقاويل الضلال . والصفريّة والنجدية في ذلك الوقت يقولون بقول
ابن إياض . وقد قال ابن إياض ماذا كرنا من مقاتله .
وأنا أقول^(٤) : إن^(٥) عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولسكني لا أحرم منا كحهم ومواريتهم ، لأن مهم التوحيد والإقرار

(١) في س و هـ « منا كحهم ومواريتهم » .

(٢) « طلق » بكسر الطاء وسكون اللام ، أى : حلال .

(٣) في ج و هـ « تجرى فيهم » .

(٤) الذى يقول هذا أبو العباس المبرد رحمه الله .

(٥) « إن » بكسر الهمزة في ج و ا وفتحتها في باقى النسخ ، والفتح أرجح أو أصح .

بالكتاب والرسول عليه السلام ، فَأَرَىٰ مَعَهُمْ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ تَجْمَعُهُمْ ،
وَأَرَاهُمْ كُفْرًا لِلنُّعْمِ . وَقَالَتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلَيْنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فِي أَمْرِ الْقَعْدِ ،
حَتَّىٰ صَارَ عَامَتُهُمْ قَعْدًا . وَاخْتَلَفُوا فِيهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ . فَقَالَ قَوْمٌ : سُمُّوا
« صُفْرِيَّةً » لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ صَفَّارٍ ، وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا سُمُّوا بِصُفْرَةِ عِلَّتِهِمْ ،
وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ ، وَكَانَ يَرَىٰ رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، فَتَرَكَه
وَصَارَ مُرْجَأًا :

فَارَقَتْ نَجْدَةَ وَالَّذِينَ تَزَرَّقُوا وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَشَيْعَةَ الْكَذَّابِ (١)
وَالصُّفْرَةَ الْأَذَانَ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا دِينًا بِلَا ثِقَةٍ وَلَا بَكْتَابِ
خَفَّفَ الهمزة من « الْأَذَانَ » وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانكسرَ الشُّعْرُ .

وَقَالَ أَبُو يَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كُفْرٍ ، وَالاستعراضُ فِيهَا جَائِزٌ ، وَإِنْ
أُصِيبَ مِنَ الْأَطْفَالِ فَلَا حَرْجٌ . إِلَىٰ هَهُنَا انتهتِ المقالةُ .



وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى الْأَضْرِبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا ، وَأَقَامَ نَافِعٌ
بِالْأَهْوَاذِ يَعْتَرِضُ النَّاسَ وَيَقْتُلُ الْأَطْفَالَ ، فَإِذَا أُجِيبَ إِلَى الْمَقَالَةِ جَبَا الْخَرَجَ ،
وَفَشَا عَمَالُهُ فِي السَّوَادِ ، فَارْتَاعَ لَدُنْكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْأَحْنَفِ
بْنِ قَيْسٍ ، فَشَكَرُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ إِلَّا لَيْلَتَانِ ،
وَسِيرُهُمْ مَا تَرَى ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ فَعَلَهُمْ فِي مِصْرِكُمْ - إِنْ ظَفَرُوا بِهِ (٢) -

(١) بحاشية هـ « يعنى المختار » . وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي .

(٢) في ج و د و هـ « إن ظفروا بكم » .

كفعلهم في سوادكم ، فجدوا في جهادِ عدوكم ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل^(١) ، فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وهو ببة^(٢) ، فسأله أن يؤمّر عليهم ، فاختر لهم ابن عبيس^(٣) بن كريض ، وكان ديناً شجاعاً ، فأمره عليهم وشيعه ، فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال : إني ما خرجت لأمتيار^(٤) ، ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير ، ومضى الباقيون معه^(٥) . فلما صاروا بدولاب^(٦) خرج إليهم نافع . فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى

(١) الزيادة من س .

(٢) بحاشية ما نصه : « قال ابن شاذان : الببة : كثرة اللحم وتراكمه . وبه لقب عبد الله بن الحرث بن نوفل ببة ، لكثرة لحمه في صغره ، وله تقول أمه هند بنت أبي سفيان ، وهي تنقره :

لأنكحن ببة جارية كالقبة
مكرمة محبة تجب أهل الكعبه

تجبتهم : تغلبهم ، أي : تغلب نساء قريش بحسنها ، يقال : جبت فلانة النساء تجبتن جباً : إذا غلبتهن . ومعنى « تنقره » توثبه ، كأنها ترقصه .

(٣) قال المرصفي إن اسمه « مسلم بن عيس » .

(٤) « امتيار » بالراء ، من الميرة ، وهي جلب الطعام . وفي بعض طبقات مصر بنقط الراء ، وهو تصحيف .

(٥) في س و د « ومضى الناس معه » .

(٦) ضبطت في كل أصول الكامل بضم الدال . وضبطها ياقوت بالفتح ، وقال : « وأكثر الحذنين يروونه بالضم ، وقد روى بالفتح » . وقال السمعاني في الأنساب : « والصحيح فتح الدال ولكن الناس يضمونها » . ودولاب هذه قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

تَكَسَّرَتِ الرِّمَاحُ ، وَغَمِرَتِ الخَيْلُ ، وَكَثُرَتِ الجِرَاحُ^(١) ، وَالقَتْلُ^(٢) ،
وَتَضَارَبُوا بِالسِّيفِ وَالعَمَدِ ، فَقُتِلَ فِي المَعْرُكَةِ ابْنُ عُيَيْسٍ وَنَافِعُ بِنُ الأَزْرَقِ ،
وَكَانَ ابْنُ عُيَيْسٍ [قَدْ^(٣)] تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنِّي أُصِيبْتُ فَأَمِيرِكُمْ
الرَّبِيعُ بْنُ عَمْرِو الأَجْدَمِ العُدَانِيُّ ، فَلَمَّا أُصِيبَ ابْنُ عُيَيْسٍ أَخَذَ الرَّبِيعُ
الرَّايَةَ ، وَكَانَ نَافِعُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَيْدَ اللهِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ المَاحُوزِ السَّلِيطِيَّ ،
فَكَانَ الرِّيسَانِ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ : رَيْسُ المُسَالِمِينَ مِنْ بَنِي عُدَانَةَ بْنُ يَرْبُوعَ ،
وَرَيْسُ الخَوَارِجِ مِنْ بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَادَّعَى
قَتْلَ نَافِعِ سَلَامَةَ البَاهِلِيِّ ، وَقَالَ : لَمَّا قَتَلْتُهُ وَكُنْتُ عَلَى بَرْدَوْنٍ وَرَدٍ^(٤) إِذَا
بِرَجُلٍ عَلَى فَرَسٍ وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَخْسٍ قَيْسٍ يُنَادِي : يَا صَاحِبَ الوَرْدِ ! هَلُمَّ
إِلَى المَبَارَزَةِ ، فَوَقَفْتُ فِي مَخْسِ بَنِي تَيْمٍ فَأَذَابَهُ^(٥) يِعْرِضُهَا عَلِيٌّ ، وَجَعَلْتُ
أَتَنَقَّلُ^(٦) مِنْ مَخْسٍ إِلَى مَخْسٍ ، وَبِئْسَ يُزَايِلُنِي ، فَصَرْتُ إِلَى رَجُلِي ، ثُمَّ
رَجَعْتُ فَرَأَنِي فِدَعَانِي إِلَى المَبَارَزَةِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا
ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرَبْتُهُ فَصَرَعْتُهُ ، فَتَزَلَّتْ لِسَالِبِهِ وَأَخَذَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ
رَأَتْنِي حِينَ قَتَلْتُ نَافِعًا ، فَخَرَجَتْ لِتَشَارَ بِهِ ، فَلَمْ يَزَلِ الرَّبِيعُ الأَجْدَمُ
يَقَاتِلُهُمْ نَيْفًا وَعَشْرِينَ يَوْمًا^(٧) ، حَتَّى قَالَ يَوْمًا : أَنَا مَقْتُولٌ لِأَمْحَالَةَ ، قَالُوا :

(١) فِي ج « الجراحات » .

(٢) فِي س وَ ه « والقَتلى » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٤) الفرس الورد : ما كان بين السكيت والأشقر . قال ابن سيده : « الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء » .

(٥) د و ه « فأذاهو » .

(٦) فِي ج و س و د و ه و ف « أتَنَقَّلُ » .

(٧) فِي ج و ف « ليلة » .

وكيف ؟ قال : لِأَنِّي رَأَيْتُ^(١) الْبَارِحَةَ كَأَنَّ يَدِي الَّتِي أُصِيبَتْ بِكَابِلِ
 انْحَطَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَشَلَّتْنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَاتَلَ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ غَادَاهُمْ
 فَقَتَلَ ، فَتَدَافَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الرَّايَةَ حَتَّى خَافُوا الْعَطَبَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَيْسٌ ،
 ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ بَابِ الْحُمَيْرِيِّ ، فَأَبَاهَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَرَى أَنَّ
 رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ بِالْحَضْرَةِ ، وَقَدْ اخْتَارُوكَ مِنْ بَيْنِهِمْ !؟ فَقَالَ : مَشْؤُومَةٌ ،
 مَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يِقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِدُوْلَابٍ^(٢) ،
 وَالْخَوَارِجُ أَعَدُّ بِالْآلَاتِ وَالذَّرُوعِ وَالْجَوَاشِنِ^(٣) ، فَالْتَقَى الْحَجَّاجُ بْنُ بَابِ
 وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُرْثِ الرَّاسِيُّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اقْتُلُوا زُهَاءَ شَهْرٍ ، فَاخْتَلَفَا
 ضَرْبَتَيْنِ ، فَسَقَطَا مَيْتَيْنِ ، فَقَالَتْ أُمُّ عِمْرَانَ تَرْثِيهِ :

اللَّهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وَطَهَّرَهُ وَكَانَ عِمْرَانٌ يَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحْرِ
 يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ شَهَادَةٌ بِيَدَيْهِ مِلْحَادَةٌ غُدْرٍ^(٤)
 وَوَلَّى صَحَابَتُهُ عَنْ حَرٍّ مَلْحَمَةً وَشَدَّ عِمْرَانٌ كَالضَّرْفَامَةِ الْمَهْصِرِ
 قَوْلُ الرَّبِيعِ « أُسْتَشَلَّتْنِي » أَي^(٥) : أَخَذَتْنِي إِلَيْهَا وَاسْتَنْقَذَتْنِي . يُقَالُ
 « أُسْتَشَلَّاهُ وَاسْتَشَلَّاهُ » وَفِي الْحَدِيثِ « أَنَّ السَّارِقَ إِذَا قُطِعَ سَبَقَتْهُ يَدُهُ إِلَى

(١) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « إِنِّي رَأَيْتُ » .

(٢) الرَّاجِعُ فَتْحُ الدَّالِ ، كَمَا قُلْنَا فِيمَا مَضَى (ص ١٠٤٢) .

(٣) أَعَدَّ : أَقْوَى عِدَّةً . وَالْجَوَاشِنُ : جَمْعُ جَوْشَنٍ ، وَهُوَ الذَّرْعُ .

(٤) بِمُجَازِيَةِ مَا نَصَّهُ : « ابْنُ شَازَانَ : أَخَذَ الرَّجُلُ الْإِحَادًا : إِذَا مَالَ ، فَهُوَ

مُلْحَدٌ : إِذَا مَالَ عَنِ الْقَصْدِ » .

(٥) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « يَرِيدُ » بَدَلُ « أَي » .

النار ، فان تاب أَسْتَشْلَاهَا^(١) . [و^(٢)] قال رُوَيْبَةُ :

* إِنَّ سَلِيمَانَ أَشْتَلَانَا ابْنَ عَلِيٍّ^(٣) * وَقَوْلُ النَّاسِ « أَشْلَيْتُ كَلْبِي » أَيْ
أَغْرَيْتُهُ بِالصَّيْدِ ، خَطَأً ، إِنَّمَا يُقَالُ « آسَدْتُهُ » . وَ « أَشْلَيْتُهُ » دَعْوَتُهُ .

وَقَوْلُهَا « بِيَدِي مِلْحَادَةٌ » « مِفْعَالٌ » مِنَ الْإِحَادِ ، كَمَا تَقُولُ : رَجُلٌ
مِعْطَاؤُهُ يَأْفَتِي ، وَمِحْسَانٌ ، وَمِكْرَامٌ ، وَأَدْخَلْتَ الْهَاءَ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَمَا تُدْخَلُ^(٤)
فِي رَاوِيَةٍ وَعَلَامَةٌ وَنَسَابَةٌ .

« وَغُدْرٌ » « فَعْلٌ » مِنَ الْغَدْرِ ، وَلِفِعْلِ بَابٌ نَذَكَرَهُ فِي عَقْبِ هَذِهِ
الْقِصَّةِ ، إِذَا فَرَعْنَا مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ .

و « الضَّرْغَامَةُ » مِنَ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ .

و « الْهَصِيرُ » الَّذِي يَهْضِرُ كُلَّ شَيْءٍ ، أَيْ يَنْتَبِهُ ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتَ هَصَرْتُ بَعْضُنِي ذِي شَمَارِخٍ مَيَّالٍ



وَلذَكَرْنَا الصُّفْرِيَّةَ وَالْأَزْرَقَةَ وَالْبَيْهَسِيَّةَ وَالْإِبَاضِيَّةَ تَفْسِيرُهُ ، لَمْ يُسَبِّ
إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ بِالْأَزْرَقَةِ ، وَإِلَى أَبِي بَيْهَسٍ بِالْكُنْيَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا ، وَنُسِبَ
إِلَى صُفْرٍ^(٥) وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى وَاحِدِهِمْ ، وَنُسِبَ إِلَى ابْنِ إِبَاضٍ فَجُعِلَ النِّسْبُ

(١) قال في اللسان : « أَيْ اسْتَفْعَلَهَا وَاسْتَخْرَجَهَا ، وَمَعْنَى سَبَقَهَا أَنَّهُ بِالسَّرْعَةِ اسْتَوْجِبَ النَّارَ ،
فَكَانَتْ مِنْ جَمَلَةِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ ، فَإِذَا قَطَعَتْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهَا قَدْ فَارَقَتْهُ ، فَإِذَا تَابَ اسْتَفْعَلَتْ
بَنِيَّتَهُ حَتَّى يَدَهُ » .

(٢) الزيادة من ج و ف .

(٣) البيت في اللسان (ج ١٩ ص ١٧٣) غير منسوب .

(٤) في ج و ف « كَمَا تَقُولُ » .

(٥) في ج و د و ه و ف « إِلَى الصُّفْرِ » .

إلى أيه؟ وهذا نذكره بعد باب «فُعَلٍ» [إن شاء الله^(١)].



[قال أبو العباس^(١)]: ومما قيل من الشعر في يوم دُولَابٍ قولُ قَطْرِيٍّ :
 لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وفي العَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ
 مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا شِفَاءً لِدَيْ بَتٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الطِّمِّمْ وَجْهَهَا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَيْمٍ
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ^(٢)
 غَدَاةَ طَفَّتْ عُلَمَاءُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعُجْنًا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
 وَكَانَ لِعَبْدِ الْقَيْسِ أَوْلُ جَدِّهَا^(٣) وَأَخْلَافِهَا مِنْ يَحْصِبٍ وَسَلِيمٍ^(٤)
 وَظَلَّتْ شُيُوخُ الْأَزْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ تَعُومُ وَظَلْمَنَا فِي الْجِلَادِ نَعُومٍ^(٥)
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُقْعَمًا يَمُجُّ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ^(٦)
 وَضَارِبَةً خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى أَعْرُ نَجِيبِ الْأُمّهَاتِ كَرِيمٍ

(١) الزيادة في الموضعين من س .

(٢) «دولاب» ضبط أيضاً في كل أصول الكامل بضم الدال، ولكن البيت ذكره السمعاني في الأنساب (في الورقة ٢٣٣) من رواية الأصمعي شاهداً لفتح الدال، وهو الصحيح، كما بينا آنفاً .

(٣) في ج و د و ف «عبد القيس» .

(٤) «يحصب» بثلاث الصاد، كما ضبط في الأصول . وهو يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث، من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ . و «سليم» يريد به «سليم» بالتصغير، وكبره للوزن . وهو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . قاله المرصفي .

(٥) بالرفع على الإقواء .

(٦) «مقصباً» أي مطعوناً . من قولهم «أقصعه برمح» إذا طعنه فأت مكانه . و «الفائظ» من قولهم : فائظ الرجل، أي مات، وفائظ نفسه أيضاً .

أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدَيْرُ حَمِيمٍ^(١)
 فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَلِكَ وَخَيْلُنَا تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 رَأَتْ فِتْيَةٌ بَاعُوا الْإِلَهَ نُفُوسَهُمْ بِجَنَّاتٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ
 قَوْلُهُ « وَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ دُولَابٍ » فَلَمْ يَنْصَرِفْ^(٢) « دُولَابٌ » فَإِنَّمَا
 ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْبَلَدَةَ ، وَ « دُولَابٌ » أَعْجَمِيٌّ مُعْرَبٌ . وَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ
 الْأَسْمَاءِ^(٣) الْأَعْجَمِيَّةِ نَكْرَةً بغيرِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ^(٤) فَإِذَا دَخَلَتْهُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ
 فَقَدْ صَارَ مُعْرَبًا ، وَصَارَ عَلَى قِيَاسِ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الصَّرْفِ إِلَّا
 مَا يَمْنَعُ الْعَرَبِيَّ ، فَدُولَابٌ « فُوعَالٌ » مِثْلُ طُومَارٍ وَسُؤْلَافٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ
 لَا يَخُصُّ وَاحِدًا مِنَ الْجِنْسِ مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ نَكْرَةٌ ، نَحْوُ رَجُلٍ ، لِأَنَّ هَذَا الْأَسْمَ
 يَلْحَقُ كُلَّ مَا كَانَ عَلَى بَنِيَّتِهِ ، وَكَذَلِكَ حَمَلٌ^(٥) وَجَبَلٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . فَإِن
 وَقَعَ الْأَسْمُ فِي كَلَامِ الْعَجْمِ مَعْرِفَةً فَلَا سَبِيلَ إِلَى إِدْخَالِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ ،
 لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ ، فَلَا مَعْنَى لِتَعْرِيفٍ آخَرَ فِيهِ ، فَذَلِكَ غَيْرُ مَنْصَرَفٍ^(٦) ، نَحْوُ
 « فِرْعَوْنٌ » [وَ « هَامَانٌ »^(٧)] « وَقَارُونٌ » وَكَذَلِكَ « إِسْحَاقُ » وَ « إِبْرَاهِيمُ »
 « وَيَعْقُوبُ » .

(١) « دِير حَمِيم » مَوْضِعٌ بِالْأَهْوَازِ .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « فَلَمْ يَنْصَرِفْ » .

(٣) فِي طَبَعَاتِ مِصْرَ « أَسْمَاءٌ » بِدُونِ حَرْفِ التَّعْرِيفِ ، وَهُوَ خَطَأٌ وَمُخَالَفٌ لِأَصُولِ الْكِتَابِ .

(٤) فِي ج وَ د وَ ه « بغيرِ أَلِفٍ وَ لَامٍ » .

(٥) بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ . وَفِي ج وَ د وَ ه وَ ف « جَمَلٌ » بِالْجِيمِ .

(٦) فِي ف « غَيْرُ مَنْصَرُوفٍ » .

(٧) الزِّيَادَةُ مِنْ س وَ ف .

وقوله « غَدَاةَ طَفَّتْ عِلْمَاءُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ » وهو يريدُ : عَلَى الْمَاءِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا التَّقَّتْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَمَانِ اسْتِجَازُوا حَذْفَ إِحْدَاهُمَا اسْتِثْقَالاً لِلتَّضْعِيفِ ، لِأَنَّ مَا بَقِيَ دَلِيلٌ عَلَى مَا حُذِفَ ، يَقُولُونَ « عِلْمَاءُ بَنُو فُلَانٍ » كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَمَا سُبِقَ الْقَيْسِيُّ مِنْ ضَعْفِ حَيْلَةٍ وَلَكِنْ طَفَّتْ عِلْمَاءُ قُلْفَةً خَالِدٍ^(١)
وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفةِ فإنهم يُحيزون معه حَذْفَ النونِ التي في قولك « بَنُو » لِقُرْبِ مَخْرَجِ النونِ مِنَ اللَّامِ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فُلَانٌ مِنْ « بَلْحَرِثٍ » وَ « بَلْعَنْبَرٍ » وَ « بِلَهَجِيمٍ »
وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جَاءَ يَنْظُرُ مِنْ دُجَيْلٍ شَيْوِخَ الْأَزْدِ طَافِيَةً لِحَاهَا^(٢)
وقال رجلٌ منهم :

سَمِيَتْ ابْنُ بَدْرِ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ وَالْحَائِرُونَ بِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ^(٣)
وَالْمَوْتُ حَاسِمٌ لَا مَحَالَةَ وَقَعٌ مَنْ لَا يُصَبِّحُهُ نَهَاراً يَطْرُقِ
فَلَيْتَنُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ رَبِيبُ الْمَنُونِ فَمَنْ يُصِيبُهُ بَغْلَقُ^(٤)
نَصَبَ بَعْدَ « إِنْ » لِأَنَّ حَرْفَ^(٥) الْجَزَاءِ لِلْفِعْلِ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ : فَلَيْتَنُ أَصَابَ

(١) « القلفة » بضم القاف وسكون اللام ، وفتحهما معاً : هي جلدة الذكر التي تقطع عند الختان .

(٢) « دجيل » بالتصغير : نهر بالأهواز .

(٣) « والحائرون » بالحاء المهملة . وفي ج و ف ونسخة بحاشية ا « والحائرون » بالميم ، يعني الظالمين .

(٤) « يغلق » من قولهم « غلق الرهن » : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راحته على تخليصه ، يريد أنه لا يجد من يخلصه .

(٥) في ج و د « حروف » .

أمير المؤمنين ، فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر « أصابه » ليدل عليه ،
ومثله قول النعمان بن تولى^(١) :

لا تجزعي إن منفساً أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
وقال ذو الرمة :

إذا ابن أبي موسى بلالاً بلغتِ فقام بفاسٍ بين وصليكَ جازر^(٢)
لأن « إذا » لا يليها إلا الفعل ، وهي به أولى^(٣) .

هذا باب « فعل »

اعلم أن كل اسم على مثال « فعل » فهو مصروف في المعرفة والنكرة ، إذا
كان اسماً أصلياً أو نعتاً ، فالأسماء نحو : صردٍ ونغرٍ وجعل ، وكذلك إن كان
جمعاً ، نحو : ظلم وغرف . وإن سميت بشيء من هذا رجلاً انصرف في المعرفة
والنكرة . وأما النعت فنحو رجل حطم^(٤) ، كما قال :

* قد لفها الليل بسواق حطم *
*

(١) هكذا ضبط في أصول الكامل بفتح النون وكسر الميم ، وكذلك في أكثر الكتب المعنى
بتصحيحها ، أو فيها كلها . وعليه مشى صاحب القاموس ، وحكى أنه يقال فيه أيضاً بسكون
الميم مع فتح النون وكسرها . ولكن ضبطه ابن دريد في الاشتقاق (ص ١١٣) بفتح
النون وسكون الميم ، وقال : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولى بفتح النون وتسكين الميم ،
ولا يقال النمر » . وعندى أن هذا أدق وأوثق .

(٢) « الوصل » بكسر الواو وبضمها واحد « الأوصال » وهي المفصلات .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « لأن إذا أن يليها الفعل أولى » .

(٤) بحاشية ما نصه : « ابن شاذان : رجل حطم ، فعل من الحطم ، حطمت
الشيء أحطمته حطماً : إذا كسرتة ، وسميت جهنم حطمة ، وهي فعلة من
الكسر » .

وكذلك مالٌ لُبْدٌ^(١)، وهو الكثيرُ، من قوله جلَّ جلاله : ﴿ أَهْلَكَتُمْ مَالًا لُبْدًا^(٢) ﴾ .

فإن كان الأسمُ على « فُعَل » مَعْدُولًا عن « فَاعِلٍ » لم ينصرف إذا كان أَسْمَ رَجُلٍ في المعرفة، وينصرف^(٣) في النكرة، وذلك نحو: عُمَرُ وَقُتَيْمٌ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ، وهو الاسمُ الجارى على الفعل، فهذا ممَّا معرفته قبل نكירתه، فإذا أريد به مذهبُ المعرفة جاز أن تَبَيَّنَه في النداء من كل فِعْلٍ [فُعَلٌ^(٤)]، لأن المندادى مُشَارٌ إليه، وذلك قولك: يَا فُسَقُ، وَيَا خُبَيْثُ، تَريْدُ: يَا فَاسِقُ وَيَا خَبِيثُ .

وإنما قالت « بِيَدَيَّ مِلْحَادَةً غُدْرٍ » في نير النداء للضرورة، فنقلته معرفةً من النداء، ثم جعلته نكرةً لخروجه عن الإشارة، فنعمت به « مِلْحَادَةً » كما قال الحطيئة:

أَجْوَلُ مَا أَجْوَلُ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعِ^(٥)
وهذا لا يقع إلا في النداء، ولكن للشاعر نقله نكرةً ونقله معرفةً، على حدِّ ما كان له في النداء. فيُلْحَقُ قولها « غُدْرٌ » بقوله رجلٌ حُطَمٌ، ومالٌ لُبْدٌ، وما أشبهه^(٦). و « فَعَالٍ » في المؤنث بمنزلة « فُعَلٍ » في المذكر،

(١) بمحاكية ما نصح: « ابن شاذان: يقال أسد ذو لبدي: إذا تكاثف وبره على

منسكبيته، ولبدي اسم آخر لسور لقمان بن عادٍ .

(٢) سورة البلد آية ٦

(٣) في ج و س و ف « وانصرف » .

(٤) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٥) في س و ف « أطوف ما أطوف » وهو الرواية المشهورة

(٦) في ج و س و د و ه و ف « وما أشبه ذلك » .

ولو سميت رجلاً « حُطْماً » لَصَرَفْتُهُ^(١) ، من قولك : هذا سائِقٌ حُطْمٌ ، لأنه قد وقع نكرةً غير معدولٍ ، فهو في النعوت بمنزلة « صُرْدٍ » في الأسماء .

هذا باب النَّسَبِ إِلَى الْمُضَافِ

اعلم أنك إذا نَسَبْتَ إِلَى عِلْمٍ مُضَافٍ^(٢) فالوجه أن تَنْسُبَ إِلَى الْأَسْمِ الْأَوَّلِ ، وذلك قولك في عَبْدِ الْقَيْسِ « عَبْدِيُّ » وكذلك في عبد الله بن دَارِمٍ . فَإِنْ كَانَ الْأَسْمُ الثَّانِي أَشْهَرَ مِنَ الْأَوَّلِ جَازَ النَّسَبُ إِلَيْهِ ، لِثَلَاثِيقَعٍ فِي النَّسَبِ التَّبَاسُتُ مِنْ أَسْمٍ بِأَسْمٍ ، وذلك قولك في النَّسَبِ إِلَى عَبْدِ مَتَافٍ « مَتَافِي » وإلى أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ « بَكْرِي » . وقد يجوزُ ، وهو قليلٌ ، أن تَدْنِي لَهُ مِنَ الْأَسْمِينَ أَسْمًا عَلَى مِثَالِ الْأَرْبَعَةِ لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ ، وذلك قولك في النَّسَبِ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ « عَبْدَرِي » وفي النَّسَبِ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ « عَبْقَسِي » . فَإِنْ كَانَ الْمُضَافُ غَيْرَ عِلْمٍ فَالنَّسَبُ إِلَى الثَّانِي عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وذلك قولك في النَّسَبِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ « زُبَيْرِي » لِأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ إِنَّمَا صَارَ مَعْرِفَةً بِالزُّبَيْرِ ، وكذلك النَّسَبُ إِلَى ابْنِ رَأْلَانَ « رَأْلَانِي » . فلذلك قالوا في النَّسَبِ إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ « أَزْرَقِي » وإلى أَبِي يَمَّسٍ « يَمَّسِي » .

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ « صُفْرِي » فَإِنَّمَا أَرَادُوا الصُّفْرَ الْأَلْوَانَ ، فَتَسَبَّوْا إِلَى الْجَمَاعَةِ ، وَحَقَّ الْجَمَاعَةُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يَقَعَ النَّسَبُ إِلَى وَاحِدِهَا ، كَقَوْلِكَ « مُهَلَّبِي » و « مِسْمَعِي » وَلَكِنْ جَعَلُوا « صُفْرًا » أَسْمًا لِلْجَمَاعَةِ ، ثُمَّ نَسَبُوا إِلَيْهِ ، وَلَمْ

(١) في النسخ المذكورة « ولو سمينا رجلاً حطماً اصرفناه » .

(٢) في ج و د و هـ « إلى مضاف علم » .

يقولوا « أَصْفَرِيٌّ » فيُنسَبُ إلى واحدِها ، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا^(١) الصُّفْرَ اسماً للجماعة ، كما تُسَمَّى القبيلةُ بالاسمِ الواحدِ ، ألا ترى أن النسبَ إلى الأنصارِ « أنصاريٌّ » لأنه كان علماً للقبيلة ، وكذلك « مدائنيٌّ »^(٢) .
وتقولُ في النسبِ إلى الأبناء من بني سَعْدٍ^(٣) « أبناويٌّ »^(٤) لأنه اسمُ للجماعة .
فأما قولهم « الأزارقةُ » فهذا بابٌ من النسبِ آخَرُ ، وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ ، إذا كانوا^(٥) إليه يُنسَبُونَ ، ونظيره « المهالبةُ » و « المسامعةُ » و « المناذرةُ » . ويقولون : جاءني الثُمَيْرُونَ والأشعرُونَ ، جعلَ كلُّ واحدٍ منهم ثُمَيْرًا وأشعرًا ، فهذا يتَّصِلُ في القبائلِ ، على ما ذكرتُ لك .
وقد تُنسَبُ الجماعةُ إلى الواحدِ على رأيٍ أو دينٍ ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الوِلادَةِ ، كما قالوا^(٦) « أزرقيٌّ » لمن كان على رأيِ ابنِ الأزرقيِّ ، كما

(١) في ج و س و د و ه و ف « لأنه جعل » .

(٢) نقل المرصفي عن سيديويه قال : « وسألت الخليل عن قولهم مدائني ، فقال : صار البناء عندم اسماً لبلد ، ومن ثم قالت بنو سعد في الأبناء ، أبناوي ، كأنهم جعلوه اسم الحى ، والحى كالبلد ، وهو واحد يقع على الجميع » .

(٣) نقل المرصفي عن ياقوت في المنتخب : « أن سعد بن زيد مناة بن تميم ولد كعباً وعمراً والحارث وعوفاً وجشم وعبشمس ومالكا وعوفاً ، ويقال لهم جميعاً الأبناء غير كعب وعمرو » .

(٤) في اللسان : « ويقال لأولاد فارس الأبناء وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب ، فقبل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم » . وحكى في اللسان خلافاً في النسب إلى هؤلاء الأبناء ، فبعضهم يقول « أبناوي » أيضاً ، وبعضهم يقول « بنوي » يردونه إلى الواحد .

(٥) في أ « إذ كانوا » وما هنا صواب أيضاً ، فقد تكون « إذا » متجردة للظرفية المحضة غير متضمنة معنى الشرط . وقد جاءت كذلك في كلام الشافعي ، وهو حجة . انظر الرسالة بشرحنا في الفقرة رقم ١١١٥

(٦) في ج و س و د و ه و ف « كما قلت » .

تقول تميميٌ وقيسيٌ لمن ولده تميمٌ وقيسٌ ، ومن قرأ ﴿سَلَامٌ عَلَى
إِلْيَاسِينَ﴾^(١) فإتما يريدُ إلياسَ عليه السلامُ ومن كان على دينه ، كما قال :
* قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِ *
يريدُ أبا خُبَيْبٍ ومن معه .

وقد يجتمعُ الرجل مع الرجل في التثنية إذا كان مجازهما واحداً في أكثر
الأمر على لفظ أحدهما ، فمن ذلك قولهم « العُمَرَانِ » لأبي بكرٍ وعمرَ
رضي الله عنهما ، ومن ذلك قولهم « الْخُبَيْبَانِ » لعبد الله ومُصْعَبِ ، وقد
مضى تفسيره .

عاد القول في الخوارج

قال : والأزارقة لا تُكفّرُ أحداً من أهل مقاتلها في دار الهجرة إلا
القاتل رجلاً مسلماً ، فإنهم يقولون : المسلمُ حجةُ الله ، والقاتلُ قَصْدُ
لِقْطَعِ الْحِجَّةِ .

ويروى أن نافعاً مرَّ بمالكِ بنِ مسمعٍ في الحرب التي كانت بين
الأزد وربيعةَ وبنى تميمٍ ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً ، فقام إليه مالكٌ فضربَ يده إلى
حالة سيفه وقال : ألا تنصروننا في حربنا هذه ؟! فقال : لا يحلُّ لي ، قال :
فما بالُ مؤمِنِي بني تميمٍ ينصرون كُفَّارَهُمْ^(٢) في هذه الحرب ؟! فأمسكَ عنه ،

(١) سورة الصافات آية ١٣٠ وقد قرئ بوجهين : « آل ياسين » بمد الهمة المفتوحة وكسر
اللام ، فأضافوا « آل » إلى « ياسين » وهي قراءة نافع وأبي عامر ويعقوب . وقرأ باقي
الأربعة عشر « إلياسين » جمع « إلياس » باعتبار أصحابه ، كما وجهه البرد وغيره . وانظر
كتاب القراءات الأربعة عشر (ص ٣٧٠ - ٣٧١) وإعراب القرآن للعكبري (٢ : ١١١) .
(٢) في ج و د و ه و ف « كفاركم » .

وخرج بعد ذلك بأيام إلى الأهواز، فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ بِحَازِرٍ^(١) من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بيته القتال، وأقام حارثة بن بدر الغداني بإزاء الخوارج، يناوشهم على غير ولاية، وكان يقول: ما عذرنا عند إخواننا من أهل البصرة إن وصل إليهم الخوارج^(٢) ونحن دونهم؟ فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يخبرونه بقعود بيته، ويسألونه أن يولي والياً، فكتب إلى أنس بن مالك أن يوصلي بالناس، فصلى بهم أربعين يوماً، وكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة، فلقية الكتاب وهو يريد الحج، وهو في بعض الطريق، فرجع فأقام بالبصرة، وولى أخاه عثمان محاربة الأزارقة، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً، ولقيه حارثة فيمن كان معه، وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز، فلما عبروا إليهم دجلاً نهض إليهم الخوارج، وذلك قبيل الظهر^(٣)، فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر: أما الخوارج إلا ما أرى؟ فقال له حارثة [بن بدر^(٤)]: حسبت هؤلاء، فقال: لا جرم والله لا أتعدى حتى أناجزهم! فقال له حارثة [بن بدر^(٤)]: إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف، فأبق على نفسك وجندك، فقال: أيتم [يا^(٤)] أهل العراق إلا جبنًا! وأنت يا حارثة! ما علمك بالحرب؟ أنت والله بغير هذا أعلم! يعرض له بالشراب! فغضب حارثة

(١) « حازر » بلقاء المعجمة وبعد الألف زاء ثم راء، وهو نهر بين إربل والموصل. وقد ضبطت الزاء في أصول الكتاب بالكسر والفتح معاً. واقتصر صاحب القاموس على الكسر، وكذلك ياقوت في البلدان ثم قال: « وقد حكى عن الأزهرى أنه رواه بفتح الزاي، ولم أجده أما كذلك بخطه ».

(٢) في ج و س و د و ه و ف « إن وصل الخوارج إليهم ».

(٣) في ج و ف « قبل الظهر ».

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

فاعتزل ، وحرّبهم^(١) عثمان يومه إلى أن غابت الشمس ، فأجلت الحرب عنه قتيلاً ، وانهمز الناس ، وأخذ حارثة الراية ، وصاح بالناس : أنا حارثة بن بدر ، فتاب إليه قومه ، فمبّر بهم دجياً ، وبلغ فل عثمان البصرة ، وخاف الناس الخوارج خوفاً شديداً ، وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله ، وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، المعروف بالقباع^(٢) ، أحد بني مخزوم ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر ، فقدم البصرة ، فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد ، فأراد أن يوليّه^(٣) ، فقال له رجل من بكر بن وائل : إن حارثة ليس بذلك^(٤) ، إنما هو صاحب شراب^(٥) ، وفيه يقول رجل من قومه :

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظاً وحظك في البغايا والقمار^(٦)

فكتب إليه القباع : تكفي^(٧) حرّبهم إن شاء الله . فأقام حارثة يدافعهم ، فقال

- (١) في ج و د « غاربهم » .
 (٢) هنا بحاشية ما نصه « المهلبى : القباع : مكيال واسع ، وبه لقب الحرث بن عبد الله القباع ، وكان ابن الزبير ولأه البصرة ، فنظر إلى مكيالهم الذي يقال له القنقل فقال : إنه لقباع ، فلُقب القباع » .
 (٣) في ج و س و د و ه و ف « فأراد توليته » .
 (٤) في ج و د و ه و ف « لذلك » وفي س « كذلك » . وفي طبقات مصر « بذلك » وهو مخالف لجمع النسخ .
 (٥) في س و د و ه و ف « إنما هو رجل شراب » .
 (٦) في ه وحاشيته ا « والقمار » . وزعم المرصفي أن هذا هو الصواب ! ولكن الرويتان ثابتتان كما ترى . والقمار من أسماء الخمر .
 (٧) في ج و د و ه و ف « تكفي » .

شاعرٌ من بني تميم يذكُر عثمان بن عبيد الله بن معمرٍ ومُسَلِّمَ بن عُيَيْسٍ
وحارثة بن بدرٍ :

مَضَى ابْنُ عُيَيْسٍ صَابِرًا غَيْرَ عاجزٍ وأَعقَبَنَا هذا الحجازيُّ عِثانُ
فَأرْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللقَاءِ ابْنَ مَعْمَرٍ وَأَبْرَقَ وَالْبَرْقُ اليمانيُّ حَوَّانُ
فَضَحَّتْ قُرَيْشًا غَمًّا وَسَمِينًا وَقِيلَ بنو تَمِيمٍ بنُ مُرَّةٍ عَزْلَانُ
فلولا ابْنُ بدرٍ للعِراقِينِ لم يَقُمْ بما قام فيه للعِراقِينِ إنسانُ
إِذا قيلَ مَنْ حَامِيَ الحَقِيقَةَ أومَاتَ إليه مَعَدُّ بالأنوفِ وقَحطَانُ



قوله « فَأرْعَدَ » زعم الأصمعيُّ أنه خطأ ، وأن الكُمَيْتَ أخطأ في قوله :
أرْعَدُ وَأَبْرَقُ يَا زَيْدُ فَمَا وَعَيْدُكَ لِي بَضَائِرُهُ^(١)
وزعم أن هذا البيت الذي يُروى لِمَهْلِهِ مصنوعٌ مُحدثٌ ، وهو قوله :
أَنْبَضُوا مَعْجَسَ القِسيِّ وَأَبْرَقْنَا كما تُرْعَدُ الفُحُولُ الفُحُولَا^(٢)
وأنه لا يُقالُ إِلَّا « رَعَدَ وَبَرَقَ » إذا أوعَدَ وَتَهَدَّدَ ! وهو « يَرْعُدُ وَيَبْرُقُ »
وكذا يُقالُ « رَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتِ » و « أَرْعَدْنَا نَحْنُ وَأَبْرَقْنَا » إذا دَخَلْنَا
في الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ ، قال الشاعرُ :

* فَقُلْ لِأَبِي قابوسَ ما سَدَّتْ فارْعُدِ *

(١) في ج و د هـ و ف « أبرق وأرعد » .

(٢) في ج و د هـ و ف « كما توعد » من الوعيد . وقوله « أنبضوا » قال المرصفي :
« كذا رواه أبو العباس ، وهو بعيد عن الصواب ، وذلك أن الإنباض جذب الوتر ليرن ،
ومعجس القوس مقبضها أو موضع السهم منها ، وكلاهما لا يكون فيه إنباض . والرواية انتضوا ،
يريد : أخذوا معاجس القسي في أيديهم ، والانتضاء أخذ الشيء واستخراجه ! ! » وكل
ماقاله خطأ . أما الرواية فإنه لم يدكر مصدرها ولا موضعها . وأما الانتضاء فإنه استخراج =

وَرَوَى غَيْرُ الْأَصْمَعِيِّ «أُرْعَدَ وَأَبْرَقَ» عَلَى ضَعْفٍ^(١).

وقوله «وَالْبَرْقُ الْيَمَانِيُّ خَوَّانٌ» يريدُ : والبرقُ اليمانيُّ يخونُ .
وأجودُ النَّسَبِ إِلَى الْيَمَنِ «يَمَنِيٌّ» وَيَجُوزُ «يَمَانٍ» بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ ، وَهُوَ
حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ^(٢) ، تَكُونُ الْأَلِفُ عَوَضًا مِنْ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ ،
وَيَجُوزُ «يَمَانِيٌّ» فَاعِلٌ ، تَكُونُ الْأَلِفُ زَائِدَةً وَتَشْدُدُ الْيَاءَ ، قَالَ الْعَبَّاسُ
بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ :

ضَرَبْنَاَهُمْ ضَرْبَ الْإِحَامِسِ غُدْوَةً بَكَلٌ يَمَانِيٌّ إِذَا هُزَّ صَمَمًا^(٣)



ثُمَّ إِنَّ حَارِثَةَ لَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ أَقَامَ بِنَهْرِ تَيْرِي ، فَمَعَبَرَتْ إِلَيْهِ الْخَوَارِجُ ،
فَهَرَبَ وَأَصْحَابَهُ يَزْ كُضُ ، حَتَّى أَتَى دُجَيْلًا ، فَجَلَسَ فِي سَفِينَةٍ ، وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ ، فَكَانُوا مَعَهُ ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِمْ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ ، وَالْخَوَارِجُ وَرَاءَهُ

= الشئ ، يقال : « انتضى في يده أسهما ، أى أخذ واستخرجها من كنانته » كما هو نفس
اللسان ، فالقوس لا ينتضى ، وإنما ينتضى السيف والسهم . وموضع السهم من القوس
هو الوتر ، وهو الذى ينبض ويجذب ليرن ، وهو الذى يجذب ومعه السهم ثم يترك فينطلق السهم
إلى غرضه . ويظهر لى أن المرصفي رحمه الله لم ير قوساً قط .

(١) بل هو صحيح ثابت قوى ، وانظر اللسان .

(٢) فى س « وأكثر الكلام » . وفى ج و د و ه و ف « وهو أكثر فى الكلام » .

(٣) فى د « الأحاميس » . والأحمس : الشديد الصلب فى الدين والقتال . والحمس من قریش
وغيرهم ، سموها حمساً لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا ، وكانوا سكان الحرم ، وكانوا
لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج
من الحرم . وقد أبطل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد قریش ، فوقف فى عرفات ،
وانظر فتح البارى (ج ٣ ص ٤١١ - ٤١٣ طبعة بولاق) .

وقد تَوَسَّطَ حَارِثَةُ ، فصاحَ به : يا حارثُ^(١) ! ليس مثلي ضَمِيعٌ ، فقال للملأح :
قَرَّبْ . فَقَرَّبَ إِلَى جُرْفٍ ، وَلَا فُرْضَةَ هُنَاكَ^(٢) ، فَطَفَّرَ^(٣) بِسِلَاحِهِ
فِي السَّفِينَةِ ، فَسَاخَتْ بِالْقَوْمِ جَمِيعًا . وَأَقَامَ ابْنُ الْمَاخُوزِ يَجْحِي كُورَ الْأَهْوَاذِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَجَّهَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَضَجَّ النَّاسُ إِلَى الْأَحْنَفِ ،
فَأَتَى الْقُبَاعَ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ هَذَا الْعَدُوُّ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى سِوَادِنَا
وَفَيْئْنَا ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَحْضُرْنَا فِي بَلَدِنَا حَتَّى نَمُوتَ هَزَلًا ، قَالَ : فَسَمَّوْا
رَجُلًا ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : الرَّأْيُ لَا يُخِيلُ^(٤) ، مَا أَرَى لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبَ بْنَ
أَبِي صُفْرَةَ ، فَقَالَ : أَوْ هَذَا رَأَى جَمِيعَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ؟ اجْتَمِعُوا إِلَيَّ فِي غَدٍ ، وَجَاءَ
الزُّبَيْرُ حَتَّى نَزَلَ الْفُرَاتَ ، وَعَقَدَ الْجِسْرَ لِيَعْبُرَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ ، فَخَرَجَ أَكْثَرُ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ لِلخَوَارِجِ أَهْلُ الْأَهْوَاذِ وَكُورِهَا ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً ،
فَأَتَاهُ الْبَصْرِيُّونَ فِي السُّفُنِ وَعَلَى الدَّوَابِّ وَرَجَالَةً ، فَاسْوَدَّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، فَقَالَ
الزُّبَيْرُ لِمَا رَأَاهُمْ : أَبِي قَوْمُنَا إِلَّا كُفْرًا ، فَقَطَعُوا^(٥) الْجِسْرَ وَأَقَامَ الْخَوَارِجُ بِالْفُرَاتِ
يَأْزَأُهُمْ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ الْقُبَاعِ ، وَخَافُوا الْخَوَارِجَ خَوْفًا شَدِيدًا ، وَكَانُوا

(١) فِي ١ « يَا حَارِثُ » . وَفِي ج وَ س وَ د وَ ف « يَا حَارِثَةُ » .

(٢) الْفُرْضَةُ : نَلْمَةٌ فِي النَّهْرِ يَسْتَقِي مِنْهَا .

(٣) طَفَّرَ : وَثَبَ فِي ارْتِفَاعٍ .

(٤) الْمُرْصِقِيُّ : « مِنْ أَخَالِ النَّاسِ : اشْتَبَهَ وَأَشْكَلَ . يَقُولُ : الرَّأْيُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ هُوَ الْوَاضِحُ

لَا يَلْبَسُ فِيهِ » . وَبِحَاشِيَةِ أَمَانَتِهِ : « ابْنُ شَاذَانَ : كُلُّ شَيْءٍ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَهُوَ

مُخِيلٌ ، وَقَدْ أَخَالَ يُخِيلُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحَقُّ أَبْلَجٌ لَا يُخِيلُ سَبِيلَهُ وَالصِّدْقُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ .

(٥) فِي ج وَ ف « قَطَعُ » .

ثَلَاثَ فِرْقٍ ، فَسَمَّى قَوْمَ الْمُهَلَّبِ ، وَسَمَّى قَوْمَ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، وَسَمَّى قَوْمَ زِيَادِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ ، فَصَرَفَهُمْ ، ثُمَّ اخْتَبَرَ مَا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ^(١)] وَزِيَادٍ ، فَوَجَدَهُمَا مُتَشَاكِلَيْنِ عَنِ ذَلِكَ ^(٢) ، وَعَادَ إِلَيْهِ مَنْ أَسَارَ بِهِمَا وَقَالُوا : قَدْ رَجَعْنَا عَنْ رَأْيِنَا ، مَا تَرَى لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبَ ، فَوَجَّهَ الْحُرثُ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ! قَدْ تَرَى مَا رَهَقْنَا ^(٣) مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ مِصْرِكَ دَلِيكَ ، وَقَالَ الْأَحْنَفُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ! إِنَّا وَاللَّهِ مَا آثَرْنَاكَ بِهَا وَلَكِنَّا لَمْ نَرَمْ مَنْ يَقُومُ [لَهَا] ^(٤) مَقَامَكَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُرثُ - وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَحْنَفِ - : إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ لَمْ يُسْمَعْ إِلَّا بِإِشَارَةِ اللَّدِينِ ، وَكُلُّ مَنْ فِي مِصْرِكَ مَادَّ عَيْنَهُ إِلَيْكَ ، رَاجٍ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْعُمَّةَ بِكَ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، إِنِّي عِنْدَ نَفْسِي لَدُونَ ^(٥) مَا وَصَفْتُمْ ، وَلَسْتُ آيِيًّا مَادَّعَوْكُمْ ^(٦) إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ أُشْرِطُهَا ^(٧) ، قَالَ الْأَحْنَفُ : قُلْ ، قَالَ : عَلَى أَنْ أُتَّخَبَ مَنْ أَحْبَبْتُ ، قَالَ : ذَلِكَ ^(٨) لَكَ ، قَالَ : وَبِئْسَ إِمْرَةٌ كُلُّ بَلَدٍ أَغْلِبُ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَذَلِكَ

(١) الزيادة من د و ه .

(٢) في د و ه و ف « عن ذلك » .

(٣) بمحاشية ا مانصه : « رَهَقْنَا ، أَي غَشِينَا ، يُقَالُ : رَهَقْتُ الرَّجُلَ ، إِذَا غَشَيْتَهُ

بمكروه ، رَهَقًا » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) في ج « دون » .

(٦) في ج و د و ه و ف « مَادَّعَوْكُمْ » .

(٧) في ج و د « أُشْرِطُهَا » .

(٨) في س و د و ه و ف « ذلك » .

لَكَ ، قَالَ : وَوَيْ فِيءٍ كُلِّ بَلَدٍ أَظْفَرُ بِهِ ^(١) ، قَالَ الْأَحْنَفُ : لَيْسَ ذَلِكَ ^(٢) لَكَ وَلَا لَنَا ، إِنَّمَا هُوَ فِيءُ الْمُسْلِمِينَ ^(٣) ، فَإِنْ سَلَبْتَهُمْ إِيَّاهُ كُنْتَ عَلَيْهِمْ كَعَدُوِّهِمْ ، وَلَكِنْ لَكَ أَنْ تُعْطِيَ أَصْحَابَكَ مِنْ فِيءِ كُلِّ بَلَدٍ تَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا شِئْتَ ، وَتُنْفِقَ [مِنْهُ مَا شِئْتَ] ^(٤) عَلَى مَحَارِبَةِ عَدُوِّكَ ، فَمَا فَضَّلَ عَنْكُمْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ : فَمَنْ لِي بِذَلِكَ ؟ قَالَ الْأَحْنَفُ : نَحْنُ وَأَمِيرُكَ وَجَمَاعَةُ أَهْلِ مِصْرَ ، قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ، فَكَتَبُوا بِذَلِكَ كِتَابًا وَوَضَعَ عَلَى يَدَيِ الصَّلْتِ بْنِ حُرَيْثِ بْنِ جَابِرِ الْحَنْظَلِيِّ ، وَاتَّخَبَ الْمَهْلَبُ مِنْ جَمِيعِ الْأَخْمَاسِ ، فَبَلَغَتْ نَجْبَتُهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَنَظَرُوا مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَعَجَزَتْ ، فَبَعَثَ الْمَهْلَبُ إِلَى التَّجَارِ [فَقَالَ] ^(٥) : إِنْ تِجَارَتِكُمْ مُذْ حَوْلٍ قَدْ كَسَدَتْ ^(٦) عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاعِ مَوَادِّ الْأَهْوَازِ وَفَارَسَ عَنْكُمْ ، فَهَلُمَّ فَبَايَعُونِي وَاخْرُجُوا مَعِيَ أَوْفِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَقَّوْكُمْ ، فَتَاجَرُوهُ ، فَأَخَذَ مِنَ الْمَالِ مَا يُصْلِحُ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَاتَّخَذَ لِأَصْحَابِهِ الْخَفَاتِينَ وَالرَّانَاتِ الْمَحْشُورَةَ بِالصُّوفِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَأَكْثَرَ أَصْحَابَهُ رَجَالًا ، حَتَّى إِذَا صَارَ بِحِذَاءِ الْقَوْمِ أَمْرٌ بِسَفِينٍ فَأُخْضِرَتْ

(١) بحاشية ١ : « قَالَ ابْنُ شَازَانَ : الْفِيءُ : غَنَائِمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَفَاءَ اللَّهُ

عَلَيْنَا فَيَمُنُّهُمْ إِفَاءَةً » . وَرَسَمَتِ الْكَلِمَةَ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ « فِيءٌ » بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ ،

وَهُوَ جَائِزٌ .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « ذَلِكَ » .

(٣) فِي ج وَ د وَ ف « فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ » .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ ف .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف .

(٦) فِي النِّسْخِ الْحِجَّةُ الْمَذْكُورَةُ « قَدْ كَسَدَتْ » .

وأصلحت، فما ارتفع النهار حتى فرغ منها، ثم أمر الناس بالعبور إلى
الفرات، وأمر عليهم ابنه المغيرة، فخرج الناس، فلما قاربوا الشاطئ خاضت
إليهم الخوارج، فخاربههم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا، فصار هو
وأصحابه على الشاطئ، فخاربهم فكشفوهم وشغلوهم، حتى عقد المهلب الجسر،
وعبر الخوارج منهزمون، فنهى الناس عن اتباعهم. ففي ذلك يقول شاعر
من الأزد:

إنَّ العِراقَ وأهلَهُ لم يَخْبُرُوا مثلَ المَهْلَبِ في الحروبِ فَسَلَّمُوا^(١)
أَمْضَى وَأَيْمَنَ في اللِّقاءِ نَقِيبَةً وأَقَلَّ تَهْلِيلًا إذا ما أَحْجَمُوا
« التهليل » التكبذب والانهزام.

وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو^(٢) العنبري، وكان من فرسان
بنى تميم وشجعانهم^(٣)، فقال عطية:
يُدْعَى رجالٌ للعطاء وإنما يُدْعَى عَطِيَّةٌ للطَّمانِ الأجرِدِ
وقال الشاعر:

وما فارسٌ إلا عَطِيَّةٌ فوقه إذا الحربُ أبَدتْ عن نواجذِها الفمأ^(٤)

(١) في ج « أن يخبروا ».

(٢) « عمرو » بفتح العين، كما في الأصول كلها. وفي طبقات مصر « عمر » وهو خطأ.

(٣) في ج « وشجعانهم ».

(٤) بحاشية مانصه: « قال يعقوب بن السكيت: الحرب أنثى، وتصغيرها
حُرَيْبٌ بغير هاء، لأنهم إنما قالوا حربٌ من المحاربة، ثم صيرت اسماً
للوقة، فكانت مذكرةً سُمِّيَ به مؤنثٌ، فصغر على أصله، ولو صغرته بالهاء
فقلت حُرَيْبَةٌ وتوهمت أنه لم يكن اسماً إلا لما سُمِّيَ به كنت مضياً ».

به هَزَمَ اللهُ الْإِزَارِقَ بَعْدَ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْمِصْرَيْنِ حِلًّا وَمَحْرَمًا



فَأَقَامَ الْمَهْلَبُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَحْبِي الْخِرَاجَ بِكُورِ دِجْلَةَ ، وَالْخَوَارِجُ
بِنَهْرِ تِيرِي ، وَالزَّبِيرُ بْنُ عَلِيٍّ مُنْفَرِدٌ بِعَسْكَرِهِ عَنِ عَسْكَرِ ابْنِ الْمَاحُوزِ ، فَقَضَى
الْمَهْلَبُ التَّجَارَ وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ رَغْبَةً فِي مُجَاهَدَةِ الْخَوَارِجِ ،
وَلَمَّا فِي الْغَنَائِمِ وَلِلتَّجَارَاتِ ، فَكَانَ فِيهِمْ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ
بْنُ رِيَّاحٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ الْمَزَنِيُّ ، وَكَانَ يَقُولُ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ - : لَوْ جَاءَ الدَّيْلَمُ
مِنْ هَهُنَا وَالْحَرُورِيَُّّةُ مِنْ هَهُنَا لِحَارَبْتُ الْحَرُورِيَّةَ ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، وَكَانَ
يَقُولُ : كَانَ كَعْبٌ يَقُولُ : قَتِيلُ الْحَرُورِيَّةِ يَفْضَلُ قَتِيلَ غَيْرِهِمْ بِعَشْرَةِ أَنْوَارٍ (١) ،
ثُمَّ نَهَضَ الْمَهْلَبُ إِلَيْهِمْ إِلَى نَهْرِ تِيرِي ، فَتَنَحَّوْا عَنْهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَقَامَ
الْمَهْلَبُ يَحْبِي مَا حَوْلَ الْكُورِ مِنَ الْكُورِ ، وَقَدْ دَسَّ الْجَوَاسِيسَ إِلَى عَسْكَرِ
الْخَوَارِجِ ، فَأَتَوْهُ بِأَخْبَارِهِمْ وَمَنْ فِي عَسْكَرِهِمْ ، فَإِذَا حِشْوَةٌ (٢) مَا بَيْنَ قَصَّارٍ (٣)
وَصَبَّاغٍ وَدَاعِرٍ (٤) وَحَدَّادٍ ، فَخَطَبَ الْمَهْلَبُ النَّاسَ : فَذَكَرَ مِنْ هُنَاكَ ، وَقَالَ (٥)

- (١) يعنى أن من قتله الحرورية ضوعف ثوابه بمضاعفة أنواره يوم القيامة .
(٢) « حشوة » بكسر الحاء وضمها . وبجاشية ا مانصه : « قَالَ الْمَلِكِيُّ : حِشْوَةٌ
النَّاسِ : رُذَالُهُمْ . يُقَالُ : فُلَانٌ مِنْ حِشْوَةِ النَّاسِ ، وَمِنْ حِشْوَةِ بَنِي فُلَانٍ » .
(٣) فِي س و د و ه و ف « قَصَّابٌ » . وَالْقَصَّارُ : الَّذِي يَدُقُ الثِّيَابَ . وَالْقَصَّابُ :
الَّذِي يَبِيعُ اللَّحْمَ .
(٤) بِجَاشِيَةِ ا مَانِصِهِ « ابْنُ شَاذَانَ : الدَّعْرُ الْفَسَادُ ، دَعَرَ الْعُودُ يَدَعُرُ دَعْرًا : إِذَا
تَخَرَّ . وَبِهِ سُمِّيَ الدَّعْرُ مِنَ النَّاسِ ، وَرَجُلٌ دَاعِرٌ » .
(٥) فِي ج و س و د و ه و ف « ثُمَّ قَالَ » .

للناس : أمثل هؤلاء يَغلبونكم على فيئِكُم ؟ ! فلم يرَ مقيماً حتى فهمهم
وأحكَم أمره وقوى أصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتأم إليه
زهاء عشرين ألفاً ، ثم مضى يوم سوق الأهواز ، فاستخلف أخاه المَعارك
بن أبي صُفرة على نهر تيرى ، وفي مُقدمته المغيرة بن المهلب ، حتى قاربهم
المغيرة ، فناوشوه ، فانكشف عنه بعض أصحابه ، وثبتت المغيرة بقية يومه
وليلته ، يُوقد النيران ، ثم غاداهم القتال ، فإذا القوم قد أوقدوا النيران
في ثقله^(١) متاعهم ، وارتحلوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرة ، وقد جاءت
أوائل [الخيل]^(٢) خيل المهلب ، فأقام بسوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى
الحُرث بن عبد الله بن أبي ربيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإننا منذ خرجنا نؤم هذا العدو
في نعم من الله متصلة علينا ، ونعمة من الله متتابعة عليهم ، نُقدم ويُحجمون^(٣) ،
ونحلُّ ويرتحلون ، إلى أن حللنا سوق^(٤) الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ،
الذي من عنده النصر ، وهو العزيز الحكيم .

(١) بحاشية ا مانصه : « المَهْلِيُّ : الثَّقَلُ وَالثَّقَلَةُ وَالثَّقَلُ [وَالثَّقَلُ] : أُنْقَلُ القوم
وَمَتَاعُهُمْ وَمَا سَحَلُوهُ عَلَى دَوَابِّهِمْ ، وَالْجَمْعُ أُثْقَلُ » .

(٢) الزيادة من ج و د و ه .

(٣) في ج « ويحجمون » بتقديم الجيم على الحاء ، وهو صحيح أيضاً . وبحاشية ا مانصه :
« ابن شاذان : قال أبو زيد والأصمعي : أَحْجَمَ الرجلُ عن الأمرِ إِجْجَامًا ،
وَأَحْجَمَ إِجْجَامًا : إِذَا تَأَخَّرَ عَنْهُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ » .

(٤) في ج و د و ه و ف « سوق » .

فكتب إليه الحرثُ: هَيْنًا لك أخا الأزدي الشرف في الدنيا، والدخر في الآخرة، إن شاء الله.

فقال المهلب لأصحابه: ما أجنى أهل الحجاز! أما ترونه يعرف^(١) اسمي واسم أبي وكنيتي؟!

وكان المهلبُ: يبتئ الأحراس في الأمن، كما يبتئهم^(٢) في الخوف، ويذكي العيون في الأمصار^(٣)، كما يذكيها في الصحاري، ويأمر أصحابه بالتحرز، ويخوِّفهم البيات، وإن بعد منهم العدو، ويقول: اخذوا أن تكادوا كما تكيدون، ولا تقولوا هزمنا وغلبنا، فإن القوم خائفون وجلون، والضرورة تفتح باب الحيلة، ثم قام فيهم خطيباً فقال:

يأيها الناس! إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتنوكم في دينكم، وسفكوا^(٤) دماءكم، فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عيسى، والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصي المخالف حارثة

(١) في ج و د و ه و ف «عَرَفَ» .

(٢) في ج و د «يُبَيِّتُ» «يُبَيِّتُهُمْ» .

(٣) بحاشية ا مانصه: «ابن شاذان: يقال: بث الخيل يبتئها بثًا: إذا فرقتها .

وكل شيء فرفته قد بثته . ويقال: أذكيت الحرب والنار وغيرهما :

إذا أوقدتهما» .

(٤) في س و د و ه «أوسفكوا» .

بن بَدْرٍ ، فقتلوا جميعاً وقتلوا ، فالتقوهم بجِدِّ وَحَدِّ ، فإنما هم مهنتكم
وعبيدكم ، وعارٌ عليكم وتقصُّ في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على
فئتيكم ، وَيَطَوُّوا حَرِيمَكُمْ .

ثم سار يُرِيدُهُمْ ، وَهُمْ بِمِنَادِرِ الصُّغْرَى ، فَوَجَّهَ عبيدُ الله بن بَشِيرِ
بن الماخوزِ رئيسُ الخوارجِ رجلاً يقال له واقِدٌ ، مَوْلى لآلِ أَبِي صُفْرَةَ
من سبِّي الجاهلية ، في خمسين رجلاً ، فيهم صالحُ بن مخرقٍ ، إلى نهر تيرى ،
وبها المَعَارِكُ بن أبي صُفْرَةَ ، فقتلوه وصلبوه ، فنمى الخبرُ إلى المهلب ،
فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ ، فدخل نهرَ تيرى وقد خرج واقِدٌ منها ، فاستنزله ودَفَنَهُ ،
وَسَكَّنَ الناسَ ، وَاسْتَخْلَفَ بها ، ورجع إلى أبيه وقد حلَّ بِسُولَافٍ ، والخوارجُ
بها ، فَوَاقِعَهُمْ ، وَجَعَلَ على بنى تَمِيمِ الحَرِيشَ بن هِلَالٍ ، فخرج رجلٌ من
أصحابِ المهلبِ ، يقال له عبدُ الرحمن الإسكافُ ، فَجَعَلَ يَحْضُ الناسَ وهو
على فرسٍ له صفراءُ ، فَجَعَلَ يَأْتِي الميمنةَ والميسرةَ والقلبَ ، فَيَحْضُ الناسَ
وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارجِ ، وَيَحْتَالُ بين الصَّفَيْنِ ، فقال رجلٌ من الخوارجِ
لأصحابه : يامعشر المهاجرين ! هل لكم في فتسكةٍ فيها أُرَيْحِيَّةٌ ؟ فحمل جماعةٌ
منهم على الإسكافِ ، فقاتلهم وحده فارساً ، ثم كَبَّاهُ فرسُهُ^(١) ، فقاتلهم
راجلاً ، قائماً وباركاً ، ثم كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَاتُ ، فَذَبَبَ بِسيفِهِ^(٢) ،

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : كَبَّاهُ الرجلُ والفرسُ وغيرُهما : إذا

عَثَرَ . ومن كلامهم : لكلِّ صارمٍ نَبْوةٌ ، ولكلِّ جوادٍ كَبْوةٌ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « الأصمعيُّ : يقالُ . ذَبَبَ يُدَبِّبُ تَدَبِّباً فهو مُدَبِّبٌ : إذا =

وَجَعَلَ يَحْتُو الترابَ في وجوههم ، والمهلبُ غيرُ حاضرٍ ، ثم قُتِلَ رحمه الله ،
وَحَضَرَ المهلبُ فَأخْبِرَ^(١) ، فقال للحريشِ وَعَطِيَّةَ العنبريِّ : أأسلمتما سيدَ
أهل العسكرِ ، لم تُعيناه ولم تستنقِذاهُ ، حسداً له ، لأنه رجلٌ من الموالى ؟ !
وَوَجَّهَهُمَا ، وَحَمَلَ رجلٌ من الخوارجِ على رجلٍ من أصحابه فقتله ، فحمل عليه
المهلبُ فطعمه وقتله ، ومال الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ ، فانهزم الناسُ ،
وقتلوا سبعين رجلاً ، وثبتَ المهلبُ ، وأبلى المغيرةُ يومئذٍ وعُرفَ مكانُهُ .
ويقال : حاصَ المهلبُ يومئذٍ حَيْصَةً^(٢) . وتقول الأزدُ : بل كان يرُدُّ المنهزمةَ
ويحمي أديبارهم ، فقال رجلٌ من بني منقرٍ بن عبيد بن الحرث بن كعب
بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

بِسُؤْلَافٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتِ عَلَى مُوَأَشِكَةِ دَرُورِ

قوله « مُوَأَشِكَةِ » يريدُ سريعةً . ويقال : نحنُ على وشكٍ رحيلٍ . ويقال :
ذميلُ موأشِك^(٣) ، إذا كان سريعاً . قال ذو الرمة :

إِذَا مَارَمِينَا رَمِيَةً فِي مَفَازَةٍ عَرَاقِبَهَا بِالشَّيْظَمِيِّ المُوَأَشِكِ^(٤)

= أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ . وَذَبَابُ السَّيْفِ : حَذَاهُ . وتفسير الأصمعي ليس هذا
موضعه ، إنما الذبُّ الدفعُ والمنع . و« ذَبَبَ » : أَكْثَرَ الذَّبَّ .
(١) في ج و س و د و ه و ف « وَأَعْلِمَ » .

(٢) في د « جاض » « جبضة » . وبجاشية ا مانصه : « المَهْلَبِيُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ .
حاصٌ يَحْيِصُ حَيْصًا : حَادٌ . وَذَلِكَ جَاضٌ بِالْجِيمِ وَالضَّادِ : مِثْلُهُ » .

(٣) « الذميل » ضرب من سير الأبل .

(٤) بجاشية ا مانصه : « المَهْلَبِيُّ : الشَّيْظَمِيُّ : حَادٍ طَوِيلٌ . وَالْمُوَأَشِكُ : الْمُسْتَعْجِلُ

وهو مُفَاعِلٌ مِنَ الوَشَكِ » .

و « دَرُورٌ » فَعُولٌ مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ : إِذَا تَتَابَعَ .

وقال رجلٌ من بني تميمٍ آخِرُ :

تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا يُرْجَى كُلُّ أَرْبَعَةِ حِمَارًا

فِيَا نَدَمِي عَلَى تَرْكِي عَطَائِي مُعَايَنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارًا^(١)

إِذَا الرَّعْمُنُ يَسْرَ لِي قُفُولًا فَحَرِّقْ فِي قُرَى سُوْلَافٍ نَارًا

قوله : « الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ » يعني الْمُهْلَبَ ، ويقال عارت عينه بسهمٍ

كان أصابها . وقال « الْكَذَّابَ » لأن^(٢) الْمُهْلَبَ كان فقيهاً ، وكان يعلم ماجاء

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِبًا

إِلَّا ثَلَاثَةً : الْكَذِبُ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ^(٣) ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ يَعِدُهَا ،

وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ^(٤) » ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم :

(١) بحاشية ١ مانصه : « قال الْمُهَلَّبِيُّ : الضَّمَّارُ : خِلَافُ الْعِيَانِ . ابنُ سَازَانَ :

الضَّمَّارُ : النَّسِيئَةُ ، ومنه حديثُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : فَإِنَّهُ كَانَ مَالًا ضَمَّارًا .

أى غائباً عن أهله . وكلُّ غائبٍ ضِمَارٌ . والضَّمَّارُ : مالا يُدْرَى أَيْ يَكُونُ أَمْ لَّا .

ومنهم قولهم : أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ : أَخْفَيْتُهُ » .

(٢) في ج « بَأَن » .

(٣) في ج و ف « بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » وفي د « بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ الْمُسْلِمِينَ » .

(٤) أقرب لفظ وجدته لهذا اللفظ رواية أحمد في المسند (ج ٦ ص ٤٥٤) « عن أسماء بنت

يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَمْلِكُكُمْ

عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي السَّكْذِبِ كَمَا يَتَابِعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ ؟ كُلُّ السَّكْذِبِ يَكْتُبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا

ثَلَاثَ خِصَالٍ : رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيَرْضِيهَا ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خِدْيَةِ حَرْبٍ ،

أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا » . ثم رواه أيضاً بنحوه (ص ٤٥٩

و ٤٦٠ - ٤٦١) ورواه الترمذي في السنن وحسنه (ج ١ ص ٣٥٢ طبعة بولاق و ج ٣

ص ١٢٧ من شرح الباركفوري) . وفي معناه حديث آخر بنحوه عن أم كلثوم بنت =

« إنما أنت رجلٌ ، فَخَذَلْنَا عَنَّا ، فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدَعَةٌ ^(١) » . وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عُبَادَةَ وسعد بن مُعَاذٍ ، وهما سَيِّدَا الْحَيَّيْنِ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ : « إِيْتِيَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِن كَانُوا عَلَى الْعَهْدِ فَأَعْلِنَا بِذَلِكَ ، وَإِن كَانُوا قَدْ تَقَضَّوْا مَا بَيْنَنَا فَالْحَنَّا لِي حَلْنًا أَعْرِفُهُ ، وَلَا تَقْتُمَا فِي أَعْضَادِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) ، فَرَجَعَا بَعْدَ الْقَوْمِ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَضَلُ وَالْقَارَةُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ : أَبْشِرُوا فَإِنِ الْأَمْرَ مَا تُحِبُّونَ » . [قَالَ الْأَخْفَشُ : سَأَلْتُ الْمُبَرِّدَ عَنْ قَوْلِهِمَا « عَضَلُ وَالْقَارَةُ » فَقَالَ : هَذَا حَيَّانٍ كَانَا فِي نَهَايَةِ الْعِدَاوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرَادَا أَنَّهُمْ فِي الْإِنْحِرَافِ عَنْهُ وَالْعُدْرِ بِهِ كَهَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ] .

قال أبو العباس : فكان المهلبُ ربما صنعَ الحديثَ ليشدَّ به من أمرِ المساميين ويضعفَ من أمرِ الخوارج ^(٣) ، فكان حَيٌّ من الأزدِ يقال لهم

== عقبه ، رواه الترمذى في الباب ، ورواه أيضاً أحمد مطولاً ومختصراً (ج ٦ ص ٤٠٣) ونسبه المباركفورى (٣ : ١٢٨) للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى .

(١) بفتح الحاء وسكون الدال ، كما ضبط في الأصول ، وفي بعض طبعات مصر بفتح الدال مع فتح الحاء ، وهو خطأ . قال في النهاية : « يروى بفتح الحاء وضمتها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال . فالأول معناه أن الحرب ينقض أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، أى أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة ، وهى أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الثانى هو الاسم من الخداع . ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتغيبهم ولا تبقى لهم ، كما يقال فلان رجل لعبة وشحكة ، أى كثير اللعب والضحك » . والحديث ذكره ابن هشام في السيرة في غزوة الخندق أنه قاله لنعيم بن مسعود الأشجعى ولفظ « الحرب خدعة » في الصحيحين وغيرهما . وانظر فتح البارى (ج ٦ ص ١١٠) .

(٢) في حاشية ١ مانصه : « ابن شاذان : قال أبو عمر : يقال كَلَّمَ فلانٌ فلاناً بشيءٍ

فَقَتَّ في ساعده ، أى أضعفه وأوهنه » .

(٣) المهلب بن أبى صفرة تابعى ثقة ، وليس يصح أن ينسب إليه الكذب على رسول الله ==

التَّدْبُ^(١) إِذَا رَأَوْا الْمَهْلَبَ رَأْحًا إِلَيْهِمْ قَالُوا : قَدْ رَاحَ الْمَهْلَبُ لِيَكْذِبَ ! وَفِيهِ
يَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ :

أَنْتَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى لَوْ كُنْتَ تَصَدُّقُ مَا تَقُولُ



فَبَاتَ الْمَهْلَبُ فِي الْفَتَنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَجَعَ بِعَظْمِ الْمَنْهَزَةِ فَصَارَ فِي أَرْبَعَةِ
آلَافٍ ، فَنَخَبَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بِيَكُمُ مِنْ قَلَّةٍ ، وَمَا ذَهَبَ عَنْكُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجُبْنِ
وَالضَّعْفِ وَالطَّمَعِ وَالطَّبَعِ^(٢) ، فَإِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ^(٣) فَسِيرُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهِ . فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ فَقَالَ :
أُنْشِدْكَ اللَّهَ^(٤) - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - أَنْ تَقَاتِلَهُمْ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوكَ ، فَإِنَّ بِالْقَوْمِ جِرَاحًا
وَقَدْ أَخْنَتَهُمْ هَذِهِ الْجَوْلَةُ ، فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَمَضَى الْمَهْلَبُ فِي عَشْرَةِ ، فَأَشْرَفَ

= صلى الله عليه وسلم . قال ابن عبد البر في الاستيعاب : « هو ثقة ليس به بأس ، وأما
من عابه بالكذب فلا وجه له ، لأن صاحب الحرب يحتاج إلى المعارض والحيل ، فمن لم
يعرفها عدوها كذبا » . وهو ظاهر في أن معارضة إنما كانت في الحرب ، وأنه لم يكن
ليفتري على رسول الله ما لم يقل .

- (١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيْدٍ : التَّدْبُ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ » .
(٢) « الطبع » بفتح الباء ، أصله الصداً يكثر على السيف ونحوه ، ثم استعير للأوزار
والآنام .
(٣) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ :
الْقَرْحُ : الْجِرَاحُ ، وَهُوَ الْقَرْحُ أَيْضًا . وَرَجُلٌ قَرِيحٌ وَمَقْرُوحٌ ، مِنْ قَوْمٍ قَرَّاحِي
وَقَرَّحِي » .

- (٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يُقَالُ نَشَدْتُكَ اللَّهَ فَإِنَّا أَنْشَدُكَ اللَّهَ ، أَيْ
ذَكَرْتُكَ اللَّهَ » .

على عسكر الخوارج ، فلم يرَ منهم أحداً يتحركُ ، فقال له الحريشُ : ارتحلَ
 عن هذا الموضعِ ^(١) ، فارتحلَ ، فعَبَرَ دُجَيْلًا ، وصار إلى عاقولٍ ^(٢) لا يُؤْتى إلا
 من وجهٍ واحدٍ ، فأقام به ، واستراحَ الناسُ ثلاثًا ، وقال ابنُ قيسِ الرقيّاتِ :
 الأَطْرَقَتْ من آلِ يَدْبَةَ طَارِقَهُ على أنها مَعشُوقَةٌ الدَّلَّ عَاشِقَهُ ^(٣)
 تَبَيْتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وسُولافُ رُسْتاقُ حَمْتَهُ الأَزَارِقَهُ
 إذا نحنُ سِتْنًا صادَفْتَنَا عِصَابَهُ حَرُورِيَّةٌ أَضَحَّتْ من الدِّينِ مَارِقَهُ
 أَجَازَتْ إلينا العسْكَرِينَ كِلَيْهِمَا فَباتَتْ لنا دُونَ اللَّحَافِ مُعَانِقَهُ

(١) في ع و س و د و ه و ف ونسخة بحاشية ا « المنزل » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المَهَلَّبِيُّ : يقال وَقَعْنَا في أرضِ عاقولٍ : لا يُهْتَدَى لها .

قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ بنُ أحمدَ : العاقولُ من النهرِ والوادي : ما اغوَجَ
 منه ، ومن الأمورِ : ما التَبَسَ » .

(٣) « بيبة » بكسر الباء الأولى ، كما ضبطت في كل الأصول ، وبحاشية ا مانصه :

« ابنُ شاذانَ : اشتقاقُ بِيْبَةٍ من البَيْبِ ، والبَيْبُ مَسِيلُ الماءِ من مُفْرَغِ الدَّلْوِ

إلى الحوضِ » . وضبطه الرصفي بفتح الباء الأولى ، وقال : « هو بيبة بن سفيان

بن مجاشع » . وكذلك ضبط بالقلم في اللسان والقاموس . وفي الاشتقاق لابن دريد (ص

١٤٧) مانصه : « الحرثُ بنُ بَيْبَةَ . وَالبَيْبَةُ المِثْعَبُ الذي يَنْصَبُ منه الماءُ

إذا أُفْرِغَ من الدلو في الحوضِ . وهو البَيْبُ وَالبَيْبَةُ » وضبطت كلها في الاشتقاق

بالقلم بفتح الباء الأولى . وكذلك ضبط « البيب » بالقلم بفتحها في الجمهرة (ج ٣ ص ١٩٨)

وأما القاموس واللسان فانهما ضبطا « البيب » و « البيبة » بكسرها ، وضبطا اسم الرجل ،

بالفتح . والظاهر عندي أن مافي أصول السكامل أصح ، وأنه في اسم الرجل بالسكسر أيضا .

وقد مضت الآيات الثلاثة الأولى في (ص ٩١٦) وضبط فيها بفتح الباء . وفي حاشية طبعة

أوربة أن بعض النسخ بكسرها .

وقد ذكرنا « الضمَارُ » ومعناه الغائبُ ، وأصلُهُ من قولك « أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ » أى أَخْفَيْتُهُ عَنْكَ ، ويقال : مالٌ عَيْنٌ ، للحَاضِرِ ، ومالٌ ضِمَارٌ ، للغائبِ ، قال الأَعشى :

وَمَنْ لَا تَضِيعُ لَهُ ذِمَّةٌ فَيَجْعَلُهَا بَعْدَ عَيْنِ ضِمَارًا
وقال أيضاً :

تَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَا دُجُجْنِي وَتُقَطِّعْ مِنَّا الرَّحِيمَ^(١)

والفعلُ من هذا « أَضْمَرَ يُضْمِرُ » والمفعولُ به « مُضْمَرٌ » والفاعل « مُضْمِرٌ » و « الضمَارُ » اسمٌ للفعل فى معنى الإِضْمَارِ . وأسماءُ الأفعالِ تَشْرِكُ^(٢) المصادرَ فى معانيها ، تقول : أعطيتُهُ عَطَاءً ، فَيَشْرِكُ العَطَاءُ الإِعْطَاءَ فى معناه ، ويُسمَّى به المفعولُ : وتقول : كَلَّمْتُهُ تَكْلِيبًا وَكَلَامًا ، فى معناه ، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ فى قولك : رجلٌ عدلٌ ، ورجلٌ كرمٌ ، ورجلٌ نؤمٌ ، ويومٌ نغمٌ وَغَيْمٌ ، وينعتُ به المفعولُ فى قولك : رجلٌ رضىً ، وهذا درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ ، وجاءَ نِي الخلقُ ، تَعْنِي^(٣) المخلوقين .

وقال رجلٌ من الخوارج فى ذلك اليوم :

وَكَأَنَّ تَرَ كُنَّا يَوْمَ سُؤْلَافَ مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتَلَى فى الجحيمِ مَصِيرُهَا
قوله « وكأَنَّ » معناه : كمٌ ، وأصلُهُ كافُ التشبيهِ دخلتْ على « أَى »

(١) فى ج و ه و ف « أَرَانَا » . وفى ف بيت آخر :

أَتَانَا فَلَارِمْتَ مِن عِنْدِنَا فَإِنَّا بِجَحِيمٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

(٢) فى ج و ف « تشارك » .

(٣) فى س و ه و ف « يعنى » .

فصارتا بمنزلة كم ، ونظير ذلك : له كذا وكذا درهماً ، وإنما هي « ذا » دخلت عليها الكاف ، والمعنى : له كهذا العدد من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا درهماً ، فهو كناية عن أحد عشر درهماً إلى تسعة عشر ، لأنه ضمَّ العددين ، فإذا قال : كذا وكذا ، فهو كناية عن أحد وعشرين [درهماً]^(١) إلى ما جاز فيه العطف بعده . ولكن كثرت « كأي » فخففت ، والتشليل الأصل ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾^(٢) ﴿ وَكَأَيِّ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ ﴾^(٣) معه ربيون كثير^(٤) وقد قرئ بالتخفيف^(٥) ، كما قال الشاعر :

وَكَأَيِّ رَدَدْنَا عَنْكُمْ مِنْ مُدَجِّجٍ
يُحْيِي أُمَامَ الْأَلْفِ يَرْدِي مُقْتَمًا^(٦)
وقال آخر :

وَكَأَيِّ تَرَى يَوْمَ النَّمِيصَاءِ مِنْ قَتَى
أُصِيبَ وَلَمْ يُجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا
قال أبو العباس : وهذا أكثر على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ، وذلك الأصل ، وبعض العرب يقلب فيقول : « كئي^(٧) يافتي » فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال ، قال الشاعر :

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سورة الحج آية ٤٨

(٣) في ا و د « قَتَلَ » وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، ووافقهم ابن محبصن

واليزيدي . وقرأ باقي الأربعة عشر « قاتل » كما في الاتحاف (ص ١٨٠) .

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٥) أي بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة منونة ، وهي قراءة ابن كثير

وأبي جعفر .

(٦) « يردى » : يعدو . وأصل ذلك في الخيل ، يقال ردى الفرس كرمى ردياً وردياًناً :

إذا عدا فرجهم الأرض بحوافره . والمقنع : الغطى بالسلاح . قاله الرصني .

(٧) رسمت في ج و س « كئيين » .

وَكَيْفَ فِي بَنِي دُودَانَ مِنْهُمْ غَدَاةَ الرَّوْعِ مَعْرُوفًا كَعِيٍّ

[قال أبو العباس (١) : فأقام المهلبُ في ذلك العاقول (٢) ثلاثة أيامٍ ، ثم ارتحلَ واخوارجُ بسليّ وسليبري (٣)] قال الأخفش « سَلِيٌّ » و « سَلِيْرِيٌّ » بفتح السين فهما ، موضعان بالأهواز ، « وسليّ » بكسر السين موضعٌ بالبادية ، وهكذا يُنشدُ هذا البيتُ :

كَأَنَّ غَدِيرَهُمْ يَجُنُوبِ سَلِيٍّ نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قَفَارٍ [

فتزلَ قريباً منهم ، فقال ابنُ المأخوذِ لأصحابه : ماتتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتهم حدّهم ؟ فقال له وافدٌ مولى أبي صفرة : يا أميرَ المؤمنين ! إنما تفرّقَ عنهم أهلُ الضعفِ والجبنِ ، وبقيَ أهلُ النجدةِ والقوّةِ ، فإن أصبتهم (٤) لم يكن ظفرًا هنيئًا ، لأنّي أراهم لا يصابون (٥) حتى يُصيّبوا ، فإن غلبوا ذهبَ الدينُ ، فقال أصحابه : نافقَ وافدٌ ! فقال ابنُ المأخوذِ : لا تعجلوا على أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نظرًا لكم . ثم توجهَ الزبير (٦)

(١) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٢) في ف « في دير العاقول » .

(٣) في ه « بسليّ وسليبري » بفتح السين وبالباء الموحدة في الثانية بدل الباء التحتية .

وفي ج « بسليّ وسليبري » بفتح السين في الأولى ، وبكسر السين وكسر اللام المشددة

وبالباء الموحدة في الثانية ، وكذلك في معجم البلدان إلا أنه بكسر السين في الأولى أيضا .

(٤) في ج و ف « أصبتهم » .

(٥) في ج و ف « لا أراهم يصابون » .

(٦) في ج و س و د و ه و ف « ثمَّ توجهَ الزبير » .

بن عليّ إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم ، فأتاهم في مائتين ، فحزّهم
ورجع ، وأمر المهلب أصحابه بالتّحارّس ، حتى إذا أصبح ركب إليهم على
تعبية صحيحة ، فالتقوا بسليّ وسليّ^(١) فتصافوا ، فخرج من الخوارج مائة
فارس ، فركزوا رماحهم بين الصّفين واتسكثوا عليها ، وأخرج إليهم المهلب
عِدادهم ، ففعلوا مثل ما فعلوا ، لا يريون إلاّ لصلاة^(٢) حتى أمسوا ، فرجع
كلّ قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا هذا ثلاثة أيام .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث ، فحمل عليهم هؤلاء
الفرسان يجولون ساعة ، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجلٍ قطعته ،
فحمل عليه المهلب قطعته ، فحمل الخوارج بأجمعهم ، كما صنعوا يوم سولاف ،
فضعضعوا الناس ، وفقد المهلب ، وثبت الغيرة في جمع أكثرهم أهل
عُمان ، ثم نجّم^(٣) المهلب في مائة فارس ، وقد انعمست كفاه في الدّم ،
وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر^(٤) محشوة قزاً ، وقد تمزقت ،
وإنّ حشوها ليتطأير ، وهو يلهث ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل

(١) في ج و د و هـ « بسليّ » . وفي ج « وسلبري » .

(٢) في ا « إلا بصلاة » وبجاشيتها ما نصه : « ابن شاذان : يقال رام يريم ريمًا ،
وما رمت عن المكان ، أي ما برحت » .

(٣) « نجم » أي ظهر .

(٤) بجاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : المغفر : الكبة من الزرد . وقال المهلب :

المغفر : الوقاية للرأس ، وهي حلق يتنفع بها المدسّح ، وكذلك الغفارة .
ومغفر البيضة : ما فوقها من حلق الحديد » .

يحاربهم إلى الليل ، حتى كثر القتلُ في الفريقين . فلما كان المَدُّ غاداهم ، وقد
 كَانَ وَجَّهَ بِالْأَمْسِ رَجُلًا مِنْ طَاحِيَةِ بْنِ سُودِ بْنِ مَالِكِ بْنِ فَهْمِ بْنِ الْأَزْدِ (١) ،
 يَرُدُّ الْمَنْهَزِمِينَ ، فَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ مَسْمَعٍ فَرَدَّهُ ، فَقَالَ : إِنْ الْأَمِيرَ أَذِنَ لِي ،
 فَبَعَثَ إِلَى الْمَهْلَبِ فَأَعْلَمَهُ ، فَقَالَ : دَعُهُ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي مِثْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَبَنِ
 وَالضَّعْفِ . وَقَدْ تَفَرَّقَ أَكْثَرُ النَّاسِ ، فَعَادَاهُمُ الْمَهْلَبُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ،
 وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا بَيْكُمُ مِنْ قِلَّةٍ ، أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ (٢) أَنْ يَرْمِيَ بِرِمْحِهِ ثُمَّ يَتَقَدَّمَ
 فَيَأْخُذَهُ ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ عِيَّاشٌ . وَقَالَ الْمَهْلَبُ لِأَصْحَابِهِ :
 أَعِدُّوا مَخَالِي فِيهَا حِجَارَةٌ وَارْمُوا بِهَا فِي وَقْتِ الْعَفْلَةِ ، فَإِنِهَا تَصُدُّ (٣) الْفَارِسَ
 وَتَصْرَعُ الرَّاجِلَ ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي أَصْحَابِهِ ، يَا مُرُّهُمْ بِالْجِدِّ
 وَالصَّبْرِ ، وَيُطْمِعُهُمْ فِي الْعَدُوِّ ، فَفَعَلَ ، حَتَّى مَرَّ بِبَنِي الْعَدَوِيَّةِ ، مِنْ
 بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَضَرَبُوهُ ، فَدَعَا الْمَهْلَبُ بِسَيِّدِهِمْ ، وَهُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ
 عَمْرٍو ، فَجَعَلَ يَرِي كَلَّهُ (٤) بِرِجْلِهِ ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي الْأَزْدِ ، فَقَالَ

(١) في بعض النسخ « من الأزدي » .

(٢) في ج « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ » .

(٣) في هـ و ف « تَصُدُّ » .

(٤) بحاشية ما نصه : « الْمَهْلَبِيُّ : الرَّكْلُ : ضَرَبْتُكَ الْفَرَسَ بِرِجْلِكَ لِيَعْدُو ، وَيُقَالُ
 لِذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُصِيبُهُ رِجْلُ الْفَارِسِ الْمَرْكَلُ . ابْنُ شَدَّانَ : الرَّكْلُ :
 الرَّفْسُ بِالرَّجْلِ ، وَرَكَلَهُ يَرِي كَلَّهُ رَكَلًا ، وَالرَّكْلَةُ الرَّفْسَةُ . قَالَ : وَقَالَ
 الْخَلِيلُ : الرَّكْلُ : الضَّرْبُ بِرِجْلِ وَاحِدَةٍ » .

[له] (١) أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، أَعْفَى (٢) مِنْ أُمَّ كَيْسَانَ ، والرُّكْبَةُ (٣) تُسَمِّيهَا الأَزْدُ « أُمَّ كَيْسَانَ » . ثم حَمَلَ المَهْلَبُ وَحَمَلُوا ، فاقْتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ، فَجُهِدَ الخَوَارِجُ ، فَنَادَى مُنَادِيهِمْ : أَلَا إِنَّ المَهْلَبَ قَدْ قُتِلَ ، فَركِبَ المَهْلَبُ بِرِذْوَانَا قَصيراً أَشْهَبَ ، وَأَقْبَلَ يَرَكُضُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، وَإِنَّ إِحْدَى يَدَيْهِ لِنِي القَبَاءِ وَمَا يَشْعُرُ بِهَا ، وَهُوَ يَصِيحُ : أَنَا المَهْلَبُ ، فَسَكَنَ النَّاسُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَدِ ارْتَاعُوا وَظَنُّوا أَنَّ أَمِيرَهُمْ قَدْ قُتِلَ ، وَكَلَّ النَّاسُ مَعَ العَصْرِ ، فَصَاحَ المَهْلَبُ بِابْنِهِ المَغِيرَةَ : تَقَدَّمَ ، فَفَعَلَ ، وَصَاحَ بِذِكْوَانَ مَوَلَاهُ : قَدَّمَ رَأَيْتَكَ ، فَفَعَلَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِهِ : إِنَّكَ تُغَرَّرُ بِنَفْسِكَ ، فَذَمَّرَهُ (٤) ، ثُمَّ صَاحَ (٥) : يَا بَنِي تَمِيمِ ! أَأَمْرُكُمْ فَتَعَصُّونَنِي ؟! فَتَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ ،

(١) الزيادة من ج و س و د و ف .

(٢) في ج و ف « عن » بدل « من » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابن شاذان : هكذا قال المبردُ الرُّكْبَةُ ، والصوابُ الرُّكْلَةُ ، وهي الرِّقْسَةُ » . وقد أصاب المبرد وأخطأ ابن شاذان ، ففي اللسان : « وَرَكِبَ الرَّجُلُ يَرْكُبُهُ رَكْبًا ، مِثْلُ كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَابًا : ضَرَبَ رُكْبَتَهُ ، وَقِيلَ : هُوَ إِذَا ضَرَبَهُ بِرُكْبَتِهِ ... وَفِي حَدِيثِ ابْنِ سِيرِينَ : أَمَا تَعْرِفُ الأَزْدَ وَرُكْبَتَهَا ، اتَّقِ الأَزْدَ لَا يَأْخُذُوكَ فَيَرَكُبُوكَ . أَيْ يَضْرِبُوكَ بِرُكْبَتِهِمْ . وَكَانَ هَذَا مَعْرُوفًا فِي الأَزْدِ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ المَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ دَعَا بِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو فَجَعَلَ يَرَكُبُهُ بِرِجْلِهِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، أَعْفَى مِنْ أُمَّ كَيْسَانَ ، وَهِيَ كُنْيَةُ الرُّكْبَةَ بِلُغَةِ الأَزْدِ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذان : ذَمَّرْتُ الرَّجُلَ أَذَمُّهُ ذَمْرًا : إِذَا حَضَّضْتَهُ وَتَذَمَّرَ القَوْمُ : إِذَا حَضَّضَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » .

(٥) في ج و د و ه و ف « و صاح » .

واجْتَلَدُوا أَشَدَّ جَلَادٍ ، حتى إذا كان مع المساء^(١) قَتَلَ ابْنُ الْمَاحُوزِ ، وانصرف الخوارج ، ولم يَشْعُرِ المهلبُ بقتله ، فقال لأصحابه : ابغوني رجلاً جَلْدًا يَطُوفُ في القَتْلِ ، فأشاروا عليه برجلٍ من جرهم ، وقالوا : إِنَّا لَمْ نَرِ رجلاً قَطُّ أَشَدَّ منه ، فَطَوَّفَ ومعه النَّيرَانُ ، فَجَعَلَ إِذَا مَرَّ بِجَرِيحٍ من الخوارجِ قال : كافرٌ وربُّ الكعبةِ ، فَأَجْهَرَ عليه ، وَإِذَا مَرَّ بِجَرِيحٍ من المسلمينِ أَمَرَ بِسِقْيِهِ وَحَمَلِهِ .

وأقام المهلبُ في عسكره يأمرهم بالاحتراسِ ، حتى إذا كان نصفُ الليلِ^(٢) وَجَّهَ رجلاً من اليَحْمَدِ [قال الأَخْفَشُ : اليَحْمَدُ من الأزدِ ، والخليلُ من بطنٍ منهم يقال لهمُ الفَرَاهِيدُ ، والفَرُّهُودُ في الأصلِ الحَمَلُ ، فإن نَسَبْتَ إلى الحَيِّ قلتَ « فَرَاهِيدِيٌّ » ، وإن نَسَبْتَ إلى الحُمَلَانِ قلتَ « فَرُّهُودِيٌّ » لا غَيْرُ] في عَشْرَةِ فصاروا إلى عسكرِ الخوارجِ ، فإذا^(٣) القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرْجَانِ ، فرجعَ إلى المهلبِ فأعلمه ، فقال : أَنَا لَهُمُ السَّاعَةُ أَشَدُّ خَوْفًا ، فَاحْذَرُوا البِيَّاتِ .

قال أبو العباس : وَيُرْوَى عن شُعْبَةَ بنِ الحَجَّاجِ أَنَّ المهلبَ قال لأصحابه يوماً : إِن هُوَ لاءِ الخوارجِ قد يَنْسُوا من ناحيتكم إِلا من جهةِ البِيَّاتِ ، فإن كان ذلك فاجْعَلُوا شِعَارَكُمْ حَمَّ لا يُنْصَرُونَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرُ بها^(٤) . وَيُرْوَى : أَنه كان شِعَارَ أصحابِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه .

(١) في ج « عند المساء » .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « في نصف الليل » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « وإذا »

(٤) ورد ذلك في حديث رواه أبو داود والترمذي والحاكم وغيرهم من طريق المهلب بن أبي صفرة =

فلما أصبح المهلب غدا على القتلى ، فأصاب^(١) ابن المأخوذ فيهم ،
ففي ذلك يقول رجل من الخوارج :

بِسَلَى وَسَلَيْرِي مَصَارِعُ فْتِيَةٍ كِرَامٍ وَجَرَ حَى لَمْ تُوسَّدْ خُدُودُهَا
وقال آخر :

بِسَاءٍ وَسَلَيْرِي مَصَارِعُ فْتِيَةٍ كِرَامٍ وَعَقْرِي مِنْ كَمِيَّتٍ وَمِنْ وَرْدٍ^(٢)
وقال رجل من موالى المهلب : لقد صرعت يومئذٍ بحجرٍ واحدٍ ثلاثة ،
رميتُ به رجلاً فأصبتُ أصلَ أُذُنِهِ فَصَرَعْتُهُ ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ
به آخرَ على هامتهِ فصرَعْتُهُ ، ثم صرعتُ به ثالثاً .

وقال رجل من الخوارج :

أَتَانَا بِأَحْجَارٍ لِيَقْتَلَنَا بِهَا وَهَلْ تُقْتَلُ الْأَبْطَالُ وَيَحْكُ بِالْحَجَرِ
وقال رجل من أصحاب المهلب في يومِ سَلَى وَسَلَيْرِي^(٣) وَقَتْلِ

ابنِ المَأخُوزِ :

وَيَوْمِ سَلَى وَسَلَيْرِي أَحَاطَ بِهِمْ مَنَّا صَوَاعِقُ مَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ^(٤)

= عن بعض الصحابة ، وفي حديث رواه النسائي والحاكم عن البراء بن عازب ، وفي أحاديث

آخر ، انظرها في الدر المنثور للسيوطي (ج ٥ ص ٣٤٥) .

(١) في ج و س و د و ه و ف « فأصابوا » .

(٢) في ج و س و د و ه « بسلى وسليري » .

(٣) في ج و د « سلى وسليري » .

(٤) في ج « ماتبقى وماتذر » . وفي ف « لاتبقي ولا تذر » . وبخاشية ا مانصه :

« قال ابن شاذان : الصَّعَقُ أَنْ يَسْمَعَ الْإِنْسَانَ الْهَدَّةَ الشَّدِيدَةَ فَيَصْعَقُ لَذَلِكَ =

حتى تَرَ كُنَّا عُيَيْدَ اللَّهِ مُنْجِدِلًا كَمَا تَجَدَّلَ جِذْعُ مَالٍ مُنْقَعِرٍ
قال أبو العباس: تقول العرب «صاعقةٌ وَصَوَاعِقُ» وهو مذهب أهل
الحجاز، وبه نزل القرآن، وبنو تميم يقولون «صَاعِقَةٌ وَصَوَاعِقُ» .
و«الْمُنْقَعِرُ» الْمُنْقَلَعُ مِنْ أَصْلِهِ . قال الله أصدقُ القائلين : ﴿ كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ^(١) ﴾ .

ويزوي : أن رجلاً من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب
المهلب فطعته، فلما خالطه الرمح صاح : يَا أُمَّتَاهُ ! فصاح به المهلب : لا كثر
الله بمثلك المسامين ، فضحك الخارجى وقال :

أَمْكَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا تَسْتَقِيكَ مَحْضًا وَتَعْلُ رَائِبًا

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه
نكس ^(٢) على قربوس سرجه ^(٣) وحمل من تحتها فبرأها بسيفه وأثر
في أصحابها ، حتى تخزمت الميمنة من أجله . وكان أشد ما تكون الحرب
أشد ما يكون تبسماً ، فكان المهلب يقول : ما شهد معي حرباً قط إلا
رأيت البشرى في وجهه .

= وَيَذْهَبُ عَقْلُهُ ، وَالصَّاعِقَةُ مِنْ هَذَا اسْتِقَاقُهَا ، لِشِدَّةِ هَدْيِهَا ، وَإِنَّمَا قَلَبُوا
فَقَالُوا صَاعِقَةٌ .

(١) سورة القمر آية ٢٠

(٢) بحاشية ما نصه : « نَكَسْتُ الشَّيْءَ أَنْكَسْتُهُ نَكْسًا : إِذَا قَلَبْتَهُ عَلَى رَأْسِهِ . »

(٣) في ج و س و د و ه و ف « على قربوس السرج » .

وقال رجلٌ من الخوارج في هذا اليوم :

فإن تكُ قَتْلِي يومَ سَلَى تَتَابَعْتُ فكم غَادَرَتِ أسيَافُنَا من قُمَاقِمٍ^(١)
غَدَاةَ نَكْرُ المَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ بِسُؤْلَافِ يَوْمِ المَازِقِ المِتْلَاحِمِ
« المَازِقُ » هُوَ يَوْمُ تَصَايِقِ الحَرْبِ . وَ « المِتْلَاحِمُ » نَعْتٌ لَهُ .
وَ « المَشْرِفِيَّةُ » السِّيُوفُ ، نُسِبَتِ إِلَى المَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ . وَهُوَ المَوْضِعُ
المَلْقَبُ بِمُوتَةَ^(٢) الَّذِي قُتِلَ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ .

[قَالَ الأَخْفَشُ : كَانَ المَبْرَدُ لَا يَهْمَزُ « مُوتَةَ » . وَلم أَسْمَعْهَا مِنْ عِلْمَائِنَا
إِلَّا بِالْهَمْزِ] .



قال أبو العباس : فكتب المهلب إلى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة
القُبَاعِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَا لَقِينَا الأَزَارِقَةَ المَارِقَةَ ، بِجَدِّ
وَجِدِّ ، فَكَانَتْ فِي النَّاسِ جَوَلَةً ، ثُمَّ نَابَ أَهْلُ الحِفَاظِ وَالصَّبْرِ ، بِنِيَّاتٍ
صَادِقَةٍ ، وَأَبْدَانِ شَدَادٍ ، وَسِیُوفِ حِدَادٍ ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ خَيْرَ عَاقِبَةٍ ، وَجَاوَزَ
بِالنِّعْمَةِ مِقْدَارَ الأَمَلِ ، فَصَارُوا دَرِيَّةً^(٣) رِمَاحِنَا ، وَضَرَائِبَ سِیُوفِنَا ،

(١) بِحَاشِيَةِ ا مَانِصِهِ : « المَهَاسِي : رَجُلٌ قُصَاقِمٌ وَ قُصَاقِمٌ ، وَهُوَ السَّيِّدُ ، وَاشْتِقَاقُهُ
مِنْ قَوْلِهِمْ بَحْرٌ قُصَاقِمٌ ، لِلكَثِيرِ المَاءِ » .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « بِمُوتَةَ » .

(٣) بِحَاشِيَةِ ا مَانِصِهِ : « ابْنُ شاذَانَ : الدَّرِيَّةُ مَهْمُوزٌ : الحَلَقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ فِيهَا
الرَّحْمِيُّ وَ الطَّنُّ . وَ الدَّرِيَّةُ بِغَيْرِ هَمْزٍ : الَّتِي يَسْتَرْتَرُ بِهَا الصَّائِدُ » .

وَقَتَلَ اللهُ أَمِيرَهُمْ ابْنَ الْمَأْخُوزِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ آخِرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ
كَأَوْلِهَا ، وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقُبَاعُ :

قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا أَخَا الْأَزْدِ ، فَرَأَيْتُكَ قَدْ وَهَبَ اللهُ لَكَ شَرَفَ الدُّنْيَا
وَعِزَّهَا ، وَذَخَرَ لَكَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ وَأَجْرَهَا ، وَرَأَيْتُكَ أَوْثَقَ
حُصُونِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَادِئَ أَرْكَانِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَخَا السِّيَاسَةِ وَذَا الرِّيَاسَةِ ،
فَاسْتَدِمَّ اللهُ بِشُكْرِهِ ، يُتِمُّمُ عَلَيْكَ نِعْمَةً ، وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ يُهَيِّئُونَهُ ، وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ ، وَلَكِنْ
قَالَ : أَفَرَوْا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَوْلُوا لَهُ : أَنَا لَكَ عَلَى مَا فَارَقْتُكَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ
يَقْرَأُ الْكُتُبَ وَيَلْتَمِسُ فِي أَضْعَافِهَا كِتَابَ الْأَحْنَفِ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ قَالَ
لِأَصْحَابِهِ : أَمَا كَتَبْتُمْ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : حَمَلَنِي إِلَيْكَ رَسُولًا ، وَأَبْلَغَنِي ،
فَقَالَ : هَذِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ .



وَاجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ بِأَرْجَانَ ، فَبَايَعُوا الزُّبَيْرَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي
سَلَيْطِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، مِنْ رَهْطِ ابْنِ الْمَأْخُوزِ ، فَرَأَى فِيهِمْ انْكَسَارًا شَدِيدًا
وَضَعْفًا يَبِينًا ، فَقَالَ لَهُمْ : اجْتَمِعُوا ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنَّ الْبَلَاءَ لِمُؤْمِنِينَ تَمَحِّيصٌ^(١) وَأَجْرٌ ،

(١) بِعَاشِيَةِ أَمَانَةَ : « ابْنُ شَازَانَ : التَّمَحِّيصُ : التَّطَهِيرُ مِنَ الذُّنُوبِ . قَالَ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ : وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا . »

وهو على الكافرين عُقُوبَةٌ وَخِزْيٌ ، وَإِنْ يُصَبِّ مِنْكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا صَارَ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا خَلَّفَ ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهُمْ ^(١) مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْسٍ ، وَرَبِيعًا الْأَجْدَمَ ، وَالْحَجَّاجَ بْنَ بَابٍ ، وَحَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ ، وَأَشَجِيثُ الْمُهَلَّبِ ، وَقَتَّمِ أَخَاهُ الْمُعَارِكَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ لِإِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) فَيَوْمٌ سَلَّىٰ كَانَ لَكُمْ بِلَاءٌ وَتَحْيِيصًا ، وَيَوْمٌ سُوْلَافٌ كَانَ لَهُمْ ^(٣) عُقُوبَةٌ وَنِكَالًا ، فَلَا تُغْلِبُنَّ عَلَى الشُّكْرِ فِي حِينِهِ ، وَالصَّبْرِ فِي وَقْتِهِ ، وَثِقُوا بِأَنْكُمُ الْمَسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَالْمَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

ثُمَّ تَحَمَّلَ لِحَارِبَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَنَفَحَهُمُ الْمُهَلَّبُ نَفْحَةً ، فَرَجَعُوا ، فَأَكْمَنَ لِلْمُهَلَّبِ فِي غَمْضٍ مِنْ غَمُوضِ الْأَرْضِ ^(٤) ، يَقْرُبُ ^(٥) مِنْ عَسْكَرِهِ : مَائَةٌ فَارِسٍ لِيَقْتَالُوهُ ، فَسَارَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا يَطُوفُ بِعَسْكَرِهِ وَيَتَفَقَّدُ سَوَادَهُ ، فَوَقَفَ عَلَى جَبَلٍ فَقَالَ : إِنْ مِنْ التَّدْبِيرِ لِهَذِهِ الْمَارِقَةُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَكْمَنْتَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كَمِينًا ، فَبَعَثَ عَشْرَةَ فَوَارِسٍ ، فَاظْلَعُوا عَلَى الْمِئَةِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِهِمْ قَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ وَنَجَوْا ، وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَصَاحُوا بِهِمْ :

(١) فِي ج وَ س وَ ه وَ ف « فِيهِمْ » .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةٌ ١٤٠

(٣) فِي ج وَ ف « كَانَ عَلَيْهِمْ » .

(٤) بِجَاشِيَةِ مَا نَصَّهُ : « الْمَهَايِيُّ : الْعَمْضُ : الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْجَمْعُ أَنْغَامُضٌ

وَعَمُوضٌ » .

(٥) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « يَقْرُبُ » .

يا أعداء الله ! لو قامت القيامة جددنا في جهادكم . ثم ينس الزبير من ناحية المهلب ، فضرب إلى ناحية أصفهان ، ثم كرّ راجعاً إلى أربجان . وقد جمع جموعاً ، وكان المهلب يقول : كأنني بالزبير وقد جمع جموعاً ، فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ، ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم . فجأؤوه من أربجان فألقوه مستعداً آخذاً بأفواه الطرق ، فخاربوه ، فظهر عليهم ظهوراً يديناً .

ففي ذلك يقول رجل من بني تميم ، أحسبه من بني رياح بن يربوع :

سقى الله المهلب كل غيثٍ من الوسمي ينتجر اتجاراً

فما وهن المهلب يوم جاءت عوابس خيلهم تبغى الغواراً

وقال المهلب يومئذ : ما وقعت في أمر ضيق من الحرب إلا رأيت أمامي

رجالاً من بني الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون ، وكان لحاهم أذنان

العقاعق . وكانوا صبروا معه في غير موطن .

وقال رجل من بني تميم ، من بني عبشمس بن سعيد :

ألا يا من لصب مستجنٍ قريح القلب قد صعب المزوناً^(١)

لهان على المهلب ما قينا إذا ماراح مسروراً بطينا

يجر السابري ونحن شعث كأن جلودنا كسيت طحينا^(٢)

« المزون » عثمان ، وهو اسم من أسماءها ، قال الكمي :

فأما الأزد الأزد أبي سعيد فأكره أن أسميها المزوناً

(١) « مستجن » بالحاء المهملة ، من قولهم استعجنه الشوق الى وطنه : استطربه ، قاله المرصني .

(٢) « السابري » من الثياب : ما كان رقيقاً .

وقال جرير :

وأطفأت نيرانَ المزونِ وأهلها وقد حاولوها فتنة أن تُسَـرَّرا
وَحَمَلَ يَوْمَئِذٍ الحَرِيشُ بنَ هِلالٍ على قيسِ الإِكَافِ ، وكان قيسُ من
أُنْجَدِ فُرْسَانَ الخِوارجِ ، فَطَعَنَهُ فَدَقَّ صُلْبَهُ ، وقال :
قَيْسُ الإِكَافِ غَدَاةَ الرُّوعِ يَعْلَمُنِي ثَبَّتَ المَقَامَ إِذَا لاقَيْتُ أَقرانِي

❖

وقد كان فلُّ المهلبِ يومَ سَلَى « وسَلَبَى »^(١) صاروا إلى البصرة ، فذكروا
أنَّ المهلبَ أُصِيبَ ، فَهَمَّ أَهْلُ البصرةَ بالنَّقْلةِ إلى البادية ، حتى وَرَدَ كتابُهُ
بظفره ، فأقام الناسُ ، وتراجعَ من كان ذهبَ منهم ، فعند ذلك يقولُ
الأحنفُ بنُ قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلبِ . وَقَدِمَ رَجُلٌ من كِنْدَةَ يقالُ له
فلانُ بنُ أرقمِ ، فَنَعَى ابنَ عمِّ له ، وقال : رأيتُ رجلاً من الخِوارجِ وقد
مَكَّنَ رِجْلَهُ من صُلْبِهِ ، فَقَدِمَ المنعِيُّ ، فقبلَ له ذلك ، فقال : صَدَقَ ابنُ أرقمِ
لما أَحْسَسْتُ برِجْلِهِ بينَ كَتِفَيْ صَحْتِ [به]^(٢) البَقِيَّةَ ! فَرَفَعَهُ عَنِّي ، وتَلَا :
❖ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖^(٣) .

ووجَّهَ المهلبُ بِعَقِبِ هذهِ الوَقْعَةِ رجلاً من الأزدِ برأسِ عُبيدِ الله
بنِ بَشِيرِ بنِ الماحوزِ إلى الحَرثِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي ربيعةِ القُبَاعِ ، فلما
صارَ بِكُرْبُجِ دِينَارٍ^(٤) لَقِيَهُ حَبِيبٌ وَعَبْدُ المَلِكِ وَعَلِيُّ بنو بَشِيرِ بنِ الماحوزِ

(١) في ج و س و د و ه و ف « وسَلَبَى » بالوحدَةِ .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٣) سورة هود آية ٨٦ .

(٤) « كُرْبُجِ دِينَارٍ » ضبط في الأصول بضم الباء وفتحها . وهو موضع قريب من الأهواز .

فقالوا له : ما الخبرُ ؟ ولا يَعْرِفُهُمْ ، فقال : قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحوزِ ، وهذا رأسُه مَعِي ! فَوَثَبُوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأسَ ، فلما وَلى الحجاجُ دخل عليه عليُّ بنُ بَشِيرٍ ، وكانَ وَسِيماً جَسِيماً ، فقال : مَنْ هذا ؟ فَخَبَّرَ فَقَتَلَهُ ، ووهبَ ابنةَ الأزهرِ وابنتهَ لأهلِ الأزديِّ المقتولِ ، وكانت زينب بنتُ بَشِيرٍ لهم مُواصلةً ، فوهبوهما لها .

فلم يزل المهلبُ يقاتلُ الخوارجَ في ولايةِ الحُرثِ القُبَاعِ ، حتى عُزلَ الحُرثُ ووُلِّيَ^(١) مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ ، فكتبَ إليه أن أقدمَ عليَّ واستخلفِ ابنتك المغيرةَ ، ففعلَ ، فجمعَ الناسَ فقال لهم : إني قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ ، وهو أبو صغيرٍ كمِ رِقَّةَ ورحمةَ ، وابنُ كبيرٍ كمِ طاعةَ وبرًّا وتبجيلاً ، وأخو مثله مُواساةً ومُناصحةً ، فَلتَحَسُنْ له طاعتُكم ، وليلنْ له جانبُكم ، فوالله ما أردتُ صواباً قطُّ إلا سبقتني إليه . ثم مَضَى إلى مُصْعَبٍ ، وكتبَ مُصْعَبٌ إلى المغيرةِ بولايته ، وكتبَ إليه : إنك لم تكنْ كأبيك ، فإنك كافٍ لِمَا وَلَيْتَكَ ، فشمَّرَ واترَّرَ وجدَّ واجتهدَ .

ثم شَخَّصَ المُصْعَبُ إلى المَذَارِ^(٢) ، فَقَتَلَ أحمَرَ بنَ شَمِيْطٍ ، ثم أتى الكوفةَ فَقَتَلَ الختارَ بنَ أبي عُبَيْدٍ . وقال للمهلبِ : أشرْ عليَّ برجلٍ أجعله بيني وبين عبدِ الملكِ ؟ فقال [له]^(٣) : أذْ كُرِّك واحدًا من ثلاثةٍ : محمدَ بنَ

(١) في ج و د و هـ « وَوَلِيَّ » .

(٢) « المذار » بفتح الميم وتخفيف الذال المعجمة : بلد في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصة ميسان ، بينها وبين البصرة أربعة أيام .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

عُمَيْرُ بْنُ عَطَّارِ الدَّارِمِيِّ ، أَوْ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ ، أَوْ دَاوُدُ
بْنَ قَحْذَمٍ ، فَقَالَ : أَوْ تَكْفِينِي ؟ قَالَ : أَكْفِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَوَلَّاهُ
الْمَوْصِلَ ، فَشَخَّصَ الْمَهْلَبَ إِلَيْهَا .

وَصَارَ مُصْتَمَبٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَسَأَلَ مَنْ يَسْتَكْفِينِي أَمْرَ الْخَوَارِجِ وَيَقْدُ
إِلَى أَخِيهِ ، فَشَاوَرَ النَّاسَ ، فَقَالَ قَوْمٌ : وَلَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ، وَقَالَ
قَوْمٌ : وَلَّ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَقَالَ قَوْمٌ : لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْمَهْلَبُ
فَارْزُدُوهُ إِلَيْهِمْ .

وَبَلَغَتْ الْمَشُورَةُ الْخَوَارِجَ ، فَأَدَارُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ قَطْرِيُّ
بْنَ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيُّ : إِنْ جَاءَكُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ أَتَاكُمْ سَيِّدٌ سَمِخٌ جَوَادٌ
كَرِيمٌ مُصْبِعٌ لِمَسْكِرِهِ^(١) ، وَإِنْ جَاءَكُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ [بْنَ مَعْمَرٍ]^(٢) أَتَاكُمْ
شَجَاعٌ بَطَلٌ فَارِسٌ جَادٌ ، يُقَاتِلُ لِدِينِهِ وَمُلْكِهِ ، وَبَطِيئَةٌ لَمْ أَرْمَلْهَا لِأَحَدٍ ،
فَقَدْ شَهِدْتُهُ فِي وَقَائِعِ مَا نُودِيَ فِي الْقَوْمِ لِحَرْبٍ إِلَّا كَانَ أَوْلَ فَارِسٍ يَطْلَعُ
حَتَّى يَشُدَّ عَلَى قَرْنِهِ فَيَضْرِبَهُ ، وَإِنْ رُدَّ الْمَهْلَبُ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمُوهُ : إِنْ
أَخَذْتُمْ بَطْرَفَ ثَوْبٍ أَخَذَ بَطْرَفَهُ الْآخَرَ ، يَمُدُّهُ إِذَا أُرْسَلْتُمُوهُ ، وَيُرْسِلُهُ إِذَا
مَدَدْتُمُوهُ ، لَا يَبْدُوُكُمْ إِلَّا أَنْ تَبْدُوُوهُ ، إِلَّا أَنْ يَرَى فُرْصَةً فَيَنْتَهزَهَا ، فَهُوَ
الْلَيْثُ الْمَبْرُ^(٣) ، وَالثَّعْلَبُ الرَّوَاعِغُ ، وَالْبَلَاءُ الْمَقِيمُ .

(١) « مصبيع » بالصاد المهملة ، أى يرهبهم فطبعونه ، من قولهم « صاعه يصوعه ويصيعه »
واوى وبأى ، بمعنى خوته . وفى نسخة المرصنى بالصاد المعجمة ، وهو خطأ ، وإن
وافق نسختي ج و د .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) « المبر » أى الغالب . من قولهم أبرَّ عليهم : إذا غلبهم .

فَوَلَّى عَلَيْهِمْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَلَاهُ فَارِسَ ، وَالخَوَارِجُ بَارِزَ جَانَ ،
وَعَلَيْهِمُ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ السَّلِيلِيُّ ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ فِقَاتِلَهُمْ ، وَأَلْحَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى
أَخْرَجَهُمْ عَنْهَا ، فَأَلْحَقَهُمْ بِأَصْبَهَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُهَلَّبَ أَنَّ مَصْعَبًا وَوَلَّى عُمَرَ بْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : رَمَاهُمْ بِفَارِسِ الْعَرَبِ وَفَتَاهَا .

فَجَمَعُوا لَهُ وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا ، ثُمَّ اتَّوَا سَابُورَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ
مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ حَسَّانٍ الْأَزْدِيُّ : إِنَّ الْمُهَلَّبَ كَانَ
يُذَكِّرُ الْعِيُونَ ، وَيَخَافُ الْبِيَاتَ ، وَيَرْتَقِبُ الْغَفْلَةَ ، وَهُوَ عَلَى أَيْمَدٍ مِنْ هَذِهِ
الْمَسَافَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : اسْكُتْ خَلَعَ اللَّهُ قَلْبَكَ ! أَتُرَاكَ تَمُوتُ قَبْلَ أَجْلِكَ ؟ !
فَأَقَامَ هُنَاكَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَيْتَهُ الْخَوَارِجُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَخَارِبَهُمْ حَتَّى
أَصْبَحَ ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ حَسَّانٍ فَقَالَ : كَيْفَ
رَأَيْتَ ؟ قَالَ : قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ يَكُنْ يَظْمَعُونَ مِنَ الْمُهَلَّبِ بِمِثْلِهَا ،
فَقَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ نَاصَحْتُمُونِي مُنَاصِحَتِكُمُ الْمُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أَنْ أَنْفِيَ هَذَا
الْعَدُوَّ ، وَلَكِنَّكُمْ تَقُولُونَ : قُرَشِيٌّ حِجَازِيٌّ بَعِيدُ الدَّارِ ، خَيْرُهُ لَعِيرُنَا ، فَتَقَاتِلُونَ
مَعِيَ تَعْدِيرًا^(١) .



ثُمَّ زَحَفَ إِلَى الْخَوَارِجِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى
أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَنْطَرَةٍ ، فَتَكَاثَفَ النَّاسُ عَلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ ، فَأَقَامَ حَتَّى أَصْلَحَهَا ،
ثُمَّ عَبَّرُوا ، وَتَقَدَّمَ ابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي سَهْمِ بْنِ عَمْرِو

(١) قَالَ الرَّصْفِيُّ : « مِنْ قَوْلِهِمْ قَامَ فُلَانٌ قِيَامَ تَعْدِيرٍ فِيمَا اسْتَكْفَيْتَهُ : إِذَا لَمْ يَبَالِغْ فِي الْقِيَامِ بِهِ ، بَلْ
قَصَرَ فِيهِ » .

بن هُصَيْنِ بْنِ كَعْبٍ ، فقاتلهم حتى قُتِلَ . فقال قَطْرِيٌّ : لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْثُورٌ . ولم يَعْلَمْ عمرُ بقتل ابنه . حتى أُفْضِيَ إلى القومِ ، وكان مع ابنه النعمانُ بنُ عَبَّادٍ . فصاح به : يا نعمانُ ! أين ابني ؟ فقال : اخْتَسَبَهُ [أيها الأميرُ] ^(١) فقد استشهدَ رحمه الله صابراً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ . فقال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون . ثم حمل على الناسِ حَمَلَةً لم يَرِ مثلها . وحمل أصحابه بحمَلَتِهِ ، فقتلوا في وجْهِهم ذلكَ تسعينَ رجلاً من الخوارجِ ، وحمل على قَطْرِيٍّ فضر به على جبينه ففَلَقَهُ . وانهزمت الخوارجُ ، وانتهبها . فلما استقرُّوا قال لهم قَطْرِيٌّ : أما أشرتُ عليكم بالانصرافِ ؟ فَجَعَلُوهُ وُجُوههم حتى خَرَجُوا من فارسَ .

وتلقَّاهم في ذلك الوقتِ الفِزْرِيُّ بنُ مِهْزَمٍ ^(٢) العَبْدِيُّ . فسأله عن خبره ؟ وأرادوا قتله ! فأقبل على قَطْرِيٍّ فقال : إني مؤمنٌ مهاجرٌ ، فسأله عن أقاويلهم ؟ فأجاب إليها ، نخلوا عنه ، ففي ذلك يقول في كلمةٍ له :

وشدُّوا وثاقِي ثم أَلْجَوْا خُصُومَتِي إلى قَطْرِيٍّ ذِي الجَبِينِ المُفْلِقِ ^(٣)
وحاجَبَتْهُمْ في دِينِهِم وحَجَبَتْهُمْ وما دِينِهِم غيرُ الهَوَى والتَخَلُّقِ

ثم إنهم تراجَعُوا وتكافَؤُوا . [قال الأَخْفَشُ : « تكافؤوا » أَعانَ بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كَنَفِ بعضٍ] وعادُوا إلى ناحيةِ أَرْجَانَ ، فسار إليهم عمرُ ، وكتب إلى مُصْعَبٍ : أما بعدُ . فإني قد لَقِيتُ الأزارقةَ ،

(١) الزيادة من ج و س و ه و ف .

(٢) في ج و د و ه « مِهْزَمٌ » .

(٣) « أَلْجُوا » قال الرصني : « حذف همزة الجأ وأسندته إلى الضمير » .

فَرَزَقَ اللَّهُ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الشَّهَادَةَ ، وَوَهَبَ لَهُ السَّعَادَةَ ، وَرَزَقَنَا عَلَيْهِمُ
الظَّفَرَ ، فَتَفَرَّقُوا شِدْرَ مِذْرَ^(١) ، وَبَلَغْتَنِي عَنْهُمْ عَوْدَةٌ ، فَيَمَّمْتُهُمْ ، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ .

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد ، فالتقوا ، فألحَّ
عليهم حتى أخرجهم ، وانفرد [عمر]^(٢) من أصحابه ، فعمد له أربعة عشر
رجلاً منهم ، من مذكورهم وشجعانهم ، وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب
رجلاً منهم ضربة إلا صرعه . فرأى إليه قطريُّ على فرس طير^(٣) ، وعمر
على مهر ، فاستعلاه قطريُّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه ، فبصر به مجاعة
فأسرع إليه ، فصاحت الخوارج بقطريِّ : يا أبا نعام ! إن عدو الله قد رهقك ،
فانحطَّ قطريُّ عن قربوسه^(٤) ، فطعنه مجاعة ، وعلى قطريِّ درعان فهتكهما ،
وأسرع السنان في رأس قطريِّ ، فكشط عنه جلدة ونجا .

وارتحل القوم إلى أصفهان^(٥) فأقاموا [بها]^(٦) برهة ، ثم رجعوا إلى
الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى أخطحز ، فأمر مجاعة فجبي

(١) بحاشية ما نصه : « ابن شاذان : يقال تفرَّق القوم شِدْرَ مِذْرَ : كلمة تُقال

عند التفرق » . والكلمتان في كل الأصول بكسر الشين والميم ، ويجوز فتحهما أيضاً .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « طَيْرَةٌ » . والظمر : الطويل القوائم الخفيف ،
أو هو المستفز للوثب والعدو ، والأنثى طيرة .

(٤) في ج « عن قربوس فرسه » . وفي س و ف « عن قربوس سرجه » .

(٥) في ج و س و د و ف « أصفهان » .

(٦) الزيادة من ج و ف .

الخراج أسبوعًا ، فقال [له] : ^(١) كم جيت ؟ قال : تسعمائة ألف ، فقال :

هي لك ، فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة :

ودعاك دعوة مرهق فأجبتَه عمرٌ وقد نسيَ الحياةَ وضاعًا

فرددت عادية الكتبية عن قتي قد كاد يترك لحمه أوزاعًا

وعزل مصعب بن الزبير وولي ^(٢) حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فوجه

المهلب إليهم ، فخاربههم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رد مصعب والمهلب

بالبصرة ، والخوارج بأطراف إصْبَهَانَ ، والوالي عليها عتاب بن ورقاء

الرياحي ، فأقام الخوارج هناك شيئًا يُجْبُون القرى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز

من ناحية فارس ، فكتب مصعب إلى عمر بن عبيد الله : ما أنصفتنا ، أقت

بفارس تجبي الخراج ومثل هذا العدو يجاربك ، والله لو قاتلت ثم هربت

لكان أعذر لك . وخرج مصعب من البصرة يريدهم ، وأقبل عمر بن عبيد الله

يريدهم ، فتنحى الخراج إلى الشوس ، ثم أتوا المدائن ، فقتلوا أحمَرَ طِيء ،

وكان شجاعًا ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ، ففي ذلك يقول الشاعر :

تركتم قتي الفتيان أحمَرَ طِيءٍ بساباط لم يعطف عليه خليلُ

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادها ، ووالها

الحرث بن عبد الله القباع ، فتناقل عن الخروج ، وكان جبانًا ، فذمره ^(٣)

إبرهيم بن الأشتر ، ولامه الناس ، فخرج متحاملًا حتى أتى النخيلة ،

(١) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٢) في ج و د « وولي » .

(٣) الذمر : اللوم والخص .

ففي ذلك يقول الشاعر :

إن القباعَ سار سيرا نكرا يسيرُ يوماً ويُقيمُ شهراً
وجعل يمدُّ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ ، والخوارجُ يعيشون^(١) ، حتى
أخذوا امرأةً فقتلوا أباهما بين يديها ، وكانت جميلةً ، ثم أرادوا قتلها ، فقالت :
أقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخِصامِ غيرُ مُبينٍ ؟! فقال قائلٌ منهم :
دعوها ، فقالوا : قد فتنتك ، ثم قدّموها فقتلوها ، ثم قرّبوا أخرى ، وهم
بجذأ القباعِ ، والجسرُ معقودٌ بينهما ، فقطعهُ القباعُ ، وهو في ستة آلاف ،
والمرأةُ تستغيثُ به [هي] ^(٢) تقولُ : علامَ تقتلونني ؟ فوالله ما فسقتُ ولا
كفرتُ ولا ارتددتُ ! والناسُ يتفلتونَ إلى الخوارجِ ، والقباعُ يمنعهم ،
فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسرِ ، فأقام بين دباها ودبيري^(٣)
خمسة أيامٍ ، والخوارجُ بقرِبه ، وهو يقول للناس في كل يومٍ : إذا قيمتِ
العدوَّ غداً فأثبتوا أقدامكم وأصبروا ، فإن أوّلَ الحربِ التّراحمُ ، ثم إشراعُ
الرّماحِ ، ثم السّلةُ^(٤) ، فشكّلتُ رجلاً أمه فرّ من الرّحيفِ . فقال بعضهم
لما أكثر عليهم : أمّا الصّفّةُ فقد سمعناها ، فمتى يّقعُ الفعلُ ؟! وقال الراجزُ :
إن القباعَ سار سيرا ملّسا بين دباها ودبيري خمساً^(٥)

(١) في ج و س و د و هـ « يَفشُون » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٣) « دباها ودبيري » بفتح الدال فيهما ، قرنتان من قرى بغداد ، قاله المرصفي .

(٤) « السّلة » بفتح السين واللام المشددة : استلال السيوف .

(٥) بحاشية ا مانصه : « المهلكي » : قال أبو زيد : المّلسُ : السّيرُ الشديدُ . وقال

غيره : هو السريع السهل . وقال ابن الأعرابي : يقال مّلسَ هارباً : إذا ولى =

فأخذ الخوارج حاجتهم ، وكان شأن القُبَاعِ التَّحْصُنَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ انصرفوا ورجع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أُصْبَهَانَ ، فبعثَ عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ عَلِيٍّ : أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، وَلَسْتُ أُرَاكَ تَقْصِدُ فِي انصرافك من كل حربٍ غَيْرِي . فبعث إليه الزُّبَيْرُ : إِنَّ أَدْنَى الْفَاسِقِينَ وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْحَقِّ^(١) سَوَاءٌ .

وإِنَّمَا سُمِّيَ الْحَرِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ أَبِي رَيْعَةَ] ^(٢) الْقُبَاعَ لِأَنَّهُ وَلِيَ الْبَصْرَةَ فَعَيَّرَ عَلَى النَّاسِ مَكَايِلَهُمْ ، فَنَظَرَ إِلَى مَكْيَالٍ صَغِيرٍ فِي مَرَاةِ الْعَيْنِ وَقَدْ أَحَاطَ بِدَقِيقِ اسْتِكْرَاهِ ، فَقَالَ : إِنَّ مَكْيَالَكُمْ هَذَا لِقُبَاعٌ . وَ« الْقُبَاعُ » الَّذِي يُخْنَفِي أَوْ يُخْنَفَى مَافِيهِ ، يُقَالُ : انْتَبَعَ الرَّجُلُ : إِذَا اسْتَمْتَرَ ، وَيُقَالُ لِلْقُنْفُذِ الْقُبْعُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُخْنَسُ رَأْسَهُ .

[قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ] ^(٣) : وَأَقَامَ الْخَوَارِجُ يَنَادُونَ عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ الْقِتَالَ وَيُرَاوِحُونَهُ ، حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْمَقَامُ ، وَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِكَبِيرٍ ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ انصرفوا ، لَا يَمُرُّونَ بِقَرِيْبَةٍ بَيْنَ أُصْفَهَانَ^(٤) وَالْأَهْوَازِ إِلَّا اسْتَبَاحُوهَا وَقَتَلُوهَا مِنْ فِيهَا .

== مُسْرِعًا . وَقَالَ ابْنُ شَادَانَ : الْمَلْسُ مُصَدَّرٌ مَلَسَ الشَّيْءُ يَمْلَسُ مَلْسًا : إِذَا

أُخْنَسَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ نَاقَةٌ مَلْسِيٌّ : سَرِيعَةٌ .

(١) فِي ج و س و د و ه و ف « فِي الْحَقِّ » .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ ج و س و د و ه و ف .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ س و ف .

(٤) فِي ج و د و ه و نَسْخَةٌ بِحَاشِيَةِ « أُصْبَهَانَ » .



وشاورَ الْمُصْعَبُ النَّاسَ [فيهم]^(١) ، فَأَجْمَعَ^(٢) رَأْيَهُمْ عَلَى الْمَهَلْبِ ، فَبَلَغَ
الْخَوَارِجَ مَشُورَتَهُ^(٣) ، فَقَالَ لَهُمْ قَطْرِيٌّ : إِنْ جَاءَكُمْ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ فَهُوَ
فَاتِكُ يَطْلُعُ فِي أَوَّلِ الْمِقْنَبِ^(٤) وَلَا يَطْفَرُ بِكَبِيرٍ ، وَإِنْ جَاءَكُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ
فَقَارِسٌ يُقَدِّمُ ، فَإِمَّا لَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ ، وَإِنْ جَاءَكُمْ الْمَهَلْبُ فَرَجُلٌ لَا يُنَاجِزُكُمْ
حَتَّى تُنَاجِزُوهُ ، وَيَأْخُذُ مِنْكُمْ وَلَا يَعْطِيكُمْ ، فَهُوَ الْبَلَاءُ اللَّازِمُ ، وَالْمَكْرُوهُ
الدَّائِمُ .

وَعَزَمَ الْمُصْعَبُ عَلَى تَوْجِيهِ الْمَهَلْبِ ، وَأَنْ يَشْخَصَ هُوَ لِحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ
فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ خَرَجَ إِلَى الرَّيِّ ، وَبِهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَرْثِ بْنِ رُوَيْمٍ ،
فَارَابَهُ ثُمَّ حَصَرَهُ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْحِصَارُ خَرَجَ إِلَيْهِ ، فَكَانَ الظَّفَرُ لِلْخَوَارِجِ ،
فَقَتِلَ يَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ ، وَنَادَى يَوْمَئِذٍ ابْنَهُ حَوْشَبًا فَفَرَّ عَنْهُ وَعَنْ أُمِّهِ لَطِيفَةَ ،
وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ عَلَى الْحَرْثِ بْنِ رُوَيْمٍ يَعُودُ ابْنَهُ
يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : عِنْدِي جَارِيَةٌ لَطِيفَةٌ أَنْدَمَةٌ أَعْبَثُ بِهَا إِلَيْكَ . فَسَاهَا يَزِيدُ
لَطِيفَةَ ، فَقَتِلَتْ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

مَوَاقِفُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ أَسْرًا وَأَشْفَى مِنْ مَوَاقِفِ حَوْشَبٍ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) في ج و د و ه و ف « فاجتمع » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « مشاورته » . وبحاشية امانه : « ابن شاذان :

المشورة مفعلة ، واشتق من الإشارة ، ويقال أشرت عليه بكذا إشارة » .

(٤) « المنيب » بوزن « منبر » : جماعة الخيل .

دعاه يزيد والرماح شوارع فلم يستجب بل راع ترواع تغلب
ولو كان شهيم النفس أودا حفيظة

رأى مارأى في الموت عيسى بن مُصعب^(١)

وقد مرَّ خبرُ عيسى بن مُصعبِ مُستقصَى^(٢) . وقال آخرُ :

نَجَّى حَلِيلَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ نَصَبَ الْأَسِنَّةِ حَوْشِبُ بْنُ يَزِيدِ
وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بُردة يُعْبِرُهُ بِأُمَّه ، وبلالٌ مَشْدُودٌ
عندَ يوسف بن عمر : يا ابنَ حَوَراءِ ! فقال بلالٌ ، وكان جَلْدًا : إنَّ الْأُمَّةَ
تُسَمَّى حَوَراءَ وَجَيْدَاءَ وَلَطِيفَةً !! وَزَعَمَ الْكَلْبِيُّ أَنَّ بِلَالَ كَانَ جَلْدًا حَيْثُ
ابْتُلِيَ^(٣) . قال الكلبى : وَيُعْجِبُنِي أَنَّ أَرَى الْأَسِيرَ جَلْدًا . قال : وقال خالد
بن صَفْوَانَ لَهُ بِحَضْرَةِ يَوْسُفَ [بنِ عَمَرَ]^(٤) : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أزال سُلْطَانَكَ ،
وهدَّرُ كَنَكَ ، وَغَيْرَ حَالَكَ ، فوالله لقد كنتَ شديدَ الحِجَابِ ، مُسْتَخْفًا
بالشريف ، مُظْهِرًا لِلعَصَبِيَّةِ ! فقال له بلالٌ : إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ يَا خَالِدُ لثَلَاثِ
مَعَكَ هُنَّ عَلَيَّ : الْأَمْرُ عَلَيْكَ مُقْبِلٌ وَهُوَ عَنِي مُدْبِرٌ ، وَأَنْتَ مُطْلَقٌ وَأَنَا مَأْسُورٌ ،
وَأَنْتَ فِي طِينَتِكَ وَأَنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ غَرِيبٌ . وَإِنَّمَا جَرَى إِلَى هَذَا لِأَنَّهُ يُقَالُ أَنَّ
أَصْلَ آلِ الْأَهْتَمِ مِنَ الْحَيْرَةِ ، وَأَنَّهُمْ أَشَابَةُ^(٥) دَخَلَتْ فِي بَنِي مِثْقَرٍ مِنَ الرُّومِ .

(١) بحاشية ما نصه : « ابنُ شاذان : يقال رجلٌ شهيمٌ بينَ الشَّهامةِ والشُّهُومَةِ .

إذا كان حادًّا ذكيًّا » .

(٢) مضى في الجزء الثاني ص ٤٧٦ - ٤٧٧

(٣) في ج و د و ف « حين ابتلي » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) « الأشابة » بضم الهزة : الأخطا من الناس ليس أصلهم واحدًا ، كالأوباش والأوشاب ،

قاله الرصني .

ثم انحطَّ الزبير بن عليِّ عليَّ أصفهان^(١) فحَصَرَ بها عتَّاب بن وَرْقَاءَ الرِّياحِيَّ
سبعة أشهرٍ ، وعتَّابٌ يُحَارِبُهُ فِي بَعْضِهِنَّ ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْحِصَارُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :
مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ وَاللَّهِ مَا تُؤْتُونَ مِن قِبَلِهِ ، وَإِنِّكُمْ لَفُرْسَانُ عَشَائِرِكُمْ ، وَلَقَدْ
حَارَبْتُمُوهُمْ مَرَارًا فَاتَّصَفْتُمْ مِنْهُمْ ، وَمَا بَقِيَ مَعَ هَذَا الْحِصَارِ إِلَّا أَنْ تَقْنَى
ذَخَائِرُكُمْ ، فَيَمُوتَ أَحَدُكُمْ فَيَدْفِنُهُ أَخُوهُ ، ثُمَّ يَمُوتَ أَخُوهُ فَلَا يَجِدُ مَنْ
يَدْفِنُهُ ، فَقَاتَلُوا الْقَوْمَ وَبِكُمْ قُوَّةٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضْمَعَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَنْ يَمْشِيَ
إِلَى قَرْنِهِ !! فَلَمَّا أَصْبَحَ الْغَدَ ، صَلَّى بِهِمُ الصَّبْحَ ، ثُمَّ خَرَجَ [بِهِمْ]^(٢) إِلَى
الْخَوَارِجِ وَهُمْ غَارُونَ ، وَقَدْ نَصَبَ لِوَاءَ الْجَارِيَةِ لَهُ يُقَالُ لَهَا يَا سَمِينُ ، فَقَالَ :
مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ فَلْيَلْحَقْ بِلِوَاءِ يَاسْمِينِ ! وَمَنْ أَرَادَ الْجِهَادَ فَلْيَخْرُجْ مَعِي . فَخَرَجَ
فِي الْفَيْنِ وَبِعِمَائَةِ فَارِسٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمُ الْخَوَارِجُ حَتَّى غَشَوْهُمْ ،
فَقَاتَلُوهُمْ بِجِدِّ لَمْ يَرَ الْخَوَارِجُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ ، فَقَعَرُوا مِنْهُمْ خَلْقًا [كَثِيرًا]^(٣) ،
وَقَتَلُوا الزُّبَيْرَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ عَتَّابٌ ، فَبِذَلِكَ
يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَيَوْمٌ بِجِيٍّ تَلَا فَيْتَهُ وَلَوْلَاكَ لَأَصْطَلِمَ الْعَسْكَرُ^(٤)
قال أبو العباس : نَفَسَرُ قَوْلُهُ «لَوْلَاكَ» فِي آخِرِ هَذَا الْخَبَرِ^(٥) إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي ج وَ د وَ ه وَ ف «أَصْبَهَانَ» .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ د وَ ه وَ ف .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ ف .

(٤) بِمَاشِيَةِ مَا نَصَّهُ : «ابْنُ شَازَانَ : أَصْلُ الصَّلْمِ قَطْعُ الْأُذُنِ ، يُقَالُ صَلَّمَ أُذُنَهُ

وَاصْطَلَمَهَا يَصْطَلِمُهَا صَلْمًا» .

(٥) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف «هَذَا الْبَابُ» .

وقال رجلٌ من بني ضَبَّةَ في تلك الواقعة :

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَمِيَةً وَلَمْ أَكُ فِي كَتِيبَةِ يَاسِمِينَا
أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنْ قَوْمِي غَدَوْا مُسْتَلْتَمِينَ مُجَاهِدِينَا
وتزعمُ الرِّوَاةُ أَنَّهُمْ فِي أَيَّامِ حِصَارِهِمْ كَانُوا يَتَوَاقَفُونَ ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ، وَرَبْمَا كَانَتْ مُوَافَقَةٌ بَغِيرِ حَرْبٍ ^(١) ، وَرَبْمَا اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ
بَيْنَهُمْ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَتَّابٍ يُقَالُ لَهُ شَرِيحٌ ، وَيُكْنَى أَبُو هُرَيْرَةَ ،
إِذَا تَحَاجَزَ الْقَوْمُ مَعَ الْمَسَاءِ نَادَى بِالْخَوَارِجِ وَالزُّبَيْرِ بْنِ عَلِيٍّ :

يَا ابْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ
شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَّارِ يَهْرُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ^(٢)
أَلَمْ تَرَوْا جَيًّا عَلَى الْمِضْمَارِ تُنْسِي مِنَ الرَّحْمَنِ فِي جُورِ ^(٣)
فَعَاظَهُمْ ^(٤) ذَلِكَ مِنْهُ ، فَكَمَنَّ لَهُ عُيَيْدَةُ بْنُ هَالَلٍ فَضْرَبَهُ ، وَاحْتَمَلَهُ
أَصْحَابُهُ ، فَظَنَّتِ الْخَوَارِجُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، فَكَانُوا إِذَا تَوَاقَفُوا نَادَوْهُمْ : مَا فَعَلَ
الْهَرَّارُ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا بِهِ مِنْ بَأْسٍ ، حَتَّى أَبْلَّ مِنْ عِلَّتِهِ ، نَفْرَجَ إِلَيْهِمْ فَصَاحَ :

(١) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « لغير حرب » .

(٢) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ : « ابْنُ شَاذَانَ : هَرَّ الْكَلْبُ وَالذَّنْبُ يَهْرُ هَرِيرًا : إِذَا

كَشَرَ ، وَهَرَّ الرَّجُلُ الشَّيْءَ : إِذَا كَرِهَهُ » .

(٣) بِمَاشِيَةِ أَمَانَةِ : « ابْنُ شَاذَانَ : الْمِضْمَارُ : الْغَايَةُ ، يُقَالُ جَرَى فِي مِضْمَارِهِ ،

وَالْمِضْمَارُ أَيْضًا : الْمَوْضِعُ الَّذِي يُضَمَّرُ فِيهِ الْفَرَسُ » .

(٤) فِي ج « فَتَعَاظَهُمْ » .

يا أعداء الله ! أترون بي بأساً ؟ فصاحوا به : قد كُنَّا نَرَى أَنَّكَ لِحَقَّتْ بِأَمِّكَ
الهِأْوِيَّةُ ، فِي النَّارِ الْحَامِيَةِ .



قال أبو العباس : نُسِّرُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّرْحِ . مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ « وَلَوْلَاكَ » ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ « أَلَمْ تَرَوْا جَيْتًا » وَمِنْهُ قَوْلُهُ « يَهْرُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ » .

أَمَّا قَوْلُهُ « لَوْلَاكَ » فَإِنَّ سَيْبُوِيَهَ يَزْعَمُ أَنَّ « لَوْلَا » تَخْفِضُ الْمُضْمَرَ
وَيَرْتَفِعُ بَعْدَهَا الظَّاهِرُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، فَيَقَالُ : إِذَا قُلْتَ « لَوْلَاكَ » فَمَا الدَّلِيلُ
عَلَى أَنَّ الْكَافَ مَخْفُوضَةٌ دُونَ أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً ، وَضَمِيرُ النَّصْبِ كَضَمِيرِ
الْخَفِضِ ؟ فَتَقُولُ : إِنَّكَ تَقُولُ لِنَفْسِكَ « لَوْلَايَ » وَلَوْ كَانَتْ مَنْصُوبَةً لَكَانَتْ
النُّونُ قَبْلَ الْيَاءِ ، كَقَوْلِكَ « رِمَانِي وَأَعْطَانِي » قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ^(١) :
وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِخَتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوَى^(٢)
« النَّيْقُ » أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَ « جِرْمٌ » الْإِنْسَانُ : خَلَقَهُ .

فَيَقَالُ لَهُ : الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ ظَاهِرِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُخْتَلَفًا ؟ وَإِنْ كَانَ

(١) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ بَلِيغَةٍ يِعَاتِبُ بِهَا أَخَاهُ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَقَدْ جَمَعْتُهَا وَحَقَّقْتُ مَوَادِرَهَا عِنْدَ
تَطْبِيقِ عَلَى كِتَابِ لِبَابِ الْأَدَابِ لِلْأَمِيرِ أَسَامَةَ بْنِ مَتَقَدِّ (ص ٣٩٦ - ٣٩٩) وَأَزِيدُ هُنَا
مَصْدِرِينَ آخَرِينَ ، مِمَّا خَزَانَةُ الْأَدَبِ (ج ٣ - ١١٨ بُولاق) وَسَمَطُ الْأَلْفَاكِيِّ (ج ١ ص
٢٣٧ - ٢٤١) .

(٢) بِحَاشِيَةِ ١ مَا نَصَّهُ : «ابْنُ شَادَانَ . قَالَ الْخَلِيلُ : الطَّائِحُ : الْهَالِكُ الْمُشْرِفُ عَلَى
الْهَالِكِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ ذَهَبَ قَدَّ طَاحَ يَطِيحُ طَيْحًا وَطَوْحًا ، لُعْتَانِ » .

هذا جائزاً فَلَيْمَ لا يكونُ في الفعل وما أشبهه نحو « إنَّ » وما كان معها في الباب ؟

وزَعَمَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ أَنَّ الضَّمِيرَ مَرْفُوعٌ ، وَلَكِنْ وَافَقَ ضَمِيرَ الْخَفِضِ ، كَمَا يَسْتَوِي الْخَفِضُ وَالنَّصَبُ . فيقالُ : فهل هذا في غير هذا الموضع ؟!

قال أبو العباس : والذي أقوله أنَّ هذا خطأ لا يَصْلُحُ ، إلا أن تقول « لولا أنت » كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) ومن خالفنا [فهو لا بُدَّ]^(٢) يزعمُ أنَّ الذي قلناه أجوَدُ . ويدَّعي الوجه الآخر فيجيزه على بُعْدِهِ^(٣) .

وأما « جَيَّ » فالأجوَدُ فيها أن تقول :

* أَلَمْ تَرَوْا جَيَّ عَلَى الْمِضْمَارِ *

فلا تُنَوِّنَ ، لأنها مدينةٌ ، والاسمُ أعجميٌّ ، والمؤنثُ إذا سمي باسمِ أعجميٍّ على ثلاثة أحرفٍ لم ينصرفِ إذا كان مؤنثاً وإن كان أوسطه ساكناً نحو جُورٍ وَجَمَصٍ [وماء]^(٤) وما كان مثل ذلك ، ولو كان اسماً لمذكرٍ لا ينصرفِ ، فإن صرفته جعلته اسماً لبلدٍ ، وإن لم تصرفه جعلته اسماً لبلدةٍ أو لمدينةٍ ، ألا ترى أنك تصرفُ نُوحًا ولوطًا ، وهما أعجميان ؛ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف

(١) سورة سبأ آية ٣١

(٢) الزيادة من ج و د و ف .

(٣) في ج و د و ف « على بُعْدٍ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ف .

كلها متحرك، لأنك تصريف «قَدَمًا» لو سَمَّيْتَ به^(١) رجلاً، فالأعجمي بمنزلة المؤنث، لأن امتناعهما واحد.

وأما قوله «يَهْرُكُمْ» فإن كل ما^(٢) كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان^(٣) متعدياً فإن المضارع منه على «يَفْعُلُ» نحو شَدَّه يَشُدُّه، ووزره يَزُرُّه، وردّه يَرُدُّه، وحلّه يَحْلُلُهُ. وجاء منه حرفان على «يَفْعُلُ» و«يَفْعُلُ» فيهما جيد، هرّه يَهْرُهُ: إذا كرهه، ويهرّه أَجُودٌ، وعَلَّهُ بِالْحِنَاءِ يَعِلُّهُ، وَيَعِلُّهُ أَجُودٌ. ومن قال حَبِيبُهُ قال يَحِبُّهُ لا غير، وقرأ أبو رجاء العطاردي ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٤) وذلك أن بني تميم تَدَغِمُ^(٥) في موضع الجزم وتحرك أو آخره لالتقاء الساكنين.



رجع الحديث

[قال أبو العباس^(٦): ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم، فأرادوا تولية عبيدة بن هلال، فقال: أذلكم على من هو خير لكم مني، من يطاعن]

- (١) في ج و ف « بها » .
 (٢) رسمت في جميع أصول الكتاب « كلاً » .
 (٣) ي س و د و ه و ف « فكان » .
 (٤) سورة آل عمران آية ٣١ والقراء الأربعة عشر قرؤوها « يُحِبُّكُمْ » . وقراءة أبي رجاء شاذة، وروى عنه أيضاً أنه قرأها « يَحِبُّكُمْ » بفك الإدغام . وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ٢٠) .
 (٥) في ج و د « تَدَغِمُ » .
 (٦) الزيادة من س و ه و ف .

في قُبَلٍ ، وَيَحْمِي فِي دُبُرٍ ، عَلَيْكُمْ قَطْرِيَّ بن الفُجَاءَةِ المَازِنِيَّ . فَبَايَعُوهُ ،
فَوَقَفَ بِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! امْضِ بِنَا إِلَى فَارِسَ ، فَقَالَ :
إِنْ بِفَارِسَ عُمَرُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ ، وَلَكِنْ نَصِيرُهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ،
فَإِنْ خَرَجَ مُضْعَبُ بنِ الزَّيْبِرِ مِنَ الْبَصْرَةِ دَخَلْنَاهَا . فَأَتَوْا الْأَهْوَازَ ،
ثُمَّ تَرَفَعُوا عَنْهَا إِلَى إِيذَجِ (١) ، وَكَانَ مُضْعَبُ (٢) قَدْ عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى
بَاجِيزِ (٣) ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ قَطْرِيَّ قَدْ أَطْلَقَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ خَرَجْنَا عَنِ الْبَصْرَةِ
دَخَلْنَا ، فَبَعَثَ إِلَى الْمَهَلْبِ فَقَالَ : أَكْفَيْنَا هَذَا الْعَدُوَّ ، نَفْرَجُ إِلَيْهِمُ الْمَهَلْبُ ،
فَلَمَّا أَحْسَنَ بِهِ قَطْرِيَّ تَيْمَمَ (٤) نَحْوَ كَرْمَانَ ، فَأَقَامَ الْمَهَلْبُ بِالْأَهْوَازِ ، ثُمَّ كَرَّ
قَطْرِيَّ عَلَيْهِ وَقَدْ اسْتَعَدَّ ، فَكَانَ الْخَوَارِجُ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ (٥) أَحْسَنَ عُدَّةً
مِمَّنْ يِقَاتِلُهُمْ ، بِكَثْرَةِ السَّلَاحِ ، وَكَثْرَةِ الدَّوَابِّ ، وَحَصَانَةِ الْجُنَيْنِ ، فَخَارَبَهُمُ
الْمَهَلْبُ فَنَفَاهَمُ إِلَى رَامِ هُرْمُزَ .

وَكَانَ الْحَرِثُ بنِ عَمِيرَةَ الْهَمْدَانِيُّ قَدْ صَارَ إِلَى الْمَهَلْبِ مُرَاغِمًا لِعَتَّابِ
بنِ وَرْقَاءَ يُقَالُ أَنَّهُ لَمْ يُرْضِهِ عَنْ قَتْلِهِ الزَّيْبِرِ بنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ الْحَرِثُ بنِ عَمِيرَةَ
هُوَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهُ وَحَاصَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أُعْشَى هَمْدَانَ :
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَكْمَلَتْ أَسْبَابُهَا لِابْنِ اللَّيْثِ الْغُرِّ مِنَ قَحْطَانَ

(١) « إِيذَج » بلد بين خوزستان وأصبهان .

(٢) فِي ج و س و د و هـ « الْمُضْعَب » .

(٣) « بَاجِيزَا » مَوْضِعٌ دُونَ تَكَرَيْتِ . وَفِي ج و د « بَاجِيزَا » .

(٤) فِي ج و س و د و هـ وَف « تَيْمَمَ » .

(٥) فِي ج و د « أَحْوَالِهِمْ » .

للفارسِ الحامِي الحَقِيقَةَ مُعَلِّمًا زَادِ الرَّفَاقِ إِلَى قُرَى نَجْرَانَ
الْحَرْثِ بْنِ عَمِيرَةَ اللَّيْثِ الَّذِي يَحْمِي الْعِرَاقَ إِلَى قُرَى كَرْمَانَ
وَدَّ الْأَزَارِقُ لَوْ يُصَابُ بِطَعْنَةٍ وَيَمُوتُ مِنْ فُرْسَانِهِمْ مَائَتَانِ
[وَيُرَوَّى زَادِ الرَّفَاقِ وَفَارِسِ الْفُرْسَانِ] وَتَأْوِيلُهُ : أَنْ الرَّفِيقَةَ إِذَا صَحِبَهَا
أَغْنَاهَا عَنِ التَّرْوُدِ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ وَأَرَادَ ابْنُ لَهُ سَفَرًا ، وَفِي ذَلِكَ السَّفَرِ يَحْيَى
بْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فَقَالَ لِأَبِيهِ : زَوِّدْنِي ، فَقَالَ جَرِيرٌ :

أَزَادًا سِوَى يَحْيَى ثَرِيدٌ وَصَاحِبًا أَلَا إِنَّ يَحْيَى نِعَمَ زَادِ الْمَسَافِرِ
فَمَا تُنْكِرُ الْكُومَاءَ ضَرْبَةَ سَيْفِهِ إِذَا أُرْمَلُوا أَوْ خَفَّ مَافِي الْفَرَّارِ (١)
وقوله « وَيَمُوتُ مِنْ فُرْسَانِهِمْ » يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ : مَرْفُوعًا وَمَنْصُوبًا ،
فَالرَّفْعُ عَلَى الْعَطْفِ ، وَيَدْخُلُ فِي التَّمْنَى ، وَالنَّصْبُ عَلَى الشَّرْطِ وَالخُرُوجِ
مِنَ الْعَطْفِ ، وَفِي مَصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﴿ وَذُؤَا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ وَالْقِرَاءَةُ
﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٢) عَلَى الْعَطْفِ ، وَفِي الْكَلَامِ : وَدَّ لَوْ تَأْتِيهِ فَتُحَدِّثُهُ ، وَإِنْ
شَدَّتْ نَصَبَتْ الثَّانِي (٣)



[قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ] (٤) : وَخَرَجَ مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ إِلَى بَاجِيزَاءَ ، ثُمَّ أَتَى
الْخَوَارِجَ خَبِرُ مَقْتَلِهِ بِمَسْكِنٍ ، وَلَمْ يَأْتِ الْمُهَلَّبَ وَأَصْحَابَهُ ، فَتَوَاقَفُوا يَوْمًا

(١) « أُرْمَلُوا » أَي تَقَدَّرَ زَادَهُمْ .

(٢) سُورَةُ ن وَالْقَلَمُ آيَةٌ ٩

(٣) فِي ج وَف « نَصَبَتْ التَّاء » .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ س وَف .

على الخندق ، فناداهم الخوارجُ : ماتقولون في المصعبِ ؟ قالوا : إمامٌ هُدَى ،
قالوا : فما تقولون في عبد الملكِ ؟ قالوا : ضالٌّ مُضِلٌّ . فلما كان بعد يومين
أتى المهلبَ قتلُ مُصْعَبِ ، وأن أهلَ الشامِ اجتمعوا على عبد الملكِ ، ووردَ
عليه كتابُ عبد الملكِ بولايته ، فلما توافقوا ناداهم الخوارجُ : ماتقولون
في مصعبٍ ؟ قالوا : لا نخبركم ! قالوا : فما تقولون في عبد الملكِ ؟ قالوا : إمامٌ
هُدَى ! قالوا : يا أعداء الله ! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامٌ هُدَى ! يا عبِيدَ
الدنيا ! عليكم لعنةُ الله !!



وَوَلِيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُسَيْدٍ ، فَقَدِمَ فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ ، فَأَرَادَ عَزَلَ
الْمُهَلَّبِ ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا أَمِنَ أَهْلُ هَذَا الْمَصْرِ بِأَنَّ
الْمُهَلَّبَ بِالْأَهْوَازِ وَعُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بِفَارِسَ ، فَقَدْ تَنَحَّى عَمْرُ ، وَإِنْ نَحَيْتَ
الْمُهَلَّبَ لَمْ تَأْمَنْ عَلَى الْبَصْرَةِ [الْأَزَارِقَةُ]^(١) ، فَأَبَى إِلَّا عَزْلَهُ ، فَقَدِمَ الْمُهَلَّبُ
الْبَصْرَةَ ، وَخَرَجَ خَالِدٌ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَأَشْخَصَهُ ، فَلَمَّا صَارَ بِكُرْبُجٍ دِينَارٍ
لَقِيَهُ قَطْرِيٌّ فَنَعَهُ حَطًّا أَثْقَالِهِ ، وَحَارَبَهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ أَقَامَ قَطْرِيٌّ بِإِزَائِهِ ،
وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : إِنَّ قَطْرِيًّا لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالْخَنْدَقِ مِنْكَ ،
فَعَبَّرَ دُجَيْلًا إِلَى شِقِّ نَهْرِ تِيرِي ، وَاتَّبَعَهُ قَطْرِيٌّ ، فَصَارَ إِلَى مَدِينَةِ نَهْرِ تِيرِي
فَبَنَى سُورَهَا وَخَنَدَقَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لَخَالِدٍ : خَنَدَقْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَإِنِّي
لَا آمَنُ عَلَيْكَ الْبَيَّاتِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَمِيدٍ ! الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ

(١) الزيادة من ع و س و د و ه و ف .

المهلبُ لبعض ولده : إني أرى أمرًا ضائعًا ، ثم قال لزياد بن عمرو : خندقُ علينا ، نخندق المهلبُ وأمرَ بسُفْنِيهِ ففرَّغَتْ ، وأبى خالد أن يُفرِّغَ سُفْنَهُ ، فقال المهلبُ لفيروز حُصَيْنٍ : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيد ! الحزمُ ماتقولُ ، غيرَ أني أكرهُ أن أفارقَ أصحابي ، قال : فكنْ بقرْبنا ، قال : أمّا هذه فَنَعَمْ .

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمرُه أن يُمدِّ خالدًا بجيشٍ كثيفٍ ، أميرُه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ففعل ، فقدمَ عليه عبدُ الرحمن ، فأقامَ قطريُّ يُغَادِيهِم القتالَ ويُرَاحِيهِم أربعين يومًا ، فقال المهلبُ لموئلي لأبي عُيَيْنَةَ : انتبذِ إلى ذلك النّاووس^(١) فبتَ دليه في كل ليلةٍ ، فمتى أحسستَ خبرًا من الخوارج أو حركةً أو صهيلَ خيلٍ فاعجَلْ إلينا ، فجاء ليلةً فقال : قد تحركَ القومُ ، فجلس المهلبُ بباب الخندق ، وأعدَّ قطريُّ سفنًا فيها حطبٌ فأشعلها نارًا وأرسلها على سُفْنِ خالدٍ ، وخرج في أدبارها حتى خالطَهُمْ ، فجعل لا يمرُّ برجلٍ إلّا قتله ، ولا بدابةً إلّا عقَرها ، ولا بفسطاطٍ إلّا هتكه ، فأمر المهلبُ يزيدَ [ابنه]^(٢) فخرج في مائة فارسٍ فقاتلَ وأبلى يومئذٍ ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاءً حسنًا ، وخرج فيروزُ حُصَيْنٍ في مواليه ، فلم يزلَ يرميهم بالنشَابِ هو ومن معه ، فأثرَ أثرًا جميلًا ، فصرعَ يزيد بن المهلبَ يومئذٍ ، وصرعَ عبدُ الرحمن ، فخامىَ عنهما أصحابُهُما حتى ركبا ، وسقطَ فيروزُ حُصَيْنٍ في الخندقِ ، فأخذ

(١) « الناووس » مقابر النصارى . ومعنى « انتبذ إليه » اذهب إليه منفرداً .

(٢) الزيادة من س و ف .

بيده رجلٌ من الأزدِ فاستنقذه ، فوهبَ له فيروزُ حُصَيْنِ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، وأصبحَ عسكراً خالدٍ كأنه حرّةٌ سوداءُ ، فجعلَ لا يرى إلا قتيلاً أو صريعاً ، فقال للمهلبِ : يا أبا سعيدٍ ! كِدْنَا نَفْتَضِحُ ، فقال خندقِ على نفسك ، فإن لا تفعلْ عادوا إليك ، فقال : اكفني أمرَ الخندقِ ، فجمعَ له الأحماسَ ، فلم يبقَ شريفٌ إلا عمِلَ فيه ، فصاح بهم الخوارجُ : واللهِ لولا هذا الساحرُ المَزُونِي لكان اللهُ قد دمَّرَ عليكم . وكانت الخوارجُ تُسمي المهلبَ الساحرَ ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمرَ فيجدونه قد سبقَ إلى نقضِ تدييرهم . فقال أعشى همدانَ لابنِ الأشعثِ في كلمةٍ طويلةٍ :

ويومَ أهوازِكَ لا تنسهُ ليس الثنا والذكرُ بالدائرِ

وقد ذكرنا في قصر الممدودِ ، من أن مدَّ المقصورِ لا يجوزُ ما يعني عن إعادته .

ونذكرُ فيروزَ حُصَيْنِ لما مرَّ من ذكره :

وكان فيروزُ حُصَيْنِ رجلاً جيِّدَ البيتِ في العجمِ ، كريمَ المحتدِ ، مشهورَ الآباءِ ، فلما أسلمَ والي حُصَيْنِنا ، وهو حُصَيْنُ بن عبد الله العنبريُّ ، من بني العنبرِ بن تميم بن مُرِّ ، ثم من ولدِ طريفِ بن تميم ، وكان فيروزُ حُصَيْنِ شجاعاً جواداً ، نبيلَ الصورةِ ، جهيرَ الصوتِ . وتروى الرواةُ أن رجلاً من العربِ كانت أمه فتاةً ، فقاوَلَ بني عمِّ له ، فسبَّوه بالمجَمِيَّةِ ، ومرَّ فيروزُ حُصَيْنِ ، فقال : هذا خالي ، فَنَمَّ منكم له خالٌ مثله ؟ وظنَّ [الفتي]^(١) أن فيروزَ

لم يسمعها ، وسمِعَهَا فيروزُ ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى ، فاشترى له منزلاً وجاريةً ، ووهبَ له عشرةَ آلافِ درهم .

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج [بن يوسف] لما واقفَ ابنَ الأشعثِ برُستقباذَ نادى منادى الحجاج : مَنْ أتى برأسِ فيروزَ فله عشرةُ آلافِ درهمٍ ، ففصل^(١) فيروزُ من الصَّفِّ ، فصاحَ بالناسِ : مَنْ عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروزُ حُصينٍ ، وقد عرقتُم مالي ووفائي ، مَنْ أتى برأسِ الحجاجِ فله مائةُ ألفٍ ، فقال الحجاج : والله^(٢) لقد تركني أكثرُ التلفتِ وإني لبينَ خاصتي . فأتى به الحجاجُ فقال له : أنت^(٣) الجاعلُ في رأسِ أميرِك مائةَ ألفٍ [درهم] ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : واللهِ لأمهّدنك^(٤) ثم لأحملنك ، أين المالُ ؟ قال : عندي ، فهل إلى الحياة من سبيلٍ ؟ قال : لا ، قال : فأخرجني إلى الناسِ حتى أجمعَ لك المالَ فلعلَّ قلبك يرقُّ عليّ ! ففعلَ الحجاجُ ، فخرجَ فيروزُ فأحلَّ الناسَ من ودائعه ، وأعمقَ رقيقه ، وتصدَّقَ بماله ، ثم رُدَّ إلى الحجاجِ فقال : شأنك الآنَ فاصنع ما شئتَ ، فشدَّ

(١) في ج و س و ه و ف « فنصّل » والمعنى في الروايتين واحد ، أي خرج من الصفِّ إلى كسب الشهرة ، كما هو القول في بعض الروايات التي ذكرها صاحب

(٢) في ج و س و د و ه و ف « فوالله » .

(٣) في ج « أنت » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٥) قال المرصفي : « من مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته ، يريد : لأجمعنك طريقاً »

كالفراش المهدود ، وفي ج و د و ه « لأمهّدنك » .

٣٠ - الكامل - ٣

في القصبِ الفارسيِّ ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ، ثم نُضِجَ بالخلِّ والمِلحِ ، فما
تَأوَّهَ حتى مات .



[قال أبو العباس]^(١) : ومضى تطريُّ إلى كَرْمَانَ^(٢) ، فانصرف خالدٌ إلى
البصرة ، فأقام تطريُّ بِكَرْمَانَ أشهرًا ، ثم عمَدَ لفارسَ ، وخرج خالدٌ إلى
الأهواز ، ونَدَبَ للناسِ رجلاً ، فَجَعَلُوا يَطْبُونُ المهلبَ ، فقال خالد : ذَهَبَ
المهلبُ بحظ هذا المِصرِ ، إِنِّي قد وَلَّيْتُ أُخِي قِتَالَ الأزارقة ، فَوَلَّى أخاه
عبدَ العزيز ، واستخلفَ المهلبَ على الأهواز في ثلثمائة ، ومضى عبدُ العزيز
في ثلاثين ألفًا ، والخورجُ بِدَرَابِ جَرْدَ ، فَجَعَلَ عبدُ العزيز يقولُ في طريقه
يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الأمرَ لا يَتِمُّ إلا بالمهلبِ ، فسيعلمون !

قال صَعْبُ بن زيد : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهوازِ جاءني
كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال : أجبِ الأميرَ ، فَجِئْتُ إلى المهلبِ وهو
في سطحٍ وعليه ثيابُ هَرَوِيَّةٍ ، فقال : يا صَعْبُ ! أنا ضائعٌ ، كأني أنظرُ
إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جُنْدَ معي ، فابعثْ
رجلاً مِن قبلك يأتيني بخبرهم سابقًا به إلى ، فوجهتُ رجلاً يقال له عمرانُ
بن فلان ، فقلتُ : اصحبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلى بخبري يومٍ يوم ،
فجعلتُ أوردُه على المهلبِ .

(١) الزيادة من س و ف .

(٢) نون « كرمنا » لم تظهر في طبعة أوربية ، وموضعها واضح ، وفنحتها ثابتة ، فظن مصحح

بعض طبعات مصر أن البلد اسمها « كرما » بدون انون ، وهكذا أثبتتها في طبعته !!

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقفَ وقفَةً ، فقال له الناسُ : هذا يومٌ صالحٌ ،
 فينبغي أن تترك^(١) - أيها الأميرُ - حتى نطمئنَ ثم نأخذَ أهبتنا ، فقال :
 كلاً ، إلا الأمرُ قريبٌ ، فنزلَ الناسُ على غيرِ أمرِهِ ، فلم يُستتمَّ النزولُ^(٢)
 حتى وردَ عليهم سعدُ الطلائعِ في خمسمائةِ فارسٍ ، كأنهم خيظٌ ممدودٌ ،
 فناهضهم عبدُ العزيزُ ، فواقوه ساعةً ، ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتبعهم ،
 فقال له الناسُ : لا تتبعهمُ فإننا على غيرِ تعبٍ ، فأبى ، فلم يزلْ في آثارِهِم
 حتى اقتحموا عقبه ، فاقتحمها وراءهم ، والناسُ ينهونهُ ويأبى ، وكان قد
 جعلَ على بني تميمِ عُبسَ بنَ طلقِ الصَّرِيحِيَّ ، الملقَّبَ عُبسَ الطَّعْمَانِ ، وعلى
 بكرِ بنِ وائلٍ مُقاتِلَ بنِ مِسمَعِ القَيْسِيَّ ، وعلى شُرطتهِ رجلاً من بني
 ضُبَيْعَةَ بنِ رَيْعَةَ بنِ نِزَارٍ ، فنزلوا عن العقبة ونزلَ خلفهم ، وكان لهم في بطنِ
 العقبةِ كمينٌ ، فلما صاروا وراءهم خرجَ عليهم الكمينُ . وعطفَ
 [عليهم]^(٣) سعدُ الطلائعِ ، فترجَّلَ عُبسُ بنُ طلقٍ فقتلَ ، وقتلَ مُقاتِلُ بنُ
 مِسمَعِ ، وقتلَ الضُّبَيْعِيُّ^(٤) صاحبُ الشرطَةِ ، وانحازَ عبدُ العزيزُ ، واتبعهم
 الخوارجُ على فرسخينِ يقتلونهم كيف شاؤوا ، وكان عبدُ العزيزِ قد خرجَ

(١) هكذا ضبطت في طبعة أوربة بناء الخطاب والبناء للفاعل ، وغيرها الرصني إلى التون والبناء
 للمجهول « تترك » وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أنه لا يوافق أصول الكتاب .
 وفي ج و س و هـ « تنزل » وفي ف « تنزل فيه » وفي د « ننزل » .

(٢) في ج « فلم يستتمَّ النزول » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) في ج و س و د و هـ و ف « الضُّبَيْعِيُّ » .

معه بأم حفص ابنت^(١) المنذر بن الجارود امرأته ، فسبوا النساء يومئذ ،
وأخذوا أسرى لا تحصى ، فقد فوم في غارٍ بعد أن شدوهم وثاقاً ، ثم سدوا
عليهم بابها حتى ماتوا فيه .

وقال رجلٌ حَضَرَ ذلك اليومَ : رأيتُ عبدَ العزيزِ وإن ثلاثين رجلاً
ليضربونه بأسيا فهم وما يُحِيكُ في جَسَدِهِ^(٢) .

يقال ما حاك فيه السيف ، وما يُحِيكُ فيه ، وما حَكَ ذا الأمرُ في صدرِي ،
وما حَكَ في صدرِي ، وما احتكى في صدرِي ، ويقال حاك الرجلُ في مشيئته
يُحِيكُ : إذا تبخَّرَ .

وَأُودِيَ على السَّبِي يومئذٍ ، فَعُوِيَ بأم حفصٍ ، فبَلَغَ بها رجلٌ سبعين
ألفاً ، وذلك الرجلُ من مَجُوسِ كانوا أساموا وحِقُوا بالخوارج ، ففَرَضَ لكلِّ
واحدٍ منهم مِئَةَ سِمَاةٍ : فكاد يأخذها ، فشَقَّ ذلك على قَطْرِي وقال : ما ينبغي
لرجلٍ مسلمٍ أن يكونَ عنده سبعون ألفاً ، إن هذه فِتْنَةٌ^(٣) ، فَوَثَبَ إليها
أبو الحَديدِ العَبْدِيُّ فقتلها ، فَأَتَى به قَطْرِي فقال [له]^(٤) : يا أبا الحديدِ !
مَهِيْمٌ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! رأيتُ المؤمنين قد تَرَأَدُوا في هذه المشركة ،
فخَشِيتُ عليهم الفِتْنَةَ !! فقال قَطْرِي : قد أصبتَ وأحسنْتَ ! فقال رجلٌ
من الخوارج :

(١) في س و د و ه و ف « ابنة » وفي ج « بنت » .

(٢) في ج و د و ه و ف « في جُنَّتِهِ » وفي س « في جَنَّتِهِ » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « لَفِتْنَةٌ » .

(٤) الزيادة من د و ه و ف .

كفانا فتنة عظمت وجلت بحمد الله سيف أبي الحديد
 أهاب المسلمون بها وقالوا على فرط الهوى : هل من مزيد
 فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيق الحد فعل فتى رشيد
 قوله «أهاب» يريد : أعلن ، يقال أهبت به : إذا دعوته ، مثل صوت ،
 قال الشاعر :

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب وماتت نفوس للهوى وقلوب
 وقوله « مهيم » حرف استفهام^(١) ، معناه : ما الخبر وما الأمر ، فهو
 دال على ذلك محذوف الخبر ، وفي الحديث : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق^(٢) فقال : مهيم ؟ فقال : تروجت
 يارسول الله ، فقال : أولم ولو بشاة ، وكان تزوج على نواة » وأصحاب
 الحديث يروونه^(٣) « على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٤) . وهذا
 خطأ وغلط ، العرب تقول « نواة » فتعني بها خمسة دراهم ، كما تقول

(١) قال المرصفي : « يريد كلمة استفهام » . وهي مبتدأ محذوف الخبر . وعن أبي عبيد :
 « هي كلمة يمانية » .

(٢) « الخلق » بفتح الحاء : طيب معروف مركب ، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع
 الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، قاله في النهاية . و « الردع » التلطيخ بالطيب ،
 وقيل هو أثره .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « يقولون » .

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند من حديث أنس (رقم ١٢٧١٣ ، ١٣٠٠٨ ، ١٣١٥٥ ،
 ١٣٨٩٩ ، ج ٣ ص ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢٧١) ورواه أيضا البخاري
 ومسلم وغيرهم . وانظر فتح الباري (ج ٩ ص ١٩٩ - ٢٠٥) وفي كل الروايات
 أو أكثرها « نواة من ذهب » .

« الذَّشُّ » لعشرين درهماً ، و « الأوقية » لأربعين درهماً ، فإنما هو اسم لهذا المعنى ^(١) .

وكان العلاء بن مُطَرِّفِ السَّعْدِيِّ ابنَ عمِّ عمرو القنأ ، وكان يحبُّ أن يلقاه في تلك الحروب مبارزةً ، فلحقه عمرو القنأ وهو منهزم ، فضحك عمرو وقال متمثلاً :

تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي لَقِيْطُ أَعَامِ لَكَ ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ سَعْدِ
ثم صاح به : انجُ أبا المصدى ! وكان عمرو القنأ يُكْنَى أيضاً أبا المصدى .
وهذا البيت الذي تمثَّلَ به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ الكلابي ،
بقوله يعني لقيط بن زُرارة ، وكان يطلبه .

وقوله « أَعَامِ لَكَ » يريدُ : يا عامرُ ، فَرَخَمَ ، وإنما يريدُ الحَيَّ تعجباً ،
أى لَكُمْ أَعْجَبُ مِنْ تَمَنِّيهِ لِلْقَانِي ، فدعا بني عامر بن صعصعة ، وهم بنو
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ويقال أن عامر بن صعصعة هو ابن
سعد بن زيد مناة بن تميم ، لا ابن معاوية ، وأنهم نافلة في قبس ، ولذلك
تَمَنَّعَتْ ^(٢) بنو سعد من محاربتهم مع بني تميم يوم جَبَلَةَ ، ولذلك أنذرهم
كَرْبُ بْنُ صَفْوَانَ .

(١) قلد المبرد في هذا أبا عبيد . ففي اللسان : قال أبو عبيد : قوله على نواة يعني خمسة دراهم . قال : وقد كان بعض الناس يحمل معنى هذا أنه أراد قدر نواة من ذهب كانت قيمتها خمسة دراهم ، ولم يكن ثم ذهب ، إنما هي خمسة دراهم تسمى نواة ، كما تسمى الأربعون أوقية ، والعشرون نشا . ورد عليه الأزهرى قال : « ونس حديث عبد الرحمن يدل على أنه تزوج امرأة على ذهب قيمته خمسة دراهم ، ألا تراه قال على نواة من ذهب ، رواه جماعة عن حميد عن أنس . قال : ولا أدري لم أنكره أبو عبيد !؟ » .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « امْتَنَعَتْ » .

وهذا البيت وضعه سيديويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب ،
وشبيهه به قول الصلتان العبديي :

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثله جريرو ولكن في كليب تواضع
على معنى قوله : فله دره شاعراً .

وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له ، إحداهما من بني ضبة
يقال لها أم جميل ، والأخرى بنت عمه ، وهي فلانة بنت عقيل ، فطلق
الضبية وتخلص بهما [جميعاً] ^(١) يومئذ ، وحمل الضبية أولاً ، ففي ذلك يقول :
ألسنتُ كريماً إذ أقولُ إنَّي تبي
قفوا فاحملوها قبلَ بنتِ عقيلِ
ولولم يكن عودى نضاراً لأصبحتُ
تخرُّ على المتنينِ أمَّ جميلِ ^(٢)



قال الصعب بن يزيد : بعثني المهلب لآتية بالخبر ، فصرت ^(٣) إلى قنطرة
أربك ^(٤) على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم ، فلم أحسن خبراً ، فسرت
مُهَجِّراً إلى أن أمسيت ، فلما أظلمنا سمعتُ كلامَ رجلٍ عرفته من الجاهضم ^(٥) ،

(١) الزيادة من ج و د و ه .

(٢) في ج و س و د و ف « تجرُّ » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « فتربتُ » .

(٤) « أربك » قرية بنخوزستان .

(٥) بحاشية ا مانصه : « قال الفراء : الجهضم : الضخم الهامة المستدير الوجه .

وقال الخليل : تقول العرب تجهضم الفحل على أقرانه : إذا علاها بكل كسكله ،
وبعير جهضم الجنين ، أي رحب .

فقلتُ : ما وراءك ؟ فقال : الشرُّ ، قلتُ : فأين عبدُ العزيز ؟ قال : أمامك ، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزُهاء خمسين فارساً معهم لواء : فقلتُ ، [لواء] (١) من هذا ؟ فقالوا : هذا لواء عبدِ العزيزِ ، فتقدّمتُ إليه ، فسألتُ وقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لا يكبرنَّ عليك ما كانَ ، فإنك كنتَ في شرِّ جُنْدٍ وأخبثِهِ ، قال لي : أو كنتَ معنا ؟ قلتُ : لا ، ولكن كأتى شاهدُهُ أمرَكَ ، قال : كأنك كنتَ معنا ، قلتُ : أرسلني المهلبُ لآتيه بخبرِكَ ، ثم تركته وأقبلتُ إلى المهلبِ ، فقال لي : ما وراءك ؟ قلتُ : ما يسرُّكَ ، قد هزِمَ [عبدُ العزيز] (٢) وفلَّ جيشُهُ ! فقال : وَيْحَكَ ! وما يسرُّني من هزيمةِ رجلٍ من قريشٍ وفلَّ جيشٍ من المسلمين ؟! قلتُ : قد كان ذلكَ ، ساءك أو سرَّكَ ، فوجهَ رجلاً إلى خالدٍ يُخبرُهُ ، قال الرجلُ : فلما أخبرتُ خالدًا قال : كذبتَ ولوؤمتَ ، ودخلَ رجلٌ من قريشٍ فكذَّبني ، وقال لي خالدٌ : والله لهُممتُ أن أضربَ عنقك ، قلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إن كنتُ كاذبًا فاقتلني ، وإن كنتُ صادقًا فأعطني مُطرفَ هذا المتكلفِ ! فقال خالدٌ : لبئسَ ما أخطرتَ به دَمَكَ !! فما برحتُ حتى دخلَ بعضُ الفلِّ .

وقدِمَ عبدُ العزيزِ سوقَ الأهوازِ ، فأكرمه المهلبُ وكساه ، وقدِمَ معه على خالدٍ ، واستخلفَ ابنه حبيباً ، وقال له : تحسَّسْ عن الأخبارِ ، فإن أحسستَ بخبرِ الأزارقةِ قريباً منك فانصرفِ إلى البصرةِ ، فلم يزلَ حبيبٌ مقيماً والأزارقةُ تدنو منه ، حتى بلغوا قنطرةَ أربكَ ، فانصرفَ إلى البصرةِ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) الزيادة من س و ف .

على نهر تيرى ، فلما دخلها أعلم خالد ، فغضب عليه ، واستتر حبيب في بني هلال بن عامر بن صعصعة ، فتزوج هناك في استتاره الهلالية أم عبادة بن حبيب .

وقال الشاعر خالد يفيل رأيه ، أى يخطئه :

بَعَثْتَ غَلامًا مِّن قَريشِ قَروقةً وتَترُكُ ذَا الرأىِ الأصيلِ المَهلبًا
أبى الذمِّ واخْتارَ الوفاءَ وأحْكمتُ قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجربًا

وقال الحرث بن خالد المخزومي :

فَرَّ عبدُ العزيرِ لما رأى الأبُ طالَ بالسَّفحِ نازِلوا قَطَرِيًا

ويروى :

فَرَّ عبدُ العزيرِ إِذ رآه عيسى وابنَ دَءودَ نازِلًا قَطَرِيًا^(١)
هاهنا اللهُ إِذْ نجا مِلمتانِيًا لِيَمُودَنَّ بَعْدَها حُرْمِيًا^(٢)
يَسْكُنُ الخَلِّ والصَّفاحَ فَرًّا نَ سَلَمًا وتارَةً نَجديًا
حيثُ لا يَشهدُ القتالَ ولا يَسُدُّ مَعُ يومًا لِكُرِّ خيلِ دَوِيًا

قوله « إِذْ رآه عيسى » الأصل « رأى » ولكنه قلبَ فقدم الألف وأخرَ الهمزة ، كما قال كثير :

وكلُّ خليلٍ رَأىني فهو قائلٌ مِّنْ أَجلكِ هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ

(١) في ج و س و د و ه و ف « عَسِيًا » بدل « عيسى » .

(٢) في ج و د « حَرْمِيًا » .

والقلبُ كثيرٌ في كلامِ العربِ ، وسنذكر منه شيئاً في موضعه
إن شاء الله .

وقوله « مَلَمَتَا يَا » يريدُ مِنَ المَنَايا ، ولِـكَنَّهُ حَذَفَ النونَ لِقُرْبِ مخرجها
من اللّامِ ، فكاتتا كالخرفين يلتقيان على لفظٍ فيُحذفُ أحدهما ، ومن كلامِ
العربِ أن يُحذفوا النونَ إذا لَقِيَتْ لامَ المعرفةِ ظاهرةً ، فيقولون في بنى الحارثِ
وبنى العنبرِ وما أشبه ذلك « بَلْحُرْثِ » و « بَلْعُنْبَرِ » و « بَلْهُجِيمِ » كما
يقولون « عَمَاءُ بَنُو فُلانٍ » فيحذفون إحدى اللّامينِ (١) .

وقوله « لِيَعْمُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيًّا » العربُ تَنسُبُ إلى الحَرَمِ فيقولون (٢)
« حَرْمِيٌّ » و « حُرْمِيٌّ » على قولهم حُرْمَةُ البيتِ وحِرْمَةُ البيتِ ، وقال النابغة
الذييانيُّ :

من قولِ حُرْمِيَّةٍ قالتْ وقد رَحَلُوا هل في مُحْفِيكُمْ مَنْ يَشْتَرِي أَدْمًا
و « ائْخُلُّ » ههنا موضعٌ ، وأصله الطريقُ في الرَّمْلِ .



وكتب خالدٌ إلى عبد الملكِ بَعْدَ عبد العزيزِ ، وقال المهلبُ : ما تُرى
عبدَ الملكِ صانعاً بي ، قال : يَعْزِلُكَ ، قال : أترأهُ قاطعاً رَجِحِي ؟ قال : نعم ،
أنته هزيمةٌ أُمِّيَّةٌ أَخِيكَ مِنَ البَحْرَيْنِ ، وتأتيه هزيمةٌ أَخِيكَ عبدِ العزيزِ
من فارسٍ .

(١) انظر أيضاً ماضى في هذا الجزء ص ١٠٤٨

(٢) في ج و س و د و ه و ف « فتقول » .

قال أبو العباس : فكتبَ عبدُ الملكِ إلى خالدٍ :

أما بعدُ ، فإنِّي كنتُ حَدَدْتُ لكَ حَدًّا في أمرِ المهلبِ ، فلما ملكتَ
أمرَكَ نبذتَ طاعتي واستبددتَ برأيك ، فوليتَ المهلبَ الجبايةَ ، ووليتَ
أخاك حربَ الأزارقةَ ، فقبَّحَ اللهُ^(١) هذا رأياً ، أتبعثُ غلاماً غريباً لم يُجربِ
الحروبَ [للحرب] ^(٢) ، وتتركُ سيِّداً شجاعاً مُدبِّراً حازماً قد مارَسَ الحروبَ
تَشَعُّلهُ بِالْجَبَايَةِ ؟ ! أَمَا [وَاللَّهِ] ^(٣) لو كَفَأْتُكَ على قدرِ ذنبِكَ لَأَتَاكَ مِنْ نَكِيرِي
مَالاً بَقِيَّةً لَكَ مَعَهُ ، وَلَكِنْ تَدَكَّرْتُ رَحِمَكَ فَلَفَّضْتَنِي عَنْكَ ^(٤) ، وقد جعلتُ
عقوبتَكَ عَزْلَكَ .

وَوَلَّى بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعدُ ، فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإيَّاه مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ،
وإن خالداً لا يُجتمَعُ له مع أمير المؤمنين دون أُمَّيَّةَ ، فانظرِ المهلبَ [بن أبي
صُفْرَةَ] ^(٥) ، فوَلِّهِ حَرْبَ الْأَزْرَاقَةِ ، فإنه سيِّدُ بَطَلِ مُجْرَبٍ ، فأمدِّدهُ ^(٦) من
من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجلٍ .

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيْدٍ : قَبَّحَ اللهُ الرَّجُلَ تَقْبِيحًا ، وَقَبَّحَهُ قَبْحًا ،

مفتوحٌ ، في معنى الدعاء عليه ، ورجلٌ قَبِيحٌ وَقَبِيحٌ » .

(٢) الزيادة من س و د و ه و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) في ج و د و ه و ف « فَكَفَّضْتَنِي عَنْكَ » . وبحاشية ا مانصه : « الْمُهَلَّبِيُّ :

لَقَّتْ الشَّيْءَ أَلْفَتَهُ أَمْتًا : إِذَا لَوِيَّتَهُ . وَلَقَّتْ رِدَائِي عَلَى عُنُقِي : إِذَا عَطَفْتَهُ » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٦) بحاشية ا مانصه : « يُقَالُ أَمَدَّ الْأَمِيرُ الْجَيْشَ بِجَيْشٍ . وَالْمَدَدُ مَا مَدَدْتَ بِهِ قَوْمًا

في الحربِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَعْوَانِ » .

فَشَقَّ عَلَيْهِ مَا أَمَرَهُ [به] ^(١) فِي الْمَهْلَبِ . وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَهُ ^(٢) ، فَقَالَ
لَهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ : [أَيُّهَا الْأَمِيرُ] ^(٣) ! إِنَّ لِلْمَهْلَبِ حِفَاطًا وَبَلَاءً وَوَفَاءً .
وَوَخَّجَ بَشْرُ بْنُ مِرْوَانَ يَرِيدَ الْبَصْرَةَ ، فَكَتَبَ مُوسَى وَعِكْرَمَةُ إِلَى
الْمَهْلَبِ أَنْ يَتَلَقَّاهُ لِقَاءً لَا يَعْرِفُهُ بِهِ ، فَتَلَقَّاهُ الْمَهْلَبُ عَلَى بَغْلٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي مُخَارِ
النَّاسِ ، فَلَمَّا جَلَسَ بِشْرٌ مَجْلِسَهُ قَالَ : مَا فَعَلَ أَمِيرُكُمْ الْمَهْلَبُ ؟ قَالُوا : قَدْ
تَلَقَّاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَهُوَ شَاكٍ ^(٤) .

فَهَمَّ بِشْرٌ أَنْ يُؤَلَّى حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ أَسْمَاءُ
بِنْتُ خَارِجَةَ : إِنَّمَا وَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَتَرَى رَأْيَكَ ، فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ :
اكَتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلِمُهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ
وَأَنَّ بِالْبَصْرَةِ مِنْ يُغْنِي غِنَاءَهُ ، وَوَجَّهَ بِالْكِتَابِ مَعَ وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إِلَيْهِ ،
رَئِيسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ الْمَجَاشِعِيُّ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ خَلَا بِعَبْدِ اللَّهِ
بْنِ حَكِيمٍ فَقَالَ : إِنَّ لَكَ دِينًا وَرَأْيًا وَحَزْمًا ، فَمَنْ لِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْأَزَارِقَةِ ؟

(١) الزيادة من ج و س و ه و ف .

(٢) في ج و س و د و ه « لَا قَبْلَتَهُ » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٤) بحاشية امانه : « قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ : حَدَّثَنِي ابْنُ شاذَانَ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ :

الشَّكِيُّ الَّذِي يَشْتَكِي وَجَعًا أَوْ غَيْرَهُ ، وَالشَّكِيُّ الْمَشْكُوعُ أَيْضًا ، شَكْوَتُهُ

فَهُوَ شَكِيٌّ وَمَشْكُوعٌ . قَالَ : وَقَالَ الْخَلِيلُ : الشَّكْوَى الْأَشْتِكَاءُ ، تَقُولُ

اشْتَكَيْتُ يَشْتَكِي الْأَشْتِكَاءُ ، يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْمَوْجِدَةِ وَالْمَرَضِ ، تَقُولُ هُوَ

شَاكٍ وَمَرِيضٌ قَدْ اشْتَكَى وَتَشَكَّى » .

قال : المهلبُ ، قال : إنه عليلٌ ، قال : ليستْ عَلَّتْهُ بِمَانِعَتِهِ^(١) ، قال
عبدُ الملك : أَرَادَ بِبَشْرٍ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ خَالِدٌ .

فَكَتَبَ [إِلَيْهِ]^(٢) يَعَزِمُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَلِّيَ الْمَهْلَبَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، قال
المهلبُ : أَنَا عَليْلٌ وَلَا يُمَكِّنُنِي الْاِخْتِلَافُ ، فَأَمَرَ بِبَشْرٍ بِحَمْلِ الدَّوَابِّ إِلَيْهِ ،
فَجَعَلَ يَتَخَبُّ ، فَأَعْتَرَضَ بِبَشْرٍ عَلَيْهِ ، فَأَقْتَطَعَ أَكْثَرَ نُحْبُوتِهِ ، ثُمَّ عَزَمَ
[عَلَيْهِ]^(٣) أَنْ لَا يُقِيمَ بَعْدَ ثَالِثَةِ ، وَقَدْ أَخَذَتِ الْخَوَارِجُ الْأَهْوَاذَ وَخَلَفُوهَا
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَصَارُوا بِالْفُرَاتِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبُ حَتَّى صَارَ إِلَى شَهَارِ طَاقٍ ،
فَأَتَاهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي تَيْمِيمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ سَيِّئًا مَا تَرَى ، فَهَبْنِي
لِعِيَالِي ، قَالَ : عَلِيٌّ أَنْ تَقُولَ لِلْأَمِيرِ إِذَا خَطَبَ فَحَثِّمَكُمْ عَلَى الْجِهَادِ كَيْفَ نَحْنُ
عَلَى الْجِهَادِ وَأَنْتَ تَحْبَسُ أَشْرَافِنَا وَأَهْلَ النَّجْدَةِ مَنَّا ؟ فَفَعَلَ الشَّيْخُ ذَلِكَ ،
فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ : [و]^(٤) مَا أَنْتَ وَذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَشْيَاءَ ، وَأَعْطَى الْمَهْلَبُ رَجُلًا أَلْفَ
دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِبَشْرٍ فَيَقُولَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَعِنِ الْمَهْلَبَ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ ،
فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ ؟ قَالَ نَصِيحَةٌ [حَضَرْتَنِي]^(٥) ،
لِلْأَمِيرِ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا ، فَأَمَدَّهُ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ .

وَكَتَبَ بِبَشْرٍ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يَعْقِدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ عَلَى
ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، مِنْ كُلِّ رُبْعِ أَلْفَيْنِ ، وَيُوجِّهَهُ بِهِ مَدَدًا إِلَى الْمَهْلَبِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ
الْكِتَابُ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ الْأَزْدِيِّ فَعَقَدَ لَهُ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ

(١) فِي ج و س و د و ه و ف « بِمَانِعَةٍ » .

(٢) الزيادة من ج و ه .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

كُلُّ رُبْعٍ أَلْفَيْنِ ، فَكَانَ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِشْرُ بْنُ جَرِيرٍ الْبَجَلِيُّ ،
وَعَلَى رُبْعِ تَيْمِمْ وَهَمْدَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَعَلَى رُبْعِ
كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ ، وَعَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدِ
زَحْرُ بْنُ قَيْسِ الْمَذْحِجِيِّ ، فَقَدِمُوا عَلَى بِشْرِ ، فَخَلَا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ ،
فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ رَأْيِي فِيكَ وَثِقْتِي بِكَ ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي ، انظُرْ هَذَا
الْمَرْؤَنِيَّ نِخَالِفَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَأَفْسِدُ عَلَيْهِ رَأْيَهُ ، فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ وَهُوَ
يَقُولُ : مَا أُعْجِبَ مَا طَمِعَ مِنِّي فِيهِ هَذَا الْغُلَامُ ! يَا مَرْؤَنِي أَنْ أَصْغَرَ شَيْخًا مِنْ
مَشَائِخِ أَهْلِي وَسَيِّدًا مِنْ سَادَاتِهِمْ !؟ فَلَحِقَ بِالْمَهْلَبِ .

فَلَمَّا أَحَسَّ الْأَزَارِقَةُ بِدُنُوءِهِ مِنْهُمْ انْكَشَفُوا عَنِ الْفُرَاتِ ، فَاتَّبَعَهُمُ
الْمَهْلَبُ إِلَى سَوْقِ الْأَهْوَازِ ، فَفَنَاقَمَ عَنْهَا ، ثُمَّ تَبِعَهُمْ ^(١) إِلَى رَامِ هُرْمُزَ فَهَزَمَهُمُ
مِنْهَا ، فَدَخَلُوا فَارِسَ ، وَأَبْلَى يَزِيدُ ابْنَهُ فِي وَقَائِعِهِ هَذِهِ بِلَاءً حَسَنًا ^(٢) ،
تَقَدَّمَ فِيهِ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا صَارَ الْقَوْمُ بِفَارِسَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ
ابْنَةُ الْمُغِيرَةَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صُبْحٍ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! [إِنَّهُ] ^(٣) لَيْسَ
بِرَأْيٍ [لَكَ] ^(٤) قَتْلُ هَذِهِ الْأَكْلَبِ ، وَلَيْنَ - وَاللَّهِ - قَتَلْتَهُمْ لَتَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِكَ ،
وَلَكِنْ طَاؤُوا لَهُمْ وَكُلُّ بِهِمْ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنَ الْوَفَاءِ .

(١) فِي ج وَ د وَ ه وَ ف « اتَّبَعَهُمْ » .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « بِلَاءٌ شَدِيدًا » .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ ج وَ ه

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ ف .

فلم يَلْبَثْ^(١) بِرَامَ هُرْمُزَ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى أَتَاهُ^(٢) مَوْتُ بَشَرٍ ، فَاضْطَرَبَ
الْجُنْدُ عَلَى ابْنِ مِخْنَفٍ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ وَابْنِ زَحْرٍ
وَاسْتَحْلَفَهُمَا أَنْ لَا يَبْرَحَا ، فُخْلَفَا ، وَلَمْ يَفِيَا ، فَجَعَلَ الْجُنْدُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِسُوقِ الْأَهْوَازِ ، وَأَرَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الْإِنْسِلَالَ مِنْ
الْمَهْلَبِ ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كَأَهْلِ الْكُوفَةِ ، إِنَّمَا تَدْبُؤْنَ عَن مِصْرِكُمْ
وَأَمْوَالِكُمْ وَحُرْمِكُمْ ، فَأَقَامَ مِنْهُمْ قَوْمًا وَتَسَلَّلَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ .

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيفَةَ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ ، فَوَجَّهَهُ مَوْئِي لَهُ بِكِتَابٍ
مِنْهُ إِلَى مَنْ بِالْأَهْوَازِ ، يَخْلِفُ فِيهِ بِاللَّهِ مَجْتَهِدًا ، لَنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مِرَاكِزِهِمْ
وَانصَرَفُوا عُصَاةً لَا يَظْفَرُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلَهُ ، فَجَاءَ مَوْلَاهُ فَجَعَلَ يَقْرَأُ الْكِتَابَ
عَلَيْهِمْ وَلَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ قَبُولَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا مَا الْقَبُولُ
مِنْ شَأْنِهَا ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ زَحْرٍ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ! اقْرَأْ مَا فِي الْكِتَابِ وَانصَرِفْ إِلَى
صَاحِبِكِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا فِي أَنْفُسِنَا ، وَجَعَلُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ فِي قِرَائَتِهِ^(٣) ،
ثُمَّ قَصَدُوا قَصْدًا الْكُوفَةَ ، فَنَزَلُوا النُّخَيْلَةَ ، وَكَتَبُوا إِلَى خَلِيفَةِ بَشَرَ يَسْأَلُونَهُ
أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ ، فَأَبَى ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ .

فَلَمْ يَزَلِ الْمَهْلَبُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُوَادِهِ وَابْنُ مِخْنَفٍ فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ ، فَلَمْ
يَنْشَبُوا أَنْ وَلِيَ الْحِجَابُجُ الْعِرَاقَ ، فَدَخَلَ الْكُوفَةَ قَبْلَ الْبَصْرَةِ ، وَذَلِكَ

(١) بِحَاشِيَةِ أَمَانَتِهِ : « يُقَالُ لَيْثٌ بِالْمَكَانِ يَلْبَثُ لَيْثًا وَلَبِثًا فَهُوَ لَا يَبُثُّ ، وَالْبَثُّ
إِلْبَاطًا ، وَوَلِيَ لَبِثَةً عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ تَوَقَّفَ » .

(٢) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « أَنْتُمْ » .

(٣) فِي ج وَ س وَ د وَ ه وَ ف « يَسْتَعْجِلُونَهُ بِقِرَائَتِهِ » .

في سنة خمس وسبعين ، خطبهم وتهددهم ، وقد ذكرنا الخطبة مُتَقَدِّمًا (١) ،
ثم نَزَلَ فقال لوجوه أهلها : ما كانت الولاية تفعلُ بالمعصاة ؟ فقالوا : كانت
تضربُ وتحبسُ ، فقال الحجاجُ : ولكن ليس لهم عندي إلا السيفُ ، إن
المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ، ولو ساءت المعصية لأهلها
ما قوتل عدو ولا جبي في ولا عز دين .

ثم جلس لتوجيه الناس ، فقال : قد أجلتكم ثلاثًا ، وأقسم بالله
لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلتهُ ،
ثم قال لصاحب حرسيه وصاحب شريطه : إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذنا
سيوفك عصيًا ، فجاءه عمير بن ضابي والبرهجمي بابنه ، فقال : أصلح الله
الأمير ، إن هذا أنفع لكم مني ، هو أشدُّ بني تميم أيدًا ، وأجمعهم سلاحًا ،
وأربطهم جأشًا ، وأنا شيخ كبيرٌ عليلٌ ، واستشهد جلساءهُ ، فقال [له] (٢)
الحجاجُ : إن عُذرك لو اوضح ، وإن ضعفك ليبن ، ولكنني أكره أن
يختري بك الناسُ علي ، وبعدُ فأنت ابن ضابي وصاحبُ عثمان ، ثم أمر به
فقتل ، فاحتمل الناسُ ، وإن أحدثهم ليتبعُ بزاده وسلاحه ، ففي ذلك يقول
ابن الزبير الأسدِيُّ :

أقول لعبد الله يوم لقيتهُ أرى الأمر أمسي مُنصبًا مُتَشَبِّهًا
تخيرو فإمّا أن تزور ابن ضابي عميرًا وإمّا أن تزور المهلبًا

(١) مضت الخطبة في الجزء الأول ص ٣٣٣ وما بعدها .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ز و ف .

ها خُطِّتَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِّنَ التَّلْجِ أَشْهَبَا
فَمَا إِن أَرَى الْحِجَابَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرِكَ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

وَهَرَبَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْحِجَابِ وَقَالَ :

أَقَاتِلِي الْحِجَابُ إِنْ لَمْ أُرْزُ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فَوَادِيَا
وقد مرت هذه الأبيات (١).

وخرج الناس عن الكوفة، وأتى الحجاج البصرة، فكان عليهم أشدَّ
إلحاحًا، وقد كان آتاهم خبره بالكوفة، فتحمَّل الناسُ قبلَ قدومه، فاتاه
رجلٌ من بني يَشْكُرَ، وكان شيخًا كبيرًا أعورَ، وكان يجعلُ على عينه
العوراء صوفةً، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْصَفَةِ، فقال: أصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ إِنْ
بِي فَتَقًا، وقد عَذَرَنِي بِشَرِّ، وقد رَدَدْتَ العَطَاءَ، فقال: إِنْكَ عِنْدِي لَصَادِقٌ،
ثم أمر به فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ (٢)، ففى ذلك يقول كَعْبُ الأَشْجَرِيِّ أَوْ الفَرَزْدَقُ:
لقد ضَرَبَ الحِجَابُ بِالمَصْرِ ضَرْبَةً تَقَرَّرَ مِنْهَا بَطْنٌ كُلُّ عَرِيفٍ
ويروى عن ابن مَيْرَةَ قال: إِنْأَ لِنَتَّغَدَّى مَعَهُ يَوْمًا إِذْ جَاءَ (٣) رَجُلٌ مِّنْ

(١) فى الجزء الثانى ص ٤٤٥

(٢) بحاشية ا ما نصه: « قال ابن السكيت: العنقُ مؤنثٌ فى قول أهل الحجاز،
وتصغيرُها عُنَيْقَةٌ. وَأَسَدٌ تَدْكُرُهُ، وَإِذَا حَقَرُوهُ قَالُوا: هَذَا عُنَيْقٌ طَوِيلٌ.»

(٣) فى ج و د و ه و ف « جاءه » .

[نبي] (١) سُلَيْمٍ بِرَجُلٍ يَقُوذُهُ، فَقَالَ: أَوْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّ هَذَا عَاصٍ،
فَقَالَ: لَهُ الرَّجُلُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَمِي، فَوَاللَّهِ مَا قَبَضْتُ دِيْوَانًا
قَطُّ، وَلَا شَهِدْتُ عَسْكَرًا، وَإِنِّي لَحَائِكُ أُخِذْتُ مِنْ تَحْتِ الْحَفِّ (٢)، فَقَالَ:
اضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَلَمَّا أَحْسَنَ بِالسَّيْفِ سَجَدَ، فَلَحِقَهُ السَّيْفُ وَهُوَ سَاجِدٌ،
فَأَمْسَكْنَا عَنِ الطَّعَامِ (٣)، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ صَفَرْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ وَاصْفَرَّتْ وَجُوهُكُمْ وَحَدَّ نَظْرُكُمْ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؟! إِنَّ الْعَاصِيَ
يَجْمَعُ خِلَافًا: يُجِلُّ بِمَرْكَزِهِ (٤)، وَيَعْصِي أَمِيرَهُ، وَيَغْرُ الْمُسْلِمِينَ [مِنْ نَفْسِهِ] (٥)
وَهُوَ أَجِيرٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْأَجْرَةَ لِمَا يَعْمَلُ، وَالْوَالِي مُخَيَّرٌ فِيهِ، إِنْ شَاءَ
قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا.

ثُمَّ كَتَبَ الْحِجَابُ إِلَى الْمَهْلَبِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَشْرًا رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَكْرَهَ
نَفْسَهُ عَلَيْكَ، وَأَرَاكَ غَنَاءَهُ عَنْكَ (٦)، وَأَنَا أُرِيكَ حَاجَتِي إِلَيْكَ، فَأَرِنِي الْجِدَّ
فِي قِتَالِ عَدُوِّكَ، وَمَنْ خَفِئَتْهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يَمُنَّ قَبْلَكَ فَاقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَاتِلٌ مَنْ

(١) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٢) « الحف » بفتح الحاء وتشديد الفاء : اللنج .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « عز الأكل » .

(٤) في بعض طبقات مصر « بمرکزهم » وهو خطأ ومخالف لكل الأصول .

(٥) الزيادة من د و ه و ف .

(٦) بحاشية ا ما نصه : « يقال ما يُعْنِي عَنْكَ غَاءٌ ، أَيْ مَا يُجْزِي عَنْكَ ، وَالغَنَاءُ

مِثْلُ الْجَدَاءِ ، وَالغَنَاءُ الْإِجْزَاءُ ، وَقَوْلُ رَجُلٍ مُعْنٍ ، أَيْ مُجْزِيٌّ ، وَالْفِعْلُ عَنِّي

عَنْهُ فَهُوَ غَانٍ » .

قَبَلِي وَمَنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ وَلِيٍّ مِنْ هَرَبٍ عَنْكَ فَأَعْلَمَنِي مَكَانَهُ ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ
أَخْذَ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ، وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ : لَيْسَ قَبَلِي إِلَّا مُطِيعٌ ، وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا خَافُوا
الْعُقُوبَةَ كَبَرُوا الذَّنْبَ ، وَإِذَا أَمِنُوا الْعُقُوبَةَ صَغُرَوا الذَّنْبَ ، وَإِذَا يَسْتُوا مِنْ
الْعَفْوِ أَكْفَرَهُمْ ذَلِكَ ، فَهَبْ لِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ عَصَاءً ، فَإِنَّمَا هُمْ فِرْسَانُ
أَبْطَالٍ^(١) ، أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَ اللَّهُ بِهِمُ الْعَدُوَّ وَنَادِمٌ عَلَى ذَنْبِهِ .



فَلَمَّا رَأَى الْمَهْلَبُ كَثْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهِ قَالَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ هَذَا الْعَدُوُّ . وَلَمَّا
رَأَى ذَلِكَ قَطَرِيٌّ قَالَ : انْهَضُوا بِنَا تُرِيدُ السَّرْدَانَ^(٢) فَتَتَحَصَّنُ فِيهَا ، فَقَالَ
عُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ : أَوْ نَأْتِي سَابُورَ ، وَخَرَجَ الْمَهْلَبُ فِي آتَارِهِمْ ، فَأَتَى أَرْجَانَ ،
وَخَافَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ تَحَصَّنُوا بِالسَّرْدَانَ^(٢) ، وَلَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ ، وَلَكِنْ
جِبَالٌ مُحَدِّقَةٌ مَنِيعَةٌ ، فَلَمْ يُصِبْ بِهَا أَحَدًا ، فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فَعَسَكَرَ بِكَازِرُونَ ،
وَاسْتَعَدُّوا لِقَاتِلِهِ ، وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ وَجَّهَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ :
خَنَدِقْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ : خَنَادِقْنَا سَيُوفُنَا ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ : إِنِّي
لَا أَمَنْ عَلَيْكَ الْبَيَّاتَ ، فَقَالَ ابْنُهُ جَعْفَرٌ : ذَلِكَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ ضَرْطَةِ جَهْلِ !

(١) فِي س و د و هـ « فَانْهَمُ فَرِيقَانِ : أَبْطَالٌ » الخَ وَلَمَلَهُ أَجُودٌ .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ بِنَفْثِ الرَّاءِ وَزِيَادَةِ أَلْفٍ بَعْدَ الدَّالِ . وَفِي ج و س و د و هـ و ف

« السَّرْدَانَ » وَ « بِالسَّرْدَانَ » بِسُكُونِ الرَّاءِ وَبِدُونِ أَلْفٍ ، وَهُوَ الصَّوَابُ ، كَمَا

ضَبَطَهُ الْبَكْرِيُّ وَيَاقُوتٌ . قَالَ الْبَكْرِيُّ : « وَهُوَ مَوْضِعٌ بِيَلَادِ فَارِسَ بَأَزَاءِ كَازِرُونَ » .

فأقبل المهلبُ على ابنه المغيرةِ فقال : لم يُصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة ،
فلما أصبح القومُ غادوه الحربَ ، فبعثَ إلى ابنِ خنْفِ يستمده ، فأمدّه ،
بجماعةٍ ، وجعل عليهمُ ابنه جعفرًا ، جأوا وعليهم أقيّةٌ بيضُ جُدَدٍ ، فقاتلوا
يومئذٍ حتى عُرفَ مكانهم ، وحاربهمُ المهلبُ ، وأبلى بنوه يومئذٍ كِبَلَاءً
الكوفيّينِ أو أشدَّ ، ثم نظرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحُ بنُ خِراقٍ ،
وهو يَنْتخبُ قومًا من جِلَّةِ العسكرِ ، حتى بلغوا أربعمائةً ، فقال لابنه المغيرةُ :
ما بعدُ هؤلاءِ إلا للبياتِ ، وانكشف الخوارجُ والأمرُ للمهلبِ عليهم ، وقد
كثُرَ فيهم القتلُ والجراحُ .

وقد كان جُ الحجاجِ في كلِّ يومٍ يتفقّدُ العصاةَ ويوجّهُ الرجالَ ، فكان
يحبسهم نهارًا ، ويفتَحُ الحبسَ ليلاً ، فينسلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلبِ ، وكان
الحجاجُ لا يعلمُ ، فإذا رأى إسراعهم تَمَثَّلَ :

إِنَّهَا لَسَائِقًا عَشَنَزَرًا إِذَا وَنَيْنَ وَنِيَةً تَغَشَمَرًا

«العشَنَزَرُ» الصُّلبُ^(١) ، و«التغَشَمَرُ»^(٢) رُ كُوبُ الرَّأْسِ ، و«المتغَشَمَرُ»

الجادُّ على ما خيَّلت .

وكتبَ إلى المهلبِ من قِبَلِ الوَقعةِ : أما بعدُ ، فإنه بلغني أنك أقبلتَ
على جبايةِ الخراجِ ، وتركتَ قتالَ العدوِّ ، وإني وليّك وأنا أرى مكانَ

(١) بحاشية ا مانصه : «المهلبُ : العَشَنَزَرُ السَّرِيعُ» . وكلا التفسيرين صحيح .

(٢) في ج و د و ه و ف «العشَمَرَةُ» .

عبد الله بن حكيم المجاشعي وعبيد بن حصين الحبطي ، واخترتك وأنت
من أهل عمان ، ثم رجل من الأزد ، فالتهمهم يوم كذا في مكان كذا ، وإلا
أشرعت إليك صدر الرمح !!

فساورَ بينه فقالوا : إنه أمير ، فلا تغلظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب : ورد علي كتابك تزعم أنني أقبلت على جباية
الخراج وتركت قتال العدو ، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال
العدو أعجز ، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم
المجاشعي وعبيد بن حصين الحبطي ، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك
في فضلها وغنائهما وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل من الأزد ، ولعمري
إن شراً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل ، لم تستقر في واحدة منهم ،
وزعمت أنني إن لم ألتهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت إلى صدر الرمح ،
فلو فعلت لقلبت إليك ظهر المجن ، والسلام .

ثم كانت الواقعة . فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة :
إني أخاف البيات على بني تميم ، فانهمض إليهم فكن فيهم ، فاتاهم المغيرة ،
فقال له الحر بن هلال : يا أبا حاتم ! أيخاف الأمير أن يؤثني من ناحيتنا ؟
قل له فليبت آمناً ، فإننا كأفوه ما قبلنا إن شاء الله . فلما انتصف الليل ،
وقد رجع المغيرة إلى أبيه ، سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعددهم
إلى ناحية بني تميم ، ومعه عبيدة بن هلال ، وهو يقول :

إِنِّي لَمَذْكٍ لِلشَّرَاةِ نَارَهَا وَمَانِعٍ مِّمَّنْ أَتَاهَا دَارَهَا

* وَغَاسِلٍ بِالطَّمَنِ عَنْهَا عَارَهَا *

فوجدَ بنى تميمٍ أيقاظاً مُتَحَارِسِينَ ، فخرج إليهم الحريشُ بن هلالٍ
وهو يقولُ :

لقد وَجَدْتُمْ وَوُقُرًا أَنْجَادًا لَا كَشْفًا مِيلًا وَلَا أَوْغَادًا

هَيْهَاتَ لَا تُلْفُونَنَا رُقَادًا لَا بَلَّ إِذَا صَبِيحَ بِنَا آسَادًا^(١)

ثمَّ حَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَرَجَعُوا عَنْهُ ، فَاتَّبَعَهُمْ وَصَاحَ بِهِمْ : إِلَى أَيْنَ يَا كِلَابَ
النَّارِ ؟ فَقَالُوا : إِنَّمَا أُعِدَّتِ النَّارُ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ ، فَقَالَ الْحَرِيشُ : كُلُّ
مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ تَدْخُلُوا النَّارَ إِنْ دَخَلَهَا مَجُوسِيٌّ فِيمَا بَيْنَ سَفْوَانَ^(٢)
وَحُرَّاسَانَ .

قوله : « وَجَدْتُمْ وَوُقُرًا » جمعٌ وَوُقُورٍ . و « النَّجْدُ » ضدُّ الْبَلِيدِ ، وهو
الْمَتَيْقِظُ الَّذِي لَا كَسَلَ عِنْدَهُ وَلَا قُتُورَ . و « الْإِمِيلُ » فيه قولانٍ : قالوا :

(١) بحاشية امانته : « ابنُ شاذَانَ : يقالُ رجلٌ نَجْدٌ وَنَجِيدٌ بَيْنَ النَّجْدَةِ : إِذَا كَانَ
جَلْدًا . قال : وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ : الْوَعْدُ الضَّعِيفُ مِنَ
الرِّجَالِ ، وَالْجَمَاعَةُ أَوْغَادٌ ، وَقَدْ وَعَدَ الرَّجُلُ وَعْدَةً . قال ثَعْلَبٌ : وَحَدَّثَنِي الْأَثَرِيُّ
عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَ أَمَّارُ بْنُ لَقِيطٍ : كُنْتُ وَعْدًا يَوْمَ الْكِلَابِ ، أَيْ
ضَعِيفًا . قال أَبُو عُبَيْدَةَ : قُلْتُ لَأُمِّ الْهَيْمِ : مَا الْوَعْدُ ؟ . وَهَكَذَا هُوَ بِالْأَصْلِ ذَكَرَ
السُّؤَالَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْجَوَابَ .

(٢) « سَفْوَانٌ » بفتح الفاء : ماءٌ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ .

الذي لا يَسْتَقِرُّ على الدابة ، وقالوا : هو الذي لا سَيْفَ معه . و «الأَكْشَفُ»
الذي لا تُرْمَنَ معه . و «الأَجْمُ» الذي لا رُمُحَ معه . و «الحاسِرُ» الذي لا دِرْعَ
عليه . و «الأَعْزَلُ» الذي لا يَتَقَوَّمُ على ظَهْرِ الدَابَّةِ . و «الوَغْدُ» الضعيفُ .
ثم قال بعضهم لبعض : نَأَى عسْكَرِ ابْنِ مِخْنَفٍ فَإِنَّهُ لا خَنْدَقَ عَلَيْهِمْ ،
وَقَدْ تَعَبَ فِرْسَانُهُمُ الْيَوْمَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَا أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرْطَةِ
جَمَلٍ ، فَأَتَوْهُمْ ، فَلَمْ يَشْعُرِ ابْنُ مِخْنَفٍ وَأَصْحَابُهُ بِهِمْ إِلَّا وَقَدْ خَالَطُوهُمْ فِي
عَسْكَرِهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ مِخْنَفٍ شَرِيفًا ، يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ غَامِدٍ لِرَجُلٍ يِعَاتِبُهُ
وَيَضْرِبُ بَابِنِ مِخْنَفٍ الْمَثَلَ :

تَرُوحُ وَتَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ مَعْظَمًا كَأَنَّكَ فِينَا مِخْنَفٌ وَابْنُ مِخْنَفٍ

فَتَرَ جَلَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ جَالِدَهُمْ فَقَتَلَ ، وَقَتَلَ مَعَهُ سَبْعُونَ مِنَ
الْقُرَاءِ ، فِيهِمْ تَقَرَّبَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَنَفَرُوا مِنْ
أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْمُهَلَّبَ ، وَجَمَعُوا ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ
عِنْدَ الْمُهَلَّبِ ، فَبَجَّاهُمْ مُعِيثًا ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى ارْتُتَ^(١) وَصُرِعَ ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهِمْ
ابْنَهُ حَبِيبًا فَكَشَفَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى صَلَّى عَلَى ابْنِ مِخْنَفٍ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ
اللَّهُ ، وَصَارَ جُنْدُهُ فِي جُنْدِ الْمُهَلَّبِ ، فَضَمَّهُمْ إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ ، فَعَيَّرَهُمُ الْبَصْرِيُّونَ ،
فَقَالَ رَجُلٌ لْجَمْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

(١) بحاشية ما نصه : « ابنُ سَازَانَ : حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ
قَالَ : يَقَالُ ارْتُتَّ الرَّجُلُ ارْتِثَانًا : إِذَا سَحِلَ مِنَ الْمَعْرُكَةِ وَبِهِ رَمَقٌ . قَالَ ابْنُ
سَازَانَ : قَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ : ارْتُتَّ صُرِعَ » .

تركت أصحابنا تدمي محورهم وجئت تسمى إلينا خضفة الجمل^(١)
قوله « خضفة الجمل » يريد ضرطة^(٢) الجمل ، يقال خصف البعير ،
وأنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليةً :

إنا وجدنا خلفاً بنس الخلف أغلق عنا بابه ثم حلف
لا يدخل البواب إلا من عرف عبداً إذا ما ناء بالجمل خصف^(٣)

يقال « ناءً بحمله » إذا حملة في ثقلٍ وتكلفٍ ، وفي القرآن :
﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾^(٤) والمعنى أن العصبة تنوء
بالمفاتيح ، وقد مضى تفسير هذا [وتقول العرب « حَبَّجَ الرجلُ وَحَبَّقَ
وَخَصَفَ وَرَدَمَ » كل ذلك إذا ضرطاً]^(٥) .

فلامهم المهلب ، وقال : بِسْمَا قُلْتُمْ ، وَاللَّهِ مَا فَرُّوا وَلَا جَبَّنُوا ، وَلَكِنَّهُمْ
خَالَفُوا أَمِيرَهُمْ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فِرَارِكُمْ يَوْمَ دُولَابَ ، وَفِرَارِكُمْ بَدَارِيسَ عَنْ عَثْمَانَ ،
وَفِرَارِكُمْ عَنِّي !؟

ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم ،

(١) في دوف « تدمي كلومهم » .

(٢) بحاشية مانصه : « ابن شاذان : حدثني أبو عمر عن ثعلب قال : يقال خصف

الحمار وغيره يخصف خضفاً وخضافاً : إذا ضرط ، ويقال للمرأة : يا خصاف » .

قوله « ضرط » ضبط في الأصل بفتح الراء ، وهو لانه فيه من باب « ضرب » والأكثر أنه

من باب « فرح » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « عبدا » .

(٤) سورة الفصم آية ٧٦

(٥) الزيادة من ج و ش وحاشية ف .

وكتب إليه : إنك لتُحِبُّ بقاءهم لتأكلَ بهم . فقال المهلبُ لأصحابه :
حرَّ كوهم ، فخرج فرسانٌ من أصحابه إليهم ، فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ ،
فاقتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الخوارجُ : ويلسَكمُ أمَّا تَمَلُّونَ ؟ فقالوا : لا ،
حتى تَمَلُّوا ، قالوا : فن أنتم ؟ قالوا : تميمٌ ، قالت الخوارجُ : ونحن بنو تميم ، فلما
أمسوا افرقوا ، فلما كان الغدُ خرج عشرةٌ من أصحاب المهلبِ وخرج إليهم
عشرة من الخوارج ، فاحتقر كلُّ واحدٍ منهم حَفيزةً وأثبتَ قدمه فيها ،
فكلما قُتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجتره ووقف^(١) مكانه ، حتى أعتَموا ،
فقال لهم الخوارجُ : ارجعوا ، فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، فقالوا : ويلسَكم ! مَنْ
أنتم ؟ فقالوا : تميم ، قالوا : ونحن تميم ، فرجع البراء بن قبيصةَ إلى الحجاج ،
فقال له : مه ؟ قال : رأيتُ قومًا لا يُعِينُ عليهم إلا اللهُ .

وكتب إليه المهلبُ : إني منتظرٌ بهم إحدى ثلاثٍ : موتٌ ذريعٌ ،
أو جوعٌ مُضِرٌّ ، أو اختلافٌ من أهوائهم .

وكان المهلبُ لا يتكَلِّفُ في الحراسة على أحدٍ ، كان يتولَّى ذلك بنفسه ،
ويستمع بولده وبين يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ في الثقة عنده .

وقال أبو حَرَمَةَ العبديُّ يهجو المهلبَ :

عَدِمْتُكَ يَا مُهَلَّبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْدَى عَيْنُكَ لِلْفَقِيرِ
بِدَوْلَابٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمٍ وَطَرْتَ عَلَى مُوَشِكَةٍ دَرُورٍ^(٢)

(١) في ج و س و د و ه و ف « وقام » .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « دماء قومي » . ومحاشية امانه . « ابن =

فقال المهلبُ: ويحك! والله إني لأَقيكمُ بنفسى وولدى، قال: جعلنى اللهُ فداءَ الأميرِ، فذاك الذى نَكَرَهُ منك، ما كلنا يُحِبُّ الموتَ، قال: ويحك! وهل عنه يحِصُّ؟ قال: لا، ولكننا نَكَرَهُ التَّعَجِيلَ، وأنت تُقدِّمُ عليه إقدامًا، قال المهلبُ: أما سمعتَ قولَ [هُبَيْرَةَ] ^(١) الكلجبةَ اليربوعيِّ:

فقلتُ لِكأسِ أَلجميها فإنما نزلنا الكئيبَ من زرودٍ لنفزعًا؟
قال: بلى والله قد سمعتهُ، ولكن قولى أحبُّ إلىَّ منه، [وهو] ^(٢):
فلما وقفتُمُ غُدوةً وعدوكمُ إلى مُهجتى ولئتُ أعداءكم ظهري
وطرتُ ولم أحفلنْ مَقالةَ عاجزٍ يُسافى المنايا بالردِّينِ الشمرِ
فقال [له] ^(٣) المهلبُ: بئسَ حشَوُ الكتيبةِ والله أنت! فإن شئتَ
أذنتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك؟ فقال: بل أقيمُ معك أيها الأميرُ، فوهبَ
له المهلبُ وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَرى حَتَمًا عليه أبو سَعِيدٍ جِلادَ القومِ فى أُولى النَّفِيرِ

= شاذان: يقال فرسٌ درُورٌ ودَريِرٌ، أى سريعٌ. قال امرؤ القيس:

دَريِرٌ كخُذِرُوفِ الوَلِيدِ امرءٌ تَتابعُ كَقِيهِ بِخَيْطِ مُوَصَّلِ .

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف . وهو اسمه ، والكلجبة لقبه ، وهو من بني عرين بن يربوع . والبيت من أبيات له في الفضليات للضبي (ج ١ ص ٤ - ٥ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤ و ص ٢٠ من شرح الأنباري) وذكرها المرصفي في شرح الكامل (ج ١ ص ١٨) .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٣) الزيادة من ج و س و ه و ف .

إذا نادى الشراءُ أبا سعيدٍ مَشَى في رَفْلٍ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ
« الرَفْلُ » الذَّيْلُ^(١) .

وقال المهلبُ^(٢) ما يَسْرُنِي أَنْ فِي عَسْكَرِي أَلْفٌ شَجَاعٍ بَدَلَ يَمَسِّ بْنِ صُهَيْبٍ ، فيقال له : أيها الأميرُ ! يمهسُ ليس بشجاعٍ ، فيقول : أَجَلُ ، ولكنه سَدِيدُ الرَّأْيِ^(٣) مُحْكَمُ الْعَقْلِ ، وذو الرَّأْيِ حَذِرٌ سَوْوُولٌ ، فَأَنَا آمَنُ أَنْ يُفْتَقَلَ ، فلو كان مكانه أَلْفٌ شَجَاعٍ قَلْتُ إِنَّهُمْ يَنْشَامُونَ^(٤) حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَيْهِمْ^(٥) .

وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ لَيْلَةً مَطْرًا شَدِيدًا وَهُمْ بِسَابُورَ ، وَبَيْنَ الْمَهْلَبِ وَبَيْنَ الشَّرَاءِ عَقَبَةٌ ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ : مَنْ يَكْفِينَا هَذِهِ الْعَقَبَةَ اللَّيْلَةَ ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، فَلَبَسَ الْمَهْلَبُ سِلَاحَهُ وَقَامَ إِلَى الْعَقَبَةِ وَاتَّبَعَهُ ابْنُهُ الْمَغِيرَةُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : دَعَانَا الْأَمِيرُ إِلَى ضَبْطِ الْعَقَبَةِ ، وَالْحَظُّ فِي ذَلِكَ لَنَا ، فَلَمْ نُطْعَمْهُ ، فَلَبَسَ سِلَاحَهُ وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ فَصَارُوا إِلَيْهِ ، فإِذَا الْمَهْلَبُ

(١) « الرفل » ضبط في كل الأصول بفتح الراء ، وهو جرّ الذيل . وأما الذيل نفسه فهو الرفل بكسر الراء .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « وكان المهلب يقول » .

(٣) بحاشية ١ ما نصه : « يقال رأى سديداً وأمر سديداً وأسداً ، أي قاصداً ، وكذلك

رجل سديداً ، من السداد وهو قصد الطريقة » .

(٤) بحاشية ١ ما نصه : « قال الشيخ أبو يعقوب : ينشامون أي ينغابون ، ينفعلون ،

من شامه يشيمه إذا غابه » .

(٥) في ج و س و د و ه و ف « حين يحتاج إليهم » ولعلها أجود .

والمغيرة لاثالث لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله ،
فلما أصبحوا إذا بالشرارة على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عَمَانَ على
فرسٍ ، فجعل يَحْمِلُ وفرسه يُزَلِّقُ ، وتلقاه مُدْرِكُ بن المهلب في جماعةٍ معه
حتى رَدَّهم .

فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبرِ يخطبُ الناسَ إذا الشرارة قد
تَأَلَّبُوا ، فقال المهلبُ : سبحانَ الله ! أفِ مثل هذا اليومِ ؟ يا مُغِيرَةُ ا كَفِينِيهِمْ ،
فخرج إليهم المغيرةُ بن المهلبِ وأمامه سَعْدُ بن نَجْدِ القُرْدُوسِيُّ ، وكان سعدُ
شجاعاً متقدماً في شجاعته ، وكان المهلبُ ^(١) إذا ظَنَّ برجلٍ أن نفسه قد أُعْجِبَتْه
قال له : لو كنتَ سعدَ بن نَجْدِ القُرْدُوسِيِّ ما عَدَا [وَقُرْدُوسٌ مِنَ الْأَزْدِ]
فخرجَ أَمَامَ المغيرةِ ، وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسانِ المهلبِ ، فَالْتَقَوْا ، وأمامَ
الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ ، مَدِيدُ القامةِ ، كَرِيهُ الوَجْهِ ، شديدُ الحَمَلَةِ ،
صحيحُ الفُرُوسِيَّةِ ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناسِ وهو يقولُ :

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ بِالْخَيْلِ أَمْثَالِ الْوَشِيحِ تَجْرِي ^(٢)

(١) في ج و د و ه و ف « وكان الحجاج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المَهَائِيُّ : الْوَشِيحُ الْقَنَا ، وَسُمِّيَ وَشِيحًا لِتَدَاخُلِ بَعْضِهِ

فِي بَعْضٍ وَاشْتِبَاكِهِ . وَيُقَالُ وَشَجَتِ الْعُرُوقُ وَشِيحًا إِذَا تَدَاخَلَتْ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ »

وبحاشية بعض النسخ مانصه : « الْوَشِيحُ الرَّمَاحُ ، شَبَّهَ الْخَيْلَ الصُّمَرَ بِهَا . وَقَالَ غَيْرُهُ :

الْوَشِيحُ أَصْلُ الْقَنَاةِ ، وَالْخَطِيُّ فُرُوعُهَا ، وَيُنْسَبُ الْخَطِيُّ إِلَى قَرْيَةٍ بِالْمَيْنِ تُعْرَفُ

بِالْخَطِّ ، تَنَبَّتُ بِهَا الرَّمَاحُ » .

فخرج إليه سعد بن نجد القردوسي من الأزدي، ثم تجأ ولا ساعة، فطعنه سعد فقتله، والتقى الناس، فصرع يومئذ المغيرة، فخامى عليه سعد بن نجد وذبيان السخثياني^(١) وجماعة من الفرسان حتى ركب، وانكشف الناس عند سقطة المغيرة، حتى صاروا إلى أبيه المهلب، فقالوا: قتل المغيرة، ثم أتاه ذبيان السخثياني، فأخبره بسلامته، فأعتق كل مملوك كان بحضرته.



ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مناجزة القوم، وكتب إليه: أما بعد، فإنك جبيت الخراج بالعلل، وتحصنت بالخنادق، وطاولت القوم، وأنت أعز ناصرًا، وأكثر عددًا، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنًا، ولكنك اتخذت أكلاً^(٢)، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتني، والسلام.

فقال المهلب للجراح: يا أبا عقبة! والله ما تركت حيلة إلا احتلتها، ولا مكيدة إلا أعملتها، وما العجب من إبطاء النصر وتراخي الظفر، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبصره!! ثم ناهضهم

(١) في ج و د و هـ « السخثياني » .

(٢) بحاشية ما نصه: « ابن شاذان: قال أبو عمر: الأكل الرزق، يقال إنه لعظيم الأكل في الدنيا، أي عظيم الرزق، ومنه قيل الميت انقطع أكله »

ثلاثة أيامٍ ، يُعَادِيهِمُ الْقِتَالَ ، وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى الْعَصْرِ ، وَيَنْصَرِفُ أَصْحَابُهُ
وَبِهِمْ قَرَحٌ ، وَبِالْخَوَارِجِ قَرَحٌ وَقَتْلٌ ، فَقَالَ لَهُ [الْجَرَّاحُ] ^(١) : قَدْ أَعْذَرْتِ .

فَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحِجَابِ : أَتَانِي كِتَابُكَ تَسْتَبَطِّئُنِي فِي لِقَاءِ الْقَوْمِ ، عَلَى
أَنَّكَ لَا تَطْنُ بِي مَعْصِيَةً وَلَا جُبْنًا ، وَقَدْ عَاتَبْتَنِي مَعَاتِبَةَ الْجَبَانِ ، وَأَوْعَدْتَنِي
وَعِيدَ الْعَاصِي ، فَاسْتَلِ ^(٢) الْجَرَّاحَ ، وَالسَّلَامُ .

فَقَالَ الْحِجَابُ لِلْجَرَّاحِ : كَيْفَ رَأَيْتَ أَخَاكَ ؟ قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يَبْقَى عَلَى مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ
أَصْحَابَهُ أَيَّامًا ثَلَاثَةً يَنْعُدُونَ إِلَى الْحَرْبِ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ عَنْهَا وَهُمْ بِهَا يَتَطَاعَنُونَ
بِالرَّمَاحِ وَيَتَجَالِدُونَ بِالسُّيُوفِ وَيَتَخَابِطُونَ بِالْعَمَدِ ، ثُمَّ يَرُوحُونَ كَأَنْ لَمْ
يَصْنَعُوا شَيْئًا ، رَوَّاحَ قَوْمٍ تَلِكِ عَادَتُهُمْ وَتِجَارَتُهُمْ . فَقَالَ [لَهُ] ^(٣) الْحِجَابُ :
لَشَدِّ مَا مَدَحْتَهُ أَبَا عُقْبَةَ ! قَالَ : الْحَقُّ أَوْلَى .

وَكَانَتْ رُكْبُ النَّاسِ قَدِيمًا مِنَ الْخَشَبِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ يُضْرَبُ رِكَابُهُ
فَيَنْقَطِعُ ، فَإِذَا أَرَادَ الضَّرْبَ أَوْ الطَّنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُعْتَمِدٌ ، فَأَمْرُ الْمُهَلَّبِ فَضْرِبَتْ
الرُّكْبُ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَهُوَ أَوْلُ مِنْ أَمْرٍ بِطَبْعِهَا ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عِمْرَانُ
بِْنِ عِصَامِ الْعَنْزِيِّ :

ضَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِمَارَتِهِمْ وَضَرَبْتَ لِلْحَدَثَانِ وَالْحَرْبِ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) رسمت في ج « فَسَّلِ » وفي د و ف « فَسَلِ » .

(٣) الزيادة من ج و ف .

حَلَقًا تُرَى مِنْهَا مَرَّافِقَهُمْ كَمَنَّا كِبِ الْجَمَالَةِ الْجُرْبِ^(١)



وكتب الحجاجُ إلى عتَّاب بنِ ورقاءِ الرِّياحِيّ ، من بنِي رِيَّاحِ بنِ يربوعِ بنِ حَنْظَلَةَ ، وهو وَالِي أُصْبَهَانَ^(٢) : يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْمَهْلَبِ وَأَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ جُنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِحْنَفٍ ، فَكُلُّ بَلَدٍ تَدْخُلَانِهِ مِنْ فُتُوحِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلْمَهْلَبِ أَمِيرُ الْجَمَاعَةِ فِيهِ ، وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَلَدًا فَتَحَّهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَنْتَ أَمِيرُ الْجَمَاعَةِ [فِيهِ]^(٣) ، وَالْمَهْلَبُ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ .
فَقَدِمَ عَتَّابٌ فِي إِحْدَى جُمَادِيَيْنِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ عَلَى الْمَهْلَبِ ، وَهُوَ بِسَابُورَ ، وَهِيَ مِنْ فُتُوحِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَانَ الْمَهْلَبُ أَمِيرَ النَّاسِ ،

(١) « الجمالة » في كل نسخ الكتاب بفتح الجيم وتشديد الميم ، ويظهر أن الشيخ المرصفي لم يتجه له توجيهها ، فضبطها بكسر الجيم وتخفيف الميم ، وفسرها بالطائفة من الجمال ، وادعى أن البيت دخله الوقس وهو حذف الجزء الثاني المتحرك . ولكن في إحدى النسخ الثابتة في جزء التعليقات من طبعة أوروبية (ص ١٩٩) زيادة فيها بعض يياض في الأصل ونصها : « قال أبو العباس : يقال جمالة لأصحاب الجمال ، كما يقال بمالة لأصحاب البغال ... أن يكون عني أن هذه الرُّكْب الحديد تُوَمَّرُ ... كتابير الكدِّ في مناكب الجمالين ، وقد ... يَصُكُّ الرَّاجِلَ بِرُكَابِهِ الْحَدِيدِ فَيُوهِنُ مَرْفَقَهُ حَتَّى يَصِيرَ كَمَنَّا كِبِ الْجَمَلِ الْأَجْرِبِ ، كَمَا قَالَ :

إِذَا شَيْتَ لِأَقَيْتِي مُسَلِمًا تَرَاحِمُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرِبِ

قال : وَالْجَمَلُ الْأَجْرِبُ يُتَوَقَّى لِجُرْبِهِ ، كَمَا يُتَوَقَّى هَذَا فِي الْحَرْبِ .
فقد ظهرت صحة السكامة وتوجيهها والمحدث .

(٢) بحاشية ما نصه : « قال أبو يعقوب : هي إِصْبَهَانَ بكسر المعزة ، إِصْبَهَ هُوَ الْعَسْكَرُ بِالْفَارْسِيَّةِ ، وَإِصْبَهَانَ الْعَسَاكِرُ » . أقول : وقد ثبت عنهم فتح المعزة وكسرها ، كما ضبطت بذلك مرارا في أصول الكامل ، هنا وفيما مضى ، وكذلك نص عليه ياقوت وغيره .
(٣) الزيادة من د و ش و ف .

وعتابُ على أصحابِ ابنِ مَخْنَفٍ ، والخوارجُ في أيديهم كِرْمَانٌ^(١) ، وهم بإزاء المهلبِ بفارسٍ يحاربونه من جميعِ النَّواحِي .

فَوَجَّهَ الحِجَابُ إلى المهلبِ رجلينِ يَسْتَحِثَّانِهِ مُنَاجَزَةَ القومِ ، أحدهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صعصعة ، والآخِرُ من آلِ أبي عَقِيلٍ جدِّ الحِجَابِ ، فَضَمَّ زيادًا إلى ابنه حَيِّبٍ ، وَضَمَّ الثَّقَفِيُّ إلى يزيدِ ابنه ، وقال لهما : خُذَا يزيدَ وحَيِّبًا بالمناجزةِ ، فَعَادُوا الخوارجَ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قتالٍ ، فُقْتِلَ زيادُ بن عبد الرحمن ، وَفُقِدَ الثَّقَفِيُّ ، ثم باكَرَ وهم في اليومِ الثاني وقد وُجِدَ الثَّقَفِيُّ ، فدَعَا به المهلبُ ودَعَا بالعداءِ ، فجعل النَّبْلُ يقع قريبًا منهم ، والثَّقَفِيُّ يَعَجَبُ من أمرِ المهلبِ ، فقال الصَّلَتَانُ العبدِيُّ :

أَلَا يَا اصْبَحَانِي قَبْلَ عَوْقِ العَوَائِقِ وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ القومِ مِثْلَ العَقَائِقِ
غَدَاةَ حَيِّبٍ فِي الحَمِيدِ يَقُودُنَا نَحْوُضُ المَنَايَا فِي ظِلَالِ الخَوَافِقِ
حَرُونَ إِذَا مَا الحَرْبُ طَارَ شَرَارُهَا وَهَاجَ تَجَاجُ الحَرْبِ قُوقِ البَوَارِقِ
فَمَنْ مُبْلِغُ الحِجَابِ أَنْ أَمِينَهُ زِيَادًا أَطَاحَتْهُ رِمَاحُ الأَزَارِقِ

قوله « وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ القومِ مِثْلَ العَقَائِقِ » يعني الشُّيُوفَ و « العَقَائِقُ » جمع عَقِيقَةٍ ، يقال سيف كأنه عَقِيقَةٌ بَرَقَ ، أي كأنه لَمَعَهُ بَرَقَ ،

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ أبو يعقوب : هي كِرْمَانُ بكسر الكاف لاغيرُ ،

ومعناها دِيدَانٌ جمع دُودٍ ، كِرْمٌ دُودٌ وكِرْمَانٌ دِيدَانٌ » . أقول : وفتحها جائز أيضا

كما ضبط مرارا في الكتاب ، وانظر المغرب للجواليقي بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية

ويقال انعق البرق إذا تبسّم ، وللعقيقة مواضع ، يقال فلان بعقيقة الصبي ،
أى بالشعر الذى ولد به لم يحلته ، ويقال عقتت الشئ أى قطعتة ، ومن ذا
فلان يعق أبو يه ، وكذا عقتت عن الصبي ، إذا ذبحت عنه ، وقال أعرابي :

ألم تعلمي يادارَ بلجاءَ أني إذا أجذبت أو كان خصبًا جنابها

أحبُّ بلادِ الله ما بين مشرفِ إلىَّ وسلَمي أن يصوبَ سحابها^(١)

بلادُها عَقَّ الشبابُ تميمي وأولُ أرضٍ مسَّ جِلدي ثرابها

فلم يزل عتابُ بنِ ورقاءَ مع المهلبِ ثمانيةَ أشهرٍ ، حتى ظهرَ شبيبُ ،
فكتبَ الحجاجُ إلى عتابٍ يأمره بالمصير^(٢) إليه ليوجهه إلى شبيب ، وكتب
إلى المهلبِ [يأمره]^(٣) بأن يرزقَ الجندَ ، فرزقَ المهلبُ أهلَ البصرة ، وأبى
أن يرزقَ أهلَ الكوفة ، فقال له عتابُ : ما أنا بيارحٍ حتى ترزقَ أهلَ
الكوفة ، فأبى ، فجرتَ بينهما غلظةٌ ، فقال عتابُ : قد كان يبلغني أنك
شجاعٌ فرأيتك جبانًا ، وكان يبلغني أنك جوادٌ فرأيتك بخيلًا ، فقال له
المهلبُ : يا ابنَ اللخناءِ ! فقال له عتابُ : لكنتك معمٌ محولٌ^(٤) !! فغضبت
بكر بنِ وائلٍ للمهلبِ للحلفِ ، ووثبَ ابنُ نعيمٍ بنِ هُبيرةَ بنِ أبي مَصقلةَ

(١) « مشرف » رمل بالدهناء . وفي ج و س و د و هـ « مشرق » .

(٢) في ج و س و ف « بالمسير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ما نصه : « ابنُ ساذان : حدثني أبو عمَرَ عن ثعلبٍ عن ابنِ الأعرابيِّ

قال : يقال رجلٌ معمٌ محولٌ ومعمٌ محولٌ : إذا كان كريمَ الأعمامِ والأخوالِ » .

على عتابٍ فشتمه ، وقد كان المهلب كارهاً للحلف ، فلما رأى نُصرة بكر بن وائل له سره الحلف واعتبط به ، ولم يزل يؤكده ، فغضبت تميم البصرة لعتاب ، وغضبت أزد الكوفة للمهلب .

[قال أبو العباس : تحالف الأزد وربيعه بعد الإسلام ، وادَّعوا أن ذلك كان قديمًا في الجاهلية ، لقول النبي عليه السلام : « لا حلف في الإسلام ، وكلُّ حلف في الجاهلية فلن يزيد الإسلام إلا شدة » . والحلف العهد والصحبة ، والحليف الصاحب . وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف في الإسلام لئلا يعين مسلم على مسلم ، فأما ما مضى فقد ثبت به جرمة لا يزيدُها الإسلام إلا شدة [١] .

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب ، فقال لعتاب : يا أبا ورقاء ! إن الأمير يصيرُ لك إلى كلِّ ما تحبُّ ، وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة ، فأجابه ، فصلح الأمر ، فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمّدون المغيرة بن المهلب ، وقال عتاب : إني لأعرف فضله على أبيه ، وقال رجل من الأزد من بني إياد بن سؤد :

ألا أبلغ بني ورقاء عنا فلولا أننا كنا غصاباً^(٢)
على الشيخ المهلب إذ جفانا للآقت خيلكم منّا ضرباً

(١) الزيادة من بعض النسخ الثابتة في جزء التعليقات (ص ٢٠٠) .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « ألا أبلغ أبا ورقاء » .



وكان المهلبُ يقولُ لبنيه : لا تَبْدَوْهُمْ بِقِتالٍ حَتَّى يَبْدَوْكُمْ فَيَبْغُوا عَلَيْكُمْ ،
فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرْتُمْ عَلَيْهِمْ .

فَشَخَّصَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى الْحِجَاجِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ، فَوَجَّهَهُ
إِلَى شَبِيبٍ ، فَقَتَلَهُ شَبِيبٌ ، وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ عَلَى حَرْبِهِمْ ، فَلَمَّا انقَضَى مِنْ مُقَامِهِ
ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ شَهْرًا اخْتَلَفُوا .

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حَدَّادًا مِنَ الْأَزَارِقَةِ كَانَ يَعْمَلُ نِصَالًا
مَسْمُومَةً ، فَيُرْمَى بِهَا أَصْحَابُ الْمَهْلَبِ ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَهْلَبِ فَقَالَ : أَنَا
أَكْفِيكُمْوَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَوَجَّهَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ بِكِتَابٍ وَأَلْفِ دِرْهَمٍ إِلَى
عَسْكَرِ قَطْرِيٍّ فَقَالَ : أَلْقِ هَذَا الْكِتَابَ فِي عَسْكَرِ قَطْرِيٍّ وَاحْذَرْ عَلَى
نَفْسِكَ ، وَكَانَ الْحَدَّادُ يَقَالُ لَهُ أَبْزَى ، فَضَى الرَّسُولُ ، وَكَانَ فِي الْكِتَابِ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ نِصَالَكَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيَّ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَاقْبِضْهَا
وَزِدْنَا مِنْ هَذِهِ النَّصَالِ . فَوَقَعَ الْكِتَابُ وَالدَّرَاهِمُ إِلَى قَطْرِيٍّ ، فَدَعَا بِأَبْزَى ،
فَقَالَ : مَا هَذَا الْكِتَابُ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، قَالَ : فَهَذِهِ الدَّرَاهِمُ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ عِلْمَهَا ،
فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، نَجَّاهُ عَبْدُ رَبِّهِ الصَّغِيرُ مَوْلى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَقَالَ لَهُ :
أَقْتَلْتِ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ وَلَا تَبَيَّنِ ؟ ! فَقَالَ لَهُ : مَا حَالُ هَذِهِ الدَّرَاهِمِ ؟ قَالَ :
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهَا كَذِبًا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا ، فَقَالَ لَهُ قَطْرِيٌّ : قَتْلُ
رَجُلٍ فِي صَلَاحِ النَّاسِ غَيْرِ مُنْكَرٍ ، وَلِلْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا رَأَاهُ صَلَاحًا ، وَليْسَ

للرعية أن تعترض عليه ، فَتَنَكَّرَ لَهُ عَبْدُ رَبِّهِ فِي جَمَاعَةٍ [معه] ^(١) ، ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلبَ فَدَسَّ إِلَيْهِ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فقال له : إِذَا رَأَيْتَ قَطْرِيًّا فَاسْجُدْ لَهُ ، فَإِذَا نَهَاكَ فَقُلْ : إِنَّمَا سَجَدْتُ لَكَ ، ففعل النصرانيُّ ، فقال له قطريُّ : إِنَّمَا السُّجُودُ لِلَّهِ ، فقال : مَا سَجَدْتُ إِلَّا لَكَ ، فقال له رجلٌ من الخوارج : قَدْ عَبْدَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَتَلَا : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْكُمْ وَنَا بَعْدُ نَسِينَا ﴾ ، فقال قطريُّ : ^(٢) ، أَنْتُمْ لَهُمَا وَارِدُونَ ﴿ ^(٣) فقال قطريُّ : إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى قَدْ عَبْدُوا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَمَا ضَرَّ ذَلِكَ عَيْسَى شَيْئًا ، فقام رجلٌ من الخوارج إلى النصرانيِّ فقتلَه ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَقْتَلْتَ ذِمِّيًّا؟! فَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُهَلَّبَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا يَسْأَلُهُمْ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَأَتَاهُمُ الرَّجُلُ فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْكُمْ ، فَاتَّأَمَّرَا فِي الطَّرِيقِ وَبَلَغَكُمُ الْآخِرُ فَاهِ تَحْتَمَوْهُ فَلَمْ يُجِزِ الْحِنَةَ ، مَا تَقُولُونَ فِيهِمَا؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمَّا الْمَيِّتُ فَمِنْ مَنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الْآخِرُ الَّذِي لَمْ يُجِزِ الْحِنَةَ فَكَافِرٌ حَتَّى يُجِيزَهَا ، وَقَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ : بَلْ هُمَا كَافِرَانِ حَتَّى يُجِيزَا الْحِنَةَ ، فَكثُرَ الْاِخْتِلَافُ .

(١) الريادة من ج و ه و ف .

(٢) بحاشية ما نصه : « قال ابن شاذان : قال أبو عبيدة : كلُّ شَيْءٍ أَلْقَيْتَهُ

فِي النَّارِ فَهُوَ حَصَبٌ لَهَا . وَيُقَالُ حَصَبْتُ النَّارَ أَحْصَبْتُهَا حَصْبًا إِذَا أَلْقَيْتَ فِيهَا

حَطْبًا » .

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٨



فخرج قطريُّ إلى حدودِ إصطخرَ ، فأقام شهراً والقومُ في اختلافهم ،
ثم أقبلَ ، فقال لهم صالح بن مخرقٍ : يا قوم ! إنكم قد أقررتُم أعينَ عدوِّكم
وأطعمتوهم فيكم ، لما ظهرَ من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب
 واجتماعِ الكلمة .

وخرج عمرُو القنأ فنادى : يا أيها المُحلون ! هل لكم في الطرادِ فقد
طال العهدُ به ؟ ثم قال :

ألم ترَ أنا مُدُّ ثلاثون ليلةً قريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ
فتهايِّجَ القومُ وأسرعَ بعضهم إلى بعضٍ ، فأبلى يومئذ المغيرةُ بن المهلبِ ،
وصار في وسطِ الأزارقة ، فجعلتِ الرِّماحُ تُحطُّه وتزفُّه ، واغتورتُ رأسه
السيوفُ ، وعليه ساعدُ حديدٍ ، فوضع يده على رأسه ، فجعلتِ السيوفُ
لا تعملُ فيه شيئاً ، واستنقذه فرسانٌ من الأزديِّ بعد أن صرَّعَ ، وكان الذي
صرَّعه عبيدةُ بن هلالٍ ، وهو يقولُ :

أنا ابنُ خيرٍ قومه هلالٌ شيخُ عليِّ دينِ أبي بلالٍ

* وذلك ديني آخرَ الليالي *

فقال رجلٌ للمغيرة : كُنَّا نعجبُ كيف تُصرِّعُ ، والآنَ نعجبُ كيف

تنجو ! !

وقال المهلبُ لبنيهِ : إنَّ سرَّ حَكَمِ لغارٍ ، ولستُ آمنهم عليه ، أفوَ كلِّتمْ
به أحداً ؟ قالوا : لا ، فلم يستتمَّ الكلامَ حتى أتاه آتٍ فقال : إنَّ صالح بن مخرقٍ

قد أغارَ على السَّرْحِ ، فَشَقَّ ذلكَ على المهلَّبِ ، وقال : كلُّ أمرٍ لآلِيهِ بنفسِي فهو ضائعٌ ، وتذمَّرَ عليهم ، فقال له بِشْرُ بنِ المغيرة : أَرِحْ نَفْسَكَ ، فإن كنتَ إنما تريدُ مثلكَ فوالله لا يعْدِلُ أحدُنَا شِسْعَ نَعْلِكَ ، فقال : خذُوا عليهم الطريقَ ، فثارَ بِشْرُ بنِ المغيرة ومُدْرِكُ والمفضَّلُ ابنا المهلَّبِ ، فسبَقَ بِشْرُ إلى الطريقِ ، فإذا رجلٌ أسودٌ من الأزارقة يشلُّ السَّرْحَ^(١) ، أى يطرُدُهُ ، وهو يقولُ :

نحنُ قَعْنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وقد نَسَكْنَا القَرَحَ بعدَ القَرَحِ^(٢)
 « الشَّلُّ » الطَّرْدُ . ويقالُ « نَكَأْتُ القَرَحَةَ » مهموزٌ ، و « نَكَيْتُ العَدُوَّ » غيرُ مهموزٍ مِنَ النِّكَايَةِ ، و « نَكَأْتُ القَرَحَةَ نَكْأً » قال ابنُ هرْمَةَ :

ولا أراها تزالُ ظالمةً تُحَدِّثُ لِي قَرَحَةً وتَنسِكُوها

(١) بحاشية ما نصه : « المهلَّبِيُّ : السَّرْحُ المالُ الذي يُسَامُ في المرعى من الأنعامِ ، يقالُ سَرَحَ القومُ إبلَهُمْ سَرَحًا ، وسَرَحَتِ الإبلُ سَرَحًا ، والمَسْرَحُ مرعى السَّرْحِ ، ولا يُسمَّى من المالِ سَرَحًا إلا ما يغدَا به ويراحُ ، والجمعُ السَّرُوحُ ، والسَّارِحُ يكونُ اسمًا للرَّاعِي الذي يسرَحُ الإبلَ ، ويكونُ السَّارِحُ اسمًا للقومِ الذين لهم السَّرْحُ » .

(٢) بحاشية ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : تقولُ قَمَعْتُ فلانًا فانقَمَعَ ، أى دَلَلْتَهُ فَذَلَّ واختَبَأَ فَرَقًا . وقال مؤرِّجٌ : قَمَعْتُ الرجلَ أقمَعُهُ قَمْعًا إذا ضربتَ رأسَهُ » .

وَلِحَقِّهِ الْمَفْضَلُ وَمُدْرِكُهُ ، فَصَاحًا بِرَجُلٍ مِنْ طَيْبٍ * : اَكْفِنَا الْأَسْوَدَ ،
فَاعْتَوَرَهُ^(١) الطَّائِيُّ وَبِشْرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فَقَتَلَاهُ ، وَأَسْرَا رَجُلًا مِنَ الْأَزَارِقَةِ ، فَقَالَ
لَهُ الْمَهْلَبُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ ، قَالَ : إِنَّكَ لَشَيْنٌ هَمْدَانٌ ،
وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

[قَالَ]^(٢) : وَكَانَ عِيَّاشُ السَّكِنْدِيُّ شُجَاعًا بَيْئَسًا^(٣) . فَأَبْلَى يَوْمَئِذٍ ،
ثُمَّ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقَالَ الْمَهْلَبُ : لَا وَأَلَّتْ نَفْسُ الْجَبَانِ بَعْدَ
عِيَّاشٍ^(٤) .

وَقَالَ الْمَهْلَبُ : مَا رَأَيْتُ كَهَوْلًا كَلَّمَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ يَزِيدُ فِيهِمْ .

وَوَجَّهَ الْحِجَابُ إِلَى الْمَهْلَبِ رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ كَلْبٍ ، وَالْآخَرُ مِنْ
سُلَيْمٍ ، يَسْتَحِثَّانِهِ بِالْقِتَالِ ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ مَتَمَثَلًا :

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْ زَبَنْتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرَمْ
الشُّعْرُ لِأَوْسِ بْنِ حَجْرٍ .

وَقَوْلُهُ « زَبَنْتُهُ » يَقُولُ : دَفَعْتُهُ . وَ « لَمْ يَتَرَمَّرَمْ » أَي لَمْ يَتَحَرَّكَ ،
يُقَالُ : قِيلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا فَمَا تَرَمَّرَمْ .

(١) بِمَاشِيَةِ مَا نَصَهُ : « ابْنُ شَادَانَ : يَقَالُ تَعَاوَرَ الْقَوْمُ فَلَانَا وَاعْتَوَرُوهُ ضَرْبًا ،
أَي كَلَّمَا كَفَّ وَاحِدٌ ضَرْبَهُ آخَرَ . وَالتَّعَاوَرُ التَّدَاوُلُ » .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ ف .

(٣) بِمَاشِيَةِ مَا نَصَهُ : « قَالَ ابْنُ شَادَانَ : بَوَّسَ الرَّجُلُ يَبْبُؤُسُ بَأْسًا فَهُوَ بَيْئَسٌ ،
إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ » .

(٤) أَي لَانَجَتْ ، وَمِنْهُ الْمَالُ وَالْمَوْئِلُ ، أَي الْمَلْجَأُ وَالْمُنْجَا .

وقال ليزيد: حرّ كهّم، فحرّ كهّم قتهايحوا، وذلك في قرية من قرى
إصطخر، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه،
فشكّ فخذهُ بالسرج، فقال المهلبُ للسلمي والكلمي: كيف تُقاتل قوماً
هذا طعنهم؟

وحمل يزيدُ عليهم وقد جاء الرُفادُ، وهو من فرسان المهلب وهو أحدُ
بنى مالك بن ربيعة، على فرسٍ له أذهم، وبه نيّفٌ وعشرون جراحةً، وقد
وضِعَ عليها القطن، فلما حمل يزيدُ وليّ الجمعُ وحمّاهم فرسان، فقال يزيدُ
لقيس الحُشنيّ مولى العتيك: مَنْ لهذين؟ قال: أنا، فحمل عليهما، فطعَفَ
عليه أحدهما، فطعنه قيسُ الحُشنيّ فصرعه، وحمل عليه الآخرُ فماتته، فسقطا
جميعاً إلى الأرض، فصاح قيسُ الحُشنيّ، اقتلونا جميعاً، فحملت خيلُ هؤلاء
وخيلُ هؤلاء، فجزوا بينهما، فإذا مُعانتُهُ امرأة! فقام قيسُ مُستحياً، فقال له
يزيدُ: أما أنت فبارزتها على أنها رجل، فقال: رأيت لو قُتلتُ أما كان
يُقالُ قتلتهُ امرأة؟!

وأبلى يومئذ ابنُ المنجبِ السدوسيّ، فقال له غلامٌ له يقال له خلاجُ:
والله لو ددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مُستقرهم فأسئلب مما
هناك جارتين، فقال له مولاة: وكيف تمّنت اثنتين؟ قال: لأعطيك
إحداها وأخذ الأخرى! فقال ابنُ المنجبِ:

أخلاجُ إنك لن تُعانقَ طفلةً شرقاً بها الجادى كالتّمثالِ
حتى تُلاقى في الكتّيبِ معلماً عمرو القنا وعبيدة بن هلالِ

وَتَرَى الْمُقَمَّرَ فِي الْكُتَيْبَةِ مُقَدِّمًا فِي عُصْبَةٍ قَسَطُوا مَعَ الضَّلَالِ
أَوْ أَنْ يَعْلَمَكَ الْمَهْلَبُ غَزْوَةً وَتَرَى جِبَالًا قَدْ دَنَتْ لَجِبَالِ

قوله « طفلة » يقول ناعمة ، وإذا كسرت الطاء فقلت « طفلة » فهي الصغيرة . و « الجادى » الزعفران . و « الكتيبة » الجيش ، وإنما سُمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم إلى بعض ، وبهذا سُمي الكتاب ، ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة إذا خرزت ذلك الموضع منها^(١) وكتبت القرية . و « المعلم » الذى قد شهر نفسه بعلامة ، إما بعمامة صبيغ ، وإما بمشهرة ، وإما بغير ذلك . وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه معلما يوم بدر بريشة ناعمة في صدره ، وكان أبو دجانة ، وهو سيمك بن خرشة الأنصارى ، يوم أُحُد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَأْخُذْ سِيفِي هَذَا بِحَقِّهِ ؟ » قالوا : وما حقه يارسول الله ؟ قال : أَنْ يُضْرَبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى يَنْجِي ، فقال أبو دجانة : أنا ، فدفعه إليه ، فلبس مشهرة فأعلم بها ، وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غايه ، ففعل ، وخرج يمشى بين الصَّفَيْنِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها لمشيته يُبَغِّضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ . وَيُرْوَى « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ وَرَمَى إِلَيْهَا

(١) أى يجمع بين شفرها بسر لثلا ينزو الفعل عليها . فهذا تفسير لقولهم « كتبت البغلة والناقة » . وأما قوله بعد « وكتبت القرية » فانه لم يذكر تفسيره لظهوره . وهذا هو الثابت في جميع أصول الكتاب ، ولكن طبعات مصر قدمت قوله « وكتبت القرية » قبل قوله « إذا خرزت » الخ وهو مخالف لسلك النسخ المخطوطة .

بسيّفه فقال : هالكٌ حميداً فأغسلي عنه الدّم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقته معك سيماك بن خرشة وسهل
بن حنيف^(١) والحارث بن الصّمة^(٢) وفي بعض الحديث «وقيس بن الرّبيع»
وكلُّ هؤلاء من الأنصار .



عاد الحديث إلى ذكر الخوارج

وعمرُو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال
من بني يشكر بن بكر بن وائل ، والذي طعن صاحب المهلب في خذه
فشكها مع السرج من بني تميم ، قال : ولا أذرى أعمرُو هو أم غيره ،
والمقطر من عبد القيس .

وقوله «قسطوا» أي جأروا ، يقال قسط يقسط فهو قاسط ، إذا
جار ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾^(٢) .
ويقال أقسط يقسط فهو مقسط ، إذا عدل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٣) .

(١) هنا في ه زيادة نصها : «وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بآبَعَهُ :
أبأيك يا رسول الله على أن لا أخر إلا قائماً . قوله على أن لا أخر إلا قائماً
يعنى أن لا أموت إلا مسلماً ، ومنه قول الله عز وجل : فلما خر تبينت الجن»

(٢) سورة الجن آية ١٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٢ وسورة الحجرات آية ٩ وسورة المنتحة آية ٨

وكان بدر بن الهذيل شجاعاً ، وكان لحانةً ، فكان إذا أحس بالخوارج نادى : يا خييل^(١) الله اركبي ! وله يقول القائل :

وإذا طلبت إلى المهلب حاجةً عرّضت توابع دونه وعبيد
العبد كرددوس وعبد مثله وعلاج باب الأحرين شديد
« كرددوس » رجل من الأزد ، وكان حاجب المهلب . وقوله « وعلاج
باب الأحرين شديد » العرب تسمى العجم الحراء ، وقد مرّ تفسير ذا . وقوله
« توابع » أراد به الرجال ، فجاز في الشعر ، وإنما رده إلى أصله للضرورة ،
وما كان من النعوت على « فاعل » فجمعه « فاعلون » لئلا يلتبس بجمع
« فاعلة » التي هي نعت ، وقد قلنا في هذا ولم قالوا « فوارس » و « هالك
في الهوالك » .

وكان بشر بن المغيرة أبلي يومئذ بلاء حسناً عرف مكانه فيه ، وكانت
بينه وبين بني المهلب جفوة ، فقال لهم : يا بني عم^(٢) ! إني قد قصرت عن
شكاة العاتب^(٣) ، وجاوزت شكاة المستعيب ، حتى كأني لا موصول
ولا محروم ، فاجعلوا لي فرجة أعش بها ، وهبوني أمراً رجوتم نصره
أو خفتم لسانه . فرجعوا له ووصلوه ، وكموا فيه المهلب فوصله .

(١) بكسر اللام ، كما ضبط في الأصول ، وهذا هو الشاهد على لحنه ، فان الصواب فتحها .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « يا بني عمي » .

(٣) هنا بمحاشية ما نصه : « المهلب : الشكاة والشكاية واحد ، قال أبو ذؤيب

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها *

يقال شكوته أشكوه شكواً وشكايةً وشكاةً .

وَوَلَّى الْحِجَابُ كَرْدَمًا فَارِسًا ، فَوَجَّهَهُ الْحِجَابُ إِلَيْهَا وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ .

وَلَوْ رَأَاهَا كَرْدَمٌ لَكَرْدَمًا كَرْدَمَةَ الْعَيْرِ أَحْسَنَ الضَّيْنَعَمَا
« الضَّيْنَعُمُ » الْأَسَدُ . وَ« السَّكْرَدَمَةُ » النَّفُورُ .



فَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحِجَابِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَتَجَانَّفَ لَهُ مِنْ إِصْطَخَرَ وَدَرَابِ جَرَدَ
لَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، فَفَعَلَ ، وَ [قَدْ] ^(١) كَانَ قَطْرِيٌّ هَدَمَ مَدِينَةَ إِصْطَخَرَ ،
لَأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا يَكْتَابُونَ الْمُهَلَّبَ بِأَخْبَارِهِ ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ فَسَا ،
فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ آزَادُ مَرْدُ بْنُ الْمُهْرَبِ بِذِمَّةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَهْدِمَهَا ، فَوَاقِعَهُ
الْمُهَلَّبُ فَهَزَمَهُ ، وَنَفَاهُ إِلَى كِرْمَانَ وَاتَّبَعَهُ ابْنَةُ الْمُغِيرَةَ ، وَقَدْ كَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ سَيْفًا
وَجَّهَهُ بِهِ الْحِجَابُ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَلَّدَهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى الْمُغِيرَةَ بَعْدَ
مَا تَقَلَّدَ بِهِ ، فَرَجَعَ بِهِ الْمُغِيرَةَ إِلَيْهِ وَقَدْ دَمَاهُ ، فَسَمَرَ الْمُهَلَّبُ بِذَلِكَ وَقَالَ : مَا يَسُرُّنِي
أَنْ أَكُونَ كَنْتُ [قَدْ] ^(٢) دَفَعْتُهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ وَلَدِي ، أَكْفِي جَبَايَةَ خِرَاجِ
هَاتَيْنِ السُّكُورَتَيْنِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الرَّقَادَ ، فَجَعَلَ يَجْبِيَانِ وَلَا يُعْطِيَانِ الْجُنْدَ
شَيْئًا ، فَنِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ يَوْسُفَ مَا نَلَّاقِي مِنْ الْأَفَاتِ وَالسُّكْرَبِ الشَّدَادِ
لِفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْنَا وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جُزَيْتَ خَيْرًا أَرِحْنَا مِنْ مُغِيرَةَ وَالرَّقَادِ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) الزيادة من س و ف .

فما رَزَقَا الجنودَ بها قَفِيْزًا وقد سَاسَتِ مَطَامِيرُ الحَصَادِ
يقال « سَاسَ الطَعَامُ وَأَسَاسَ » إذا وقع فيه الشُّوس ، و « دَادَ وَأَدَادَ » من
الدُّودِ ، ورَوَى أبو زيدٍ « دِيدَ فهو مَدُوذٌ » في هذا المعنى .

فخار بهم المهلبُ بالسَّيرِ جَانٍ حتى نفاهم عنها إلى جِيرِ فُتَ ، واتبَعهم فنزل
قريباً منهم ، واختلفت كلماتهم .

وكان سببُ ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكريَّ اتهمَ بامرأة رجلٍ
حدادٍ^(١) رأوه مراراً يدخل منزله بغير إذنٍ ، فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فذكروا ذلك له ،
فقال لهم : إن عبيدة من الدِّينِ بحيثُ علمتم ، ومن الجهادِ بحيثُ رأيتم ،
فقالوا : إنا لا نُقَارُهُ^(٢) على الفاحشة ، فقال : انصروا ، ثم بَعَثَ إلى عبيدة
فأخبره وقال : إنا لا نُقَارُ على الفاحشة ، فقال : بهتوني يا أمير المؤمنين ! فما
تَرَى ؟ قال : إني جامعٌ بينك وبينهم ، فلا تَخْضَعُ خُضُوعَ المَذِيبِ ، ولا
تَتَطَاوَلُ تَطَاوُلَ البَرِيءِ ، فَجَمَعَ بينهم فتكلموا ، فقام عبيدةُ فقال : بسم الله
الرحمن الرحيم * **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ^(٣)**

(١) في ج و س و د و ه و ف « نجار » .

(٢) بحاشية امانه : « ابن ساذان : يقال فلان قارئ أي ساكن ، وما يتقارن في مكانه .

وفي الحديث : قَارُوا الصلاة ، ومعناه السكون » .

(٣) « تحسبوه » ضبطت في أصول الكتاب بكسر السين ، وقراءة ابن عامر وعاصم وحجة
وأبي جعفر بفتحها ، وقرا باقي الأربعة عشر بالكسر . وانظر إتحاف فضلاء البشر

(س ٣٢٣) . وفي اللسان « وَحَسِبَ الشَّيْءُ كَانَتْهُ يَحْسِبُهُ وَيَحْسَبُهُ ، والكسر

أجود اللغتين ، حِسَابًا وَحَسْبَةً وَحَسْبَةً : ظَنَّهُ ، وَحَسْبَةٌ مصدر نادر » .

شَرًّا لَكُمْ ، بل هو خَيْرٌ لَكُمْ ﴿١﴾ فَبَكَوْا وَقَامُوا إِلَيْهِ فَاغْتَسَقُوهُ ،
 وقالوا : اسْتَغْفِرْ لَنَا ، ففَعَلَ ، فقال لهم عبدُ رَبِّهِ الصَّغِيرُ مَوْلَى بَنِي قَيْسِ بْنِ
 ثَعْلَبَةَ : وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَعَكُمْ ! فَبَايَعَ عَبْدَ رَبِّهِ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ لَمْ يُظْهِرُوا وَلَمْ
 يَجِدُوا عَلَى عِبِيدَةٍ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ ثَبْتًا .

❖

وكان قَطْرِيٌّ قد استعمل رجلاً من الدَّهَاقِينِ فظَهَرَتْ لَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ،
 فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فَقَالُوا : إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ يُقَارِئُكُمْ لَهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا ،
 فَقَالَ قَطْرِيٌّ : إِنِّي اسْتَعْمَلْتُهُ وَلَهُ ضِيَاعٌ وَتِجَارَاتٌ ، فَأَوْغَرَ ذَلِكَ صَدُورَهُمْ ،
 وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُهَلَّبَ ، فَقَالَ : إِنَّ اخْتِلَافَهُمْ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنِّي .

وقالوا لقطري : ألا تخرج بنا إلى عدونا ؟ فقال : لا ، ثم خرج ، فقالوا :
 قد كذبَ وارتدَّ ! فاتبعوه يوماً فأحسَّ بالشرِّ ، فدخل داراً مع جماعة من
 أصحابه ، فصاحوا به : يا دابةُ اخرجِ إلينا !! نخرج إليهم ، فقال : رَجَعْتُمْ
 بَعْدِي كَفَّارًا ؟! فقالوا : أَوَلَسْتَ دَابَّةٌ ؟ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٢) ولكنك قد كفرتَ بقولك أننا قد رجعنا
 كفارًا ، فتبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ ، فشاور عبيدةً ، فقال : إن ثبتَ لم يقبلوا
 منك ، ولكن قل : إنما استفهمتُ فقلتُ أرجعتم بعدى كفارًا ، فقال
 ذلك لهم ، فقبلوه منه ، فرجع إلى منزله ، وعزمَ أن يبأسَ الْمُقَطَّرَ الْعَبْدِيَّ ،
 ففكره القومُ وأبوهُ فقال له صالح بن خِرَاقٍ عنه وعن القوم : ابغ لنا

(١) سورة النور الآيات ١١ فما بعدها .

(٢) سورة هود آية ٦

غيرَ الْمُقْعَطَرِ ، فقال [لهم] ^(١) قطريُّ : أرى طولَ العهدِ قد غَيَّرَ كُمْ ، وأتمَّ
بِصَدَدِ عَدُوِّكُمْ ، فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، واستَعِدُّوا لِلِقَاءِ الْقَوْمِ ،
فقال له صالح بن خِرَاقٍ : إِنَّ النَّاسَ قَبْلَنَا [قد] ^(٢) سَامُوا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَنْ
يَعْزِلَ عَنْهُمْ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِي فَفَعَلَ ، ويجب على الإمام أن يُعْفِيَ الرعيَّةَ ممَّا
كَرِهَتْ ، فأبى قطريُّ أن يعزله ، فقال له القومُ : إنا خلعتناك وولينا عبدَ رَبِّهِ
الصغيرِ ، فانفصل إلى عبدِ ربه أكثرُ من الشَّطْرِ ، وجُلُّهُمُ الموالى والعَجَمُ ،
وكان هناك منهم ثمانية آلافٍ ، وهم القراءُ ، ثم ندم صالحُ بنُ خِرَاقٍ فقال
لقطريِّ : هذه نَفْحَةٌ من نفحاتِ الشيطانِ ، فأعفنا من المُقْعَطَرِ وسِرَّ بنا إلى
عدوك ، فأبى قطريُّ إلا المُقْعَطَرِ ، فَحَمَلَ قَتَى من العربِ على صالحِ بنِ
خِرَاقٍ فطعنه فأنفذه وأجره الرمحَ فقتله .

ومعنى « أجره الرمح » طعنه وترك الرمح فيه ، قال عنترةُ :

وآخرَ منهم أجزرتُ رمحي وفي البجليِّ مَعْبَلَةٌ وَقِيْعٌ ^(٣)

فَنَشِبَتْ الحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، قَتَاهِجُوا ، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم ،
فلما كان الغدُ اجتمعوا فاقتملوا قتالًا شديدًا ، فأجلت الحربُ عن ألقى قتيلٍ ،
فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) بحاشية ١ مانصه : « ابنُ شاذانَ : بِجَلَّةُ بطنٌ من العربِ ، وهم حلفاءُ لبني

سُلَيْمٍ . عنده « وفي البجليِّ ، بإسكان الجيم . قال : وبجيلةٌ حتى من اليمنِ ،

وبنو بجالة بطنٌ من بني ضَبَّةَ . قال الأَخْفَشُ » . ثم ضاع باقي الكلام
لتمزيق الورق في هذا الموضع .

العرب من المدينة ، وأقام عبد ربه بها ، وصار قَطْرِيَّ خَارِجًا من مدينة جِيْرُفَتْ بِإِزَائِهِمْ ، فقال له عبيدة : يا أمير المؤمنين ! إن أقت لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تُخَنِّدِكَ ، فَخَنِّدَقَ على باب المدينة ، وجعل يُناوشهم .

وارتحل المهلبُ فكان منهم على ليلة ، ورسولُ الحجاج معه يستحثه ، فقال له : أصلح اللهُ الأميرَ ، عاجلهم قبل أن يصطلحوا ، فقال المهلبُ : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دَعَهُمْ ، فإنهم سيصيرون إلى حالٍ لا يفلحون معها ، ثم دَسَّ رجلاً من أصحابه فقال : إيتِ عَسْكَرَ قَطْرِيَّ فقل : إني لم أزل أرى قَطْرِيًّا يُصِيبُ الرَّأْيَ حتى نزلَ منزله هذا ، فبانَ خَطْوُهُ ، أتقيم بين المهلبِ وعبدِ رَبِّهِ ، يغاديه هذا القتالَ ويُرَاوِحُهُ هذا؟! فَنَمَى الكلامُ إلى قَطْرِيَّ ، فقال : صَدَقَ ، تَنَحَّوْا بنا عن هذا الموضع ، فإن اتبَعْنَا المهلبُ قاتلناه ، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون ، فقال له الصلتُ بنُ مُرَّةَ : يا أمير المؤمنين ! إن كنتَ [إنما] ^(١) تريدُ اللهُ فَأَقْدِمِ على القومِ ، وإن كنتَ [إنما] ^(٢) تريدُ الدنيا فَأَعْلِمِ أصحابَكَ حتى يَسْتَأْمِنُوا ، وَأَنْشَأُ الصَّلْتُ يقولُ :

قُلْ لِلْمُحَلِّينَ أَدَّ قَرَّتْ عِيُونُكُمْ بَفُرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ
كُنَّا أَنْاسًا عَلَى دِينٍ فَغَيَّرْنَا طُولُ الْجِدَالِ وَخَلْطُ الْجِدِّ بِاللَّعِبِ ^(٣)
مَا كَانَ أَغْنَى رَجَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
إِنِّي لَأَهْوَى نَفْسِي فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَبًا

مَالِي سِيَوَى فَرَسِي وَالرَّمِيحِ مِنْ نَشْبِ

(١) الزيادة من ج و س و ه و ف .

(٢) في ج و س و د « فَمَرَّقْنَا » بدل « فغيرنا » .

ثم قال : أصبح المهلبُ يرجو مِنَّا ما كُنَّا نطمعُ فيه منه ، فارتحلَ قطريُّ ، وبلغ ذلك المهلبُ ، فقال لهُرَيْرِمْ بنِ عَدِيِّ بنِ أَبِي طَحَمَةَ المُجَاشِعِيِّ : إني لا آمنُ أن يكونَ قطريُّ كادنا بتركِ موضعه ، فاذهبُ فتمرِّفِ الخبرَ ، فضى هُرَيْرِمْ في اثني عشرَ فارسًا ، فلم يرفِ العسكرَ إلا عبدًا وعليًّا ، فسألهما عن قطريِّ وأصحابه ؟ فقالا : مَضَوْا يرتادون غيرَ هذا المنزلِ ، فرجعَ هُرَيْرِمْ إلى المهلبِ فأخبره ، فارتحلَ المهلبُ حتى نزلَ خندقَ قطريِّ ، فجعلَ يقاتلهم أحيانًا بالغداةِ ، وأحيانًا بالعشيِّ ، ففي ذلك يقولُ رجلٌ من سدوسٍ ، يقالُ له المُعْنِقُ ، وكان فارسًا :

ليتَ الحرائرَ بالعراقِ شهدنا ورأينا بالسفحِ ذى الأجبالِ
فَنَكَحْنَ أهلَ الجزءِ من فرساننا والضارِبِينَ جَاجِمَ الأبطالِ



ووجه المهلبُ يزيدُ إلى الحجاجِ يُخبرُهُ أنه قد نزلَ منزلَ قطريِّ ، وأنه مقيمٌ على عبدِ رَبِّهِ ، ويسأله أن يُوجِّهَ في أثرِ قطريِّ رجلًا جلدًا في جيشٍ ، فسرَّ ذلك الحجاجُ سرورًا أظهرَهُ ، ثم كتبَ إلى المهلبِ يستحثُّه مع عُبيدِ بنِ مَوْهَبٍ ، وفي الكتابِ :

أما بعدُ ، فإنك تترأخى عن الحربِ حتى تأتيك رُسُلِي ، فترجعَ بغيرِكَ ، وذلك أنك تُمسِكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحُ ، وتُنسى القتلَى ، ويجمَّ النَّاسُ ، ثم تلقاهم فتحتملُ منهم مثلَ ما يَحْتَمِلُونَ منك ، مِن وَحْشَةِ القتلِ ، وألمِ

الجراح ، ولو كنت تَلْقَامُ^(١) بذلك الجِدِّ لكان الداء قد حُسِمَ ، والقَرْنُ قد قُصِمَ^(٢) ، ولَعَمْرِي ما أنتَ والقومُ سَوَاءٌ ؛ لأنَّ من ورائك رجالاً وأمامك أموالاً ، وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يُدْرِكُ الوَجِيفُ بالدَّيْبِ^(٣) ، ولا الظَّفَرُ بالتَّعْذِيرِ .

فقال المهلبُ لأصحابه : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أراحكم من أقرانٍ أربعةٍ : قطريُّ بنِ الفجاءةِ ، وصالح بنِ مخراقٍ ، وعبيدة بنِ هلالٍ ، وسعدُ الطلائعِ ، وإنما بينَ أيديكم عبدُ ربِّه ، في خُشَارٍ من خُشَارِ الشَّيْطَانِ^(٤) ، تقتلونهم إن شاء الله .

فكانوا يتغادون القتالَ ويترأخون ، فتصيبهم الجراحُ ، ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجاس كانوا يتحدثون فيه ، فيضحك بعضهم إلى بعضٍ ،

(١) في ج و س و د و ه و ف « تقاتلهم » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قَصَمْتُ الشَّيْءَ أَقْصَمُهُ قَصْمًا : إذا كَسَرْتَهُ .

جَمَّ الشَّيْءُ يَجِمُّ جَمًّا بفتح الجيم : إذا كَثُرَ ، وجَمَّ الفَرَسُ جَمًّا : إذا تَرَكَ الصَّرَابَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الوَجِيفُ : ضربٌ من سَيْرِ الإبلِ ، وَجِفَ البَعِيرُ

يَجِفُ وَجِفًا وَوَجِيفًا ، وربما اسْتَعْمِلَ في الخَيْلِ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال الأَمْوِيُّ : الخُشَارُ : الرَّذِيءُ من كلِّ شَيْءٍ ،

وقال أبو زيدٍ : الخُشَارَةُ : ما بَقِيَ على المائِدَةِ وغيرها مما لا خَيْرَ فيه . يقالُ :

خَشَرْتُ أَخْشِرُ خَشْرًا : إذا تَقَيَّتَ الرَّذِيءُ منه » .

فقال عُيَيْدُ بْنُ مَوْهَبٍ لِلْمُهَلَّبِ : قَدْ بَانَ عُذْرُكَ ، وَأَنَا مُخْبِرُ الْأُمَيْرِ ، فَكُتِبَ
الْمُهَلَّبُ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ رِسَالَتَكَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَجْرًا ، وَلَمْ أُحْتَجَّ مِنْهُمْ
مَعَ الْمَشَاهِدَةِ إِلَى تَلْقِيَنِ ، ذَكَرْتَ أَنَّي أُجِئُ الْقَوْمَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ يَسْتَرِيحُ
فِيهَا الْغَالِبُ ، وَيَحْتَالُ فِيهَا الْمَغْلُوبُ ، وَذَكَرْتَ أَنَّ فِي ذَلِكَ الْجَلَامِ مَا يُنْسَى
الْقَتْلَى ، وَتَبْرَأُ مِنْهُ الْجِرَاحُ ، وَهِيَهَاتَ أَنْ يُنْسَى مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، تَأْتِي ذَلِكَ قَتْلَى
لَمْ تُجَنَّ ، وَقُرُوحٌ لَمْ تَتَقَرَّفْ^(١) ، وَنَحْنُ وَالْقَوْمُ عَلَى حَالَةٍ ، وَهُمْ يَرْتَفِبُونَ مِنَّا
حَالَاتٍ ، إِنْ طَمِعُوا حَارَبُوا ، وَإِنْ مَلُّوا وَقَفُوا ، وَإِنْ يَدْسُوا انصَرَفُوا ، وَعَلَيْنَا
أَنْ نُقَاتِلَهُمْ إِذَا قَاتَلُوا ، وَتَتَحَرَّرَ إِذَا وَقَفُوا ، وَنَطْلُبُ إِذَا هَرَبُوا ، فَإِنْ تَرَكَتَنِي
وَالرَّأْيَ كَانَ الْقَرْنُ مَقْصُومًا ، وَالِدَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ مُحْسُومًا ، وَإِنْ أَعْجَلْتَنِي لَمْ أُطْعَمْ
وَلَمْ أَعْصِ ، وَجَعَلْتُ وَجْهِي إِلَى بَابِكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ،
وَمَقْتِ النَّاسِ .



وَلَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَفْتَقِرُوا إِلَى مَنْ ذَهَبَ
عِنكُمْ مِنَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَفْتَقِرُ مَعَ الْإِسْلَامِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَالْمُسْلِمُ إِذَا صَحَّ
تَوْحِيدُهُ عَزَّ بِرَبِّهِ ، وَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْ غِلْظَةِ قَطْرِي ، وَعَجَلَةَ صَالِحِ بْنِ مَخْرَاقٍ

(١) بِمَاشِيَةِ مَا نَصَّهُ : « الْمُهَلَّبِيُّ : كُلُّ شَيْءٍ اسْتَتَرَ عِنْدَكَ فَقَدْ جُنَّ عِنْدَكَ ، وَبِهِ
سَمِّيَتْ الْجِنَّ ، وَسُمِّيَ الْقَبْرُ جَنَنًا مِنْ هَذَا ، وَالطَّفْلُ مَا دَامَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينًا ،
وَيُقَالُ : قَرَفْتُ الْقَرْحَةَ وَغَيْرَهَا أَقْرَفَهَا قَرْفًا : إِذَا نَكَأَتْهَا حَتَّى تَدْمَى » .

وَنَحْوَتِهِ ، وَاخْتِلَاطِ عَيْبِدَةَ بْنِ هِلَالٍ ، وَوَكَلِّكُمْ إِلَى بَصَائِرِكُمْ^(١) ، فَالْقَوَا
عَدُوَّكُمْ بِصَبْرٍ وَنِيَّةٍ ، وَانْتَقَلُوا عَنْ مَنْزِلِكُمْ هَذَا ، مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ قَتِيلًا مَهِيدًا ،
وَمَنْ سَلِمَ مِنَ الْقَتِيلِ فَهُوَ الْحَرَامُ .

وَقَدِمَ فِي هَذَا الْوَقْتِ عَلَى الْمُهَاجِرِ عُيَيْدُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
الثَّقَفِيُّ ، يَسْتَحِثُّهُ بِالْقِتَالِ ، وَمَعَهُ أَمِينَانِ ، فَقَالَ لَهُ : خَالَفْتَ وَصِيَّةَ الْأَمِيرِ ،
وَآثَرْتَ الْمَدَافِعَةَ وَالْمَطَاوِلَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : مَا تَرَكْتُ جُهْدًا ، فَلَمَّا كَانَ
الْعِشِيُّ خَرَجَ الْأَزَارِقَةُ وَقَدْ جَمَلُوا حُرْمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَخِيفَ مَتَاعِهِمْ لِيَنْتَقِلُوا ،
فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ : الزَّمُوا مَصَافِيكُمْ ، وَأَشْرِعُوا رِمَاحَكُمْ^(٢) ، وَدَعُوا
وَالذَّهَابَ ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْدُ : هَذَا لِعَمْرِي أَيْسَرُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : رُدُّوهُمْ
عَنْ وَجْهِهِمْ^(٣) ، وَقَالَ لِأَبْنَيْهِ : تَفَرَّقُوا فِي النَّاسِ ، وَقَالَ لِعُيَيْدِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ :
كُنْ مَعَ يَزِيدَ فَخُذْهُ بِالْحَارِبَةِ أَشَدَّ الْأَخْذِ ، وَقَالَ لِأَحَدِ الْأَمِينِينَ : كُنْ مَعَ

(١) بحاشية ما نصه : « ابنُ ساذان : يقالُ : وَكَلْتُ فُلَانًا إِلَى كَذَا وَكَذَا أَكَلَهُ
وَكَلاَّ وَوَكُولًا ، وَتَقُولُ : كَلْنِي إِلَى كَذَا وَكَذَا ، أَيْ : دَعْنِي أَقْمُ بِهِ ، وَمِنْهُ اسْتِثْقَانُ
الْوَكِيلِ . وَيُقَالُ فُلَانٌ حَسَنُ الْبَصِيرَةِ : إِذَا كَانَ مُسْتَبْصِرًا فِي دِينِهِ » .

(٢) بحاشية ١ ما نصه : « الْمُهَلَّبِيُّ : يُقَالُ أَشْرَعَ الرِّمَاحَ : إِذَا صَوَّبُوهَا لِلطَّعْنِ .
قَالَ : ابْنُ سَازَانَ : قَالَ الْخَلِيلُ : يُقَالُ أَشْرَعْنَا الرِّمَاحَ نَحْوَهُمْ إِشْرَاعًا فَهِيَ
مُشْرَعَةٌ ، وَشَرَعَتِ الرِّمَاحُ أَنْفُسُهَا فَهِيَ شَوَارِعُ ، وَلُغَةٌ أُخْرَى : شَرَعْنَاهَا
فَهِيَ مَشْرُوعَةٌ . وَحِكْيُ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ : أَشْرَعَتِ الرِّمَاحُ فَهِيَ مُشْرَعَةٌ » .

(٣) فِي س و د و ه و ف « عَنْ وَجْهِهِمْ » .

المغيرة ولا تُرخص له في النمر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى عُقرت الدوابُّ،
وضرع الفرسانُ، وقُتلت الرجالُ. فجملت الخوارجُ تقاتلُ على القَدَحِ
يؤخذ منها والسوطِ والعَلِقِ الحسيسِ أشدَّ قتالٍ، وسقط رمحٌ لرجلٍ من
مرادٍ من الخوارجِ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراحُ والقتلُ، وذلك مع
المغربِ، والمرادِيُّ يقولُ :

اللَّيْلُ لَيْلٌ فِيهِ وَيَلٌ وَيَلٌ وَسَالَ بِالْقَوْمِ الشَّرَاةِ السَّيْلُ

* إن جاز للأعداء فينا قولٌ *

فلما عظم الخطبُ فيه بعث المهلبُ إلى المغيرة : خَلَّ عن الرمح^(١) عليهم
لعنهم اللهُ^(٢)، فخلَّوا لهم عنه .

ثم مضت الخوارجُ حتى نزلوا على أربعة فراسخٍ من جبرُفتَ، ودخلها
المهلبُ، وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاعِ، وما خلفوه من رقيقٍ^(٣)،
وختم عليه هو والثقفِيُّ والأمينانِ، ثم اتبعهم، فإذا هم قد نزلوا على عينِ
لا يشرب منها إلا قوياً، يأتي الرجلُ بالدلوِّ قد شدَّها في طرفِ رمحه فيستقي
بها، وهناك قريةٌ فيها أهلها، فغاداهم القتالُ، وضمَّ الثقفِيُّ إلى يزيدَ، وأحدَ
الأمينينِ إلى المغيرةِ، واقتتلَ القومُ إلى نصفِ النهارِ، فقال المهلبُ لأبي علقمةَ

(١) في ج و س و ف « خَلَّ لهم عن الرمح » .

(٢) كذا في بعض الأصول، وفيه شيء من الإغراب، أو النذوذ . وفي ج و س و د
و ه و ف « عليهم لعنة الله » .

(٣) في ج و س و د و ه و ف « من رقيق » . وهي أجود أو أصح، لقوله
بعد : « وختم عليه » .

العبدى - وكان شجاعاً عاتياً : أمدد بخيل اليعمد^(١) ، وقُل لهم : فليعبرونا
 جأجهم ساعة ، فقال له : إن جأجهم ليست بنخار فتعار^(٢) وليست أعناقهم
 كرادى^(٣) فتنبت [قال أبو الحسن الاخنس : تقول العرب لأعناق
 النخل^(٤) : كرادى^(٥) ، وهو فارسى أعرب]^(٦) وقال حبيب بن أوس : كرى على
 القوم ، فلم يفعل ، وقال :

يقول لى الأمير بغير علمٍ تقدّم حين جدّ به المراسُ

فمالي إن أطعتك من حياةٍ ومالي غير هذا الرأسِ رأسُ

نصب « غير » لأنه استثناء مقدّم ، وقد مضى تفسيره^(٧) .

وقال لمّ بن المغيرة بن أبي صفرة : امحل ، فقال : لا ، إلا أن تروجني
 أم مالك بنت^(٨) المهلب ، ففعل ، فحمل على القوم فكشفهم ، وطعن
 فيهم ، وقال :

(١) فى د « أمدد بخيل اليعمد » . وبمحاشة ا ما نصه : « فى أخرى : أمرز
 بخيل اليعمد » .

(٢) فى ج و ف « فتعار ساعة » .

(٣) فى ج و س و د و ه و ف « كرادى » وبمحاشة ا ما نصه : « قال ابن
 شاذان : الكردُ العنقُ ، وهو فارسى معرب ، وكان أصله الكردن » .

(٤) فى ج و س و د و ه و ف « لأعناق النخل » .

(٥) فيها أيضا « كرادى » .

(٦) انظر المغرب للجوالقى بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية (ص ٢٧٩) وقد أشرنا إلى هذه
 القصة هناك .

(٧) فى ص ٤٣١ - ٤٣٣ من الجزء الثانى .

(٨) فى ا « بنت المغيرة » وعليها علامة التصحيح .

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْعَدَاةَ بِمَالٍ هَلْكَهُ الْيَوْمَ عِنْدَنَا فَيَرَانَا
نَصِلُ السَّكْرَ عِنْدَ ذَلِكَ بَطْعِنُ إِنَّ لِمَوْتِ عِنْدَنَا الْوَانَا^(١)

ثم جال الناسُ جولةً عند حَمَلَةِ حَمَلَهَا عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ ، فالتفت عند ذلك
المهلبُ إلى المغيرة فقال : ما فعل الأيمنُ الذي كان معك ؟ قال : قُتِلَ ، وكان
الثَّقَفِيُّ قد هَرَبَ ، وقال يزيد : ما فعل حُبَيْدُ بن أبي ربيعة ؟ قال : لم أرهُ منذُ
كانت الجولة ، فقال الأيمنُ الآخرُ للمغيرة : أنت قتلتَ صاحبي ، فلما
كان العشيُّ رجَعَ الثَّقَفِيُّ ، فقال رجلٌ من بني عامر بن صعصعة :

ما زلتَ يَا ثَقَفِيُّ تَحْطُبُ يَدِنَا وَتَعْمُنَا بِوَصِيَّةِ الْحِجَابِ
حتى إذا ما الموتُ أَقْبَلَ زَاخِرًا وَسَمَّا لَنَا صِرْفًا بغيرِ مِرَاجِ
وَلَيْتَ يَا ثَقَفِيُّ غيرَ مُنَاطِرٍ تَنَسَابُ بَيْنَ أَحْزَةِ وَفِجَاجِ
لستُ مقارعةً السكامةَ لَدَى الوَعَى

شُرِبَ الْمُدَامَةُ فِي إِنْاءِ زُجَاجِ
قوله « بَيْنَ أَحْزَةِ » هو جمع حَزِيرٍ ، وهو مَثْنٌ يُنْقَادُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَعْلَقُ ،
و « الْفِجَاجُ » : الطَّرْقُ ، واحدها فُجٌّ .

وقال المهلبُ للأيمن الآخرِ : ينبغي أن تتوجهَ مع ابني حَبِيبٍ فِي الْفِ
رجلٍ حتى يُبَيِّتُوا عَسَاكِرَهُمْ ، فقال : ما تريدُ أيُّها الأميرُ إلا أن تَقْتُلَنِي كما
قتلتَ صاحبي^(٢) ! قال : ذلكَ إليك ، وضحك المهلبُ ، ولم تَكُنْ للقومِ

(١) في ف زيادة نصها : « المَعْنَى : لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي النِّكَاحَ بِمَالٍ ، أَي : بِمَهْرٍ

يَرَانَا بِأَي شَيْءٍ نَشْتَرِيهِ » .

(٢) في ج و س و د و ه و ف « كَمَا فَعَلْتَ بِصَاحِبِي » .

خَنَادِقُ ، فَكَانَ كُلُّ حَذِيرٍ مِنْ صَاحِبِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الطَّعَامَ وَالْعُدَّةَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ،
وَهُمْ فِي زِهَاءٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَشْرَفَ عَلَى وَادٍ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعَهُ رَمْحٌ
مَكْسُورٌ وَقَدْ خَضَبَهُ بِالدَّمَاءِ ، وَهُوَ يُنْشِدُ :

جَزَانِي دَوَائِي ذُو الْخِمَارِ وَصَنَعِي إِذَا بَاتَ أَطْوَاءَ بَنِي الْأَصَاغِرِ
أَخَذِيهِمْ عَنْهُ لِيُعْبَقَ ذُونَهُمْ وَأَعْلَمَ غَيْرَ الظَّنِّ أَنِّي مُغَاوِرُ
كَأَنِّي وَأَبْدَانِ السَّلَاحِ عَشِيَّةً يَمُرُّ بِنَا فِي بَطْنِ فَيْحَانَ طَائِرُ
فَدَعَاهُ الْمُهَلَّبُ فَقَالَ : أَتَمِيمِي أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَحْنِظَلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : أَيْرَبُوعِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَتَعْلَمِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمِنْ آلِ
نُؤَيْرَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا مِنْ وَلَدِ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ !
أَيَكُونُ مِثْلِي فِي عَسْكَرِكَ لَا تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : عَرَفْتُكَ بِالشَّعْرِ !!

قوله : « ذُو الْخِمَارِ » يعني فرسًا ، وكان ذُو الْخِمَارِ فَرَسَ مَالِكِ
بِنِ نُؤَيْرَةَ ، قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

يَرْبُوعٌ فَخَرْتُ وَآلِ سَعْدٍ فَلَا مَجْدِي بَلَنْتُ وَلَا افْتِخَارِي
يَرْبُوعٍ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ يُوَارِي شَمْسَهُ رَهِيحَ الْغُبَارِ
عُتَيْبَةُ ، وَالْأَحْيَمُرُ ، وَابْنُ عَمْرٍو وَعَتَّابُ ، وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ (١)

(١) بِمَاشِيَةِ الْمُهَلَّبِ : « الْمُهَلَّبِيُّ : الرَّهْيَجُ : الْغُبَارُ ، بَفَتْحِ الْهَاءِ وَتَسْكِينِهَا . وَعُتَيْبَةُ
بْنُ الْحَرْثِ بْنِ شِهَابِ الْيَرْبُوعِيِّ ، وَالْأَحْيَمُرُ بْنُ أَبِي مُؤَيْبِلِ الْيَرْبُوعِيِّ ، وَابْنُ
قَيْسٍ (كِنْدَانِي الْأَصْلُ) مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الْيَرْبُوعِيِّ . وَعَتَّابُ بْنُ هَرَمِيَّةِ
الْيَرْبُوعِيِّ . وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيُّ » .

قوله : « أطواء » يقال : رجل طوي البطن ، أى منطوي ، يخبر أنه كان
يؤثر فرسه على ولده ، فيشبعه وهم جياع ، وذلك قوله :

* أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيُعْبَقَ ذُونُهُمْ *

و « الغبوق » : شرب آخر النهار ، وهذا شئ تفتخر^(١) به العرب ،
قال الأسيدي الجعفي :

لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْنَنَا مَجْفُودَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا وَلَهَا غِنَى^(٢)
تُقْفَى بِعَيْشَةِ أَهْلِهَا وَثَابَةً أَوْجُرُشَعًا نَهْدَ الْمَرَاكِلِ وَالشَّوَى^(٣)

قال : فَكَثُرُوا أَيَّامًا عَلَى غَيْرِ خَنَادِقٍ ، يتحارسون ودوابهم مُسْرَجَةٌ ،
فلم يزالوا على ذلك حتى ضُفِّفَ الفريقان ، فلما كانت الليلة التي قُتِلَ

(١) في ج و س و د و ه و ف « تَفَخَّرُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المَهْدِيُّ : الجَنَاجِنُ : عِظَامُ الصَّدْرِ التي تَبْدُو من الإنسان إذا
هُزِلَ ، واحدها جِنَجِنٌ وَجَنَجِنٌ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « رواية ابن شاذان :

* تُقْفَى بِعَيْشَةِ أَهْلِهَا وَثَابَةً * أَوْجُرُشَعٌ

قال : والجُرُشَعُ : المُنْتَفِخُ الجَنْبَيْنِ » . وبحاشيتها أيضا على الشطر الثاني مانصه :
« وَيُرْوَى :

* عَبَلُ المَحَارِمِ *

والمَرَآكِلُ والمَعْدُ : مَوْضِعُ رِجْلِ الفَارِسِ مِنَ الفَرَسِ » وفي ف مانصه :
« الجَنَاجِنُ : أَطْرَافُ ضُلُوعِ الصَّدْرِ ، واحدها جَنَجِنٌ . وَلَهَا غِنَى ، أى :
مُسْتَعْنِيَةٌ . هِيَ جُرُشَعٌ مُمْتَلِي الجَنْبَيْنِ . والمَرَآكِلُ والمَعْدُ : مَوْضِعُ رِجْلِ
الفارس من الفرس » .

فِي صَبِيحَتِهَا^(١) عَبْدُ رَبِّهِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ! إِنَّ قَطْرِيًّا
وَعَبِيدَةَ هَرَبًا طَلَبَ الْبَقَاءَ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَالْتَقُوا عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ غَلَبَكُمْ
عَلَى الْحَيَاةِ فَلَا يَغْلِبُنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَتَلَقَّوْا الرِّمَاحَ بِنُحُورِكُمْ ، وَالسُّيُوفَ
بِوُجُوهِكُمْ ، وَهَبُّوا أَنْفُسَكُمْ لِقَاءِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا يَهْبِئُ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

فَمَا أَصْبَحُوا غَادُوا الْمُهَلَّبَ فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، نُسِيَ بِهِ مَا كَانَ قَبْلَهُ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ : مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ ؟ فَبَايَعَهُ
أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ وَغَيْرِهِمْ ، فَضَرَعَ بَعْضُهُمْ ، وَقُتِلَ بَعْضٌ ، وَجُرِحَ
بَعْضٌ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامِ الْحَارِثِيُّ لِأَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ : احْمِلُوا ، فَقَالَ
الْمُهَلَّبُ : أَعْرَابِيٌّ مُجْنُونٌ ! وَكَانَ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، خَمَلَ وَحَدَهُ ، فَاخْتَرَقَ
الْقَوْمَ حَتَّى نَجِمَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ رَجَعَ ، ثُمَّ كَرَّرَ ثَانِيَةً ، فَفَعَلَ فَعَلَّتَهُ
الْأُولَى ، وَتَهَاجَرَ النَّاسُ ، فَتَرَجَّلَتِ الْخَوَارِجُ وَعَقَرُوا دَوَابَّهُمْ ، فَنَادَاهُمْ
عَمْرُو الْقَنَا ، وَلَمْ يَتَرَجَّلْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانُوا زُهَاءً أَرْبَعِمِائَةٍ :
مُوتُوا عَلَى ظُهُورِ دَوَابِّكُمْ ، وَلَا تَعْقِرُوا هَؤُلَاءِ ، فَقَالُوا : إِنَّا إِذَا كُنَّا عَلَى الدَّوَابِّ
ذَكَرْنَا الْفِرَارَ .

فَانْتَلَوْا ، وَنَادَى الْمُهَلَّبُ بِأَصْحَابِهِ : الْأَرْضَ الْأَرْضَ ، وَقَالَ لِبَنِيهِ :
تَفَرَّقُوا فِي النَّاسِ لِيَبْرُوا وَجُوهَكُمْ ، وَنَادَى الْخَوَارِجُ : أَلَا إِنَّ الْعِيَالَ لَمَنْ
غَلَبَ ، فَصَبَرَ بَنُو الْمُهَلَّبِ ، وَصَبَرَ يَزِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا
أَبْلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى مَوْطِنًا لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ صَبَرَ ،
وَمَا مَرَّ بِي يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا مُنْذُ مَارَسْتُ الْحُرُوبَ .

(١) فِي ج و س و د و ه و ف « صَبَحَتِهَا » .

وَكَسَّرَتِ الْخَوَارِجُ أَجْفَانَ سَيُوفِهَا ، وَتَجَاوَلُوا ، فَأَجَلَّتْ جَوَلْتَهُمْ عَنْ
عَبْدِ رَبِّهِ مَقْتُولًا ، فَهَرَبَ عَمْرُو الْقَنَا وَأَصْحَابُهُ ، وَاسْتَأْمَنَ قَوْمٌ ، وَأَجَلَّتِ
الْحَرْبُ عَنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ قَتِيلٍ ، وَجَرَحَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَأَمَرَ الْمَهْلَبُ
بَأَنْ يُدْفَعَ كُلُّ جَرِيحٍ إِلَى عَشِيرَتِهِ ، وَظَفَرَ بِعَسْكَرِهِمْ فَحَوَى مَا فِيهِ ،
ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى جَيْرُفَتَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّنَا إِلَى الْخَفْضِ وَالِدَّةِ ،
فَمَا كَانَ عَيْشُنَا بَعِيدِشَ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ فِي عَسْكَرِهِ لَمْ يَعْرِفَهُمْ ، فَقَالَ :
مَا أَشَدَّ عَادَةَ السَّلَاحِ ! نَاوَلُونِي دِرْعِي ، فَلَبَسَهَا ، ثُمَّ قَالَ : خُذُوا هَؤُلَاءِ ،
فَلَمَّا صِيرَ بِهِمْ إِلَيْهِ قَالَ : مَا أَتَمُّ ؟ قَالُوا : نَحْنُ قَوْمٌ جِئْنَا لِنَطْلُبَ غِرَّتَكَ
لِنَفْتُكَ بِكَ ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا .

[قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ] (١) : وَوَجَّهَ الْمَهْلَبُ كَعْبَ بْنَ مَعْدَانَ الْأَشْجَرِيَّ ،
وَمُرَّةَ بْنَ تَلِيدِ الْأَزْدِيِّ مِنْ أَزْدِ سَنْوَةَ ، فَوَفَدَا عَلَى الْحِجَابِ ، فَلَمَّا طَلَعَا عَلَيْهِ
تَقَدَّمَ كَعْبٌ فَأَنشَدَهُ :

يَا حَفْصَ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ [وَقَدْ سَهَرْتِ فَأَرْذَى نَوْمِي السَّهَرُ]
فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ : أَشَاعِرُ أَمْ خَطِيبٌ ؟ قَالَ : كِلَاهُمَا ، ثُمَّ أَنشَدَهُ الْقَصِيدَةَ (٢) ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَخْبَرَنِي عَنْ بَنِي الْمَهْلَبِ ؟ قَالَ : الْمَغِيرَةُ فَارِسُهُمْ
وَسَيْدُهُمْ ، وَكَفَى بِي زَيْدَ فَارِسًا شَجَاعًا ، وَجَوَادُهُمْ وَسَخِيهِمْ قَبِيصَةٌ ، وَلَا
يَسْتَحْيِي الشُّجَاعُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ سَمٌّ نَاقِعٌ ، وَحَبِيبٌ

(١) الزيادة من ف .

(٢) الزيادة من س و ف .

(٣) وهي قصيدة طويلة جيدة ٨٣ بيتا ، اقرأها في تاريخ الطبري (ج ٧ ص ٢٧٠ - ٢٧٣) من
طبعة المطبعة الحسينية .

موت زُعَافٌ ، ومحمدٌ لَيْثٌ غَابٌ ، وكفالك بالفضلِ نَجْدَةٌ ، قال : فكيف خَلَفَتْ جَمَاعَةَ النَّاسِ ؟ قال : خَلَفْتُهُمْ بِخَيْرٍ ، قد أدركوا ما أمَلُوا ، وأبْنُوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بَنُو المَهَلْبِ فيكم^(١) ؟ قال : كانوا حُمَاةَ السَّرْحِ نهاراً ، فإذا أَلِيلُوا ففُرسَانُ البِيَّاتِ ، قال : فأَيُّهُمْ كان أُنَجِّدُ ؟ قال : كانوا كالحلقةِ المَفْرَعَةِ ، لا يُدْرِي أين طَرَفُهَا^(٢) ، قال : فكيف كُتِمَ أُنْتُمْ وعدوكم ؟ قال : كُنَّا إِذا أَخَذنا عَفْوَنَا ، وَإِذا أَخَذُوا يَبْسِنًا مِنْهُمْ ، وَإِذا اجْتهدوا واجتهدنا طَمَعِنًا فِيهِمْ^(٣) ، فقال الحجاجُ : إنَّ العاقبةَ للمُتَّقِينَ ، كيف أفلتكم قَطَرِيٌّ ؟ قال : كِدْنَاهُ بِيَبْضِ ما كادَنَا بِهِ ، فَصَبَرْنَا مِنْهُ إلى الذِي^(٤) نُحِبُّ ، قال : فهَلَّا اتَّبَعْتُمُوهُ ؟ قال : كان الحُدُّ عِنْدنا آثَرَ مِنَ القَلِّ ، قال : فكيف كان لِكِ المَهَلْبِ وكُتِمَ لَهُ ؟ قال : كان لِنا مِنْهُ شَفَقَةٌ الوالِدِ ، وَلَهُ مِنْنا بَرٌّ الوالِدِ ، قال : فكيف اغْتَبِطُ النَّاسِ ؟ قال : فَشَأَ فِيهِمُ الأَمْنُ ، وَشَمَلَهُمُ النِّقْلُ . قال : أَكُنْتَ أَعَدَدْتَ لِي هَذا الجِوابَ ؟ قال : لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلاَّ اللهُ . قال : فقال : هَكَذا تَكُونُ وَاللهِ الرِّجالُ . المَهَلْبُ كانَ أَعْلَمَ بِكَ حَيْثُ وَجَّهَكَ .

وكان كتاب المهلب إلى الحجاج :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ السَّكْفِيِّ بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ مَا سِوَاهُ ، الَّذِي

(١) في ج و س و د و ه و ف « فيهم » .

(٢) في د و ه « طرفاها » .

(٣) في ج و س و د و ف « بلَغْنًا فِيهِمْ ءَأَمَّالِنَا بِإِدْرَاكِ الفُرْصَةِ مِنْهُمْ » وفي س و ف

« فيهم » بدل « منهم » .

(٤) في ج و س و د و ه و ف « التي » .

حکم بأن لا يَنْقَطِعَ^(١) المَزِيدُ منه حتى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ من عبادِهِ . أمَّا بعد ؛ فقد كان من أمرنا ما قد بَلَغَكَ ، وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين ، يَسُرُّنا منهم أكثرُ مما يَسُوؤُنا ، وَيَسُوؤُهُم مِمَّا أَكْثَرُ مما يَسُرُّهُمْ ؛ على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَلى أمرهم حتى ارتاعت له الفتاةُ ، ونُومَ به الرَضِيعُ ، فانهزتُ منهم الفُرْصَةَ في وقتِ إمكانها ، وأدبنتُ السَّوَادَ من السَّوَادِ ، حتى تعارفتِ الوجوهُ ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجَلَهُ ﴿ فَتَقَطَّعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

فكتب إليه الحجاج :

أمَّا بعد ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيراً ، وأراحهم من حَدِّ الجهادِ ، وكنْتَ أعلمَ بما قبَلَكَ ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا وردَ عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيهم ، ونَقْلِ الناسِ على قَدْرِ بِلَائِهِمْ ، وَفَضْلِ مَنْ رَأَيْتَ تَفْضِيلَهُ ، وإن كانت بقية من القوم بَقِيَّةً فَخَلَّانِ خِيلاً تقومُ بإزائِهِمْ ، واستعملِ على كِرْمَانَ مَنْ رَأَيْتَ ، وولِّ الخيلَ شهماً من وَلَدِكَ ، ولا تُرَخِّصْ لأحدٍ في اللِّحَاقِ بمنزله دونَ أنْ تَقْدَمَ بهم على ، وعجِّلِ القُدومَ ، إن شاء اللهُ .

قَوْلِي المهلب ابنه يزيدَ كِرْمَانَ . وقال له : يَا بَنِي ! إنك اليومَ لست كما كنتَ ، إنما لك من مالِ كِرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجاج ، ولن تُحْتَمَلَ

(١) في ج و س و د و ه و ف « الذي وَصَلَ المَزِيدَ بالشكرِ ، والنَّهْمَةَ بِالْحَمْدِ ، وَقَضَى أَلَّا يَنْقَطِعَ » الخ .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٥

إِلَّا عَلَى مَا احْتَمِلَ عَلَيْهِ أَبُوكَ ، فَأَحْسِنِ إِلَى مَنْ مَعَكَ ، وَإِنْ أَنْكَرْتَ مِنْ
إِنْسَانٍ شَيْئًا فَوَجِّهْهُ إِلَىَّ وَتَفَضَّلْ عَلَى قَوْمِكَ [إِنْ شَاءَ اللَّهُ] (١) .

وَقَدِمَ الْمَهَلَّبُ عَلَى الْحِجَابِ فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، وَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ وَبِرَّهُ ،
وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ! أَنْتُمْ عِبِيدُ الْمَهَلْبِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ
لَقَيْطُ الْإِيَادِيِّ :

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ اللَّهُ دَرَكُكُمْ رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِمًا
لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعُهُ هُمْ يَكَادُ حَشَاهُ يَقْصِمُ الضَّلَمًا
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعًا
مَا زَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمِ الرَّأْيِ لَافِحِمًا وَلَا ضَرَعًا

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، وَاللَّهِ لَسَكَأَنِّي أَسْمَعُ السَّاعَةَ
قَطْرِيًّا وَهُوَ يَقُولُ : الْمَهَلَّبُ كَمَا قَالَ لَقَيْطُ الْإِيَادِيِّ ، ثُمَّ أَنْشَدَ هَذَا الشَّعْرَ ،
فَسَرَّ الْحِجَابُ حَتَّى امْتَلَأَ سُرُورًا . قَوْلُهُ « نَفْلٌ » أَيِ اقْسِمُ بَيْنَهُمْ ، وَالنَّفْلُ :
الْعَطِيَّةُ الَّتِي تَفْضُلُ ، كَذَا كَانَ الْأَصْلُ ، وَإِنَّمَا تَفَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْغَنَائِمِ
عَلَى عِبَادِهِ ، قَالَ لَيْدٌ :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ [وَيَأْذِنُ اللَّهُ لِرَيْثٍ وَعَجَلٍ]
وَقَالَ جَلْ جَلَالَهُ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ وَيُقَالُ : نَفَلْتُكَ كَذَا
وَكَذَا أَيُّ : أَعْطَيْتُكَ ، ثُمَّ صَارَ النَّفْلُ لَازِمًا وَاجِبًا . وَقَوْلُ الْإِيَادِيِّ « رَحْبَ
الذَّرَاعِ » فَالرَّحْبُ : الْوَاسِعُ ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ ، يُرِيدُ : وَاسِعَ الصَّدْرِ ، مُتَّبِعِدِ

(١) الزيادة من س و د و ه و ف .

ما بين المنكبين والذراعين ، وليس المعنى على تباعد الخلق ، ولكن على سهولة الأمر عليه ، قال الشاعر :

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بِأَتَى لَا تَشِينُهُ وَإِنْ قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا

وكذلك قوله جل وعز : ﴿ يَجْمَعُلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾^(١) وقوله « مضطرباً » إنما هو « مُقْتَعِلٌ » من الضَّلِيعِ ، وهو الشديد ، يريد أنه قوئى على أمر الحرب ، مستقل بها . وقوله : « يكون متبعباً طوراً ومتبعباً » أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس ، واتباع فعلم ما يصلح الرئيس ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قد أئنا وإيل علينا ، أى قد أصلحنا أمور الناس ، وأصلحت أمورنا . وقوله : « على شزر مريته » فهذا مثل ، يقال شزرتُ الجبل : إذا كررت فثله بعد استحكامه راجعاً عليه ، والمريرة : الجبل . و « الضرع » : الصغير الضعيف . و « القحم » : أخرسن الشيخ ، قال العجاج :

رَأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَأَنْدَحَمًا طَالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمًا

والمقلم مثل القحم ، وهو الجاف ، ويقال للصبي مقلم : إذا كان سىء الغداء ، أو ابن هرمة ، ويقال رجل إنقحل وامرأة إنقحلة : إذا أسن حتى يبسن ، والمُسَاهِمُ الضامر ، قال الشاعر :

☆ لَمَّا رَأَيْتُنِي خَلَقًا إِنْقَحَلًا ☆

ويقال فى معنى : قَحْمٌ قَحْرٌ ، ويقال بعيرٌ قَحَارِيَّةٌ ، فى هذا المعنى .

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ و « حرجا » ضبطت فى الأصول بكسر الراء وهى قراءة نافع وأبى بكر وأبى جعفر وابن محيىسن والحسن . وقرأ باقى الأربعة عشر « حرجا » بفتح الراء ، وهما بمعنى .

وقوله « لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ » فَرَيْثٌ وَعَوَضٌ مِمَّا يُضَافُ إِلَى الْأَفْعَالِ ، وتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الْهَمُّ ، فَمَعْنَاهُ مَقْدَارُ ذَلِكَ ، وَمِمَّا يُضَافُ إِلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ الزَّمَانِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ ذَكَرَهُ : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ فَأَسْمَاءُ الزَّمَانِ كُلُّهَا تُضَافُ إِلَى الْفِعْلِ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : آتِيكَ يَوْمَ يَخْرُجُ زَيْدٌ ، وَجِئْتِكَ يَوْمَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي مَعْنَى الْمَاضِي جَازٍ أَنْ يُضَافَ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، فَتَقُولُ : جِئْتِكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاضِي فِي مَعْنَى إِذْ ، وَأَنْتَ تَقُولُ : جِئْتِكَ إِذْ زَيْدٌ أَمِيرٌ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ فِي مَعْنَى إِذَا ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : أَجِئْتُكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ ، فَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَجِئْتُكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ . فَأَمَّا الْأَفْعَالُ فِي إِذَا وَإِذْ فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ ، تَقُولُ : جِئْتِكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ ، وَأَجِئْتُكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ ، فَهَذَا وَاضِحٌ بَيِّنٌ . وَمِمَّا يُضَافُ إِلَى الْفِعْلِ « ذُو » فِي قَوْلِكَ أَفْعَلُ ذَاكَ بِذِي تَسْلِمٍ ، وَأَفْعَلَاهُ بِذِي تَسْلَمَانَ ، مَعْنَاهُ : بِالذِي يُسَلِّمُكُمْ ، وَمِنْ ذَلِكَ آيَةٌ فِي قَوْلِهِ :

بِآيَةِ تَقْدِمُونَ الْخَيْلَ شُعْتًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا

وَالنَّحْوُ يَتَّصِلُ وَيَكْتُمُ ، وَإِنَّمَا تَرَكْنَا الْإِسْتِقْصَاءَ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ اخْتِصَارٍ ^(١) * فَقَالَ الْمُهَاجِرُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا كُنَّا أَشَدَّ عَلَى عَدُونَا وَلَا أَحَدًا ، وَالكَنْزُ دَمَعُ الْحَقِّ الْبَاطِلِ ، وَقَهَرَتِ الْجَمَاعَةُ الْفِتْنَةَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ، وَكَانَ مَا كَرِهْنَاهُ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ خَيْرًا مِمَّا أَحْبَبْنَاهُ مِنَ الْعَجَلَةِ . فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ :

(١) فِي نَسْخَةِ زِيَادَةَ « وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ هَذَا فِي السِّكِّتَابِ الْمُقْتَضَبِ » .

صدقت ، اذ كُرِّىَ القومَ الذينَ أُبلُوا وصِفَ لى بَلَاءِهِمْ . فَأَمَرَ النَّاسَ
فكُتِبُوا ذلكَ للحِجَابِ ، فقالَ لهمُ المهلبُ : ما ذَخَرَ اللهُ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ من
عاجِلِ الدنيا إن شاء اللهُ . ثمَ ذَكَرَهُم للحِجَابِ على مَرَاتِبِهِمْ فى البَلَاءِ وَتَفَاضُلِهِمْ
فى العَنَاءِ ، وَقَدَّمَ بَنِيهِ المَغِيرَةَ وَيزِيدَ وَمُدْرِكَاً وَحَبِيباً وَقَبِيصَةَ وَالمُفَضَّلَ
وَعَبْدَ المَلِكِ وَمُحَمَّدَا ، وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ لو تَقَدَّمَ مَعَهُمُ أَحَدٌ فى البَلَاءِ لَقَدَّهِنَّ
عَلَيْهِمْ ، وَلَوْ لَأَنَّ أَظَاهِمَهُمْ لِأَخْرَجَهُمْ . قَالَ الحِجَابُ : صَدَقْتَ ، وَمَا أَنْتَ بِأَعْلَمَ
بِهِمْ مِنِّى وَإِنْ حَضَرْتَ وَغَبْتُ ، إِنَّهُمْ لَسُيُوفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ . ثُمَّ ذَكَرَ
مَعْنَى بَنَى المَغِيرَةَ بِنِ ابْنِ صُفْرَةَ وَالرُّقَادَ وَأَشْبَاهَهُمَا ، فَقَالَ الحِجَابُ : أَيْنَ الرُّقَادُ ؟
فَدَخَلَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَجْنَأٌ^(١) ، فَقَالَ المَهْلَبُ : هَذَا فَارِسُ العَرَبِ ، فَقَالَ
الرُّقَادُ : أَيُّهَا الأَمِيرُ ! إِنِّى كُنْتُ أَقَاتِلُ مَعَ غَيْرِ المَهْلَبِ فَكُنْتُ كَبَعْضِ النَّاسِ ،
فَلَمَّا صِرْتُ مَعَ مَنْ يُلْزِمُنِى الصَّبْرَ وَيَجْعَلُنِى إِسْوَةَ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَيَجَازِينِى على
البَلَاءِ ، صِرْتُ أَنَا وَأَصْحَابِى فُرْسَانًا ؛ فَأَمَرَ الحِجَابُ بِتَفْضِيلِ قَوْمِ عَلَى قَوْمٍ على
قَدْرِ بَلَاءِهِمْ ، وَزَادَ وَلَدًا المَهْلَبِ أَلْفِينَ ، وَفَعَلَ بِالرُّقَادِ وَجَمَاعَةِ شَبِيهَاً بِذَلِكَ .

قال يزيد بن حَبْنَاءَ مِنَ الأَزَارِقَةِ :

دَعِى اللُّومَ إِنَّ العَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا تَعَجَّلِى باللُّومِ يَا أُمَّ عاصِمِ !
فإذ عَجَلَتْ مِنْكَ المَلَامَةُ فَاسْمَعِى مَقَالَةَ مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمِ
وَلَا تَعْدُلِينَا فى الهَدِيَّةِ إِنَّمَا تَكُونُ الهَدَايَا مِنْ فُضُولِ المَغَانِمِ

(١) الأجنأ : الذى فى كاهله انحناء على صدره وليس بالأحدب .

فليس بمهدٍ مَنْ يكونُ نهارُهُ
يريدُ ثوابَ اللهِ يوماً بطعنةِ
أيدٍ وسِرِّباليِ دِلاصٍ حصينةِ
حلفتُ ربِّ الواقفينَ عشيَّةِ
لقد كان في القومِ الذين لقيتهمُ
توقدُ في أيديهمُ زاعبيَّةُ
جلاداً ويُمسِي ليلُهُ غيرَ نائمٍ
نموسٍ كشدقِ العنبريِّ بنِ سالمٍ
ومغفرها والسيفُ فوقَ الحيازِمِ^(١)
لدى عرفاتٍ حلقةً غيرَ آثمٍ
بسابورٍ شغلُهُ عن بزوزِ اللطائمِ
ومرهفةً تفرى شؤونَ الجمائمِ

قوله « مَنْ يكونُ نهارُهُ جلاداً ويُمسِي ليلُهُ غيرَ نائمٍ » يريد : يمسى هو في ليله ويكونُ هو في نهاره ، ولكنه جعل الفعلَ لليلِ والنهارِ على السَّعة ، وفي القرآن ﴿ بل مكرُّ الليلِ والنهارِ ﴾ والمعنى : بل مكرُّكم في الليل والنهار ، وقال رجل من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوصِ :

أما النهارُ ففي قيْدٍ وسلسلةِ
والليلُ في جوفٍ منحتٍ من السَّاجِ
وقال آخر :

لقد لُمْتنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرى
ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمٍ
ولو قال : « مَنْ يكونُ نهارُهُ جلاداً ويُمسِي ليلُهُ غيرَ نائمٍ » لكان جيداً ، وذلك أنه أراد : من يكون نهاره يُجالِدُ جلاداً ، كما تقول : إنما أنت سَيِّراً ، وإنما أنت ضَرْباً ، تريد : تَسِيرُ سَيِّراً ، وتضرب ضرباً ، فأضمرَ لعلمِ المخاطَبِ أنه لا يكونُ هو سَيِّراً ، ولو رَفَعَهُ على أن يَجْمَعَلَ الجِلادَ في موضع

(١) بحاشية ما نصه : « ابن شاذان : الدِّلاصُ من كل شيء البراق الأملس ، ومنه سميت الدرع دِلاصاً » .

المجالد ، على قوله : أنت سَيْرٌ ، أى أنت سائرٌ ، كما قالت الخنساء :

* فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ *

وفى القرآن ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أى غائراً ، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح . ولو قال « وَيُمْسِي لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمٍ » لجاز ، يُصَيِّرُ اسْمَهُ فى « يُمْسِي » ويجعل « لَيْلُهُ » ابتداءً ، و « غَيْرُ نَائِمٍ » خبرُهُ على السعة التى ذكرنا . وقوله « غَمُوسٍ » يريدُ واسعةً مُحِيطةً . و « العَنْبَرِيُّ بن سالمٍ » رجلٌ منهم ، كان يقال له الأَشْدَقُ . و « اللَّطَائِمُ » واحدها « لَطِيمَةٌ » وهى الإبلُ التى تَحْمِلُ البَزَّ والعِطْرَ . وقوله : « تَوَقَّدُ فى أَيْدِيهِمْ زَاعِيَّةٌ » يعنى الرِّمَاحَ ، والتَّوَقَّدُ لِلْأَسِنَّةِ ، والزَّاعِيَّةُ منسوبةٌ إلى زاعِبٍ ، وهو رجل من الحزْرِجِ كان يعملُ الرِّمَاحَ ، و « تَقْرِي » : تَقْدُ ، يقال : فَرَى : إذا قَطَعَ ، وأَفْرَى : إذا أَصْلَحَ .

وقال حَبِيبُ بن عَوْفٍ من قَوَادِ المهَلَّبِ :

أَبَا سَعِيدٍ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنُفْ على أَحَدٍ !
دَاوَيْتَ بِالْحِلْمِ أَهْلَ الْجَهْلِ فَانْقَمَعُوا وكنت كالوالدِ الحَانِي على الوَلَدِ
وقال عبيدةُ بن هلالٍ فى هَرَبِهِمْ مع قَطْرِيَّ :

ما زالتِ الأَقْدَارُ حتى قَدَفْتَنِي بقومِسَ بين الفُرَّخَانِ وَصُولِ
ويُرَوَى أَنَّ قَاضِيَّ قَطْرِيَّ وهو رجلٌ من بنى عبد القيسِ سمع قول
عبيدةُ بن هلالٍ :

عَلَا فَوْقَ عَرْشِ فَوْقَ سَبْعِ دُونِهِ سَمَا تَرَى الأَرْوَاحَ مِنْ دُونِهَا تَجْرِي

فقال له العبدى : كَفَرْتَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَنِي بِمَخْرَجٍ ، قال : نعم ، رُوحُ
المؤمنِ تَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ ، قال : صدقت . وقال يذكُرُ رجلاً منهم :

يَهْوَى وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوُ تَنْشَبَ فِي مَخَالِبِ ضَارٍ^(١)
فَتَوَى صَرِيحًا وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ إِنَّ الشَّرَاةَ قَصِيرَةٌ الْأَعْمَارِ

« تَنُوشُهُ » : تَأْخُذُهُ وَتَتَنَاوَلُهُ ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوشُ

مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أَى التَّنَاوُلُ . ومثله هذا قول حَبِيبِ الطَّائِي :

فِيمَ السَّمَاتِ إِعْلَانًا بِأَسَدٍ وَغَى أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمْ الْجَزَعُ

وقال أيضاً في شبيهه بهذا المعنى :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الْمَوْتِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسَلِّمَ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْمِطْنِ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أُعَذَّبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْأَجْنِ الْأَسِينِ
وقال أيضاً :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًّا فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ

وقال القاسمُ بن عيسى :

أَحْبَبُكَ يَا جَنَانُ فَأَنْتِ مِنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ : مَكَانَ رُوحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ^(٢)

(١) بحاشية ا مانصه : « ابن ساذان : الشِّلْوُ شِلْوُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ جِسْمُهُ بَعْدَ

بِلَاةٍ ، وَالْجَمْعُ أَشْلَاءُ . »

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابن ساذان : بَادِرَةُ الرَّجُلِ مَا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ

فَعَجَلَ بِهِ . »

لِإِقْدَامِي إِذَا مَا الْحَرْبُ جَاشَتْ وَهَابَ مُحَامَتُهَا حَرَّ الطَّعَانِ

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى :

أَكَانَ الْجَبَانُ يُرَى أَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارُ الْأَجَلُ؟

فَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلُ

رجع الحديث : وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب :

سَائِلٌ بِنَا عَمْرٍو الْقَنَا وَجُنُودَهُ وَأَبَا نَعَامَةَ سَيِّدَ الْكُفَّارِ

أَبُو نَعَامَةَ : قَطْرِي . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ حَبْنَاءَ الْخَنْظَلِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ :

إِنِّي أَمْرٌؤُ كَفَّنِي رَبِّي وَأَكْرَمَنِي عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي فِي رَعِيهَا وَخَمُّ

وَإِنَّمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا عَاشَتْ رِجَالٌ وَعَاشَتْ قَبْلَهَا أُمَّمٌ

مَا عَاقَنِي عَنْ قُفُولِ الْجُنْدِ إِذْ قَفُلُوا عَنِّي بِمَا صَنَعُوا عَجْزٌ وَلَا بَكْمٌ

وَلَوْ أَرَدْتُ قُفُولًا مَا تَجَهَّمَنِي إِذْنُ الْأَمِيرِ وَلَا الْكِتَابُ إِذْ رَقَمُوا

إِنَّ الْمُهَلَّبَ إِنْ أَشْتَقَ لِرُؤْيَيْهِ أَوْ أَمْتَدِحَهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَامُوا

أَنَّ الْأَرِيْبَ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ وَالْمُسْتَعَانَ الَّذِي تُجْلَى بِهِ الظُّلْمُ

الْقَائِلُ الْفَاعِلُ الْمِيمُونُ طَائِرُهُ أَبُو سَعِيدٍ إِذَا مَا عُدَّتِ النَّعْمُ

أَزْمَانٌ أَزْمَانٌ إِذْ نَصَّ الْحَدِيدُ بِهِمْ وَإِذْ تَمَنَّى رِجَالٌ أَنَّهُمْ هَزِمُوا

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم يبتدئه ليتصل فيه أخبار الخوارج ،

ولكن رُجِمَا اتَّصَلَ شَيْءٌ بِشَيْءٍ ، والحديث ذو شجون ، ويقترح المقترح

ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ، ويصدّه عن سنّته ، ويزيله عن

طريقه ، ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الكتاب ، فإن مرَّ

من أخبار الخوارج شيء مَرَّ كما يَمُرُّ غيرُه ، ولو نَسَقناه على ما جَرَى من ذكرهم لكان الذي يَلِي هذا خَبْرُ نَجْدَةَ وَأَبِي فُدَيْكٍ وَعُمارةِ الرَّجُلِ الطَّوِيلِ وشَيْبِ ، ولِكان يَكُونُ الكِتابُ للخوارجِ مُخْلِصًا .

بابٌ في اختصارِ الخُطْبِ والتَّحْمِيدِ والمَواظِظِ

كان الحَسَنُ يَقولُ : الحمدُ لله الذي كَلَّفَنا ما لو كَلَّفَنا غيرَه لَصِرْنَا فيه إلى مَعْصِيته ، وآجَرَنَا على ما لا بُدَّ لنا منه . يَقولُ : كَلَّفَنا الصَّبْرَ ، ولو كَلَّفَنا الجَزَعَ لم يَمِكنَّا أن نُقِيمَ عليه ، وآجَرَنَا على الصَّبْرِ ، ولا بُدَّ لنا من الرِّجوعِ إليه * وكانَ على بنِ أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه يَقولُ عندَ التَّعْزِيَةِ : عليكم بالصَّبْرِ ، فَإِنَّ بِهِ يَأْخُذُ الحَازِمُ ، وإليه يَعودُ الجَازِعُ * وقالَ لِلأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ : إنَّ صَبْرَتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنتَ مأجورٌ ، وإنَّ جَزَعَتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنتَ موزورٌ * وقالَ الخُرَيْمِيُّ :

ولو شئتُ أنْ أبكي دَمًا لبكيتُهُ عليه ، وَلَكِنْ ساحةُ الصَّبْرِ أوسعُ

وفي هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب :

وأَعَدَدْتُهُ ذُخْرًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَسَهْمُ المَنائِيا بِالذَّخائِرِ مُولِعُ

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تروجه خديجة بنت خويلد رحمته الله عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدًا حرامًا وبيتًا محجوجًا ، وجعلنا الأحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يُوازنُ به فتى

من قريش إلا رَجَحَ عليه برًّا وفضلًا وكرمًا وعقلًا ومجدًا ونبلاً، وإن كانَ في المالِ قُلٌّ^(١) فإنما المالُ ظلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجعةٌ، وله في خديجة بنتِ خُوَيْلِدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلك، وما أحببتم من الصِّدَاقِ فَعَلَى .
وهذه الخطبةُ من أقصدِ خُطَبِ الجاهلية .

ومن جميلِ محاوراتِ العربِ ما رُوِيَ لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوَةَ عن أبيه عن جده قال : أَقْحَمَتِ السَّنَةُ علينا النابغةَ الجَعْدِيَّ ، فلم يَشْعُرْ به ابنُ الزُّبَيْرِ حينَ صَلَّى الفجرَ حتى مَثَلَ بين يديه يقولُ :

حَكَيْتَ لَنَا الصِّدِّيقَ حينَ وَلَيْتَنَا وَعِثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاخَ مُؤَدِّمُ
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي العَدْلِ فَاسْتَوَوْا فَعَادَ صَبَاحًا حَالِكُ اللَّيْلِ مُظْلِمُ
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَشْقُ بِه الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلَائِ عَثَمُ
لِتَرْفَعَ مِنْهُ جَانِبًا ذَعْدَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ المُصَمَّمُ

فقال له ابنُ الزبير : هُوَنَّ عَلَيْكَ أبا لَيْلَى ! فَأَيْسَرُ سَائِلِكَ عِنْدَنَا الشَّعْرُ ،
أَمَا صِفْوَةٌ أَمْوَالِنَا فَلَيْبِنِي أَسَدٍ ، وَأَمَا عِفْوَتُهَا فَلَالَ الصِّدِّيقِ ، وَلَكَ فِي بَيْتِ
المَالِ حَقَّانٍ : حَقٌّ لَصَحْبَتِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَقٌّ بِحَقِّكَ
فِي المَسَامِينِ ، ثُمَّ أَمْرٌ لَهُ بِسَبْعِ قَلَائِصَ وَرَاحِلَةٍ رَحِيلٍ ، ثُمَّ أَمْرٌ بَأَنْ تُوقَرَ لَهُ
حَبًّا وَتَمْرًا ، فَجَعَلَ أَبُو لَيْلَى يَأْخُذُ التَّمْرَ فَيَسْتَجْمِعُ بِهِ الحَبَّ فَيَأْكُلُهُ ، فَقَالَ
له ابنُ الزبير : لَشَدَّ مَا بَلَغَ مِنْكَ الجُهْدُ يَا أبا لَيْلَى ؟! فَقَالَ النَابِغَةُ : أَمَا عَلَيَّ ذَاكَ

(١) بحاشية ما نصه : « المهلبى : القُلُّ القليل ، ومن كلامهم : له القُلُّ والذُلُّ ،
أى القلة والذلة » .

لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما اسْتَرْجَمْتُ قَرِيشٌ فَرَجَمْتُ ،
 وَسُمِّلتُ فَأَعْطتُ ، وَحَدَّثتُ فَصَدَقْتُ ، وَوَعَدتُ فَأَنْجَزتُ ، فَأَنَا وَالنَّبِيُّونَ
 عَلَى الْحَوْضِ فُرَاطٌ لِقَادِمِينَ * قوله : « أَقْحَمَتِ السَّنَةُ » يكونُ على وجهين :
 يقال : « اقْتَحَمَ » إذا دخل قاصداً ، وأكثرُ ما يقال من غير أن يُدْخَلَ ،
 وَيَكُونُ مِنَ « الْقَحْمَةِ » وهى السَّنَةُ الشديدة ، وهو أشبه الوجهين ، والآخِرُ
 حَسَنٌ . و« السَّنَةُ » الجَدْبُ ، يقال : أصابَتْهُمُ سَنَةٌ أَى جَدْبٌ ، ومن ذا قوله
 جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ أَى بِالْجَدْبِ . وقوله :
 « صَفْوَةٌ » فهى فى معنى الصَّفْوِ ، وأكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ الكَسْرُ ، والبابُ
 فى المصادر للحال الدائمة : الكَسْرُ ، كقولك : حَسَنُ الْجَلْسَةِ والرِّكْبَةِ
 والمِشْيَةِ والنِّيمَةِ ، كأنها خِلْقَةٌ . و« العِفْوَةُ » إنما هو ما عفا ، أَى ما فَضَلَ ،
 و﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ قالوا : الفضل ، وكذلك قوله جل اسمه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا
 يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ . وقوله : « عَثْمٌ » يريدُ : الموثَّقَ الخَلْقِ الشديدِ .
 و« ذَعْدَعَتْ » أَى أَذْهَبَتْ مَالَهُ وَفَرَّقَتْ حَالَهُ . وقوله : « راحلة رَحِيلٍ »
 أَى قَوِيَّةٍ عَلَى الرَّحْلَةِ مُعَوَّدَةٌ لَهَا ، ويقالُ : فَحَلُ فَحِيلٌ ، أَى مُسْتَحْكِمٌ
 فى الفِخْلَةِ ، وفى الحديث : أَنَّ ابنَ عمرَ قال لرجلٍ : اشْتَرِ لِي كَبْشًا لِأَضْحَى بِهِ
 أَمْلَحَ وَاجْعَلْهُ أَقْرَنَ فَحِيلًا . وقوله : « فَأَنَا وَالنَّبِيُّونَ عَلَى الْحَوْضِ فُرَاطٌ لِقَادِمِينَ »
 « الفارط » الذى يتقدم القومَ فيُصْلِحُ لَهُمُ الدَّلَاءَ وَالْأَرْضِيَّةَ وما أشبه ذلك
 من أمرٍ هم حتى يَرِدُوا ، ومن ذلك قولُ المسلمين فى الصلاة على الطفل : « اللهم
 اجْعَلْهُ لَنَا سَلْفًا وَفَرَطًا » وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ». وكان يقال : يَكْفِيكَ من قريش أنها أقربُ
الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسَبًا ، ومن بيتِ الله بيتًا . ويقال :
أَنَّ دَارَ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّيْ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا : رَضِيعُ الْكَعْبَةِ . وذلك
أنها كانت تَفِيءُ عَلَيْهَا الْكَعْبَةُ صَبَاحًا وَتَفِيءُ عَلَى الْكَعْبَةِ عَشِيًّا ، وَإِنْ كَانَ
الرَّجُلُ مِنْ وَلَدِ أَسَدٍ لَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَيَنْقَطِعُ شِسْعُ نَعْلِهِ فَيَرْمِي بِنَعْلِهِ فِي مَنْزِلِهِ
فَتُصَلِّحُ لَهُ ، فَإِذَا عَادَ فِي الطَّوَافِ رُمِيَ بِهَا إِلَيْهِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ :

لِهَا شِمٌّ وَزُهَيْرٌ فَضْلٌ مَكْرُمَةٌ بِحَيْثُ حَلَّتْ نُجُومُ الْكَبْشِ وَالْأَسَدِ
مُجَاوِرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ بَيْتُهُمَا مَا دُرَّتْ لَهُمْ فِي جِوَارِ الْبَيْتِ مِنْ أَحَدٍ
وَقَالَ آخَرُ :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ لَحْمَهُ وَغَثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِذَا مَا أَصَبَتْهُ مِنْ قُرَيْشٍ هَاشِمِيًّا أَصَبَتْ قَصْدَ الطَّرِيقِ
وَقَالَ حَرَبُ بْنُ أُمَيَّةَ الْأَبِيِّ مَطَرٍ الْخَضْرَمِيِّ يَدْعُوهُ إِلَى حِلْفِهِ وَنَزُولِ مَكَّةَ :
أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَالِحٍ فَتَكُنْفَكَ النَّدَامِيُّ مِنْ قُرَيْشٍ (١)
وَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَمِيشَ فِيهِمْ أَبَا مَطَرٍ هُدَيْتَ لِخَيْرِ عَيْشِ
وَتَسْكُنَ بِلَدَةً عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « فَيَكْفِيكَ النَّدَامِيُّ ». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ شَاذَانَ « فَتَكْفِيكَ النَّدَامِيُّ ». وَهِيَ تَوَافِقُ
رِوَايَةَ الْأَسَانِ ٣ : ٣٤٩ . وَفِي طَبَعَاتِ مِصْرَ : « فَتَكُنْفَكَ كَالنَّدَامِيِّ ! وَهُوَ خَطَأٌ عَجِيبٌ
مُخَالِفٌ لِأَصُولِ الْمَخْطُوطَةِ .

«صَلَّاح» اسمٌ من أسماء مكة^(١). وكانت مكةُ بلدًا لِقَاحًا، واللقاحُ: الذي ليس في سلطانِ مَلِكٍ، وكانت لا تُعزَى تعظيمًا لها، حتى كان أمرُ الفِجَارِ، وإنما سُمِّيَ الفِجَارُ لِفُجُورِهِمْ إِذْ قَاتَلُوا فِي الْحَرَمِ، وكانت قريشٌ تُعزَى الحَلِيفَ وتُكْرِمُ المَوْلى وتكادُ تُلْحِقُهُ بالصِّمِ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك، ولقريش فيه تَقَدُّمٌ.

ودخل سُديفٌ مَوْلى أبي العباسِ السَّفَّاحِ على أبي العباسِ أميرِ المؤمنينَ، وعنده سليمانُ بنُ هِشَامِ بن عبد الملك، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها، فأمَّا رأى ذلك سُديفٌ أقبلَ على أبي العباسِ وقال:

لا يَغْرَنكَ ما تَرَى من أناسٍ إنَّ تحتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السَّيْفَ وارْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى لا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوِيًّا

فأقبلَ عليه سليمانُ فقال: قتلتنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ اللهُ، وقام أبو العباسِ فدخلَ، فاذا المنديلُ قد أُلْقِيَ في عُنُقِ سليمانَ ثم جُرَّ فُقِّيلَ.

ودخل سِبْلُ بن عبد الله مولى بنى هاشمٍ على عبد الله بن عليٍّ وقد أَجْلَسَ ثمانينَ رجلاً من بنى أُمَيَّةَ على سُمُطِ الطَّعامِ، فَمَثَلَ بين يديه فقال:

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابِتَ الآسَاسِ بالبِهايلِ من بنى العَبَّاسِ
طلبوا وثرَ هاشمٍ فشقَّوْها بعد مَيْلٍ من الزمانِ ويَاسِ

(١) بحاشية ١ ما نصه: «في الأصل صلاح بالتنوين. قال المهلبى: صلاح بغير تنوين وهو اسم لمسكة، وروى صلاح بالضم. ابن شاذان: هى صلاح فى وزن حَدَّامٍ وقَطَّامٍ، اسم من أسماء مكة». وفى اللسان: أنها بالصرف وبالمتع من الصرف.

لَا تَقِيَانَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا واقطعن كلَّ رَقَلَةٍ وَأَوَاسِي
 ذُلُّهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهَا وبها منكم كَحَزِّ المَوَاسِي
 وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سَوَاسِي قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقِ وَكَرَاسِي
 أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللهُ بَدَارِ الهَوَانِ وَالِإِتْعَاسِ
 وَاذْكَرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتِيلًا بِجَانِبِ المِهْرَاسِ
 وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِحِجْرَانَ أَضْحَى ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي
 نَعَمْ شَيْبَلُ المِهْرَاسِ مَوْلَاكَ شَيْبَلُ لَوْ نَجَا مِنْ حَبَائِلِ الإِفْلَاسِ
 فَأَمَرَ بِهِمُ اللهُ فَشَدَّخُوا بِالعَمَدِ ، وَبُسِطَتْ عَلَيْهِمُ البُسُطُ ، وَجَلَسَ
 عَلَيْهَا ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ أُنِينَ بَعْضِهِمْ ، حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا ، وَقَالَ
 لِشَيْبَلٍ : لَوْلَا أَنَّكَ خَلَطْتَ كَلَامَكَ بِالمَسْئَلَةِ لِأَغْنَمْتُكَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ ،
 وَلَعَقَدْتُ لَكَ عَلَى جَمِيعِ مَوَالِي بَنِي هَاشِمٍ * قَوْلُهُ : « الأَسَاسُ » وَاحِدُهَا
 « أُسٌّ » ، وَتَقْدِيرُهَا « فُعْلٌ وَأَفْعَالٌ » وَقَدْ يُقَالُ لِلوَاحِدِ : « أُسَّاسٌ » وَجَمْعُهُ
 « أُسُوسٌ » . وَ« البُهْلُولُ » الضَّحَّاكُ . وَقَوْلُهُ : « بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَاسٍ »
 يُقَالُ : فِيكَ مَيْلٌ عَلَيْنَا ، وَفِي الحَائِطِ مَيْلٌ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُنْتَصِبٍ ^(١) . وَقَوْلُهُ :
 « واقطعن كلَّ رَقَلَةٍ » الرَقَلَةُ : النَخْلَةُ الطَّوِيلَةُ ، وَيُقَالُ إِذَا وُصِفَ الرَّجُلُ

(١) قال المرصني : « فرق بين الميل بالسكون مصدر مال فهو مائل ، وبين الميل بالتحريك مصدر مَيْلٍ كطرب فهو أميل ، فالأول فيما حدث وتجدد ، مثل ظل الشمس وجور الظالم ، والثاني فيما ثبت خلقه أو صناعة ، مثل سنام البعير وعنق الظليم والحائط وكل منتصب » .

بالطُول : كَأَنَّهُ رَقْلَةٌ . و « الأَوَاسِيُّ » يَأُوهُ مُشَدَّدَةٌ فِي الأَصْلِ ، وَتَخْفِيفُهَا بِجَوْزٍ ، وَلَوْ لَمْ يَجْزُ فِي الكَلَامِ لَجَازَ فِي الشَّعْرِ ؛ لِأَنَّ القَافِيَةَ تَقْتَضِيهِ ، وَكُلُّ مُثَقَّلٍ فَتَخْفِيفُهُ فِي القَوَافِي جَائِزٌ ، كَقَوْلِهِ :

أَصْحَوْتَ اليَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هِرْ [وَمِنَ الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعْرَبٌ]

وَوَاحِدُهَا « آسِيَّةٌ » وَهِيَ أَصْلُ البِنَاءِ بِمَنْزِلَةِ الأَسَاسِ . وَقَوْلُهُ : « وَغَاطَ سَوَائِي » تَقُولُ : مَا عِنْدِي رَجُلٌ سِوَى زَيْدٍ ، فَتَقْصُرُ إِذَا كَسَرْتَ أَوَّلَهُ ، فَإِذَا فَتَحْتَ أَوَّلَهُ عَلَى هَذَا المَعْنَى مَدَدْتَ ، قَالَ الأَعْمَشِيُّ :

تَجَانَفُ عَن جَوِّ الِيمَامَةِ نَاقِيٍ وَمَا قَصَدَتْ مِن أَهْلِهَا لِسَوَائِكَ
و « السَّوَاءُ » مَمْدُودٌ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ مَعَانِيهِ ؛ فَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُ ، وَ « السَّوَاءُ » الوَسَطُ ، مِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَرَّآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾ وَقَالَ حَسَّانٌ :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ المَغِيبِ فِي سَوَاءِ المَلْحَدِ

وَ « السَّوَاءُ » : العَدْلُ وَالأَسْتَوَاءُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ : عَمْرُو وَزَيْدٌ سَوَاءٌ ، وَ « السَّوَاءُ » : التَّمَامُ ، يُقَالُ : هَذَا دَرَاهِمٌ سَوَاءٌ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الأَوَّلِ ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلنَّاسِ لَيْلِينَ ﴾ مَعْنَاهُ تَمَامًا ، وَمِنْ قَرَأَ ﴿ سَوَاءٌ ﴾ فَإِنَّمَا وَضَعَهُ فِي مَوْضِعِ مُسْتَوِيَاتٍ . وَ « النَّمَارِقُ » وَاحِدُهَا نَمْرُوقَةٌ : وَهِيَ الوَسَائِدُ ، قَالَ الفَرَزْدَقُ :
وَإِنَّا لَتَجْرِي الكَأْسُ بَيْنَ شُرُوبِنَا وَبَيْنَ أَبِي قَابُوسَ فَوْقَ النَّمَارِقِ (١)

(١) « شَرُوبٌ » جَمْعُ شَارِبٍ ، كَشَاهِدٍ وَشَهْرُودٍ . وَأَبُو قَابُوسٍ هُوَ العِمَّانُ بْنُ المُنْذِرِ مَلِكُ الدَّرَبِ .

وقال نُصَيْبٌ :

إِذَا مَا بَسَاطُ اللَّهِ مُدًّا وَقُرْبَتْ لِلذَّاتِهِ انَّمَا طُهُ وَنَمَارِقُهُ

وقوله: « مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ » يعني زيد بن علي بن الحسين، كان خَرَجَ على هشام بن عبد الملك، وقتله يوسف بن عُمرَ الثَّقَفِيُّ وصلبه بالكُنَاسَةِ عُرْيَانًا هو وجماعة من أصحابه. ويروي الزُّبَيْرِيُّونَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَوْسُفَ بْنِ عُمرَ وَبَيْنَ رَجُلٍ إِحْنَةً، فكان يطلب عليه علةً، فلما ظفرَ زيد بن علي وأصحابه أَحْسَوْا بالصَّلبِ فَأَصْلَحُوا مِنْ أَيْدَانِهِمْ وَاسْتَحَدُّوا^(١)، فُصِّلُوا عُرَاةً، وأخذ يوسفُ عَدُوَّهُ ذَلِكَ فَنَحَلَهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ زَيْدٍ فَقتله وصلبه، ولم يكن استعدًّا؛ لأنه كان عند نفسه آمِنًا، وكان بالكوفة رجلٌ معتوه عَقْدُهُ التَّشْيِيعُ، فكان يجيء فيقف على زيدٍ وأصحابه فيقول: صلى الله عليك يا ابنَ رسولِ الله، فقد جاهدت في الله حقَّ جهاده، وأنكرت الجورَ ودافعت الظالمين، ثم يُقبلُ عليهم رجلاً رجلاً فيقول: وأنت يا فلان: فجزاك الله خيراً، فقد جاهدت في الله حق جهاده، وأنكرت الجورَ ونصرت ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حتى يقف على عَدُوِّ يوسف فيقول: فأما أنت يا فلان فوفورٌ عانتك يدُّ على أنك بريء مما قرِفت^(٢) به! * وقال حبيب بن جَدْرَةَ، ويقال: جُدْرَةَ، وهي السلعة، الهلالي. [قال الأَخْفَشُ: الصحيحُ عندنا « ابنُ خِدْرَةَ » بالخاء وكسرهما، وقال المبرِّدُ: لم أسمعهُ إلا « جَدْرَةَ » ويقال: « جُدْرَةَ »] وهو من الخوارج، يعني زيد بن علي:

(١) بحاشية ١: « قال المهلبى: الاستعداد: حلق الشيء بالشيء ».

(٢) قرنه بالشيء: أتهمه به.

يَا بَا حُسَيْنٍ لَوْ شَرَاةٌ عِصَابَةٌ صَبَحُوكَ كَانَ لَوِزْدِهِمْ إِصْدَارُ
يَا بَا حُسَيْنٍ وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى أَوْلَادُ دَرْزَةَ أَسْمُوكَ وَطَارُوا
تَقُولُ الْعَرَبُ لِلسَّفَلَةِ وَالسَّقَاطِ : « أَوْلَادُ دَرْزَةَ » وَتَقُولُ لِمَنْ تَسْبُهُ :
« ابْنُ فَرْتَنَّا » ، وَ « أَوْلَادُ فَرْتَنَّا » . وَتَقُولُ لِلصَّوْصِ : « بَنُو غَبْرَاءَ » ، وَفِي هَذَا
بَابٌ . وَيُرْوَى أَنَّ شَاعِرًا لِبَنِي أُمَيَّةَ قَالَ مَعَارِضًا لِلشَّيْعِ فِي تَسْمِيَتِهِمْ زَيْدًا
الْمَهْدِيَّ ، وَالشَّاعِرُ هُوَ الْأَثُورُ السَّكَلَبِيُّ :

صَابْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِدْعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرَ مَهْدِيًّا عَلَى الْجِدْعِ يُصَابُ
وَنُظِرَ بَعْدَ زُمَيْنٍ إِلَى رَأْسِ زَيْدٍ مُلْتَقَى فِي دَارِ يَوْسَفَ وَدَيْكَ يَنْقُرُهُ ،
فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الشَّيْعَةِ :

اطْرُدُوا الدِيكَ عَنْ ذُوَابَةِ زَيْدٍ طَالَ مَا كَانَ لَا تَطَاهُ الدَّجَاجُ
وَقَوْلُهُ : « وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ » يَعْنِي حَمْرَةَ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ،
وَالْمَهْرَاسُ مَاءٌ بِأَحَدٍ ، وَيُرْوَى فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَطَشَ يَوْمَ أُحُدٍ فَجَاءَهُ عَلَى فِي دَرْقَةٍ بِنَاءٍ مِنَ الْمَهْرَاسِ ، فَعَافَهُ فَفَسَّلَ بِهِ الدَّمَ
عَنْ وَجْهِهِ » وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ :

لَيْتَ أَشْيَاحِي يَبْدُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
فَسَأَلَ الْمَهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ بَعْدَ أَبْدَانِ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ
وَإِنَّمَا نَسَبَ شَيْبَلٌ قَتَلَ حَمْرَةَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ؛ لِأَنَّ أَبَا سَفِيَانَ بَنَ حَرْبٍ كَانَ
قَائِدَ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ . وَ « الْقَتِيلُ الَّذِي بِحِرَّانَ » هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ،
وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِمَامُ ، وَكَانَ يُقَالُ : ضَحَّى بَنُو حَرْبٍ بِالذَّيْنِ يَوْمَ

كَرْبَلَاءَ، وَضَخِّيٰ بَنُو صُرَّانَ بِالْمُرُوءَةِ يَوْمَ الْعَقْرِ؛ فَيَوْمُ كَرْبَلَاءَ يَوْمُ الْحُسَيْنِ
 بِنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ . وَيَوْمُ الْعَقْرِ يَوْمُ قِتْلِ زَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ
 وَأَصْحَابِهِ * وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا لِتَقَدُّمِ قَرِيشٍ فِي إِكْرَامِ مَوَالِيهَا . وَوَلَّى رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ مُوتَةَ زَيْدًا مَوْلَاهُ ، وَقَالَ : إِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ
 جَعْفَرٌ ، وَأَمْرَ رَسُولُ اللَّهِ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا قَدْ طَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ،
 وَكَانَ أَمْرُهُ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ جَلَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 « إِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ قَبْلَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ لَهَا أَهْلًا ،
 وَإِنَّ أُسَامَةَ لَهَا أَهْلٌ » . وَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَوْ كَانَ زَيْدٌ حَيًّا مَا اسْتَخْلَفَ رَسُولُ
 اللَّهِ غَيْرَهُ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِأَبِيهِ : لِمَ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ وَأَنَا وَهُوَ
 سَيِّئَانِ؟ فَقَالَ : كَانَ أَبُوهُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَبِيكَ ، وَكَانَ أَحَبَّ
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْكَ . وَأَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ
 لِتُمِيطَ عَنْ أُسَامَةَ أَذَى مِنْ مُخَاطِطٍ أَوْ لُعَابٍ ، فَكَانَهَا تَسْكُرُ هَتَّهُ ، فَتَوَلَّى
 مِنْهُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ . وَقَالَ لَهُ يَوْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ
 أُسَامَةُ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ : « لَوْ كُنْتَ جَارِيَةً لَنَحَلْنَاكَ وَحَلَيْنَاكَ حَتَّى يَرْتَغِبَ
 الرَّجَالُ فِيكَ » . وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ : « أُسَامَةُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ » .
 وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَّى إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَكَاتِبَ سَلَمَانَ ، فَكَانَ سَلَمَانُ
 مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ . وَيُرْوَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَيَدُ عُمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ
 فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ : أَخِي وَابْنُ عَمِّي

عمارة بن حمزة ، فلما ولى الرجلُ ذَكَرَ ذلك المهدى كالمأزحِ لعمارة ، فقال له عمارة : انتظرتُ أن تقول ومولاي فَأَنْقُضَ وَاللَّهِ يَدَكَ مِنْ يَدِي ، فبَسَمَ أميرُ المؤمنين المهدى . ولم يكن إلا كرامُ للعوالى فى جُفَاةِ العربِ زَعَمَ الأيُّبِيُّ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيْمَانَ وَبَيْنَ مِسْمَعِ بْنِ كَرِيْدِينَ مَنَازَعَةٌ ، وَبَيْنَ يَدَى مِسْمَعِ مَوْلَى لَهُ ، لَهُ بَهَاءٌ وَرُؤَاةٌ وَلَسَنٌ ^(١) ، فَوَجَّهَ جَعْفَرٌ إِلَى مِسْمَعِ مَوْلَى لَهُ لِيُنَازِعَهُ ، وَمَجْلِسُ مِسْمَعِ حَافِلٌ ، فَقَالَ : إِنْ أَنْصَفَنِى وَاللَّهِ جَعْفَرٌ أَنْصَفْتُهُ ، وَإِنْ حَضَرَ حَضْرَتٌ مَعَهُ ، وَإِنْ عِنْدَ عِنْدَتُ عَنْهُ ، وَإِنْ وَجَّهَ إِلَى مَوْلَى مِثْلَ هَذَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى مَوْلَى جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : مَوْلَى مِثْلَ هَذَا عَاضًا لِمَا يَكْرَهُ ، وَجَّهْتُ إِلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى مَوْلَاهُ ، فَعَجِبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ مِنْ وَضْعِهِ مَوْلَاهُ ذَلِكَ الَّذِي تَبَهَّى بِمِثْلِهِ الْعَرَبُ !! وَقَدْ قِيلَ : الرَّجُلُ لِأَيِّهِ ، وَالْمَوْلَى مِنْ مَوَالِيهِ . وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْمُعْتَقَ مِنْ فَضْلِ طِينَةِ الْمُعْتَقِ . وَيُرْوَى أَنَّ سَلْمَانَ أَخَذَ مِنْ بَيْنِ يَدَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَوَضَعَهَا فِيهِ ، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! إِنَّمَا يَحِلُّ لَكَ مِنْ هَذَا مَا يَحِلُّ لَنَا » . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ مَوَالِي بَنِي مَازِنٍ يُقَالُ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيْمَانَ ، وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ الرِّجَالِ ، نَازَعَ عَمْرَو بْنَ هَدَّابِ الْمَازِنِيَّ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ قَاطِبَةً ^(٢) ،

(١) بِحَاشِيَةٍ : « يُقَالُ : يَهَى يَهَى بَهَاءً ، وَبَهُوٌ يَبُهُو ، وَبَهِيٌّ : السَّيِّئُ ، وَبِهَاءٌ : مَا عَالَ

الْعَيْنَ حَسَنُهُ . الرَّؤَاةُ : حَسَنُ الْمَنْظَرِ فِي الْبِهَاءِ وَالْجَمَالِ ، يُقَالُ امْرَأَةٌ لَهَا رُؤَاةٌ » .

(٢) بِحَاشِيَةٍ ١ : « ابْنُ شَازَانَ : يُقَالُ جَاءَ الْقَوْمَ قَاطِبَةً ، أَيْ بِأَجْمَعِهِمْ » .

فَطَهَّرَ عَلَيْهِ الْمَوْلَىٰ حَتَّىٰ أُذِنَ لَهُ فِي هَدْمِ دَارِهِ ، فَأَدْخَلَ الْقَعْلَةَ دَارَ عَمْرٍو ، فَلَمَّا قَلَعَ مِنْ سَطْحِهِ سَافًا^(١) كَفَّ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَمْرٍو ! قَدْ أَرَيْتَكَ الْقُدْرَةَ وَسَارِيكَ الْعَفْوَ * وَقَدْ كَانَ فِي قَرِيشٍ مَنْ فِيهِ جَفْوَةٌ وَنَبْوَةٌ . كَانَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَحَدُ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ بِالْجِنَازَةِ سَأَلَ عَنْهَا ، فَإِنْ قِيلَ قَرَشِيٌّ قَالَ وَاقَوْمَاهُ ! وَإِنْ قِيلَ عَرَبِيٌّ قَالَ : وَامَادَاتَاهُ ! وَإِنْ قِيلَ مَوْلىٌّ أَوْ عَجَمِيٌّ^(٢) قَالَ : اللَّهُمَّ هُمْ عِبَادُكَ تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَنْ شِئْتَ وَتَدَعُ مَنْ شِئْتَ !! وَيُرْوَى أَنَّ نَاسِكًا مِنْ بَنِي الْهَجِيمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ كَانَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَرَبِ خَاصَّةً وَلِلْمَوَالِي عَامَةً ، فَأَمَّا الْعَجَمُ فَهُمْ عَيْبُكَ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ !! وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أُعْرَابِيًّا يَقُولُ لِآخِرٍ : أَتُرَىٰ هَذِهِ الْعَجَمَ تَنْكِيحُ نِسَاءً نَافِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : أُرَىٰ ذَلِكَ وَاللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، قَالَ : تَوَطَّأُ وَاللَّهِ رِقَابُنَا قَبْلَ ذَلِكَ !! وَهَذَا بَابٌ لَمْ نَكُنْ ابْتِدَاءً ذَكَرَهُ ، وَاسْكَنَّ الْحَدِيثَ يَجْرُ بِعَضِّهِ بَعْضًا ، وَيُحْمَلُ بِعَضِّهِ عَلَى لَفْظِ بَعْضٍ .

ثُمَّ نَعُودُ إِلَى مَا ابْتَدَأْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَهُوَ مَا نَحْتَارُهُ مِنْ مَخْتَصِرَاتِ

(١) الساف في البناء : كل صف من اللبن ، يقال : ساف من البناء وسافان وثلاثة آسف ، وأمنه واو في الأصل .

(٢) بمحاشية ١ : « يقال : رجل أعجمي وعجمي ، فمن قال أعجمي نسبه إلى الأعجم ، ومن قال عجمي نسبه إلى العجم . وقالوا العجم والعرب والعجم والعرب والأعاجم والأعرب ، وقال الخليل : العجم الذين ليسوا من العرب ، ورجل عجمي ليس بعربي ، وأما الذي لا يفصح فهو أعجم والمرأة عجماء وقوم عجم لا يفصحون ، ويقولون : هؤلاء العرب والعجم ، والعرب والعجم أحسن اللغتين » .

الخطبِ وجميلِ المواعظِ ، والزُّهدِ في الدنيا ، المتصلِ بذلك ، وبالله التوفيقُ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أننا نذكرُ فيه خطبًا ومواعظًا . فمَّا
نذكرُ من ذلك أمرُ التعازي والمراثي ؛ فإنه بابٌ جامعٌ ، وقد قيل أنه
لم يُقل في شيء قطُّ كما قيل في هذا الباب ؛ لأن الناس لا ينفكون من
المصائب ، ومن لم يشكّل أخاه شكّلَهُ أخوه ، ومن لم يعدم نقيسًا كان هو
المعدوم دون النفيس ، وحقّ الإنسان الصبرُ على النوائب ، واستشعارُ
ما صدرناه ، إذ كانت الدنيا دارَ فراقٍ ودارَ بوارٍ ، لا دارَ استواء . وعلى
فراقِ المألوفِ حُرقةٌ لا تدفعُ ، ولو عةٌ لا تُردُّ ، وإنما يتفاضل الناسُ بصحة
الفكر ، وحسن العزاء ، والرغبة في الآخرة ، وجميل الذِّكر ، فقد قال
أبو خراش الهذلي ، وهو أحدُ حكماء العرب ، يذكُر أخاه عروةَ بن مُرّة :

تقولُ أراه بعدَ عروةَ لاهيًّا وذلك رُزْمٌ لو علمتِ جليل^(١)

فلا تحسبي أنني تناسيتُ عهدَه ولكن صبري يا أميمَ جميل

وقال عمرو بن معدى كرب :

كم من أخٍ لي حازمٍ بوأته بيديَّ لحدًا^(٢)

(١) بحاشية ١ : « رواية المهلبى أراه بفتح الهمزة ، ورواية ابن شاذان أراه بضمها .

ابن شاذان : لاهيًّا لاعبًا » .

(٢) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : قال أبو عمر : الرواية بتديَّ لحدًا . وقال : تديُّ

اسم موضع » . وهذه تيدة نفيسة ، فإن هذا المكان لم يذكر في معجم البلدان ولا صفة

جزيرة العرب .

أَعْرَضْتُ عَنْ تَذْكَارِهِ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
وكان يقال : من حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ ، وَلَمْ يُوَطِّئْهَا عَلَى الْمَصَائِبِ فَعَاجِزُ
الرَّأْيِ . وَعَزَى رَجُلٌ رَجُلًا عَنْ ابْنِهِ فَقَالَ : أَمَا كَانَ يَغِيبُ عَنْكَ ؟ قَالَ :
كَانَتْ غَيْبَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حُضُورِهِ ، قَالَ : فَأَنْزَلَهُ غَائِبًا عَنْكَ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ
يَقْدَمْ عَلَيْكَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَذْكَرُ ابْنَهُ :
وَإِنِّي وَإِنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ بَأْنِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ
وَإِنْ صَبَاحًا نَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي النَّعْدَاةَ حَبِيبٌ
وكنى ' باليأسِ مُزَيًّا وَبَاتْقِطَاعِ الطَّمَعِ زَاجِرًا ، كما قال الشاعرُ :
أَيَا عَمْرُو لَمْ أَصْبِرْ وَلِي فِيكَ حِيلَةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي الْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ
تَصَبَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَمَوْجِعٌ كَمَا صَبَرَ الْعِطْشَانُ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وقال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ [قَالَ الْأَخْفَشُ : هُوَ حَبِيبُ الطَّائِي] . وَليْسَ
بِنَاقِصِهِ حَظُّهُ مِنَ الصَّوَابِ أَنَّهُ مُحَدِّثٌ ، يَقُولُهُ لِرَجُلٍ رثَاهُ :
عَجِبْتُ لِصَبْرِي بَعْدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِيهِ دَمًا وَهُوَ غَائِبٌ
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبٌ
وَحُدِّثْتُ : أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ خَطَبَ النَّاسَ
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ حَتْمًا وَاجِبًا عَلَى عِبَادِهِ ، فَسَوَى فِيهِ بَيْنَ
ضَعِيفِهِمْ وَقَوِيهِمْ ، وَرَفِيعِهِمْ وَدَنِيهِمْ ^(١) ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ . فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النَّهْيِ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ صَاحِرُونَ إِلَى قُبُورِهِمْ ، مُفْرَدُونَ

(١) بحاشية ١ : « دَنَا الرَّجُلُ يَدْنًا دَنَاةً ، وَدَنُوهُ يَدْنُوهُ فَهُوَ دَنِيٌّ : لَا خَيْرَ فِيهِ » .

بأعمالهم ، واعلموا أن لله مسألة فاحصة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَوَرَبُّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وله يقول القائل :

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذِي الصَّغِيرُ وَيُولَدُ
هَلِ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمِ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَّةِ مَوْزِدٌ^(١)

وقال رجل من قریش يرثى ابنه [قال أبو الحسن : هو العشي] :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حَنُوطُهُ رِيْدِي وَوَدَّعَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ^(٢)
كَيْفَ السُّلُوْ وَكَيْفَ صَبْرِي بَعْدَهُ؟ وَإِذَا دُعِيْتُ فَإِنَّمَا أَكْنِي بِهِ

وقال ابنُ عمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عمر :

فَإِنْ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَجْرُعُ غُصَّةٍ أَمَارًا نَجِيْعًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا^(٣)
تَجْرَعْتُهُ فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَبْتُهُ لِأَعْظَمِ مِنْهُ مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعَا

وقال أبو سعيد إسحق بن خلف يرثى ابنة أخته ، وكان تبنأها ، وكان حديثاً عليها كلفاً بها :

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : السئلة ما انسل من الشيء » .

(٢) بحاشية ١ : « الهامبي : عَبَّاتُ الطَّيْبِ عَبَّأً : إِذَا صَنَعْتَهُ وَخَلَطْتَهُ . وَعَبَّاتُ الْمَتَاعِ عَبَّأً : إِذَا هَيَّأْتَهُ ، وَعَبَّاتُهُ تَعْبِيَةٌ . قَالَ الْخَلِيلُ : الْحَنُوطُ بَفَتْحِ الْحَاءِ طَيْبٌ يَخْلُطُ لَمِيتٍ خَاصَّةً ، قَالَ : وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ ثَمُودًا لَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالْعَذَابِ تَكَلَّمُوا بِالْأَنْطَاعِ وَتَحَنَّنُوا بِالصَّبْرِ » .

(٣) بحاشية ١ : « ابن شاذان : مار يمور موراً : إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ ، وَمَارُ التُّرَابِ عَلَى الْأَرْضِ : إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ ، وَمَارُ التُّرَابِ عَلَى الْأَرْضِ : إِذَا نَسَفْتَهُ الرِّيحُ وَأَمَالَتَهُ وَأَجَالَتَهُ » .

أَمْسَتْ أُمَيْمَةٌ مَعْمُورًا بِهَا الرَّجْمُ لَقِيَ صَعِيدٌ عَلَيْهَا التُّرْبُ مُرْتَكِمٌ^(١)
 يَا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ وَالْهَمَةَ حَرَىٰ عَلَيْكَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْسَجِمٌ^(٢)
 قَدْ كُنْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْهَا أَنْ تُقَدِّمَنِي إِلَى الْحِمَامِ فَيُبْدِي وَجْهَهَا الْعَدَمُ
 فَالآنَ نِمْتُ فَلَا هَمُّ يُوَرِّقُنِي يَهْدَا الْغَيُورُ إِذَا مَا أُوْدَتِ الْحُرْمُ
 لِلْمَوْتِ عِنْدِي أَيَادِي لَسْتُ أَنْكِرُهَا أَحْيَا سُرُورًا وَبِي مِمَّا أَتَى الْمَمُّ

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ،
 ولكنه باب للمراثي يجمع أفرط الجزع ، وحسن الاقتصاد ، والميل إلى
 التشكي ، والركون إلى التعزى ، وقول من كان له واعظ من نفسه ،
 أو مذكر من ربه ، ومن غلبت عليه الجساوة^(٣) ، وكان طبعه إلى القساوة ،
 فقد اختلط كلُّ بكلٍ . وقال رجل من المخدثين يرثي أخاه^(٤) :

تَجَلُّ زَرِيَّاتٌ وَتَعْرُو مَصَابِي وَلَا مِثْلَ مَا أُنْحَتَ عَلَيْنَا يَدُ الدَّهْرِ
 لَقَدْ عَرَكَتْنَا لِلزَّمَانِ مِلْمَةً أَذْمَتُ بِمَحْمُودِ الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ^(٥)

(١) الرجم - بالتحريك - القبر . اللقي : الشئ الملقى لهوانه .

(٢) الشقة ، بكسر السين : نصف الشيء إذا شق . وبجاشية ١ : « ابن شاذان : ولهت
 المرأة توله فهي واله والجمع وله : إذا استخفها الحزن ، ورجل وله وراله وولهان ،
 ونساء ولهات ، الواحدة ولهة ووالهة » .

(٣) بجاشية ١ : « ابن شاذان : جسا الشيء يجسو جسواً وجساوة : إذا غلظ » .

(٤) في بعض النسخ « أباه » وهو الصحيح .

(٥) بجاشية ١ : « ابن شاذان : يقال عراه يعروه عرواً : إذا حل به . قال : وقوله

عركتنا أصل العرك عرك الأديم وغيره وهو الدلك ، وتعارك القوم في الحرب
 تعاركا ومعاركة وعراكا . قال : ويقال أنحى عليه ينحى إذا أقبل عليه ضرباً ،
 وكل من جد في أمر فقد انتحى فيه ينتحى كالفرس ينتحى في عدوه » .

فهذا يَحْسُنُ من قائله أَنَّ الرُّزْءَ كانَ جليلاً بِإِجماعٍ ، فللقائل أَن
يَتَفَسَّحَ في القول فيه ، وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر
بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عبد الرحيم من جِلَّةِ أهله
لَسَنًا^(١) ونعمةً وسِنًا وولايَةً ، ومات معزولاً عن اليمن في حبس الخليفة ،
وأُمُّ جعفر بن سليمان أُمُّ حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي
بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة :
بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر
فيا بن النبي المصطفى وابن بنته
ويا بن اختيار الله من آل آدم
ويا بن سلمان الذي كان ملجأ
ومن ملأ الدنيا سماحاً وناثلاً
لعرز بما قد نالنا من رزية
فإن تضح في حبس الخليفة ثاوياً
لكم من عدو للخليفة قد هوى
فواحرزنا لو في الوغى كان موته
وكننا وقيناه القننا بنحورنا

تفاحش صدع الدين عن الأم الكسبر
ويا بن علي والفواطم والحبير
أباً فاباً طهراً يودى إلى طهر
لعم صاقت الدنيا به من بني فهر
وروى حجاجاً بالملعة القفر^(٢)
بموتك محبوباً على صاحب القبر
أبياً لما يعطي الذليل على القسر
بكفك أو أعطى المقادة عن صغر
بكيناً عليه بالردنية السمر
وفات كذا في غير هيج ولا نقر^(٣)

(٤) بحاشية ١ : « المهلبى : رجل لسن بين اللسن : إذا كان حديد اللسان » .

(٥) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال أرض ملعة وملعة ولماعة : يلعب فيها السراب » .

(٦) بحاشية ١ : « ابن شاذان : الهيج والهياج اسمان للحرب . والنقر مصدر نقر بنقر » .

وينقر نقرأ ونفوراً ، والنفير القوم النافرون للحرب أو غيرها » .

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا وَدَّى كَعْبَ بْنَ سُوْرٍ الْأَزْدِيَّ قَضَاءَ
الْبَصْرَةِ أَقَامَ عَامِلًا لَهَا عَلَيْهَا إِلَى أَنْ اسْتَشْهِدَ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَزَلَهُ ثُمَّ رَدَّهُ ،
فَلَمَّا قَامَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَقْرَبَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ خَرَجَ مَعَ إِخْوَتِهِ لَهُ ، قَالُوا
ثَلَاثَةٌ ، وَقَالُوا أَرْبَعَةٌ ، وَفِي عُنُقِهِ مُمْصَحَفٌ ، فَتَمْتَلَوْا جَمِيعًا ، فَجَاءَتْ أُمَّهُمُ حَتَّى
وَقَفَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَتْ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ سَرَبٍ عَلَى فِئْبَةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ
وَمَا لَهُمْ غَيْرَ حَيْنِ النَّفْوِ سِوَى أَيْ أَمِيرِي قَرِيشٍ غَلَبَ ؟

هذه الرواية « سَرَبٍ » وقالوا معناها : جَارٍ فِي طَرِيقِهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ :
« انْسَرَبَ فِي حَاجَتِهِ » وَيَدُلُّ ذِي الرِّمَّةِ يُخْتَارُ فِيهِ الْفَتْحُ * كَأَنَّهُ مِنْ كَلِمَةٍ
مَفْرِيغَةٍ سَرَبٌ * لِأَنَّهُ اسْمٌ ، وَالْأَوَّلُ الْمَكْسُورُ نَعْتٌ ، وَيَقْبِحُ وَضْعُ النِّعْتِ
فِي مَوْضِعِ الْمَنْعُوتِ غَيْرِ الْمَخْصُوصِ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : حَقُّ النِّعْتِ أَنْ يَأْتِيَ
بَعْدَ الْمَنْعُوتِ ، وَلَا يَقَعُ فِي مَوْضِعِهِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ فَيَكُونُ خَاصًّا لَهُ دُونَ غَيْرِهِ ،
تَقُولُ : جَاءَنِي إِنْسَانٌ طَوِيلٌ ، فَإِنْ قُلْتَ جَاءَنِي طَوِيلٌ لَمْ يَجُزْ ؛ لِأَنَّ طَوِيلًا
أَعْمٌ مِنْ قَوْلِكَ إِنْسَانٌ ، فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَإِنْ قُلْتَ : جَاءَنِي إِنْسَانٌ مِتْكَمٌ
ثُمَّ قُلْتَ بَعْدُ : جَاءَنِي مِتْكَمٌ جَازَ ؛ لِأَنَّكَ تَدُلُّ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ ، فَهَذَا شَرْحُ
قَوْلِهِ الْمَخْصُوصِ] . وَقَوْلُهَا : « غَيْرَ حَيْنِ النَّفْوِ » نَصْبٌ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ
الْمَخْرُجِ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَشْرُوحًا * وَالْمَرَاتِي كَثِيرَةٌ كَمَا
وَصَفْنَا ، وَإِنَّمَا نَكْتُبُ مِنْهَا الْمَخْتَارَ وَالنَّادِرَ وَالْمُتَمَثِّلَ بِهِ السَّائِرَ . فَمَنْ مَلَّيْحٌ
مَا قِيلَ قَوْلُ رَجُلٍ يَرْتِي أَبَاهُ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : يَقَالُ أَنَّهُ ابْنُ الْأَبِي الْعَتَاهِيَةِ] :

قَلْبٍ يَا قَلْبٍ أَوْجَعَكَ مَا تَعَدَّى فَضَعُضَكَ^(١)
 يَا أَيْ صَمَكَ الثَّرَى وَطَوَى المَوْتُ أَجْمَكَ
 لَيْتِي يَوْمَ مِتَّ صِرْتُ إِلَى تُرْبَةٍ مَعَكَ
 رَحِمَ اللهُ مَصْرَعَكَ بَرَدَ اللهُ مَضْجَعَكَ

وقال إبراهيم بن المهدي يرثي ابنه، وكان مات بالبصرة :

تَأَى 'أَخِرَ' الأَيَامِ عَنْكَ حَبِيبُ فِالْعَيْنِ سَحَّ دَائِمٌ وَغُرُوبُ^(٢)
 دَعْتَهُ نَوَى لَا يُرْتَجَى 'أُوبَةُ' طَا فِقَلْبِكَ مَسْلُوبٌ وَأَنْتَ كَثِيبُ
 يَوْوَبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ وَأَحْمَدُ فِي الغِيَابِ لَيْسَ يَوْوَبُ
 تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٌ سِوَايَ ، وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوَبُ
 أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طُولِ أَيَّامِ المَقَامِ غَرِيبُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ كَالغُصْنِ فِي مَيْعَةِ الفُضْحَى سَقَاهُ النَّدَى 'فَاهْتَزَّ' وَهُوَ رَطِيبُ^(٣)
 كَانَ لَمْ يَكُنْ كَالدَّرِّ يَلْمَعُ نُورُهُ بِأَصْدَافِهِ لَمَّا تَشَنَّهُ نُتُوبُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الغِنَاءِ وَمَعْقِلَ الذِّسَاءِ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ عَصِيبُ^(٤)
 وَرِيحَانَ صَدْرِي كَانَ حِينَ أَشْتَهُ وَمُؤْنِسَ قَصْرِي كَانَ حِينَ أُغِيبُ
 وَكَانَتْ يَدِي مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحْتُ بِحَمْدِ إلهِي وَهِيَ مِنْهُ سَلِيبُ
 قَلِيلًا مِنَ الأَيَّامِ لَمْ يَرَوْ نَاطِرِي بِهَا مِنْهُ حَتَّى أَتَلَقْتَهُ شَعُوبُ^(٥)

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : قوله ضعضعك أى أضعفك ، تضعضع الرجل إذا ضف وخذف جسمه » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : السح الصب . وغرب الدمع سيله ، والجميع غروب » .

(٣) بحاشية ١ : « المهلبى : ميعة كل شىء أوله ، وميعة الشاب حدثه وأوله » .

(٤) بحاشية ١ : « المهلبى : يوم عصب شديد فى الفرس خاصة ، ويوم عصب مثله » .

(٥) بحاشية ١ : « شعوب من أسماء المنية ، لا يدخله الأنف واللام » .

كَظِلِّ سَحَابٍ لَمْ يُقِمْ غَيْرَ سَاعَةٍ
أَوِ الشَّمْسِ لَمَّا مِنْ غَمَامٍ تَحَسَّرَتْ
سَاءَ بَيْكِكَ مَا أَبْقَتْ دُمُوعِي وَالبُكْيُ
وَمَا غَارَ نَجْمُهُ أَوْ تَعَنَّتْ حَمَامَةٌ
حَيَاتِي مَا دَامَتْ حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ
وَأَضْمِرُ إِنْ أَنْفَدْتُ دُمُوعِي لَوْعَةً
دَعَوْتُ أَطِبَاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصِبْ
وَلَمْ يَمْلِكِ الْآسُونُ دَفْعًا لِمُهْجَةٍ
قَصَمْتُ جَنَاحِي بَعْدَ مَا هَدَّ مِنْ كَيْبِي
فَأَصْبَحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا حُشَّاشَةٌ
تَوَلَّيْتُمَا فِي حِقْبَةٍ قَتَرَ كُتْمَا
فَلَا مَيْتَ إِلَّا دُونَ رُزْنِكَ رُزْوُهُ
وَإِنِّي وَإِنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لِعَالَمٍ
وَإِنَّ صَبَاحًا نَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ
وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُتَّبِعِيُّ وَتَتَابَعَهُ لَهُ بَنُونَ :

كَلَّ لِسَانِي عَنِ وَصْفِ مَا أَجِدُ
وَأُوطِنْتُ حُرْقَةً حَشَايَ فَقَدْ
وَذُقْتُ تُكْلًا مَا ذَاقَهُ أَحَدُ
ذَابَ عَلَيْهَا الْفُؤَادُ وَالْكَبِدُ

(١) بحاشية ١ : « ابن ساذان : النَّدْبُ الأَثَرُ فِي الجِلْدِ ، نَدِبٌ يَنْدَبُ نَدْبًا وَالجَمْعُ نَدُوبٌ وَأَنْدَابٌ . قَالَ : وَيُقَالُ وَجَبَ قَلْبَ الرَّجُلِ وَجِيبًا إِذَا خَفِقَ مِنْ فَرَعٍ » .

ما عالج الحزنَ والحارةَ في الأحشاء من لم يمُتْ له ولَدٌ
فُجِعَتْ باثنين ليس بينهما إلا ليالٍ ليست لها عَدَدٌ
فَكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قَدَمِ الدَّهْرِ وحزني مُجِدُّهُ الأَبَدُ
وذكر بعضُ الرواة أن عبيدَ الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان عاملاً
لعليّ بن أبي طالب على اليمن، فشَخَّصَ إلى عليّ واستخلفَ على اليمن
عمرو بن أراكَةَ الثَّقَفِيَّ، فَوَجَّهَ مُعَاوِيَةَ إلى اليمن ونواحيها بُسْرَ بن أَرْطَاةَ
أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ، فقتلَ عمرو بن أراكَةَ، فجزعَ عليه عبدُ الله أخوه
جزعاً شديداً، فقال أبوه :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعَ عَيْنِكَ مَاضِيًا به الدهرُ أوساقَ الحِمامِ إلى القبرِ
لَتَسْتَنْفِدَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ ولو كنتَ تَمْرِيهِنَّ من تَبِيجِ البَحْرِ
لعمري لقد أزدى ابنُ أَرْطَاةَ فِارِسًا بصنمَاءَ كالليثِ الهزْبِ أبا أَجْرِ
وقلتُ لعبدِ الله إذ حَنَّ باكياً تَعَزَّ، وماءُ العينِ مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ البُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا على أهلِهِ فاشدُّ بكاءك على عمرو
ولا تَبْكُ مَيِّتًا بعد مَيِّتٍ أَجَنَّهُ على وعباسٍ وآلِ أَبِي بَكْرٍ^(١)

قوله : « من تَبِيجِ البَحْرِ » فَبِيجُ كلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ ، ويروى في الحديث :
كنتُ إذا فاتحتُ الزُّهْرِيَّ فَتَحَّتْ مِنْهُ تَبِيجُ البَحْرِ . وقوله : « تَمْرِيهِنَّ »
هو مَثَلٌ ، يقال : « مَرَيْتُ الناقَةَ » إذا مسحتَ ضَرْعَهَا لِتَدْرُ ، فإنما هو
استخراج اللبَنِ ، ويقال : « مَرَيْتُ برجلي الأَرْضَ » إذا مسحتها ، والأصل

(١) بمحاشية ١ : « أَجَنَّهُ ، يعني النبي عليه السلام » .

ذلك ، فإنما أراد : ولو كنت تستخرجُ الدموعَ من ثَبَجِ البحر . وكان
بُسْرُ بنِ أَرْطَاةَ في تلك الحروبِ أُرْشِدَ عَلَى ابْنِ لُئَيْدِ اللَّهِ بنِ العباسِ
بن عبد المطلب ، وهما طفلان ، وأمَّهُما من بنى الحرث بن كعب ، فوارتَهُما ،
فيقال أنه أخذهما من تحتِ ذَيْلِهَا فقتلهما ، ففي ذلك تقول الحارِثِيَّةُ :

أَلَا مَنْ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ أُمُّهُمَا هِيَ الشَّكْلِي
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا وَتَسْتَبْغِي فَمَا تُبْغِي

وفي ذلك تقول أيضاً :

يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّ اللَّذَيْنِ هِما كالذُّرَّتَيْنِ تَشْطَىٰ عَنْهُمَا الصَّدْفُ^(١)
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّ اللَّذَيْنِ هِما سَمِعِي وَطَرَ فِي فِطْرِ فِي الْيَوْمِ مُخْتَطَفُ^(٢)
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّ اللَّذَيْنِ هِما مِخُّ الْعِظَامِ فَمُنَّخِي الْيَوْمِ مُزْدَهَفُ^(٣)
بُنْتُ بُسْرًا ، وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْإِفْكِ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَنْحَىٰ عَلَىٰ وَدَجِي طِفْلًا مُرَهَفَةً مَشْحُودَةً ، وَعَظِيمُ الْإِفْكِ يُقْتَرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالْهَةَ حَرَىٰ مُفَجَّعَةً عَلَىٰ صَبِيَّيْنِ غَابَا إِذْ مَضَى السَّافُ

(١) بماشية ١ : « ابن شاذان : يقال شَطَى الشئُ عن موضعه وَتَشَطَى إِذَا زَالَ ، وَالشَّطَا عَظِيمٌ لِاصِقٍ بِعَظْمِ الذَّرَاعِ ، فَإِذَا زَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ قِيلَ شَطَى يَشْطَى » .

(٢) بماشية ١ : « ابن شاذان : يقال حَسَّ يَحْسُ حَسًّا وَأَحْسَّ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَسَسْتُ الشئُ وَأَحْسَسْتَهُ ، وَالْمَصْدَرُ الْحَسُّ وَالْحَسِيسُ » .

(٣) بماشية ١ : « ابن شاذان : حدثني أبو عمر عن ثعلب قال : الزَّهْفُ الْحَزْنُ ، زَهْفَ يَزْهَفُ زَهْفًا ، وَأَزْهَفَ إِزْهَافًا ، وَكَذَلِكَ أَزْدَهَفْتَ أَزْدَهَافًا » .

وَيُرَوَّى أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ عُثْبَةَ تَمَثَّلَ :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلْفَ أَمْرِيءِ وَأَمَامِهِ وَأَوْحِشَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَهُوَ سَائِرُ
فَلَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ زِيَادٍ تَمَثَّلَ :

وَأَفْرَدَتْ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا سَيَّرَمِيٌّ بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَابِرُ
وَمَاتتِ امْرَأَةٌ لِلْفَرَزْدَقِ بِجُمُعٍ ، وَمَعْنَى « جُمُعٍ » وَلَدُهَا فِي بَطْنِهَا
[وَإِنْ شِئْتَ قَلْتَ « جُمُعٍ » يَافِتِي] فَقَالَ :

وَجَفَنَ سِلَاحٍ قَدْرُ زَيْتٍ فَلَمْ أُنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَائِيَا أَنْسَأَتْهُ لِيَالِيَا
وَهَذَا مِنَ الْبَغْيِ فِي الْحُكْمِ وَالتَّقَدُّمِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ
فِي ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أُصِيبَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهِيَ طِفْلَانِ ، شَبِيهًا بِهَذَا ،
وَلَكِنَّهُ اعْتَذَرَ فَحَسَّنَ قَوْلَهُ وَصَحَّ مَعْنَاهُ بِاعْتِزَالِهِ ، وَهُوَ الطَّائِيُّ :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا لَوْ أُمِّهَلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
إِنْ الْهَلَالِ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَرِثِي حَدْرَاءَ الشَّيْبَانِيَّةَ :

يَقُولُ ابْنُ صَفْوَانَ بِكَيْتٍ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي إِخَالُ لِيَتَدَمَعَا
يَقُولُونَ زُرْ حَدْرَاءَ ، وَالتَّرْبُ دُونَهَا وَكَيْفَ بَشَى عَهْدُهُ قَدْ تَقَطَّعَا
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بَزَائِرُ تَرَابًا عَلَى مَرْمُوسَةٍ قَدْ تَضَعَضَعَا
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا
وَمَا مَاتَ عِنْدَ ابْنِ الْمَرَاغَةِ مِثْلَهَا وَلَا تَبِعْتَهُ ظَاعِنًا يَوْمَ وَدَّعَا

وقال جرير يري امرأته :

لولا الحياء لهاجني استعبارُ
نعم الخليلُ وكنت علق مَضِنَّةٍ
لن يُلبث القرناء أن يتفرقوا
صلى الملائكة الذين تُحِبُّوا
أفام حَزْرَةَ يا فرزدق عِيبُكُمْ
غَضِبَ المَلِكُ عَلَيْكُمْ الجَبَّارُ

وقال رجل من خزاعة ، ويُحَلِّهُ كَثِيرٌ ، يري عمر بن عبد العزيز
بن مروان [قال أبو الحسن : الذي صحَّ عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي :

أما القُبُورُ فإنهنَّ أوانِسُ
جَلت رَزِيئَتُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ
[رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
والناسُ ما تَمَّتْهُمْ عَلَيْهِ واحِدٌ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُؤْلِهِ
خَيْرًا لَأَنَّكَ بالثَناءِ جَدِيرُ

ومثله قولُ عُمارة يمدح خالد بن يزيد بن يزيد :

أرَى الناسَ طرًّا حامدينَ خالدٍ
ولن يَبْرُكَ الأَقْوامُ أن يمدحوا الفَتَى
فَتَى أَمَعَّتْ ضَرَاوُهُ في عَدُوِّهِ
وَخَصَّتْ وَعَمَّتْ في الصديقِ مَنافِعُهُ

ومن قوله : « والناسُ ما تَمَّتْهُمْ عَلَيْهِ واحِدٌ » أخذ الطائي في مرثيته :

لئن أبغضَ الدهرُ الخوَّونَ لِفَقْدِهِ
لَعَهْدِي به حَيًّا يُحِبُّ به الدهرُ

لئن عَظُمَتْ فِيهِ مُصِيبَةٌ طَيِّبَةٌ لَمَا عُرِّيَتْ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَكْرٌ
وقال القرشيُّ :

قد كنتُ أبكي على مَنْ فات من سَلَفِي وأهلُ وُدِّي جميعٌ غيرُ أَشْتَاتِ
فاليومَ إِذْ فَرَّقَتْ يَدِي وَبَيْنَهُمْ نَوَى بِكَيْتٍ على أَهلِ المُرُواتِ
وما بقاءِ امرئٍ كانت مَدَامعُهُ مَقْسُومَةٌ بينِ أَحْيَاءِ وَأَمْواتِ
ويُروى أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ رَضوانُ اللهُ عَلَيْهِ تَمَثَّلَ عِنْدَ قَبْرِ فَاطِمَةَ
عليها السلام :

[لِسُكُلٍ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ]
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنْ لَا يَدُومَ خَالِيُ
وقال عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ المُرِّيُّ مِنْ غَطَفَانَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوافِلُ خَبَرَتْ بأمرٍ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ثَقِيلِ
وَقَالُوا أَلَا تَبْكِي لِمَصْرَعِ هَالِكِ أَصَابَ سَبِيلَ اللهِ خَيْرَ سَبِيلِ
كَأَنَّ المَنائِيا تَبْتَغِي فِي خِيارِنَا هَما تِرَةً أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيلِ
لَتَأْتِ المَنائِيا حَيْثُ شاءَتْ فَإِنها مُجَلَّلَةٌ بَعْدَ القَتَى ابنِ عَقِيلِ
فَتَيَّ كانَ مَولاهُ يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ فَحَلَّ المَوالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلِ
وَتَمَثَّلَتْ عائِشَةُ عِنْدَ قَبْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكْرٍ بِقَولِ مُتَمِّمِ بنِ نُويَرةَ :

وَكُنَّا كَنَدَمائِي جَذِمةَ حِقْبَةٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَّعَا
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الحِياةِ وَقَبَلْنَا أَصَابَ المَنائِيارِ هَطَ كِسْرِي وَتُبَعَا
فَإِذَا تَفَرَّقْنَا كَأَنَّ مَمالِكًا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك ، يقال له شراحيل ، فتمثل عند قبره :
وهون وجدى عن شراحيل أنى إذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه
وقال أعرابي :

ألا لهف الأراميل واليتامى ولهف الباقيات على قصي
لعمرك ما خشيت على قصي متألف بين حجر السلي
ولكني خشيت على قصي جريرة رُمح في كل حي
قى الفتيان مخلول ممر وأمار بإرشاد وعي

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ، يُنبئ صاحبه أن تقديره
في المَرثي أن تكون منيته قتلاً ، ويتأسف من موته حتف أنفه ، ويقول
في مدحه : « وأمار بإرشاد وعي » * وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد ،
لما أصابته الصاعقة وأصابت عامراً الغدّة بدعوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
أربد ، فقال لأربد : أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه ، فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على أن يجعل له أئنة الخيل ،
فقال عامر : ومن يمنعه اليوم مني ، ولكن إن شئت فلنك المدر ولي الوبر ،
أولى المدر ولك الوبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : فاجعل لي هذا الأمر بعدك ، فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن ،
قال : فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : يأتي الله ذلك وابنا قيلة ، يعني الأوس والخزرج . ويروى

أن سعد بن عبادة قال : يا رسول الله ، علامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابيُّ لسانه عليك؟! دَعْنِي أَقْتُلْهُ . وَيُرْوَى أَن عامراً قال للنبي عليه السلام : لَأَغْزُوَنَّكَ على ألفِ أشقرٍ وألفِ شقراءٍ ، فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكْفِنِيهِمَا . وَتُرْوَى قَيْسُ أَنه قال : اللهم إن لم تهْدِ عامراً فَاكْفِنِيهِ . وقال عامرٌ لأرْبَدَ : قد شغلته عنك مراراً فألاً ضربته؟ قال : أرْبَدُ : أردتُ ذلك مرتين فاعترضَ لي في إحداها حائطٌ من حديدٍ ، ثم رأيتك الثانيةَ بيني وبينه ، أفأقتلك؟ فلم يَصِلْ واحدٌ منهما إلى منزله ، أما عامرٌ فقد في ديارِ بني سُلَولِ بنِ صَعَصَعَةَ ، فجعلَ يقول : أَغْدَةَ كَعْدَةَ البعيرِ وموتاً في بيتِ سُلَولِيَّةٍ؟! وأما أرْبَدُ فارتفعت له سحابةٌ فرمتهُ بصاعقةٍ فأحرقته ، وكان أخا لبيدٍ لأمه ، فقال يرثيه :

أخشى على أرْبَدِ الخُوفِ ولا أرهبُ نَوْهَ السَّمَكِ والأسدِ
 ما إن تُعرَى المنونُ من أحدٍ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وُلْدِ
 فَجَعَنِي الرَّعْدُ والصواعقُ بالـ فارسِ يومَ الكريهةِ النَّجْدِ
 يا عينِ هلاً بكيتِ أرْبَدَ إذ قُمنا وقامَ العدوُّ في كَبَدِ^(١)
 وقال أيضاً :

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافِهِمْ وَبَقِيَتْ في خَنَفِ كَجِلْدِ الأجرَبِ
 يتحدَّثون مَخَانَةَ وملاذةً وَيُعابُ قائلُهُم وإن لم يَشْغَبِ

(١) بماشية ١ : « ابن شاذان : يقال رجل نَجْدٌ ونَجْدٌ ونَجْدٌ بين النجدة : إذا كان جلدًا قويا . قال : والكبدُ الشدة والمشقة » .

يَا أَرْبَدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جُدُودُهُ غَادَرْتَنِي أَمْشِي بَقَرْنٍ أَعْصَبِ
 إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا فِقْدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضْوَةِ الْكَوْكَبِ

قوله: « في خَلْفٍ » يقال: هو « خَافُ فُلَانٍ » لمن يَخْلُفُهُ من رهطه، وهو لاء « خَافُ فُلَانٍ » إذا قاموا مَقَامَهُ من غير أهله، وقلمما يستعمل « خَلْفٌ » إلا في الشرِّ، وأصله ما ذكرنا. و « المَخَانَةُ » مصدرٌ من الخيانة. و « المَلُودُ » الذي لا يَصْدُقُ في مودَّتِهِ، يقال: رجل مَلُودٌ وَمَلْدَانٌ، و « مَلَاذَةٌ » مصدره. و « الأَعْصَبُ » المقطوعُ، وفي الحديث: « لا يُضْحَى بِعَضْبَاءَ ». ويُروى أن رجلاً قال لِمَعْنِ بن زائدة في مرضه: لولا ما مَنَّ اللهُ به من بقائك لَكُنَّا كما قال لبيدُ:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ (١)
 فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: إِنَّمَا تَذَكَّرُ أَنَّي سُدْتُ حِينَ ذَهَبَ النَّاسُ! هَلَّا قُلْتَ
 كَمَا قَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ:

قَلَدَّتْهُ عُرَى الْأُمُورِ نِزَارٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ السَّرَاةُ الْبُحُورُ
 ثُمَّ نَرَجِعُ إِلَى ذِكْرِ الْمَرَاثِي: وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِيٌّ حَيٌّ أَنْ سَيِّدَ كَمْ هَوَى
 أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي التَّرَى

(١) بحاشية ١: « ابن ساذان: قال إنما يقال فلان خلفٌ صالح وفلان خلفٌ سوءٌ، وهم خلافٌ صدقٍ وأخلافٌ صدقٍ ».

فَتَى قُبُلُهُ لَمْ تُعْنِسِ السُّنُّ وَجْهَهُ سِوَى وَضَحِّ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى
 أشارت له الحربُ العوانُ بجاءها يُقَعِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى^(١)
 ولم يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَهُ فَاسَى وَاَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
 وَيُرَوَّى: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا نَظَرَتْ إِلَى الْخُنْسَاءِ وَعَلَيْهَا صِدَارٌ^(٢)
 مِنْ شَعْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا خُنْسَاءُ ! أَتَلْبَسِينَ الصِّدَارَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ ؟ فَقَالَتْ : لَمْ أَعْلَمْ بِنَهْيِهِ ، وَلَكِنْ لِهَذَا الصِّدَارِ
 سَبَبٌ ، فَقَالَتْ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ لَهَا : كَانَ زَوْجِي رَجُلًا مِثْلًا فَأَخْفَقَ ،
 فَأَرَادَ أَنْ يَسَافِرَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَقِمْ وَأَنَا آتِي أَخِي صَخْرًا فَاسْأَلْهُ ، فَأَتَيْتُهُ
 فَسَاطَرَنِي مَالَهُ ، فَأَتَلَفَهُ زَوْجِي ، فَعُدْتُ لَهُ فَعَادَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَأَتَلَفَهُ زَوْجِي ،
 فَعُدْتُ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ قَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ [لَهُ]^(٣) : إِنْ هَذَا الْمَالُ
 مُتَلَفٌ ، فَاْمَنْحُهَا شِرَارَهَا ، فَقَالَ صَخْرٌ :

وَاللَّهِ لَا أَمْنُحُهَا شِرَارَهَا وَلَوْ هَلَكْتُ خَرَقْتُ خِمَارَهَا
 وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

فلما هلكَ اتَّخَذْتُ هَذَا الصِّدَارَ . وَكَانَ صَخْرٌ أَخَا الْخُنْسَاءِ لَا يَبِهَا فَقَط .

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : القعقة اضطراب السلاح بعضه ببعض . والقربُ الكشع ، وهو الخصر ، وجمعه أقراب . ويقال : هذا ولي الأمر دون فلان ، وهو الأولى ، ويقال آساه وواساه وآداه إيذاء ، أى أعانه » .
 (٢) بحاشية ١ : « المهلبى : الصدار ثوب رأسه كالقنعة وأسفله يغشى الصدر والنكبين تلبسه المرأة ، وأنشد :

* وتدمع حتى اخضل منها صدارها * .

(٣) الزيادة من ثلاث نسج .

وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ نِسَاءِ بَنِي سُلَيْمٍ أَنَّهَا نَظَرَتْ إِلَيْهَا فِي صِدَارٍ وَهِيَ تَصْنَعُ طَيْبًا لِابْنَتِهَا لِتَنْقُلَهَا إِلَى زَوْجِهَا ، فَتَقَاوَلَتْهَا فِي شَيْءٍ كَرِهَتْهُ الْخَنَسَاءُ ، فَقَالَتْ لَهَا : اسْكَبِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَبْسَطَ مِنْكَ عَرَفًا^(١) ، وَأَطْيَبَ مِنْكَ وَرْسًا ، وَأَحْسَنَ مِنْكَ عُرْسًا ، وَأَرْقَّ مِنْكَ تَعْلًا ، وَأَكْرَمَ مِنْكَ بَعْلًا . وَكَانَ بَشَارٌ يَقُولُ : لَمْ تَقُلْ امْرَأَةٌ شِعْرًا قَطُّ إِلَّا تُبَيِّنُ الضَّعْفُ فِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَوْ كَذَلِكَ الْخَنَسَاءُ ؟ فَقَالَ : تَلِكْ كَانَ لَهَا أَرْبَعُ خَصَى !!

وقال القرشي وتتابع له بنون :

أُسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا
فِيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
فَمَاتُوا كَأَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
لَقَدْ شِمَّتِ الْأَعْدَاءُ بِي وَتَغَيَّرَتْ
تَجَرِّي عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا فَقَدْتُهُ
وَقَاسَمْتِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرًا
فَدَيْتُمْ وَأَعْطَيْنَا بَكُمْ سَاكِنِي الظُّهْرِ
عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مَقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ
فَشَكَلْتُ عَلَى تُكَلِّ وَقَبْرْتُ عَلَى قَبْرِ
عُيُونُ أَرَاهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرٍو
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَاجْتَرَأْتُ عَلَى الدَّهْرِ
فَلَمَّا تَوَفَّي شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي^(٢)

وحدثني العباس بن الفرَجِ الرِّياشيُّ قال : قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَلَمَّا

صَارَ بِجَبَلِ سَنَامٍ مَاتَ لَهُ بَنُونَ ، فَدَفَنَهُمْ هُنَاكَ وَقَالَ :

دَفَنْتُ الدَّافِعِينَ الضَّيِّمَ عَنِّي
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهُمْ
بِرَايَةِ مُجَاوِرَةٍ سَنَامًا
بِنَفْسِي تَلِكِ أَصْدَاءِ وَهَامَا

(١) بحاشية ١ : « ابن ساذان : يقال شِمَّتْ مِنْهُ عَرَفًا طَيْبًا ، أَي أَرِيحًا » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن ساذان : الشطر النصف من كل شيء » .

فلم أرَ مثلهم ماتوا جميعًا ولم أرَ مثلَ هذا العامِ عامًا
قال أبو الحسن الأخفشُ : وفيها عن غيرِ أبي العباسِ :
فَلَيْتَ حِمَاهِمُ إِذْ فَارَقُونِي تَلَقَّانَا فَكَانَ لَنَا حِمَامًا
قال أبو العباسُ : ويروى أن رجلاً كان له بنونَ سبعةً ، يروى ذلك
أبو الحسن المداينيُّ ، قال أبو العباسُ : فاختلَفَ علىَّ فيهم ، فقال قومٌ : كانوا
تحت حائطٍ ، وقال قومٌ آخرونَ : بل حُلبَ لهم في عُلْبَةٍ فَمَجَّ فيها أفعى
فبَعَثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعًا ، والرجلُ يقالُ له الحُرْثُ بن عبد الله
الباهليُّ ، وهلكتْ لجارٍ له شاةٌ فجعلَ يُعلِنُ بالبكاءِ عليها ! فقال قائلٌ :

يا أيُّها الباكي على شاتِهِ
يَبْكِي جِهَارًا غيرَ إِسْرَارِ
إِنَّ الرِّزِيئَاتِ وَأَمْثَالَهَا
مَا لَقِيَ الحُرْثُ فِي الدَّارِ
دَعَا بَنِي مَعْنٍ وَإِخْوَانَهُمْ
فكلُّهُمْ يَعْدُو بِمِحْفَارِ

❖

قال أبو العباسُ : والمصائبُ ما عَظُمَ منها وما صَغُرَ تقع على ضريين
فالحزْمُ التَّسَلَّى عَمَّا لَا يُعْنِي النِّعْمُ فِيهِ ، والاحتِيالُ لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحيلةِ .
وَمِنْ أَحْسَنِ القَوْلِ فِي هَذَا المَعْنَى فِي الإِسْلَامِ ، قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
بن أبي طالبٍ عليهم السلام ، حينَ مات ابنُه فلم يُرَ منه جَزَعٌ ، فَسُئِلَ
عن ذلك ، فقال : أَمْرٌ كُنَّا نَتَوَقَّعُهُ ، فلما وَقَعَ لم نُسْكِرْهُ . وفي هذا زيادةٌ
تُنْتَظَرُ ، وَفَضْلُ تَسْلِيمِ لِقِضَاءِ اللَّهِ عز وجل . والعربُ تقولُ : الحَذَرُ أَشَدُّ
من الوَقِيعَةِ . وقال رجلٌ من الحكماءِ : إِنَّمَا الجَزَعُ وَالإِسْفَاقُ قَبْلَ وَقُوعِ

الأمر ، فإذا وقع فالرُضَا والتسليم . ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : إذا استأثر اللهُ بشيءٍ فاله عنه . يقال : « لَهَيْتُ عن الأمرِ الهَيْ » إذا أضربتَ عنه ^(١) ، و « لَهَوْتُ أَلْهُو » من اللَّعِبِ . ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قولُ أوسِ بنِ حَجَرِ الأَسِيدِيِّ ، من بني أُسَيْدٍ ^(٢) بن عمرو بن تميم ، يرثي فضالةَ بنَ كَلْدَةَ أحدَ بني أسدِ بن خزيمة :

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحَذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاخَةَ وَالسَّنْجِدَةَ وَالْحَزْمَ وَالْقَوَى جُمَعَا
[أَوْدَى] فَمَا تَنْفَعُ الإِسَاعَةَ مِنْ شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ تَحَاوَلَ البِدْعَا
الْأَلْمَعِي الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
المُخْلِيفُ المُتَلِفُ المُرْزَأُ لَمْ يُتَمِّعْ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمِتْ طَبِعَا
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي تَحْوِطٍ إِذَا لَمْ يُرْسِلُوا خَلْفَ عَائِدِ رُبْعَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيَّاحُ وَقَدْ أَمْسَى كَمَيْعُ الفِتَاةِ مُلْتَفِعَا
وَشَبَّهَ الهَيْدَبُ العِبَامُ مِنَ الأَقْوَامِ سَقْبًا مُلْبَسَا فَرْعَا
وَكَانَتْ الكَاعِبُ المُنْعَةُ الحَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالمُدَامَةُ وَالفِتْيَانُ طُرًّا وَطَامِعُ طَمِعَا
وَذَاتُ هِدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصَمِتُ بِالمَاءِ تَوَلْبًا جَدْعَا

(١) بحاشية ١ : « يقال أضرب فلان عن الشيء : إذا كف عنه » .

(٢) بحاشية ١ : « النسبُ إلى أُسَيْدٍ أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف لا غير » . وفي الاشتقاق لابن دريد

ص ١٢٧ : « كرهوا كثرة الكسرات » .

وفيهما زيادةٌ لَكِنَّا اخْتَرْنَا . قوله : « الأملئ » الحديدُ اللسانِ والقلبِ ،
وقد أبانَه بقوله : « الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قَدْرَ أَى وقد سَمِعَا » . وقوله :
« الخلفُ المتلفُ » أراد أنه يُتلفُ مالهَ كَرَمًا وَيُخْلَفُهُ بَجْدَةً ، كما قال :
نَافِئُهُ تُرْقِلُ فِي النَّفَالِ مُتْلِفُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ ^(١)

وقال آخر :

* فَاتْلَفَ ذَاكَ مِتْلَافٌ كَسُوبٌ *

و « المرزأ » الذي تناله الرزيباتُ في ماله لما يُعطى ويُسئَل . و « الإمتاعُ »
الإقامة ، فيقول : لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ . و « الطبعُ » أسوأُ الطمَعِ ، وأصلُه
أنَّ القلبَ يعتادُ الخَلَّةَ الدنيئةَ فتركبه كالحائلِ بينه وبين الفهمِ ، لِقُبْحِ ما يظهر
منه ، وهذا مثلٌ ، وأصلُه في السيفِ وما أشبهه . يقال : « طَبَعَ السيفُ »
إذا ركبه صدأٌ يَسْتَرُّ حديدَهُ و ﴿ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ مِنْ ذَا . و « تحوُّطُ »
و « فحوُّطُ » اسمانِ للسَّنَةِ الجَدْبَةِ ، كما يقال حَجْرَةٌ وَكَحْلٌ . وقوله :
« لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عَائِدِ رُبْعًا » فالعائِدُ الحديثَةُ النَّتَاجُ ، و « الرُّبْعُ » الذي
يُنْتَجِجُ فِي الرَّبِيعِ ، ومن شَأْنِهِمْ فِي سَنَةِ الْجَدْبِ أَنْ يَنْحَرُوا الْفِصَالَ ، لِثَلَاثِ
تَرْصُعٍ فَتَضُرُّ بِالْأَمْهَاتِ . وقوله : « وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيَّاحُ » يقولُ غَلَبَتْهَا ،
وتلك علامةُ الْجَدْبِ وَذَهَابِ الْأَمْطَارِ ، ومن ذلك قولُهُمْ : « مَنْ عَزَّ بَرٌّ »

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال أرقلت الناقة إرقالاً ، وهو ضرب من المشى ، وناقاة
مُرْقِلٌ من إِبِلٍ مَرَاقِيلَ . ابن شاذان : النَقْلُ الحِجَارَةُ ، وناقلتِ الناقاةُ نِقَالاً إذا
جرت كأنها تنقى ذلك ، لا يكون إلا في أرض ذات حجارة » .

أى مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ ، وفي القرآن : ﴿ وَعَزَّزْنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ أى عَلَّبَنِي
في المخاطبة . وقوله : « وقد أَمْسَى كَمِيعُ الْفِتَاةِ » فالكَمِيعُ الضَّجِيعُ ،
وهو الكَمِيعُ ، قال الراجزُ :

* وَمَشْحُوذُ الْغِرَارِ يَبِيتُ كِمِيعِي *

يعنى السيف ، أى يَبِيتُ مُضَاجِعِي . « مُلْتَفِعًا » يقال : تَلَفَعَ فِي مُطْرَفِهِ
وفي كسائه « إِذَا تَلَفَفَ وَتَزَمَّلَ فِيهِ ، فيقول : من شِدَّةِ الصَّرِّ يَلْتَفِعُ بِهِ
دُونَ ضَجِيعِهِ . و « السَّكَايِبُ » التى كَعَبَ ثَدْيُهَا ، يقول : تَصِيرُ كَالسَّبْعِ
فِي زَادِ أَهْلِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَمَافُ طَيِّبَ الطَّعَامِ . وقوله « وَذَاتُ هِدْمٍ » .
يعنى امرأةً ضَعِيفَةً ، و « الْهَدْمُ » السَّكْسَاءُ الْخَلْقُ الرَّثُّ . وقوله : « عَارِ
نَوَاشِرُهَا » . « النَوَاشِرُ » عَرُوقُ السَّاعِدِ . و « التَّوَلَّبُ » الصَّغِيرُ .
و « الْجَدْعُ » السَّيِّءُ الْغِذَاءُ ، وَهُوَ الْجَجْنُ وَالْقَتِينُ * وقال أعرابيُّ :

خَلِيلِي عُوَجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ عَلَى قَبْرِ أَهْبَانٍ سَقَّتَهُ الرِّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْجِي تَنْفُفٌ مُتَبَاعِدُ
إِذَا نَازَعَ الْقَوْمَ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيْبًا وَلَا عَيْبًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ
وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ :

دَعَا قَابِضًا وَالْمَرْهَفَاتُ يَنْشُنُهُ فَقَبَّحَتْ مَدْعُوًّا وَلَيْبِكَ دَاعِيَا
فَلَيْتَ عُبَيْدَ اللَّهِ كَانَ مَكَانَهُ صَرِيعًا وَلَمْ أَسْمَعْ لِتَوْبَةٍ نَاعِيَا
وكان سببُ هذا الشعر أن تَوْبَةَ بنِ هَمِيرِ الْمُعْتَمِلِيَّ ثم أَخْفَاجِيَّ غَزَا

فَعَنِمَ ، ثم انصرفَ فَعَرَسَ في طريقه فَأَمِنَ فَقَالَ (١) ، فَنَدَّتْ فرسُهُ ، فَأَحَاطَ
به عدوُّه ، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابضُ مولاة ، فدعاها ، فذَبَّ عبيدُ الله
شيئاً وانهزماً وقبِلَ توبةً ، ففي ذلك تقولُ ليلي الأَخيليةُ :

أَعْيَنِي أَلَا فَا بِي كِي عَلِي ابْنِ حُمَيْرٍ بدمعٍ كَفَيْضِ الْجَدُولِ الْمُتَفَجِّرِ
لِتَبْكِ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةَ نِسْوَةٍ بماءِ سُؤُونِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ
سَمِعَنْ بَهِيَجًا أَرْحَفَتْ فَذَكَرْتَهُ وَقَدْ يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ طُولُ التَّذَكُّرِ
كَأَنَّ قَتَى الْفَتِيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْسَخِ بِنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوَّرِ
وَلَمْ يَرِدِ الْمَاءَ السَّدَامَ إِذَا بَدَأَ سَنَا الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ أَخْضَرَ مُذْبِرِ
وَلَمْ يَقْدَعْ الْخَصْمَ الْأَلَدَّ وَيَمْلَأِ الْجَفَانَ سَدِيقًا يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرَصَرِ (٢)
أَلَا رَبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبْتَ وَخَائِفٍ أَجْرْتَ وَمَعْرُوفٍ لَدَيْكَ وَمُشْكِرِ
فِيَا تَوْبَ لِلْمَوْتَى وَيَا تَوْبَ لِلتَّدَى وَيَا تَوْبَ لِلْمُسْتَنْبِحِ الْمُتَوَّرِ

قولها : « لِتَبْكِ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةَ نِسْوَةٍ » تعني خفاجة بن عَقِيلِ
بن كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . و « الهيجا » تُمد وتُقصَر ، وقد
مرَّ هذا . وقولها : « بِنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوَّرِ » فَالْتَّجِدُ كُلُّ مَا أَشْرَفَ

(١) بحاشية ١ : « ابن ساذان : يقال قال الرجل يَقِيلُ قَيْلًا وَمَقِيلًا مِنَ الْقَيْلِ وَالْقَائِلَةِ ،
وهو نوم نصف النهار ، والقَيْلُ شرب نصف النهار ، يَقِيلُ الرجلُ وَقَالَ إِذَا
شرب في وقت المَقِيلِ ، قال الراجز * إن قال قَيْلُوا لَمْ أَكُنْ فِي الْقَيْلِ * وروى :
إِنْ قِيلَ قَيْلُوا . »

(٢) بحاشية ١ : « ابن ساذان : حدثني أبو عمر عن ثعلبٍ : يقال رِيحٌ صَرَصَرٌ ،
أى باردة . »

من الأرض، والغورُ كلُّ ما انخفضَ . ويقال : « ما لا سِدَامَ ومياهُ سُدْمٍ »
وهي القديمة المندِفَةُ^(١) ، قال الشاعرُ :

وعَلِمِي بِأَسْدَامِ المِياهِ فلم تَزَلْ قَلَائِصُ مُتَحَدِي فِي طَرِيقِ طَلَامِحِ
و « سَنَا الصُّبْحِ » صَوْنُهُ ، وهو مقصورٌ ، فإذا أُرِدَتِ الحَسَبُ مَدَدَتْ .
و « الأَخْضَرُ » الذي ذَكَرَتْ اللَّيْلُ ، والعَرَبُ تُسَمِّي الأَسْوَدَ أَخْضَرَ .
وقولها : « ولم يَقْدَعِ الحَصَمَ الأَلَدَةَ^(٢) » فالأَلَدَةُ الشَّدِيدُ الحِصَامِ . و « السَّدِيفُ »
شِقْقُ السَّنَامِ . و « النَّكْبَاءُ » الرِّيحُ بَيْنَ الرِّيحَيْنِ الشَّدِيدَةِ الهُبُوبِ .
و « الصَّرْصَرُ » الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ . و « المُسْتَنْبِحُ » الذي يَسْرِي فلا يَعْرِفُ
مَقْصِدًا ، فَيَنْبِحُ لِتُجِيبَهُ الكِلَابُ فيَقْصِدُهَا . و « المَتَنَوِّرُ » الذي يَلْتَمِسُ
ما يَلُوحُ له مِنَ النَّارِ فيَقْصِدُهُ . قال الأَخْطَلُ يُعَيِّرُ جَرِيرًا :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الأَضْيَافَ كَلَبَهُمْ قالوا لِأُمَّهِمْ : بُولِي عَلَى النَّارِ
فيقال أن جريراً توجّع من هذا البيت ، وقال : جَمَعَ بِهِذِهِ الكَلِمَةَ
ضَرْوبًا مِنَ الهِجَاءِ وَالشَّتْمِ ، مِنْهَا البِخْلُ الفَاحِشُ ، وَمِنْهَا عَقُوقُ الأُمِّ
فِي ابْتِدَافِهَا دُونَ غَيْرِهَا ، وَمِنْهَا تَقْدِيرُ الفِئَاءِ ، وَمِنْهَا السَّوْنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا
مِنِ الوَالِدَةِ . وقال آخَرُ :

وَإِنِّي لِأَطْوَى البَطْنَ مِنْ دُونَ مِلبِهِ لِمُخْتَبِطٍ فِي آخِرِ اللَّيْلِ نَاجِحِ

(١) في بعض النسخ وعليها طبعات مصر « المندفة » بالفاف بدل النون ، وهو خطأ ، وانظر شرحنا على المفضليات في البيت ٢٦ من القصيدة ٦٧ .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : قدعتُ الإنسانَ وغيره أقدعه قَدَعًا : إذا كَفَفْتَهُ عما يريد ، وقدعتُ الفرسَ بالجام » .

وإن امتلاء البطن في حسب الفتى
وقالت ليلى الأخيلية:

نظرتُ ورُكنُ من بؤانةِ دوننا
إلى الخليلِ أجلى شأوها عن عقيمةٍ
كانَ فتى الفُثيانِ توبةً لم يُنسخْ
ولم يَبْنِ أبردًا رِقاقًا لِفَتِيَّةٍ
فتى لا تخطأهُ الرِّفاقُ ولا يرى
وكنْتَ إذا مَوْلَاكَ خاف ظلامَةً
وأركانُ حِسمي أئىُّ نظرةٍ ناظِرٍ^(٢)
لعاقِرِها فيها عَقِيْرَةٌ عاقِرِ
قلائصُ يَفْحَصُن الحِصَى بالكَرِّ اِكْرِ
كِرَامٍ وَيَرْحَلُ قَبْلَ فِءِ الهِوَا جِرِ
لِقَدْرِ عِيَالًا دُونَ جَارِ مُجَاوِرِ
دعَاكَ ولم يَقْنَعِ سِوَاكَ بِنَاصِرِ

قولها: «أئىُّ نظرةٍ ناظِرٍ» يصلح فيه الرفعُ والنصبُ، على قوله:
نظرتُ أئىُّ نظرةٍ وأئمةً نظرةً وأئمةً نظرةً، كما تقول: مررتُ
برجلٍ أئمةً رجلٍ، وتأويله مررتُ برجلٍ كاملٍ، فأئمةً في موضعٍ كاملٍ،
وتقول: مررتُ بزئدٍ أئمةً رجلٍ، على الحال، ومن قال: «أئىُّ نظرةٍ ناظِرٍ»
فعلى القطعِ والابتداءِ، والمخرجُ مُخْرَجٌ استفهامٍ، وتقديره: أئىُّ نظرةٍ هي؟
كما تقول: سبحانَ اللهِ أئىُّ رجلٍ زئدٍ؟ وهذا البيتُ يُنشدُ على وجهين:

فَأَوْمَأَتْ إِعْمَاءَ خَفِيًّا لِجَبْتَرٍ وَلِلَّهِ عَيْنًا حَبْتَرٍ أئمةً قَتَى
و«أئمةً» إن شئتَ على ما فسرنا. وقولها: «إلى الخليلِ أجلى شأوها»

(١) بحاشية ١: «ابن شاذان: قال أبو عمر: الغناء الإجزاء، يقال ما يغنى عنك

غناءً: ما يجزئ عنك، ورجل مُغْنٍ: مجزئٌ، والقمل غنَّى فهو غانٌ.»

(٢) «حسمى» ضبطت في الأصول بكسر الحاء وضمها معاً، والذي في معجم البلدان والقاموس
الكسر فقط، و«بؤانة» و«حسمى» موضعان.

عن عَقِيرَةٍ « شَاوُهَا طَلَقَهَا . وَقَوْلُهَا : « لِعَاقِرِهَا فِيهَا عَقِيرَةٌ عَاقِرٌ » أَيْ قَدْ
أَصَابُوا عَقِيرَةً نَفِيسَةً ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : نِعْمَ غَنِيمَةُ الْمُغْتَنِمِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : عَقِيرَةٌ
وَكَأَنَّ تَكُونُ ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ :

وَلَمَّا أَصَابُوا نَفْسَ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ أَصَابُوا بِهِ وَتَرَا يُنِيمُ ذَوِي الْوَتْرِ
يُقَالُ : « ثَارُ مُنِيمٍ » إِذَا أَصَابَهُ الْمُشِيرُ هَدَأَ وَاسْتَقَرَّ ، لِأَنَّهُ أَصَابَ كُفْوًا ،
وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْآخَرِ :

قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانِي قَوْمِهِمْ أَمِنُوا لِلْوَمِّ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
وَخِلَافُ قَوْلِ الْحَرْثِ بْنِ عُبَادٍ :

لَا بُحَيْرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطٌ كَلَيْبٍ تَرَا جَرُّوا عَنْ ضَلَالٍ
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

قَتَلْتُ بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُو أَبَا فُلْمٍ أَفْخَرُهُ بِذَلِكَ وَأَجْزَعَا
وَكَأَنَّ قَوْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ التَّيْمِيُّ ، مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ،
حَيْثُ قَتَلَ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ بِأَخِيهِ النَّابِيَّ بْنَ زِيَادٍ :

إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ مَا دَامَ سَالِمًا لَسَارٍ عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ وَغَادِي
وَنَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَرَأْسَهُ حَزَزْنَا بِرَأْسِ النَّابِيِّ بْنِ زِيَادٍ
كَسَرَ الْيَاءَ عَلَى الْأَصْلِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَوَانِ هَلْ يُضْبِحْنَ إِلَّا لَهُنَّ مُطَلَّبُ
وَمَنْ أَخَذَهُ مِنْ « نَبَاتٍ عَلَى الْقَوْمِ » أَيْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ ، فَلَا عِلَّةَ فِيهِ
وَلَا ضَرُورَةَ [قَالَ الْأَخْفَشُ : الْمَعْرُوفُ فِيهِ الْهَمْزُ ، وَالْمَبْرَدُ لَمْ يَهْمِزْهُ ،

فإنما أخذَه من « نَبَا يَبُوءُ » فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما [. وقال
أبو الأسدِ مَوْلىُ خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ ، لما قَتَلوا الوَلِيدَ بنَ يزيدِ
بنِ عبدِ الملكِ بخالدِ بنِ عبدِ اللهِ :

فإن تَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيماً فَإِنَّا قَتَلْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدِ
وإن تَشْغَلُونَا عن نَدَانَا فَإِنَّا شَغَلْنَا وُلَيْدًا عن غِنَاءِ الوَلَائِدِ
تَرَ كُنَّا أميرَ المؤمنينَ بخالدِ مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ سَاجِدِ
وقال الخَزَاعِيُّ بعدُ^(١) :

قَتَلْنَا بِالْقَتَى القَسْرِيَّ مِنْهُمْ وُلَيْدَهُمْ أميرَ المؤمنينَا
[ومَرَوَانًا قَتَلْنَا عن يزيدِ كَذَاكَ قضاوْنَا في المَعْتَدِينَا
وإِبْنِ السَّمْطِ مِنَّا قد قَتَلْنَا مُحَمَّدًا بنَ هُرُونَ الأَمِينَا]
فمن يَكُ قَتَلُهُ سَوْقًا فَإِنَّا جَعَلْنَا مَقْتَلَ الخُلَفَاءِ دِينَا
وقولها : « وَيَرْحَلُ قَبْلَ فِيءِ الهَوَاجِرِ » تريد أنه متيقِّظٌ ظَعَانٌ .
و « المَوْلى » في قولها : « إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظُلَامَةً » يحتملُ ضروبًا ، فالمَوْلى
ابنُ العمِّ ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِي مِن وِرَائِي ﴾ يريدُ بنى العمِّ .
قال الفضلُ بنُ العباسِ :

مَهْلًا بِنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا
ويكونُ المولى المَعْتَقُ ، ويكونُ المَوْلى من قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ وَأَنَّ
الكافرينَ لا مَوْلى لَهُمْ ﴾ ويكونُ المَوْلى الذى هو أحقُّ وأَوْلى ، منه قوله

(١) قال الرصني : « هو دعبل بن علي الشاعر العباسي » .

﴿ مَاؤَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أَي أَوْلَىٰ بِكُمْ ، وَالْمَوْلَى الْمَالِكُ . وَقَوْلُهَا :
« وَلَمْ يَبْنِ أَبْرَادًا » تَرِيدُ الْخِيَامَ .

قال أبو العباس : وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين
لأكثر الفحول ، ورُبَّ امرأة تتقدم في صناعةٍ ، وقلمًا يكون ذلك ، والجملة
ما قال الله عز وجل ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾^(١)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ عَوْجَاءٍ ، وَإِنَّكَ
إِنْ تَرَدَّ إِقَامَتَهَا تَكْسِرُهَا ، فَدَارِهَا تَعَشُّ بِهَا » . فمن نَدَرَ^(٢) من النساء
في باب من الأبواب : أم أيوب الأنصارية ، وأم الدرداء ، ورابعة القيسية ،
ومعاذة العدوية ، فإن هؤلاء النسوة تقدمن في الفضل والصلاح ، على
تقدم بعضهن بعضًا . حدثني الجاحظ عن إبراهيم بن السندي قال : كانت
تصير إلى هاشمية جارية حمدونة في حاجات صاحبها ، فأجمع نفسي لها
وأطرُد الخواطر عن فكري وأحضر ذهني جهدي ، خوفًا من أن تُورد
عليَّ ما لا أفهمه ، لبعدي غورها واقتدارها على أن تجري على لسانها ما في
قلبها . وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعُتبة جارية ربيعة بنت أبي العباس .

(١) سورة الزخرف آية ١٨ و « يَنْشَأُ » يفتح الياء مضارع « نَشَأَ » ثلاثي لازم مبني للفاعل ،
وهي قراءة أكثر القراء الأربعة عشر ، وقرأ حفص وحزرة والكسائي وخاف « يَنْشَأُ »
بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، مضارع « نَشَأَ » بالتضعيف مبني للمفعول . وأثبتناه
على قراءة الأكثر موافقة لأصول الكامل .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : كل شيء زال عن مكانه فقد ندر بندر ندرًا فهو نادر ،
وبه يسمى نوادر الكلام ؛ لأنه كلام ندر وظهر من بين الكلام » .

فَأَمَّا النِّسَاءَ الْأَشْرَافُ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهِنَّ كَثِيرٌ مُتَّسِعٌ . فَمَا نَدَّرَ مِنْ شَعْرِ
الْخُنْسَاءِ قَوْلَهَا تَرْتِي صَخْرًا :

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَّرَهُ أَهْلُ الْمِيَاهِ وَمَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
مَشَى السَّبْنَتِي إِلَى هَيْجَاءِ مُعْضِلَةٍ لَهُ سِلَاحَانِ : أُنْيَابٌ وَأَخْفَارُ^(١)
وَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَحْنٍ لَهُ لَهَا حَيْنَانِ : إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ
تَرْتَعُ مَاغْفَلَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
يَوْمًا بِأَوْجَعٍ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي صَخْرُ ، وَلِلْعَيْشِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُوا لِنَحَّارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرَبِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ

قولها : « يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَّرَهُ » * أَهْلُ الْمِيَاهِ وَمَا فِي وَرْدِهِ عَارُ »
تعني الموت ، أى لا إقدامه على الحرب . و « السَّبْنَتِي » و « السَّبْنَدِي »
واحدٌ ، وهو الجريء الصَّدر ، وأصله في النَّمْرِ . و « الْعَجُولُ » التى فارقتها
ولدها . و « الْبَوُّ » قد مضى تفسيره . وكذلك « فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ »
وقد شرحنا كيف مذهبُه في النحو . وقولها « إِلَى هَيْجَاءِ مُعْضِلَةٍ » تعني
الحرب . وقولها : « كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ » فالعلمُ الجبلُ ، قال الله جل وعز
﴿ وَهِيَ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ وقال جرير :

* إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ *

(١) بحاشية ١ : « الهيجاء الحرب ، بالمد والقصر » .

ومن حسن شعرها قولها :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءِ الْجَمِيلِ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أُمْرَدَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُضْعَدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى الْحَمْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

قولها : « طويلُ النِّجادِ » . « النِّجادُ » هَمَائِلُ السَّيْفِ ، تريدُ بطولِ

نِجَادِهِ طَوْلَ قَامَتِهِ ، وهذا مما يُمدِّحُ به الشَّريفُ ، قال جريرُ :

فَأِنِّي لِأَرْضِي عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضِي الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَقَالَ مَرْوَانَ لِمَهْدِيَّ :

قَصَّرْتُ هَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ وَلَقَدْ تَأَنَّقَ قِيمُهَا فَأَطَالَهَا
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيْئِهِ :

جَدِيرٌ أَنْ يُقِلَّ السَّيْفَ حَتَّى يَنْوَسَ إِذَا تَمَطَّى فِي النَّجَادِ^(١)
وَقَالَ الْحَكَمِيُّ أَبُو نَوَاسٍ :

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ عَمَرَ الْجَاهِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : النَّوَسُ الحِرْكَةُ ، نَاسَ يَنْوَسُ نَوْسًا » .

وقال عَنَتْرَةُ :

بَطَلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)
وقولها : « رَفِيعَ الْعِمَادِ » إنما تريدُ ذلك ، يقال : رجل « مُعَمَّدٌ »
أى طويل ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أى الطَّوَالِ . وقولها :
« مَا عَالَهُمْ » أى نَابَهُمْ وَنَزَلَ بِهِمْ^(٢) ، تقول العربُ : « مَا عَالَكَ فَهُوَ عَائِلِي »
أى مَا نَابَكَ فَهُوَ نَائِي ، وَمِنْ ذَا قَوْلُ كَثِيرٍ :

يَا عَيْنِ بَكِّي لِلَّذِي عَالَنِي مِنْكَ بِدَمْعٍ مُسْبِلٍ هَامِلٍ
وَمِنْ جَيْدِ قَوْلِهَا :

أَبْعَدَ ابْنَ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
لَعَمْرُؤِ أَيُّهُ لِنَعَمِ الْفَتَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَا لَهَا
فَإِنَّ تَكُ مَرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقَاتِلَهَا
فَخَرَّ الشَّوَامِخُ مِنْ فَقْدِهِ وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا
لِأَحْمَلِ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ فَأَيُّمَا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا لَهَا
قولها : « حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » حَلَّتْ مِنَ الْحَلِي ، تقولُ :

(١) بحاشية ١ : « ويروى بطل بالرفع . والسرحة شجرة . وفي ههنا بمعنى على ، فكان
المعنى : كأن ثيابه على سرحة من طوله . والسبت الجلود المدبوغة » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : قال أبو عمر : العزل النقل ، يقال عألني الأمر يعولني
عولا أى أثقلني » .

زينتُ به الأرضُ الموتى، وقال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿وَأُخْرِجَتْ
 الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قالوا الموتى . وقولها « لَنِعْمَ الْفَتَىٰ إِذَا نَفَسُ أُعْجِبَهَا مَالَهَا »
 تقول : يَجُودُ بِمَا هُوَ لَهُ في الوقتِ الذي يُؤَثِّرُهُ أَهْلُهُ على الحمدِ .
 و« الشوامخُ » الجبالُ ، والشامخُ العالِي ، ويقال للمتكبرِ شَمَخَ بِأَنفِهِ .
 وقولها « على آلهِ » أى على حالِهِ وعلى خُطَّةِ هِى الفَيْصَلُ ، فَإِنَّمَا ظَفِرَتْ
 وَإِنَّمَا هَلَكَتْ . وقولها « فَأَوْلَىٰ لِنَفْسِي أَوْلَىٰ لَهَا » يقولُ الرجلُ إذا حاول
 شيئاً فَأَفْلَتَهُ من بعدِ ما كَادَ يَصِيبُهُ : « أَوْلَىٰ لَهُ » وإذا أَفْلَتَ من عَظِيمَةٍ قال
 « أَوْلَىٰ لِي » ، وَيُرْوَى عن ابنِ الحَنَفِيَّةِ أَنه كان يقول إذا مات مَيِّتٌ
 في جِوَارِهِ أو في دارِهِ : أَوْلَىٰ لِي كِدْتُ وَاللَّهِ أَكُونُ السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ ، وقد
 مضى هذا مُفَسَّرًا ، وَأَشِدَّ لِرَجُلٍ يَقْتَنِصُ ، فإذا أَفْلَتَهُ الصَّيْدُ قال : أَوْلَىٰ لَكَ ،
 فَكَثُرَ ذلكُ منه فقال :

فلو كان «أولى» يُطعمُ القومَ صِدَّتْهُمُ ولكنَّ «أولى» يتركُ القومَ جُوعًا
 وقالت الخنساءُ ترى أخاها معاويةَ بنَ عمرو ، وكان معاويةُ أخاها لأبيها
 وأُمِّها ، وكان صَخْرُ أَخاها لأبيها ، وكان أحبَّهما إليها ، وكان صَخْرُ يَسْتَحِقُّ
 ذلكَ منها بأمرٍ : منها أَنه كان موصوفًا بالحلم ، ومشهورًا بالجلود ، ومعروفًا
 بالتقدمِ في الشجاعة ، ومَحْظُوظًا في العَشِيرَةِ :

أريقتي من دُموعِكِ واستَفَيْتِي وصَبْرًا إِن أَطَقْتِ ، ولن تُطِيقِ
 وقولِي : إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ وفارِسَهَا بصَحْرَاءِ العَقِيقِ

أَلَا هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا اللَّيَالِي وَأَيَّامُ لَنَا بِلَوَى الشَّقِيقِ
وَإِذْ نَحْنُ الْفَوَارِسُ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا حَضَرُوا وَفَتِيَانُ الْحُقُوقِ
وَإِذْ فِينَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى أَدْمَاءَ كَالْجَمَلِ الْفَنِيقِ
فَبَسْكَيْهِ فَقَدْ أُوْدَى حَمِيدًا أَمِينَ الرَّأْيِ مُحَمَّدَ الصَّدِيقِ
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي لِفَاحْشَةٍ أَتَيْتَ وَلَا عُقُوقِ
وَلَسْكَنِي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا مِنْ النَّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الْخَالِقِ
قولها « أَرِيقِي مِنْ دَمِوعِكَ وَاسْتَفِيقِي » معناه : أَنْ الدَّمْعَةَ تَذْهَبُ
اللَّوْعَةَ ، وَيُرْوَى عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ مَوْتِ ابْنِهِ أَيُّوبَ
لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَرَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ : إِنِّي لَا جِدُ فِي كَبِدِي جَمْرَةً لَا تَطْفَأُهَا
إِلَّا عَبْرَةٌ ، فَقَالَ عَمْرٌ : إِذْ كَرَّمَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْكَ الصَّبْرَ ، فَنَظَرَ
إِلَى رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ كَالْمَسْتَرْيِحِ إِلَى مَشُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجَاءٌ : أَفْضَلُهَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فَمَا بِذَلِكَ مِنْ بَأْسٍ ، فَقَدْ دَمَعْتَ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَالَ : « الْعَيْنُ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبُ يُوجَعُ ، وَلَا نَقُولُ
مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ » . فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ عَيْنَهُ
فَبَسَكَيَ حَتَّى قَضَى أَرْبَابًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ : لَوْلَمْ أَنْزِفْ هَذِهِ الْعَبْرَةَ
لَأَنْصَدَعْتَ كَبِدِي ، ثُمَّ لَمْ يَبْكِ بَعْدَهَا ، وَلَسْكَنَهُ تَمَثَّلَ عِنْدَ قَبْرِهِ لَمَّا دَفَنَهُ
وَحَشَأَ عَلَى قَبْرِهِ التُّرَابَ ، وَقَالَ : يَا غُلَامُ دَأْبَتِي ، ثُمَّ وَقَفَ مُتَلَفِتًا إِلَى قَبْرِهِ فَقَالَ :
وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ
رَجَعْنَا إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهَا ، وَقَوْلِهَا : « وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقَ »

كقول القائل إن قَدَرْتَ على هذا فافعلْ ، ثم أبانت عن نفسها فقالت :
 « ولن تُطِيقِ » . وقولها : « فلا والله لا تسلاكَ نفسي » تريد : لا تسألوك عنك ،
 كقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى : كألوا لهم ،
 أو وَزَنُوا لهم . وقولها : « لفاحشةٌ أتيتَ ولا عُقُوقِ » . معناه : لا أجِدُ
 فيك ما تسألون نفسي عنك له ، ثم اعتذرت من إقصارها بفضل الصبر فقالت :
 « ولِسَكْنِي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا مِنْ النَعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الْحَلِيقِ »
 تأويلُ « النعلينِ » : أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت
 في يديها نعلين تُصَفِّقُ بهما وجهها وصدرها . قال عبدُ منافِ بنِ ربيعٍ
 الهُدَلِيُّ :

مَآذَا يُغَيِّرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرَفُقْدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا
 كَلَّتَاهُمَا أَبْطَنْتَ أَحْشَاؤُهُمَا قَصَبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدَا
 إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتِ يَلْعَجُ الْجِلْدَا
 قوله : « مَآذَا يُغَيِّرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيْلُهُمَا » يعني أختيه ، يقول : ماذا
 يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ . وقوله : « كَلَّتَاهُمَا أَبْطَنْتَ أَحْشَاؤُهُمَا قَصَبًا »
 أراد لترديدِ النَّاشِئَةِ صوتًا كأنه زميرٌ ، وإنما يَعْنِي بِالْقَصَبِ الْمَزَامِيرَ ،
 كما قال الراعي :

زَجَلُ الْحَدَاءِ كَأَنَّ فِي حَيْرُومِهِ قَصَبًا وَمُقْتَمَةً الْحَنِينِ عَجُولًا
 | قال الأَخْفَشُ : « الزَّجَلُ » اختلاطُ الصوتِ الذي لصوته تطريبٌ ،
 و « الْحَيْرُومُ » الصَّدْرُ ، و « قَصَبًا » يعني زَمَارًا ، شَبَّهَ صوتَ الحادى بِالْمَزَامِيرِ ،

و « مُقْنَعَةٌ » أَرَادَ وَصُوتَ مُقْنَعَةٍ ، يَعْنِي نَاقَةً ، ثُمَّ حَذَفَ الصَّوْتَ وَأَقَامَ
« مُقْنَعَةٌ » مَقَامَهُ | وَقَالَ عَنَتْرَةٌ :

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَصَبِ أَجَشٍّ مُهَضَّمٍ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ نَرْمَنَائِي . وَقَوْلُهُ « لَا رَطْبًا وَلَا تَقْدَا » يَقُولُ :
لَيْسَ بِرَطْبٍ لَا يَبِينُ فِيهِ الصَّوْتُ ، وَلَا بِمَوْتَكِلٍ ، يُقَالُ « تَقَدَّتِ السَّنُّ »
إِذَا مَسَّهَا اثْتِكَالٌ ، وَكَذَلِكَ الْقَرْنُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* يَا لِمُ قَرْنَا أَرْوْمُهُ تَقْدُ *

وَقَوْلُهُ « بِسَبْتٍ » يَعْنِي النَّمْلَ الْمُنْجَرِدَةَ . وَ« يَلْعَجُ » يُؤَثِّرُ . وَاحْتِجَاجٌ
إِلَى تَحْرِيكِ « الْجِلْدِ » فَاتَّبَعَ آخِرَهُ أَوْلَهُ ، وَكَذَلِكَ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ فِي كُلِّ
شَيْءٍ سَاكِنٍ . وَأَمَّا قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

خَلَمَنَ حَلِيْمِيْنَ فَهِنَّ دُطُلُ وَبِعَنَ بِهِ الْمُقَابَلَةَ التَّوَامَا

يَعْنِي اشْتَرَيْنِ النَّعَالَ ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، إِنَّمَا سُبَيْنَ فَاشْتَرَيْنِ
نَعَالًا لِلْخِدْمَةِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَخِذْنَ حَرِيرَاتٍ وَأَبْدَيْنَ مَجْلَدًا وَدَارَ عَلَيْهِنَّ الْمُنْقَشَةُ الصُّفْرُ

يَعْنِي الْقِدَاحَ ، يَقُولُ : سُبَيْنَ فَافْتَسِمْنَ بِالْقِدَاحِ .

وَإِنَّمَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ هَذَا الشَّعْرَ فِي مَعَاوِيَةَ أَخِيهَا قَبْلَ أَنْ يُصَابَ صَخْرٌ
أَخْوَاهَا ، فَلَمَّا أُصِيبَ صَخْرٌ نَسِيَتْ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ . وَكَانَ مَعَاوِيَةُ فَارِسًا
شَجَاعًا ، فَأَغَارَ فِي جَمْعٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَطْفَانَ ، وَكَانَ صَمِيمَ خَيْلِهِمْ ،
فَنَذَرَ بِهِ الْقَوْمَ فَاحْتَرَبُوا ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْعُنُ فِيهِمْ وَيَضْرِبُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَهَيَّأَ

له ابنا حرمة: دريد، وهاشم، فاستطرد له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنه،
 وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله، فتنادى القوم: قتل معاوية،
 فقال خفاف بن نذبة: قتلتني الله إن رميت حتى أثار به، فحمل على مالك
 بن حمار، وهو سيد بني شمع بن فزارة فقتله، وقال:

فإن تك حيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عيني تيممت مالكا
 وفتت له علوى وقد حام صحبتي لأبني مجداً أو لأثار هالكا^(١)
 أقول له والرُمح ياطرُ منته تأمل خفافاً إنني أنا ذليكا^(٢)

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر، فقال: أيكم قاتل
 أخي؟ فقال أحد ابني حرمة للآخر: خبره، فقال: استطردت له
 فطعنتي هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله، فأينما قتلت فهو ثارك، أما
 إنا لم نسب أخاك، قال: فما فعلت فرسه السمي؟ قال: هاهي تلك
 فخذها، فانصرف بها، فقيل لصخر: ألا تهجوهم؟! فقال: ما بيني
 وبينهم أقدع من الهجاء، ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانةً لللسان عن الخنا
 لفعلت، ثم خاف أن يظن به عي فقال:

(١) «علوى» اسم فرسه. «حام صحبتي» نكبوا وجبنوا، يعني أصحابه.
 (٢) بحاشية ١: «ابن شاذان: قال أبو زيد: أطرت القوس أطرها أطراً إذا
 حنيتها، وأطرت السهم أطراً إذا لفتت على مجمع النوق عمبةً واسمها الأطرة،
 وأطرت العود إذا عطفته. قال الخليل: تقول أطرت الشيء أطره أطراً إذا
 عطفته، والأطر تعويجك الشيء تقبض على أحد طرفيه، ثم تأطره فيناطر،
 قال العجاج * يضرب بالسيف إذا الرمح أناطر * قال أبو يعقوب: رأيت في
 في الرواية ياطر منته، بضم النون من المتن مصحح عليه من أبي الحسن المهلبى.»

وعاذلة هبت بليل تلومني
ألا لا تلوميني كفي اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم
ومالي إذ أهجوهم ثم ما بيا
أبي الشتم أني قد أصابوا كريمي
وأن ليس إهداء الخنا من شماليا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية
فحيك رب العرش عني معاويا
وهون وجدى أني لم أقل له
كذبت ولم أنخل عليه باليا
قال أبو عبيدة: فلما أصاب دُرَيْدًا زاد فيها:

وزي إخوة قطع أرحام بينهم
كما تركوني واجدًا لا أخاليًا^(١)
[قال أبو الحسن الأخفش: وزادني الأحول بعد قوله « معاويا »:

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزّه
إذ أراح فحل الشول أجذب عاريا]
قال أبو العباس: فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم،
فنظرت عطفان إلى خياه بموضعها، فقال بعضهم لبعض: هذا صنخر
بن الشريد على فرسه السمي، فقيل: كلال السمي غراء، وكان قد حمم
غرتها، فأصاب فيهم، وقتل دُرَيْدَ بنَ حرملة، وأما هاشم، فإن قيس
بن الأسوار الجشمي، من جشم بن بكر بن هوازن بن منصور، والخنساء
من بني سليم بن منصور، لقيهم منصورين كل واحد منهم من وجهه،
فراه وقد انفرده حاجته، فقال: لا أطلب معاوية بعد اليوم، فأرسل عليه
سهما ففلق قحجحه^(٢)، فقالت الخنساء:

(١) « واجدًا » بالميم من الوجد، وهو الحزن، وفي بعض النسخ « واحدًا » بالخاء مهملة.
(٢) بحاشية ١: ابن شاذان: القحجح عظم العضة الذي يسمى عجب الذنب.
قال المهلب: القحجح العظم الناتي من الظهر بين الألتين.

فِدَى لِلْفَارِسِ الْجَشِمِيِّ نَفْسِي وَأَفْدِيهِ بِمَنْ لِي مِنْ حَمِيمٍ
فَدَاكَ الْحَى حَىٰ بِنِي سُلَيْمٍ بِظَاعِنِهِمْ وَبِالْأَنْسِ الْمُقِيمِ
كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَزْتَ عَيْنِي وَكَانَتْ لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ (١)
فَأَمَّا صَخْرٌ فَسَنَدُ كَرْمِ قَتْلِهِ مَعَ انْقِضَاءِ مَا نَذَرَ مِنْ مِرَاثِي الْخُنَسَاءِ إِيَّاهُ ،

قالت الخنساء :

أَلَا يَا صَخْرُ إِنِّي أَبَكَيْتَ عَيْنِي لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءِ مُعْوَلَاتٍ وَكُنْتُ أَحَقَّ مَنْ أَدَى الْعَوِيلَا
دَفَعْتُ بِكَ الْجَلِيلَ وَأَنْتَ حَىٰ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَا
إِذَا قَبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا
وقالت أيضا :

تَعَرَّفَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمًّا (٢)
وَأَفْنَى رَجُلِي فَبَادُوا مَعًا فَأَصْبَحَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْزَا
كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا حَمِيًّا يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزٍّ بَزًّا
وَكَانُوا سَرَاةَ بَنِي مَالِكٍ وَزَيْنَ الْعَشِيرَةِ مَجْدًا وَعِزًّا
وَهُمْ فِي الْقَدِيمِ سَرَاةَ الْأَدِيمِ وَالْكَائِنُونَ مِنَ الْخُوفِ حِرْزًا

(١) « تنيم » ضبطت في الأصول بالرفع وبخفض الميم ، ففيه الإقواء على الأول ، والثاني على اتباع

القافية .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : النهس أخذك الشيء بمقدم فيك ، نهسته الحية

تهسه نهسا . والحز القطع في اللحم غير بأئن » .

وهم منَعُوا جَارَهُمْ وَالذُّسَا ۚ يُحْفِزُ أَحْشَاءَهَا الْخَوْفُ حَفَزَا (١)
 غَدَاةَ لِقْوَهُمْ بِمَلْمُومَةٍ رَدَّاحٍ تَعَادِرُ لِلْأَرْضِ رِكْزَا (٢)
 وَخَيْلٍ تَكْدَسُ بِالْدَارِعِينَ نَحْتِ الْعَجَاجَةِ بِحُزْنٍ حَمَزَا (٣)
 يَبِيضُ الصَّقَاحِ وَسُمُرُ الرَّمَّاحِ فَبِالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالسُّمْرِ وَخَزَا (٤)
 جَزَزْنَا نَوَاصِيَ فُرْسَانِهِمْ وَكَانُوا يَطْنُونَ أَلَّا تُحْزَا
 وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُبْلَاقِي الْحُرُوبَ بَانَ لَا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجَزَا
 نَعْفًا وَنَعْرَفُ حَقَّ الْفِرْعَى وَتَتَّخِذُ الْحَمْدَ ذُخْرًا وَكَتْرَا
 [وَنَلْبَسُ طَوْرًا ثِيَابَ الْوَعَى وَطَوْرًا بِيَاضًا وَعَصَبًا وَخَزَا] (٥)

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد : أنه جمع جمعاً وأغار على
 بنى أسد بن خزيمة ، فنذروا به ، فالتقوا فافتتلوا قتالاً شديداً ، فارتفض
 أصحاب صخر عنه ، وطمته أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها ، فلما صار
 إلى أهله تعالج منها ، فتتأ من الجرح كمثل اليد ، فأضناه ذلك حولاً ،
 فسمع سائلاً يسأل امرأته وهو يقول : كيف صخر اليوم ؟ فقالت :
 لا ميت فينمى ، ولا صحيح فيرجى ، فعلم أنها قد برمت به ، ورأى تحرق
 أمه عليه فقال :

- (١) بحاشية ١ : « المهلبى : أصل الحفز حثك الشيء من خلفه وغير سوق ، والرجل
 يحفز في جلوسه : يريد القيام والبطش بشيء » .
 (٢) بحاشية ١ : « المهلبى : كتيبة رداح كثيرة الفرسان . وملمومة وململة : مجتمعة » .
 (٣) بحاشية ١ : « ابن شاذان : الجز ضرب من سير الإبل أشد من القمق » .
 (٤) بحاشية ١ : « الوخز الطين ، وخره وخرأ : إذا طعنه بالرمح . والركز : الحس والصوت »
 (٥) البيت زيادة من بعض النسخ .

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَحِيثُ دُمُوعُهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَارَةً عَلَيْكَ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
 أَهْمٌ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَبْرِ وَالنَّزْوَانِ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْبَهتِ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعَتِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
 فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَرَ إِلَّا فِي شَقَى وَهَوَانِ

ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلما قطعه يَدَسَ من نفسه ، فبكاها فقال :

أَيَا جَارَتَا إِنَّ الْخُطُوبَ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، كُلَّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
 أَيَا جَارَتَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
 كَأَنِّي وَقَدْ أُذِنُوا إِلَيَّ شِفَارَهُمْ مِنَ الْأَدَمِ مَصْقُولُ السَّرَاةِ نَكِيبُ



قال أبو العباس : ومن حُلُوِ المَرَاثِي وَحَسَنِ التَّأْبِينِ شِعْرُ ابْنِ مُنَادِرٍ ،
 فإنه كان رجلاً عالماً مُقَدِّمًا شاعرًا مُفْلِقًا ، وخطيبًا مصقعا ، وفي دهرٍ
 قريبٍ ، فله في شعره شِدَّةُ كلامِ العرب بروايته وأدبه ، وحلاوةُ كلامِ
 المُحَدِّثِينَ بعصره ومشاهدته ، ولا يزالُ قد رَمِيَ في شعره بالمثلِ السائرِ ،
 والمعنى اللطيفِ ، واللفظِ الفخْمِ الجليلِ ، والقولِ المُتَّسِقِ النَّبِيلِ . وقصيدتهُ
 لها امتدادٌ وطولٌ ، وإنما تُعْمَلِي منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا . قال يرثي
 عبدَ المجيدِ بنَ عبدِ الوهابِ الثَّقَفِيَّ ، وكان به صَبًا ، واعتُبِطَ عبدُ المجيدِ
 لعشرينَ سنةً من غيرِ ما عِلَّةٍ ، وكان من أَجْمَلِ الفِتْيَانِ وَأَدَبِهِمْ وَأَظْرَفِهِمْ ،
 فذلك حيثُ يقولُ ابنُ مُنَادِرٍ :

حين تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَرَدَّى بِرْدَاءِ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدِ
 وَسَقَاهُ مَاءَ الشَّبِيبةِ فَأَهْتَزَّ اهْتِزَازَ الغُصْنِ النَّدىِ الأَمْلُودِ
 وَسَمَتْ نَحْوَهُ العِيونُ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ لَزَائِدٍ مِنْ مَزِيدِ
 وَكَأَنِّي أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ حِينَ أَدْعُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ
 فَلَمَّ صَارَ لَا يُجِيبُ لَقَدْ كَانَ سَمِيعًا هَشًا إِذَا هُوَ نُودِي
 يَا فَتَى كَانَ لِلْمَقَامَاتِ زِينًا لَا أَرَاهُ فِي المَحْنَلِ المَشْهُودِ
 لَهْفَ نَفْسِي أَمَا أَرَاكَ ، وَمَا عِنْدَكَ لِي إِنْ دَعَوْتُ مِنْ مَرْدُودِ
 كَانَ عَبْدُ المَجِيدِ سَمَّ الأَعَادِي مِلءَ عَيْنِ الصِّدِيقِ رَغْمَ الحَسُودِ
 عَادَ عَبْدُ المَجِيدِ زُرًّا وَقَدْ كَانَ رَجَاءَ لَرَيْبٍ دَهْرٍ كَنُودِ^(١)
 خُشْتُكَ الوُدِّ لَمْ أُمْتُ كَمَدًا بَعْدَكَ إِنِّي عَلَيْكَ حَقٌّ جَلِيدِ
 لَوْ فَدَى الحَى مِيتًا لَفَدْتُ نَفْسَكَ نَفْسِي بِطَارِفِي وَتَلِيدِي
 وَلَمَّا كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الحَزَنِ عَلَيْهِ لَا بَلُغْنَ مَجْهُودِي
 لَأَقِيمَنَّ مَا تَمَّا كَنَجُومِ اللَّيْلِ زُهْرًا يَلْطَمَنَّ حُرَّ الخُدُودِ
 مُوجِعَاتِ يَبْكِينَ لِلسَّكْبِ الحَرَّى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ العَمِيدِ
 وَلِعَيْنِ مَطْرُوفَةٍ أَبَدًا قَا لَهَا الدَّهْرُ : لَا تَقَرَّرِي وَجُودِي^(٢)

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : الكنود من قولهم : كند فلان نعمة الله ، أى : كفرها ،
 وفلان كنود لنعمة الله عنده ، ومنه اسم كنفدة أبى قبيلة من العرب » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان . يقال قَرَرْتُ بهذا الشيء عينا فأنا أَقَرُّ به ، والاسم
 القرة ، ويقال : قرت عيني به قرَّة . ويقال : قَرَرْتُ فى منزلى فأنا أَقَرُّ فيه قراراً
 وقروراً . ابن شاذان : يقال : طَرَفْتُ عينه إذا ضربتها بيدك أو بشيء حتى تدمع ،
 والاسم الطَّرْفَةُ » .

كَلَّمَا عَزَّكَ الْبَكَاءُ فَأَنْفَدَ تِ لَعْبِدِ الْمَجِيدِ سَجَلًا فَعَوْدِي
لِفَتَى يَحْسُنُ الْبَكَاءَ عَلَيْهِ وَفَتَى كَانَ لَامْتِدَاحِ الْقَصِيدِ
وَأَوَّلُ هَذَا الشَّعْرِ :

كَلُّ حَيٍّ لَاقِي الْحَمَامِ فَعَوْدِي مَا لِحَيٍّ مُؤَمِّلٍ مِنْ خُلُودِ
لَا تَهَابُ الْمَنُونَ شَيْئًا وَلَا تَرُ عِيَّ عَلَى وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ
يَقْدَحُ الدَّهْرُ فِي شَمَارِيخِ رَضْوَى وَيَحْطُ الصُّخُورَ مِنْ هَبُّودِ (١)
وَلَقَدْ تَتْرَكَ الْحَوَادِثُ وَأَيَّامٌ وَهِيَ فِي الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ (٢)
وَفِي هَذَا الشَّعْرِ مِمَّا اسْتَحْسَنْتُهُ :

أَيْنَ رَبِّ الْحِصْنِ الْحَصِينِ بِسُورًا ءَ وَرَبِّ الْقَصْرِ الْمَنِيْفِ الْمَشِيدِ
شَادَ أَرْكَانَهُ وَبَوَّأَهُ بَابًا بَنَى حَدِيدٍ وَحَفَّهُ بِجَنُودِ
كَانَ يُجَبِّي إِلَيْهِ مَا بَيْنَ صَنَعَا ءَ فَمَضَرَ إِلَى قُرَى يَزُودِ
وَتَرَى خَلْفَهُ زَرَافَاتِ خَيْلٍ جَافَلَاتٍ تَعْدُو بِمِثْلِ الْأَسْوَدِ
فَرَمَى شَخْصَهُ فَأَقْصَدَهُ الدَّهْرُ بِسَهْمٍ مِنَ الْمَنَايَا سَدِيدِ
ثُمَّ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْمَوْتِ حِصْنٌ دُونَهُ خَنْدَقٌ وَبَابًا حَدِيدِ
وَمُلُوكٌ مِنْ قَبْلِهِ عَمَرُوا الْأَرْضَ ضَ أَعِينُوا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : هَبُّودُ جَبَلٌ ، وَيُرْوَى مِنْ عَبُّودٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ أَيْضًا » .

(٢) بحاشية ١ : « قَالَ ابْنُ شَاذَانَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَمْرٍو

الشَّيْبَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَبِي عَمْرٍو قَالَ : يُقَالُ : يَوْمَ صَيْخُودٍ وَصَيْخُدٍ وَصَيْهَدٍ وَصَهْدَانٍ :

إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحَرِّ . الْمَهْلِيُّ : صَخْرَةُ صَيْخُودٍ : صَمَاءٌ صَلْبَةٌ » .

فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخَذْنَ حَيًّا لَعَلَّاهُ أَخَذْنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ
 مَا دَرَى نَعْشُهُ | وَلَا حَامِلُوهُ مَا عَلَى النِّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
 وَيُنْحَ أَيْدٍ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ دَفَنَتْهُ ، مَا غَيَّبَتْ فِي الصَّعِيدِ
 إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدًّا رُكْنَا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
 [وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَخْضُدُهُ الدَّهْرُ فَمِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
 وَكَأَنَّا لِمَوْتِ رَكْبٍ مُخْجَبٍ نَسْرَاعًا لِمَنْهَلٍ مَوْزُودِ]
 هَدًّا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ بَرُّكُنِ أَنْوَاءَ مِنْهُ شَدِيدِ
 [فَبِعَبْدِ الْمَجِيدِ تَأْمُورِ نَفْسِي عَثَرْتُ بِي بَعْدَ انْتِعَاشِ جُدُودِي
 وَبِعَبْدِ الْمَجِيدِ شَلَّتْ يَدِي الْيُمْنَى وَشَلَّتْ بِهِ يَمِينُ الْجُودِ]
 وفي هذا الشعر :

فَبِرَنَّمِي كُنْتَ الْمُقَدَّمُ قَبْلِي وَبِكُرْهِي دُلَيْتَ فِي الْمَلْحُودِ
 كُنْتَ لِي عِصْمَةً وَكُنْتَ سَمَاءَ بَكَ تَحِيًّا أَرْضِي وَيَخْضَرُّ عُودِي
 قال أبو العباس : وكانت العربُ تُقدِّمُ مرَاثِي وتُقَضِّلُهَا ، وترى قائلها
 بها فوقَ كلِّ مؤبِّنٍ ، وكانهم يروْنَ ما بعدها من المراثي منها أخذتْ ،
 وفي كنفها تصلحُ . فمنها قصيدةُ أعشى بأهله ، ويكنى أبا قحافة ، التي يرثي
 بها المنذر بن وهب الباهلي ، وكان أحدَ رجلي العرب ^(١) [قال الأَخْفَشُ :
 هو منسوبٌ إلى الرَّجَلِ] وهم السُّعَاةُ السابقون في سعيهم ، وكان من خبره

(١) بحاشية ١ : « قال المهلبى : الرجلُ الشديدُ العدو والقوى عليه ، وهم الذين يغزون رحالة ،
 والجمع رجليون » .

أَنَّهُ أَسْرَ صَلَاةَ بْنِ الْعَبْرِ الْحَارِثِيِّ ، فَقَالَ : أُفِدِ نَفْسَكَ ، فَأَبَى ، فَقَالَ :
لَأَقَطِّعَنَّكَ أُنْمَلَةً أُنْمَلَةً^(١) ، وَعُضْوًا عُضْوًا مَا لَمْ تَقْتَدِ نَفْسَكَ ؛ فَعَمِلَ يَفْعَلُ
ذَلِكَ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ حَجَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمُنْتَشِرُ ذَا الْحُلُصَةِ ، وَهُوَ بَيْتٌ
كَانَتْ خَشَعَهُمْ تَحَجُّهُ ، زَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ بِالْعَبَلَاتِ ، وَأَنَّهُ مَسْجِدٌ جَامِعٌ بِهَا ،
فَدَلَّتْ عَلَيْهِ بَنُو نُفَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كِلَابِ الْحَارِثِيِّينَ ؛ فَقَبِضُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا :
لِنَفْعَلَنَّ بِكَ كَمَا فَعَلْتَ بِصَلَاةَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ، فَاتَى رَاكِبٌ أُعْشَىٰ بَاهِلَةَ ،
فَقَالَ لَهُ أُعْشَىٰ بَاهِلَةَ : هَلْ مِنْ جَائِبَةٍ خَبِرَ^(٢) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَسْرَتْ بَنُو الْحَرْثِ
الْمُنْتَشِرَ ، وَكَانَتْ بَنُو الْحَرْثِ تُسَمَّى الْمُنْتَشِرَ مُجَدَّةً ، فَلَمَّا صَارَ فِي أَيْدِيهِمْ
قَالُوا لِنُقَطِّعَنَّكَ كَمَا فَعَلْتَ بِصَلَاةَ ، فَقَالَ أُعْشَىٰ بَاهِلَةَ يَرِثِي الْمُنْتَشِرَ :

إِنِّي أَتَنِي لِسَانُ لَا أَسْرُ بِهَا مِنْ عَلٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ
فَبِتُّ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ حَيْرَانَ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
فَجَاسَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَشْلِيثِ مُعْتَمِرٍ
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا مُضَرُّ
يَنْعَىٰ امْرَأًا لَا تُغِبُّ الْحَى جَفْنَتُهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَا نَوَاهَا الْمَطَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

(١) بمحاشية ١ : « قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ : أُنْمَلَةٌ وَأُنْمَلَةٌ ، وَالْجَمْعُ الْأَنْمَالُ ، وَهِيَ مِنْتَهَى

الفاصل الأوائل من كل إصبع من اليدين والرحلين » .

(٢) بمحاشية ١ : « قَالَ ابْنُ شَادَانَ : قَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْجَوَائِبُ وَالْجَائِبَاتُ مِنَ الْأَخْبَارِ ،

الواحدة جَائِبَةٌ ، تَقُولُ : عِنْدَكَ جَائِبَةٌ ، أَيْ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَخْبَارِ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَقَدْ
ثَابَتْ إِلَيْكُمْ جَوَائِبُ الْأَخْبَارِ » .

طَاوِي الْمَصِيرِ عَلَى الْعِزَاءِ مُنْصَلِتٌ
 لَا تُنْكَرُ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءُ ضَرْبَتُهُ
 وَتَفْزَعُ الشَّوْلُ مِنْهُ حِينَ يُبْصِرُهُ
 لَا يُضْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرَهُ كَبَهُ
 تَكْفِيهِ فَلِذَلِكَ كَيْدٌ إِنْ أَلَمَّ بِهَا
 لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ
 لَا يَغْزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبِ
 مَهْفَهْفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ
 عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا
 [فَإِنْ جَزَعْنَا فَقَدْ هَدَّتْ مُصِيبَتُنَا
 إِنِّي أَشَدُّ حَزِينِي ثُمَّ يُدْرِكُنِي
 لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ
 إِمَّا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُبَاوَأَةٍ

بِالْقَوْمِ لِيَالَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ
 بِالْمَشْرِفِيِّ إِذَا مَا اجْلَوَّذَ السَّفَرُ^(١)
 حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرْرُ
 وَكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَا تَمْرُ
 مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْعُمَرُ^(٢)
 وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ
 وَلَا يَمَضُّ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ
 عَنْهُ الْقَمَيْصُ ، لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
 كَذَلِكَ الرَّيْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
 وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صَبْرُ
 مِنْكَ الْبَلَاءُ وَمِنْ آلائِكَ الذِّكْرُ]
 مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ
 يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَلْتَصِرُ^(٣)

(١) بحاشية ١ : « عند ابن ساذان : لا تأمن البازل . وعنده : إذا ما اخلووظ السقر ،
 أى امتد . وقال ابن ساذان : يقال اجلووذ الليل واخلووظ السفر . »

(٢) بحاشية ١ : « عند ابن ساذان : تكفيه حزة لحم . وعنده : ويروى شربه
 العمر . »

(٣) بحاشية ١ : « ابن ساذان : وإن يصبك عدو في مناواة . يقال ناوات الرجل مناواة
 إذا عاديته . »

لَوْ لَمْ تَخْنُهُ نُفَيْلٌ وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمَّ بِالْقَوْمِ وَرَدُّ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ
 وَرَادُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا يُضَى سَوَادَ الطَّخِيَةِ الْقَمَرُ
 إِمَّا سَلَكَتْ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكِهَا فَازْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنَا اللَّهُ مُنْتَشِرٌ
 مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتُهُ رَهَقٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا عَاسَرْتُهُ عَسَرَ^(١)

قوله : « إِنِّي أَتَيْتِي لِسَانٌ » يقال : هُوَ اللِّسَانُ وَهِيَ اللِّسَانُ ، فَمِنْ ذَكَرَ
 جَمْعَهُ «السِّنَّةُ» ، وَنَظِيرَهُ «حِمَارٌ وَأَحْمِرَةٌ» ، وَفِرَاشٌ وَأَفْرِشَةٌ ، «وَإِزَارٌ
 وَآزِرَةٌ» ، وَمِنْ أَنْتَ قَالَ «لِسَانٌ وَالسُّنُّ» كَمَا تَقُولُ «ذِرَاعٌ وَأَذْرُعٌ»
 وَ«كِرَاعٌ وَأَكْرِعٌ» لَا تَبَالِي أَمْضُمُومَ الْأَوَّلِ كَانَ أَوْ مَفْتُوحًا أَوْ مَكْسُورًا
 إِذَا كَانَ مُؤَنَّثًا ، الْأَتْرَى أَنْتَ تَقُولُ «شِمَالٌ وَأَشْمَلٌ» قَالَ أَبُو النَّجْمِ :
 * يَا تِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلِ *

وَقَالَ آخِرُ ، أَنَسِدْنِيهِ الْمَازِنِيُّ :

فَطَلَّتْ تَكُوسٌ عَلَى أَكْرِعٍ ثَلَاثٌ وَكَانَ لَهَا أَرْبَعٌ^(٢)
 وَأَرَادَ بِاللِّسَانِ هَهُنَا : الرَّسَالَةَ . وَقَوْلُهُ : «مِنْ عَلٌ» يَقُولُ : مِنْ فَوْقُ ،
 فَإِذَا كَانَ مَعْرِفَةً مَفْرَدًا بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ ، كَقَبْلُ وَبَعْدُ ، وَإِذَا جَعَلْتَهُ نَكْرَةً
 نَوَّنْتَهُ وَصَرَفْتَهُ ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ :

إِنِّي أَنْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلٍ

(١) بِحَاشِيَةِ ١ : « فِي رِوَايَةِ ابْنِ شَادَانَ : إِذَا يَاسَرْتَهُ عَسَرَ » .

(٢) بِحَاشِيَةِ ١ : « ابْنُ شَادَانَ : يَقَالُ كَاسَ الْبَعِيرِ يُكُوسُ كَوْسًا : إِذَا قَطَعْتَ إِحْدَى
 قَوَائِمِهِ فُجِبَا عَلَى ثَلَاثٍ » .

والقوافي مجرورة ، وإن شئت رددت ما ذهب منه ، وهي أَلِفٌ منقلبةٌ
من واوٍ ، لأنَّ بناءه « فَعَلٌ » من « عَلَا » يافتي ، قال الراجزُ :

وهي تنوش الحوضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلَا
وقوله : « فَبِتُ مُرْتَفِقًا » وهو المُشْكِيُّ على مِرْفَقِهِ ، وإنما أراد السَّهْرَ ،

كما قال أبو ذؤيبٍ :

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا كَانَ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

وقوله : « جَاشَتِ النَّفْسُ » يقولُ : خَبَّتْ ، يكونُ ذلك من
تذكُّرِهَا لِلتَّمَوُّعِ وَمِنْ جَزَعِهَا مِنْهُ ، وَيُرْوَى عَنْ معاويةَ أَنَّهُ قَالَ : اجْعَلُوا
الشَّعْرَ أَكْثَرَ هَمِّكُمْ وَأَكْثَرَ آدَابِكُمْ ؛ فَإِنْ فِيهِ مَا تَرُّ اسْتِلافِكُمْ وَمَوَاضِعَ
إِرشادِكُمْ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ التَّهْرِيرِ ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الفِرَارِ ، فَمَا يَرُدُّنِي
إِلَّا قَوْلُ ابْنِ الإِطْنَابَةِ الأَنْصَارِيِّ :

أَبَتْ لِي عَفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخَذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرِّيحِ
وإِجْشَاحِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ البَطْلِ المُشْبِحِ^(١)
وقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي^(٢)

(١) بحاشية ١ : « ابن ساذان : أشاح الرجلُ إشاحةً فهو مُشِيحٌ : حاذِرٌ مِنَ الأَمْرِ ،
وَأَشَاحٌ : جَدٌّ ، وَهُوَ مِنَ الأَضْدَادِ ، وَشَاحٌ وَهُوَ مُشَاحٌ ، وَشَاحٌ وَهُوَ شَاحٌ
وَشِيحٌ » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن ساذان : قوله جَشَّاتُ وَجَاشَتْ : نَهَضَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، وَمِنْهُ
اسْتِثْقاقُ نَجَشَّاتُ ، وَالاسْمُ الجَشَّاءُ ، وَهُوَ تَنَفُّسُ المَعْدَةِ عِنْدَ الأَكْلِ ، وَيُقَالُ جَشَّاتُ
النِّعْمُ ، وَهُوَ صَوْتُ يُخْرَجُ مِنَ الحَلْقِ ، قَالَ امرؤ القيس : إِذَا جَشَّاتُ سَمِعْتَ لَهَا » .

يقال : « جَسَّاتٌ » مهموزٌ ، و « جَاشَتٌ » غيرُ مهموز . و « تَثْلِيثٌ » موضعٌ بعينه . وقوله : « لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ » يقال : استقام فلانٌ فما لَوِيَ على أحدٍ ، ويقال : أَلْوِيَ بالشيء إذا ذهبَ به . وقوله : « إِذَا الْكُوكَبُ أَخْطَأَ نَوْءَهَا الْمَطْرُ » ، فالنَّوْءُ عندهم طلوعُ نجمٍ وسقوطُ آخرٍ ، وليس كلُّ الكوكبِ لها نَوْءٌ ، وإنما كانوا يتقوَّلون هذا في أشياء بعينها ، ويُروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا » يعني أَمْرَ الْأَنْوَاءِ ، لم يختلف في ذلك المفسرون ، وعنه عليه السلام في غِبِّ سَمَاءٍ : « أَتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؟ قَالَ : أَصْبَحَ عِبَادِي مُؤْمِنًا بِي وَكَافِرًا بِالْكَوكَبِ ، وَكَافِرًا بِي وَمُؤْمِنًا بِالْكَوكَبِ . فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ بِالْكَافِرِ بِالْكَوكَبِ فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ الرَّحْمَةِ ، وَالْمُؤْمِنُ بِالْكَوكَبِ الْكَافِرِ بِي الَّذِي يَقُولُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا . و : « النَّوْءُ » مهموزٌ ، وهو من قولك « نَاءٌ بِجَمَلِهِ » أَي اسْتَقَلَّ بِهِ فِي ثِقَلٍ ^(١) ، فالنَّوْءُ مهموزٌ ، وهو في الحقيقة الطالعُ من الكوكبِ لا النَّوْءُ ، وكان الأصمعيُّ لَا يَفْسِّرُ مِنَ الشَّعْرِ مَا فِيهِ ذِكْرُ الْأَنْوَاءِ ، بَلْ كَانَ لَا يَسْمَعُ مَا كَانَ فِيهِ هِجَابٌ أَوْ كَانَ فِيهِ ذِكْرُ النُّجُومِ ، وَلَا يَفْسِّرُ مَا وَافَقَ تَفْسِيرَهُ بَعْضَ مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا سَاهِيًا ، فَمَا يَذْكَرُ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ غَيْرِ شَيْءٍ

(١) بحاشية ١ : « قال الخليل : الثَّقَلُ مصدر الشيء الثَّقِيلُ ، تقول : ثَقُلَ الشيءُ يثقل ثِقَلًا فهو ثَقِيلٌ ، والثَّقَلُ رجحان الثَّقِيلِ . »

من ذلك فأباه وزَجَرَ السائلَ . وقوله « طَاوِي الْمَصِيرِ » يقال لواحد الْمَصْرَانِ
 « مَصِيرٌ » ، وتقديره « قَضِيبٌ وَقُضْبَانٌ » ، و « كَثِيبٌ وَكُثْبَانٌ » ، و « الْعَزَاءُ »
 الأمرُ الشديدُ ، يقال : فلانٌ صابرٌ على الْعَزَاءِ ، وكذلك اللَّأْوَاءُ ، وكذلك
 الْجَلِيُّ مقصورٌ ؛ فأما الْعَزَاءُ ، وَاللَّأْوَاءُ فمدودانِ . وقوله « مُنْصَلِتٌ » يقال
 سيفٌ مُنْصَلِتٌ وصاتٌ : إذا جُرِّدَ من نَعْمِدِهِ . وقوله « لَيْلَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجْرٌ »
 يريد : الْقَفْرَ ، ووقت الصُّعُوبَةِ . وقوله « لَا تُنْكَرُ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءُ ضَرْبَتَهُ
 بِالْمَشْرِفِ » يقول : قد عَوَّدَ الْإِبِلَ أَنْ يَنْحَرَهَا ، وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يُعْرِقُبُوهَا
 قَبْلَ النَّحْرِ ، وَالْمَشْرِفِيُّ : السَّيْفُ ، وهو منسوبٌ إِلَى الْمَشَارِفِ . وقوله
 « اجْلَوِّدَ » امتدَّ ، وَأَنْشَدَنِي الزِّيَادِيُّ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، أَحْسَبُهُ
 ابْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ :

أَلَا حَبَّذَا حَبَّذَا حَبَّذَا حَبِيبٌ تَحَمَّلْتُ مِنْهُ الْأَذَى
 وَيَا حَبَّذَا بَرْدُ أَنْيَابِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَاجْلَوِّدَا

وقوله : « حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرْرُ » يقول : حَتَّى اعْتَادَتْ أَنْ يَنْحَرَهَا ،
 فَهِيَ تَفْرَعُ مِنْهُ حَتَّى تَقَطَّعَ جِرَّتُهَا ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْخَنَوْتِ :

سَأَبِكِي خَلِيلِي عَتْرًا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَسَيْفِي مِرْدَاسًا قَتِيلَ قَنَانِ
 قَتِيلَانَ لَا تَبْكِي اللَّقَاحُ عَلَيْهِمَا إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَأَفَانِ^(١)

يقول : كَانَا يَنْحَرَانِ الْإِبِلَ ، فَهِيَ لَا تَجْزَعُ لِفَقْدِهِمَا ، وَقَرْمَلٌ وَأَفَانٌ :

(١) بحاشية ف : « الفرملة والأفاني : الأجود إذا أدخلت الأنف واللام أن تلتحق الياء الأفاني » .

ضربانٍ من النَّبْتِ^(١) . وشبيهه بهذا قوله حيث يقول :

فلو كان سَيْفِي بِالْمِينِ تَبَاشَرْتُ ضِبابُ المَلَأَ من جَمِيعِهِم بِقَتِيلِ
يقول : هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب ، فكأما قُتِلَ منهم واحد
سُرَّتْ بذلك الضبابُ واستبشرت . وقوله « لا يَتَأَرَى لِمَا فِي القِدرِ
يَرُقبُهُ » يقول : لا يَتَحَبَّسُ له ، ومن ذَا سُمِّي الأَرِي ؛ لأنه مَحْبَسُ الدابة .
وقوله « ولا تَرَاهُ أَمَامَ القومِ يَتَقَفِرُ » يقول : لا يسبقهم إلى شيء من الزاد .
وقوله « ولا يَعْضُ على شَرَسُوفِهِ الصَّفَرُ » الشَّرَاسِيفُ : أطرافُ الصلوع ،
والصَّفَرُ ههنا : حَيَّةُ البطنِ ، وله مواضع . وقوله « مُهْمَهْفٌ » يعني ضامراً ،
وأَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ توكيدٌ له . وقوله : « إِمَّا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُباوَأَةٍ »
يقول : في وترٍ ، يقال باءُ فلانٍ بكذا ، كما قال مُهْلَهُلٌ : بُؤُ بِشِيعِ كَلِيبِ :
أى هو نَارٌ بِالشِّيعِ . و « الطَّخِيَّةُ ، والطَّخِيَّةُ ، والطَّخِيَّةُ » ثلاثُ لغاتٍ :
شِدَّةُ الظَّامَةِ ، وكان الذي أصابه هُنْدَ بنُ أسماءَ الحارثيُّ ، ففي ذلك يقولُ :
أَصَبْتُ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخًا ثِقَةً هُنْدَ بنَ أسماءَ لا يَهِنِي لَكَ الظَّفَرُ
يقال « هَنَأَهُ ذلكَ وهنأه له » كما تقولُ « هَنِياً لك » قال الأَخْطَلُ :

(١) بحاشية ١ : « قال أبو زياد السكلابي : الأفاني من العُشْبِ ، وهي غبراء لها زهرة حمراء ، وهي طيبة ، الواحد أفانية . وقال أبو عمرو : الأفاني من أحرار البقل ، ولها زهرة صغيرة حمراء ، وقال لي بعض الأعراب : الأفانية بقلة ثم تصير كالشجرة خضراء غبراء . وقال الأصمعي : يشبه فرخ القطاة المشوك ، وقال : من الأفاني أحمر وأصفر . قال أبو زياد السكلابي : القرمل والواحدة قرملة ، وهي شجرة من الخَمْضِ تنبت في السباخ على ساق واحدة ، لا ورق لها . »

إلى إمامٍ تُغَادِينَا فَوَاضِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلَيْهِنِي لَهُ الظَّفَرُ
 وقوله « وليسَ فيه إذا عَاسَرْتَهُ عَمْرٌ » مَدْحٌ شَرِيفٌ ، مثلُ قولهم
 « إذا عَزَّ أَخوكَ فَهَنْ » وإنما هذا فيمن لا يَخَافُ اسْتِذْلَالَه ، بأن يَخْرُجَ
 صاحِبُه عند مُسَاهَلَتِهِ إلى بابِ الذَّلِّ ، فأما مَنْ كان كذلك فَمُعَاسَرَتُهُ أَجْمَدُ ،
 ومُدَافَعَتُهُ أَمْدَحُ ، كما قال جريرٌ :

بِشْرِ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَمْرٌ ، وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورٌ



قال أبو العباس : ومن أشعارِ العربِ المشهورةِ المُتَخَيَّرَةِ في المراثي
 قصيدةُ مُتَمِّمِ بنِ نُوزَيْرَةَ في أخيه مالكٍ ، وسنذكرُ منها أبياتاً نختارُها ،
 من ذلك قولُه ^(١) :

أقولُ وقد طارَ السَّنَا في رَبابِهِ	وغيثٌ يسحُ الماءَ حتى ترَيِّعاً ^(٢)
سقى اللهُ أرضاً حلوا قبرُ مالكٍ	ذهابِ العوادي المدجناتِ فأمرعاً
وآثرَ سيلَ الواديينِ بديمةٍ	ترشحُ وسمياً من النَّبتِ خرُوعاً
تحيةً مني وإن كان نائياً	وأضحى ثراباً فوقهُ الأرضُ بلقعاً
فما وجدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ	رأينَ مجراً من حُوارٍ ومصرعاً
يذكرُنَ ذا البثِّ الحزينِ يديتهُ	إذا حنتِ الأولى سجعنَ لها معاً

(١) هو من قصيدة في المفضليات بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون برقم ٦٧ .

(٢) بحاشية ١ : « عند ابن شاذان : وجونٍ يسحُ الماءَ . وقال : الجون ههنا سحاب

بأوجع مني يومَ فارقتُ مالكا
ونادى به الناعي الرفيعُ فأسمعا
وفيها :

وكنّا كندماني جديمةَ حِقْبَةٍ
فلما تفرّقنا كآني ومالكا
وعشنا بخيرٍ في الحياةِ وقبلنا
فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا
تقول ابنةُ العمري: مالك بعدما
فقلت لها: طولُ الأسي إذ سألتني
وفقدُ بني أمّ تفانوا فلم أكن
واست إذا ما الدهرُ أحدث نكبةً
ولا فرحٍ إن كنتُ يوماً بغبطةٍ
ولسكني أمضي على ذلك مُقدّما
فعمرك ألاّ تُسمعي ملامةً
وقصرِكِ إنني قد شهدتُ فلم أجد
فلو أن ما ألقى أصاب مُتالعا
وفي هذه القصيدة :

لقد كفّنَ المنهالُ تحت رِدائه
ولا برّمٍ تهدي النساءِ لعرسه
لبيبا أعان اللبّ منه سماحةً
فتي غير مبطانِ العشيّاتِ أروعا
إذا القشعُ من برِدِ الشتاءِ تققعقا
خصيبا إذا ما رائدُ الجذبِ أوضعا

تَرَاهُ كَنَصْلِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذْ أَلَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِئِ السَّوِّءِ مَطْمَعًا
 إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ لَهُمْ نَارُ أَيْسَارِ كَفَى مَنْ تَضَجَّعًا
 بِمَشْنَى الْأَيْدِي ثُمَّ لَمْ تُلْفِ مَالِكًا عَلَى الْفَرْثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يُتَمَزَّعَا

قوله « وقد طار السنأ في ربابه » . « السنأ » الضوء ، وهو مقصور ، قال الله جل وعز : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ ، و « السنأ » من الحسب ممدود ، و « الرَبَابُ » سحابٌ دُونَ السحابِ كالمعلقِ بما فوقه ، قال المازني :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُونََ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ
 وقوله « يَسْحُ » معناه يَصُبُّ ، فإذا قلتَ « يَسْحُو » ، أو « يَسْحَى »
 فعناه يَقْشِرُ ، ومن ذا سُمِّيَتْ « سِحَاءَةٌ » القِرْطَاسِ و « سِحَابَةٌ » ، ومنه قيل
 للحديدة التي يُقْشَرُ بها وجهُ الأرضِ « مِسْحَاةٌ » قال عنترة :

سَحَاً وَسَاحِيَةً فَكَلُّ قَرَارَةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَّصِرْ
 وقوله « تَرَيَعٌ » أى كَثُرَ حَتَّى جَاءَ وَذَهَبَ ، يقال رَاعَ يَرِيَعُ إِذَا رَجَعَ ،
 ومنه سُمِّيَ رَيَعُ الطَّعَامِ ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ بِفَضْلِ ، قال مُرَرَّدٌ :

خَلَطْتُ بِصَاعِي عَجْوَةً صَاعَ حَنْطَةٍ إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَيَعُ
 و « الذَّهَابُ » الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ ^(١) . و « الْمُدْجِنَاتُ » مِنَ السَّحَابِ

(١) بحاشية ١ : « قال أبو زيد : الذَّهَابُ اسمُ المطرِ كله ، ضعيفه وشديده . وقال الخليل : الذَّهْبَةُ الْمَطْرَةُ الْجُودُ ، والجميعُ الذَّهَابُ ، والذَّهْبَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الذَّهَابِ . وقال ابن الأعرابي : الذَّهَابُ الْأَمْطَارُ . »

السُّودُ ، وهو مأخوذٌ من الدَّجِنِ والدُّجِنَةِ ، ومعناه إلباسُ النِّيمِ وظلمته ،
قال طَرَفَةُ :

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجِنِ والدُّجِنِ مُعْجَبٌ بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ المَمْدَدِ
ويقال « أَمْرَعِ الوَادِي » إِذَا أَخْصَبَ ، من ذلك قولُ مَوْلَاةِ بِنِ الأَجِيدِ
عن أَوْفَى بِنِ دَهْمٍ ، قال أبو العباس : حدثني به ابنُ المهديِّ أحمدُ بن
محمدِ النحويِّ ، يُحَدِّثُ به عن الأصمعيِّ عن أبيه ، عن مَوْلَاةِ بِنِ الأَجِيدِ
عن أَوْفَى قال : في النساءِ أَرْبَعٌ ، فَمِنْهُنَّ الصَّدْعُ ، تُفَرِّقُ وَلَا تَجْمَعُ ،
وَمِنْهُنَّ مَنْ لَهَا شَيْئُهَا أَجْمَعُ ، وَمِنْهُنَّ غَيْثٌ وَقَعَ فِي بَلَدٍ فَأَمْرَعُ ، وَمِنْهُنَّ التَّيْعُ ،
تَرَى وَلَا تَسْمَعُ ، قال : فذَكَرْتُ ذلكَ لِرَجُلٍ فَقَالَ : وَمِنْهُنَّ القَرْنُوعُ ،
قَالَتُ : وما هِيَ ؟ قالَ التِي تَكْبَحُلُ عَيْنًا وَتَدَعُ الأُخْرَى ، وَتَلْبَسُ ثَوْبَهَا
مَقْلُوبًا . [قال الأَخْفَشُ : حدثني بذلك أبو العَيْناءِ عن الأصمعيِّ ، وَذَكَرَ نَحْوَ
ذلك] . وَقَوْلُهُ « وَآثَرُ سَيْلِ الوَادِيَيْنِ بَدِيْمَةٌ » زَعَمَ الأصمعيُّ وغيرُهُ من
أهلِ العِلْمِ أَنَّ البَدِيْمَةَ المَطْرُ الدَّائِمُ أَيَّامًا بَرَفِقٍ . وَقَوْلُهُ « تُرَشِّحُ وَنَسِيْمًا »
أَيُّ نَسِيْمَةٌ لذلكَ ، يُقَالُ فلانٌ يُرَشِّحُ للخِلافةِ ، وَ « الوَسْمِيُّ » أوَّلُ مَطْرِ
يَسِمُ الأَرْضَ ، وَ « الوَلِيُّ » كُلُّ مَطْرَةٍ بَعْدَ مَطْرَةٍ ، فَالثَّانِيَةُ وَلِيُّ الأُخْرَى ؛
لأنَّهَا تَلِيها . وَ « الخِرْوَعُ » كُلُّ عُوْدٍ ضَعِيفٍ . وَقَوْلُهُ « فَمَا وَجَدُ أَظْأَرَ
ثَلَاثِ رِوَايَةٍ » . « أَظْأَرَ » جَمْعُ ظَيْرٍ ، وَهِيَ النُّوقُ تَعَطَّفُ على الخِوَارِ
فَتَأَلَّفَهُ ، وَ « رِوَايَةٍ » وَاحِدُهَا رِوَاوَةٌ ، وَمَعْنَى تَرَأَمُهُ تَشْمُهُ ، وَالخِوَارُ وَالدُّ

الناقية، ويقال له حيث يُسقطُ من أمه «سَلِيلٌ» قبل أن تقع عليه الأسماء، فإن كان ذكراً فهو «سَقَبٌ»، وإن كانت أنثى فهي «حَائِلٌ» وهو في ذلك كله «حُوَارٌ» سَنَةٌ. وقوله «نَدْمَانِي جَذِيمَةٌ» يعني جذيمة الأبرش الأزدي، وكان ملكاً، وهو الذي قتلته الزبابة، وهو أول من أوقد بالشمع^(١) ونصب المجانيق للحرب، وله قصص تطول، وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار، وندماه يقال لها مالك، وعقيل، ففي ذلك يقول أبو خراش الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلاً صفاء: مالك وعقيل
والمثل يضرب بهما لطول ما نادماه، كما يضربُ باجتماع الفرقدين،
قال عمرو بن معدى كرب:

وكلُّ أخٍ مفارقةُ أخوه لعمرو أيبك إلا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم. وقال إسماعيل بن القاسم:

ولم أر ما يدوم له اجتماع سيفتري اجتماع الفرقدين

وقوله «أراك حديثاً ناعماً بال أفرعاً» «الأفرع» التام شعر الرأس، وقيل لعمرو بن الخطاب رضى الله عنه: الفرعان خير، أم الصلعمان؟ فقال: بل الفرعان، وكان أبو بكر أفرعاً، وكان عمر أصلعاً، فوقع

(١) بحاشية ١: «قال الخليل: الشمع مؤم العسل، والقطعة شمعة. وقال ابن دريد:

الشمع الذي يسمى الموم بالفارسية. وقال ابن قتيبة: يقال: شمع وشمع. وحكى

عن الفراء، قال: الشمع بتحريك الميم، والمولدون يقولون: شمع.»

في نفسه أنه يُسْتَلَّ عنه وعن أبي بكرٍ . و « الأَسْفَعُ » الأسودُ ، يقال
« سَفَعَتُهُ النَّارُ » أي غَيَّرَتْ وَجْهَهُ إِلَى السَّوَادِ . وقوله « فَعَمْرُكَ » يُقْسِمُ
عليها ، ويقال « عَمْرُكَ اللَّهُ » أي أذْكَرُكَ اللَّهُ^(١) قال :

عَمْرَتُكَ اللَّهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتِ لَنَا هل كنتِ جارتنا أَيَّامَ ذِي سَلَمٍ
وقوله « غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ » . يقول : كان لا يأكلُ في آخِرِ
نهاره انتظاراً للضعيفِ ، ويروى أن عمر بن الخطاب سأله فقال : أ كذبتِ
في شيءٍ مما قلتَ في أخيك ؟ فقال : نعم ، في قولي « غَيْرَ مِبْطَانٍ » ، وكان
ذَا بَطْنٍ ، ويقال في غيرِ هذا الحديثِ : إِنَّ مِنْ سِيَمَا الرَّئِيسِ السَّيِّدِ أَنْ يَكُونَ
عَظِيمَ الْبَطْنِ ضَخْمَ الرَّأْسِ فِيهِ طَرَشٌ ! وقال رجلٌ لفتى : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ
بِعَظِيمِ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيِّدًا ، وَلَا بَأَرْسَاحٍ فَتَكُونُ فَارِسًا ، وقال رجلٌ لرجلٍ :
وَاللَّهِ مَا فَتِقَتْ فَتَقَ السَّادَةِ ، وَلَا مُطِلَّتْ مَطْلَ الْفُرْسَانِ . و « الأَرْوَعُ »
ذو الرِّوَعَةِ وَالصَّيْثَةِ . و « الْبَرَمُ » الذي لَا يَنْزِلُ مَعَ النَّاسِ وَلَا يَأْخُذُ
فِي الْمَيْسِرِ ، وَلَا يَنْزِعُ إِلَّا نَكِدًا ، قال النابغة :

هَلَّا سَأَلْتِ بِنِي ذُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَسْمَطَ الْبَرَمَا
وقوله « إِذَا التَّقَشَعُ » وهو الجِلْدُ الْيَابِسُ ، ويقال لِكُنَّاسَةِ الْحَمَامِ
« التَّقَشَعُ » قال أبو هريرة : وَكَذَّبْتُ حَتَّى رُمِيتُ بِالتَّقَشَعِ .

(١) بحاشية ١ : « قال المهلبى : عَمْرُكَ اللَّهُ ، أي سألتُ اللَّهَ تَعْمِيرَكَ ، وهو معنى قول
العامَّة : بِالذِّي يُعَمَّرُكَ . وقال ابن الأعرابي : عَمْرُكَ اللَّهُ بِالرَّفْعِ . والنصبُ الْوَجْهُ ،
وعليه رواه أهل العربية . وقال آخرون : عَمَّرَ اللَّهُ » .

وحدثني العباسُ بن الفرَجِ الرِّياشِيِّ عن محمد بن عبد الله الأنصاريِّ
القاضي في إسناده ذكره ، قال : صَلَّى مُتَمِّمٌ مع أبي بكرٍ الصديقِ الفَجْرَ
في عَقَبِ قَتْلِ أَخِيهِ ، وكان أخوه خَرَجَ مع خالدٍ مَرَجَعَهُ من اليمامةِ ، يُظْهِرُ
الإسلامَ ، فظنَّ به خالدٌ غيرَ ذلك ، فأمر ضِرَارَ بنَ الأزورِ الأَسديَّ فقتله ،
وكان مالكٌ من أُرْدافِ الملوكِ ، ومن مُتَقَدِّمِي فُرْسَانَ بنِي يَرْبُوعٍ ، قال :
فلمَّا صَلَّى أبو بكرٍ قامَ مُتَمِّمٌ بِحِذَائِهِ ، واتَّكأَ على سِيَةِ قَوْسِهِ ، ثم قال :
نِعْمَ القَتِيلُ إِذَا الرِّياحُ تَنَاوَحَتْ خَلْفَ البَيْتِ قَتَلَتْ يَا بنَ الأزورِ
ولنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كُنْتَ وحاسِرًا ولنِعْمَ مأوى الطَّارِقِ المُتَنَوِّرِ
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَرَزَتْهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِدِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ
وأوماً إلى أبي بكرٍ ، فقال : واللهِ ما دَعْوَتُهُ ولا غَرَزَتْهُ ، ثم أتمَّ شِعْرَهُ ،
فقال :

لا يُمَسِّكُ الفَحْشاءُ تحتَ ثِيابِهِ حُلُوَ شِمَانِلُهُ عَفِيفُ المِزْرِ
ثم بكى وانحطَّ على سِيَةِ قَوْسِهِ ، وكان أعورَ دَمِيماً ، فما زال يَبْكِي
حتى دَمَعَتْ عَيْنُهُ العوراءُ ، فقام إليه عمر بن الخطابِ فقال : لَوَدِدْتُ أَنِّي
رَثَيْتُ أُخِي زَيْدًا بَمَثَلِ ما رَثَيْتَ بِهِ مالِكًا أَخاكَ ، فقال له : يَا أَبَا حَفْصِ !
واللهِ لو علمتُ أَنَّ أُخِي صارَ بِحَيْثُ صارَ أَخوكَ ما رَثَيْتُهُ ، فقال عمر :
ما عَزَّانِي أَحَدٌ بِمَثَلِ تعزيتِكَ . وكان زَيْدُ بنُ الخطابِ قُتِلَ شهيداً يومَ
اليمامةِ ، وكان عمرُ يقولُ : إِنِّي لأَهْشُ لِلصَّبَا ؛ لأنها تأتينا من ناحيةِ زيدِ .
ويُروى عن عمرَ أنه قال : لو كنتُ أقولُ الشَّعْرَ كما تقولُ لَرَثَيْتُ أُخِي

كما رثيت أخاك . ويروي أن متمماً رثي زيدا فلم يجِدْ ، فقال له عمر :
لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا ! فقال : لأنه والله يحرك كني لمالك
ما لا يحرك كني لزيد . ومن طريف شعره :

لعمري وما دهرى بتأبين هالكٍ ولا جزعٍ والموتُ يذهبُ بالفتي
لئن مالكتُ خلياً على مكانه لفي أسوةٍ إن كنت باغيةً الأسا
كهولٌ ومردٌ من بني عمِّ مالكٍ وأيفاعٌ صدقٍ قد تمليتهم رضا
سقوا بالعقارِ الصِّرفِ حتى تتابعوا كدأبِ نمودٍ إذ رفا سقبتهم ضحى
إذا القومُ قالوا : من فتى لملمةٍ فما كلهم يدعى ، ولكنهُ الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي :

لو كان في الألفِ منّا واحدٌ فدعوا من فارسٍ؟ خالهم إياه يعنوناً !
وأول هذا المعنى لطرفة :

إذا القومُ قالوا : من فتى؟ خلت أني عانيتُ فلم أكسلُ ولم أتبلد
وقال متمم أيضاً في كلمة له يرثي بها مالكا :

جميلُ المحيا ضاحكٌ عند ضيفه أغرُّ جميعِ الرائي مُشترِكِ الرَحْلِ
وقورٌ إذا القومُ الكرامُ تقاؤلوا فحلت حباهم واستطيروا من الجهل
وكنت إلى نفسي أشدَّ حلاوةً من الماءِ بالمأذَى من عسلِ النحلِ
وكلُّ فتى في الناسِ بعد ابنِ أمِّه كساقطةٍ إحدى يديه من الخبلِ
وبعضُ الرجالِ نخلةٌ لا جنى لها ولا ظلَّ ، إلا أن تُعدَّ من النخلِ

وقال له عمر بن الخطاب : إنك لجزل فإين كان أخوك منك ؟ فقال :

كان والله أخى فى الليلة المظلمة ذات الازيز والصرّاد ، يركب الجمل الثفال ، ويجنب الفرس الجرور ، وفى يده الرّمح الثقيل ، وعليه الشملة الفلوت ، وهو بين المزادتين حتى يضح ، فيصبح أهله متيسماً ! « الجمل الثفال » البطيء الذى لا يكاد ينبعث . و « الفرس الجرور » الذى لا يكاد يتقاد مع من يجنبه ، إنما يجرّ الجبل . و « الشملة الفلوت » التى لا تكاد تثبت على لأبسها . وذكر لنا أن مالكا كان من أرداف الملوك ، وفى تصدق ذلك يقول جرير يفخر بنى يربوع :

منهم عتيبة والمحل وقعنّب والحنتقان ومنهم الرّدفان

فأحد الرّدفين مالك بن نويرة اليربوعى ، والرّدف الآخر من بنى رباح بن يربوع . وللرّدافة موضعان : أحدهما أن يرده الملك على دابته فى صيد أو تريف أو ما أشبه ذلك من مواضع الأنس ، والوجه الآخر أنبل : وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده .

باب

قال أبو العباس : لما احتضر إبراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعاً شديداً ، فقبل له فى ذلك ، فقال : وأى خطر أعظم من هذا ؟ إنما أتوقع رسولا يرد على من ربى ، إما بالجنة وإما بالنار . ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول : نفسى والله أعز الأتس على . ولما احتضر حجر بن عدي يُقتل سأل أن يمهل حتى يصل ركعتين ، وظهر منه جزع شديد ، فقال له

قائلٌ: «أُتْجَزَعُ؟! فقال: وكيف لا أُجْزَعُ!! سيفٌ مشهورٌ، وكفنٌ منشورٌ، وقبرٌ محفورٌ، ولستُ أدري أيُّوَدِّيَنِي إلى جنَّةٍ، أم إلى نارٍ. [قال أبو الحسن: ما يقومُ بقتلِ حُجْرِ بنِ عَدِيٍّ شَيْءٌ، وإني لأَعْجَبُ من قوله هذا: «ولستُ أدري أيُّدِ نِينِي إلى جنَّةٍ أو إلى نارٍ» وهو شهيدُ الشهداء! رحمه الله]. وقد ذكرنا موتَ عَمْرُو بنِ العاصِي وكلامَه عند الموت.



ومن ظَهَرَتْ منه عند الموت قَسْوَةٌ: حَلْحَلَةُ الفَزَارِيِّ، وسعيدُ بنِ أبانَ بنِ عُمَيْمَةَ بنِ حِصْنِ الفَزَارِيِّ، فإن عبدَ الملكَ لما أَحضَرَهما لِيَقِيدَ منهما قال لحَلْحَلَةَ: صَبْرًا حَلْحَلًا! فقال إِي واللهِ

أَصْبِرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكَرَكَ أَلْقَى بَوَائِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرُكِ
ثم قال لابنِ الأسودِ الكَلْبِيِّ: أَجِدِ الضَّرْبَةَ، فإني واللهِ ضربتُ
أباكَ ضربةً أَسْلَحَتْهُ فعددتُ النُّجُومَ في سَأَحَتِهِ! ثم قال عبدُ الملكَ لسعيدِ
بنِ أبانَ: صبرًا سعيدُ! فقال: إِي واللهِ

أَصْبِرُ مِنْ عَوْدِ بَجَنْبِيهِ الْجَلَابِ قَدْ أَثَرَ الْبَطَانَ فِيهِ وَالْحَقَبُ^(١)
ومنهم وكيعُ بنُ أَبِي سُودٍ، أحدُ بني غُدَّانَةَ بنِ يَرْبُوعٍ، فإنه لما
يُئْسَسَ منه خرجَ الطيبُ من عنده، فقال له محمدُ ابنُه: ما تقولُ؟ قال:
لَا يُصَلِّي الظُّهْرَ، وكان محمدٌ ناسكًا فدخلَ إلى أبيه، فقال له أبوه وكيعُ: ما قال

(١) بحاشية ١: «ابن شاذان: الْجَلْبَةُ قَشْرَةُ تَرَى كَبُ الْجُرْحِ عند البرءِ، والجميعُ جَلَبٌ.»

لك الملعوج؟ قال : وَعَدَا نَكَ تَبْرًا ، قال : أسألك بحقي عليك ؟ قال :
ذَكَرَ أَنَّكَ لَا تَصَلِّي الظَهْرَ ، قال : وَبِئْسَ عَلَى ابْنِ الْخَبِيثَةِ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ
فِي سِدْقِي لَلْكُتْبَاءِ إِلَى الْعَصْرِ !! وَيُرْوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ قَالَ فِي الْحَدِيثِ
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا تَلْجَأُ فِي حَلْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ !
وَفِي وَكَيْعِ بْنِ أَبِي سُودٍ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

لَقَد رَزِيتُ بِأَسَا وَحَزْمًا وَسُودَدًا تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ يَوْمَ مَاتَ وَكَيْعُ
وَمَا كَانَ وَقَافًا وَكَيْعُ إِذَا دَنَتْ سَحَابُ مَوْتٍ وَبَلْهَنٌ نَجِيعُ
إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ أَبْصَرَتْ لَوْنَهُ مُضِيًّا وَأَعْنَاقُ الْكُمَاةِ خُضُوعُ
فَصَبْرًا تَمِيمُ إِتْمَا الْمَوْتُ مَنَهْلُ يَصِيرُ إِلَيْهِ صَابِرٌ وَجَزُوعُ
وَقَالَ أَيْضًا :

لِتَبْكِ وَكَيْعًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ تَسَاقُ الْمَنَايَا بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
لَقُوا مِثْلَهُمْ فَاسْتَهَزَمُوهُمْ بِدَعْوَةٍ دَتَوْهَا وَكَيْعًا وَالْجِيَادُ بِهِمْ تَجْرِي
وَمِنَ الْجَفَاةِ عِنْدَ الْمَوْتِ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمِ الْعُدْرِيُّ ، وَكَانَ قَتَلَ
زِيَادَةَ بْنَ زَيْدِ الْعُدْرِيَّ ، فَلَمَّا حَمَلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، تَقَدَّمَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
أَخُو زِيَادَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَادَّعَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ :
أَتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ شِعْرًا أَمْ نَثْرًا ؟ قَالَ : بَلْ شِعْرًا فَإِنَّهُ أَمْتَعُ ،
فَقَالَ هُدْبَةُ :

فَلَمَّا رَأَيْتُ أُمَّتَا هِيَ ضَرْبَةٌ مِنْ السِّيفِ أَوْ إغْضَاءِ عَيْنٍ عَلَى وَتَرٍ

عَمَدَتْ لِأَمْرِ لَا يُعَيِّرُ وَالِدِي خَزَائِيَهُ وَلَا يُسَبُّ بِهِ قَبْرِي^(١)
 رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ سَهْمُنَا مَنِيَّةَ نَفْسٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ
 وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنكَ مِنْ قَصْرِ
 فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهَا ذِرَاعًا ، وَإِنْ صَبْرُهُ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ
 فَقَالَ لَهُ معاويةُ : أَرَأَيْكَ قَدْ أَقْرَرْتَ يَا هُدْبَةُ ! قَالَ : هُوَ ذَاكَ ، فَقَالَ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَقَدْنِي ، فَكَرِهَ ذَلِكَ معاويةُ وَضَنَّ بِهُدْبَةَ عَنِ الْقَتْلِ ، وَكَانَ
 ابْنُ زِيَادَةَ صَغِيرًا ، فَقَالَ لَهُ معاويةُ : أَوْ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَشْفِي صَدْرَكَ وَتَحْرِمَ
 غَيْرَكَ ! ثُمَّ وَجَّهَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ : يُحْبَسُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ ابْنُ زِيَادَةَ ، فَبَلَغَ ،
 وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي ، فَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ قِسْوَتِهِ قَوْلُهُ :
 وَلَمَّا دَخَلْتُ السِّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلَقِ سُمُرٍ
 وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ أَبْحُ بِهِ ذَكَرْتُكَ إِنْ الْأَمْرَ يُدْ كَرُّ بِالْأَمْرِ

فُسئِلَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ ؟ فَقَالَ : لَمَّا رَأَيْتُ تُغَرَّ سَعِيدٍ ، وَكَانَ سَعِيدُ
 حَسَنَ الثَّغْرِ جِدًّا ، ذَكَرْتُ بِهِ تُغَرَّهَا ! وَيُقَالُ أَنَّهُ عَرَضَ عَلَى ابْنِ زِيَادَةَ
 عَشْرُ دِيَّاتٍ فَأَبَى إِلَّا الْقَوْدَ ، وَكَانَ مِمَّنْ عَرَضَ الدِّيَّاتِ عَلَيْهِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا :
 الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي ،
 وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، وَسَارَ الْقَوْمُ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا خَرَجَ بِهِ

(١) بحاشية ١ : « قال ثعلب : عَمَدَتْ الشَّيْءَ أَعْمَدُ إِذَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ . الْحَزَايَةُ
 الِاسْتِحْيَاءُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَزَايَةُ شِدَّةُ الِاسْتِحْيَاءِ . يَقُولُ : لَا يَأْنِفُ مِنْهُ
 وَلَا يَخْزِي . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : خَزَى الرَّجُلُ يَخْزِي خَزَايَةً إِذَا اسْتَحْيَا فَهُوَ خَزِيَانٌ . »

لِيُقَادَ بِالْحَرَّةِ جَعَلَ يُنْشِدُ الْأَشْعَارَ ، فَقَالَتْ لَهُ حُبِّي الْمَدِينِيَّةُ : مَا رَأَيْتُ
أَقْسَى قَلْبًا مِنْكَ ، أُنْشِدُ الْأَشْعَارَ وَأَنْتَ يُمَضَى بِكَ لَتُقْتَلَ ، وَهَذِهِ خَلْفَكَ
كَأَنَّهَا ظَنِّي عَطْشَانٌ تُؤَلِّوُلُ؟! تَعْنِي امْرَأَتَهُ ، فَوَقَفَ وَوَقَفَ النَّاسُ مَعَهُ ،
فَأَقْبَلَ عَلَى حُبِّي فَقَالَ :

مَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدَ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا كَمَا انْعَمَّتْ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ^(١)
فَأَغْلَقْتُ حُبِّي الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَسَبَّتُهُ ، وَعَرَضَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بْنُ حَسَّانٍ ، فَقَالَ : أُنْشِدْنِي ، فَقَالَ لَهُ : أُحْلِي هَذِهِ الْحَالَ؟! قَالَ : نَعَمْ ،
فَأَنْشَدَهُ :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
وَلَا أَتَّبَعِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ
وَحَرَّ بَنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ مَتَى مَا يُحْرَبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحْرَبِ
فَلَمَّا قُدِّمَ نَظَرَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَدَخَلَتْهُ غَيْرَةٌ ، وَقَدْ كَانَ جُدِعَ فِي حَرِّهِمْ ،
فَقَالَ :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي بَانَ مِنْهُ جَمَالُهُ فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا
فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَعْمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

(١) بِمَاشِيَةِ ١ : « قَالَ ابْنُ شَازَانَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ :
الشمردل الحسن الخلق ، ويقال : السريع . »

فَقَالَتْ : تَقُؤَا عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ مَضَتْ وَرَجَعَتْ وَقَدْ اضْطَلَمَتْ أَنْفَهَا !
فَقَالَتْ : أَهَذَا فِعْلٌ مَنْ لَهُ فِي الرِّجَالِ حَاجَةٌ ؟ ! فَقَالَ : الْآنَ طَابَ الْمَوْتُ ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ :

أَبْلِيَانِي الْيَوْمَ صَبْرًا مِنْكَ إِنَّ حُزْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ لَشَرُّ
مَا أَظُنُّ الْمَوْتَ إِلَّا هَيْنَا إِنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ

ثُمَّ قَالَ :

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي عَائِدُكَ مَوْمِنٌ مُقِرُّ بَزَلَاتِي إِلَيْكَ فَفَقِيرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ قَالُوا أَمِيرٌ مُسَلِّطٌ وَحُجَّابٌ أَبْوَابٍ لَهْنٌ صَرِيرٌ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَبْرَ أَمْرُكَ إِنْ تَدِنُ فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرُ فَأَنْتَ غَفُورٌ

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ زِيَادَةَ : أَثَبْتُ قَدَمَيْكَ ، وَأَجِدُ الضَّرْبَةَ ، فَإِنِّي أَيْتَمُّكَ
صَغِيرًا ، وَأُرَمَّتْ أُمُّكَ شَابَةً !! وَيَزْعُمُ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ :
مَا أَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنِّي أَضْرِبُ بِرِجْلِي الْيُسْرَى بَعْدَ الْقَتْلِ
ثَلَاثًا . وَهُوَ بَاطِلٌ مَوْضُوعٌ ، وَلَكِنْ سَأَلَ فَكَ قِيُودِهِ ، فَفُكَّتْ ،
فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي فِي الْحَدِيدِ فَإِنِّي قَبِلْتُ أَحَاكِمَ مُطْلَقًا لَمْ يُقَيِّدِ

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَوَقَفَ جَبَّارُ بْنُ سَامِيٍّ عَلَى قَبْرِ عَاصِمِ بْنِ الطُّفَيْلِ ،

وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرُهُ ، فَقَالَ : أَنْعِمُ صَبَاحًا أَبَا عَلِيٍّ ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ سَرِيعًا
إِلَى الْمَوْلَى بُوَعْدِكَ ، بَطِيئًا عَنْهُ بِإِعَادِكَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَهْدَى مِنَ النُّجْمِ ،

وأجرى من السَّيْلِ . ثم التفت إليهم فقال : كان ينبغي أن تجعلوا قبر
أبي علي ميلاً في ميل . وذكر الحرّ مازي : أن الأحنف بن قيس لما مات ،
وكان موته بالكوفة ، مشى المصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء ، وقال :
اليوم مات سيد العرب ، فلما دفن قامت امرأة على قبره ، أحسبها من
بنى منقر ، فقالت : لله درك من مجنّ في جنّ^(١) ، ومدرج في كفن ،
ففسأل الذي فجّعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يجعل سبيل الخير سبيلك ،
ودليل الخير دليلك ، وأن يوسع لك في قبرك ، ويفرّ لك يوم حشرِك ،
فوالله لقد كنت في المحافل شرفاً ، وعلى الأراميل عطوفاً ، ولقد كنت
في الحى مسوداً ، وإلى الخليفة مؤفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ،
ولرايك متبعين ، قال : فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق
معنى منها . ووقف رجل على قبر النجاشي فترحم وقال : لولا أن القول
لا يحيط بما فيك ، والوصف يقصر دونك ، لا طنبت ، بل لاسهبت ،
ثم عقر ناقته على قبره ، وقال :

عقرت على قبر النجاشي ناقتي بأبيض عصبٍ أخلصته صياقه
على قبر من لو أنني ميت قبله لهانت عليه عند قبري رواحله

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال : جن الشيء وأجنه إذا ستره ، وبه سمي الجنين ؛
لأن البطن جنه ، وبه سمي القبر الجن ، وبه سمي القلب الجنان ، وبه سمي جن
الأرض . »

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الأنصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدّم فأنشد :

لا يبعذن ربيعة بن مكدّم وسقى العوادي قبره بدنوب

نفرت قلوصي من حجارة حرة نصبت على طلق اليدن وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب (١)

لولا السفار وطول ففر مهمه لتركتها تحبو على العرفوب (٢)

نعم الفتى أدى نبيشة رحله يوم الكديد نبيشة بن حبيب

و « ربيعة بن مكدّم » رجل من بني كنانة ، وكان قتله أهبان

بن غادية الخزاعي ، وقيل تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمي ، وكان

أهبان أخت نبيشة لأمه ، وكان أتاب زائراً ، وأغار ربيعة بن مكدّم على بني

سليم ، ففرج أهبان مع أخيه ، فحمل عليه فقتله ، وحمل أخو ربيعة على

أهبان فقاته ، ولأنه في بني سليم . قال حسان :

* نفرت قلوصي من حجارة حرة *

لأن الحرة هناك لبني سليم ، وفي تصدق ما تدعيه خزاعة يقول

أهبان :

ولقد طعنت ربيعة بن مكدّم يوم الكديد فخر غير مؤسد

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال رجل مسعر حرب من قوم مساعير إذا كان

يسعرها ويشبها » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : المهمه الففر من الأرض ، والجمع المهامه » .

في عارض شَرِقِ بَنَاتُ فُؤَادِهِ منه بأحمرَ كالتَّقِيْعِ المَجْسَدِ
ولقد وَهَبَتْ سِلَاحَهُ وَجَوَادَهُ لِأَخِي نُيَيْشَةَ قَبْلَ لَوْمِ الحُسَدِ
وقال أخو ربيعةَ يَجِيْبُهُ :

فات ابن غاديةَ المنيّةِ بعدَ ما رَفَعْتُ أَسْفَلَ ذَيْلِهِ بِالمِطْرَدِ
قُلْ لِابْنِ غَادِيَةِ المِتَاحِ لَقَتَلِنَا ما كان يَقْتُلُنَا الوَحِيدُ المُفْرَدُ
يريدُ أَنَّ أَهْبَانَ مُفْرَدٌ من قومه في أخواله ، وقال أيضاً :

فإن تَذَهَبَ سُلَيْمٌ بِوَتْرِ قَوْمِي فَاسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنَا قَرِيبُ
وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

آلَيْتُ أبايَ بعدَ تَوْبَةٍ هَالِكاً وَأُحْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَاثِرُ
لَعَمْرُكَ ما بِالموتِ عَارُ عَلَى الفَتَى إِذَا لم تُصِبهُ فِي الحِياةِ المَعَايِرُ
فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ يا تَوْبَ إِنما لِقَاءُ المَنايَا دَارِجاً مِثْلُ حَاسِرُ
ويُرَوِّى :

فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ يا تَوْبَ هَالِكاً أَمَا الحَرْبُ إِن دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَاثِرُ
فكلُّ جَدِيدٍ أَوْ شَبَابٍ إِلَى بَلِي وَكُلُّ امْرَأَةٍ يَوْمًا إِلَى اللهِ صَائِرُ

وذكر المَدائِنِيُّ أَنَّ رجلاً عَزَى رجلاً أَفْرَطَ عَلَيْهِ الجَزَعُ على ابنه
فقال : يا هذا سُرِرْتَ بِهِ وَهُوَ حُزْنٌ وَفِتْنَةٌ ، وَجَزِعْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ صَلَاةٌ
وَرَحْمَةٌ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ . وَيُرَوِّى أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« تَعَزَّوْا عَن مِصَابِيكُمْ بِي » . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَمْرٍو : أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ ،
فَقَالَ : نَسَأَلُ اللهُ العَافِيَةَ ! مَعْنَاهُ : أَنَّهُ لما قَالَ لَهُ : « أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ » .

إِنَّمَا دَعَا بَأْنَ يَكْتَرُ مَا يُؤَجِّرُ عَلَيْهِ ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَصَائِبِ
تَعَزَّيْتُهُ إِيَّاهُ !

وهذا باب طريف من أشعار المحدثين

قال مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسِ اللَّيْثِيُّ يَرْتِي يَحْيَى بْنَ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ
صَدِيقَهُ ، وَكَانَا مَرَمِيَيْنِ جَمِيعًا بِالْخُرُوجِ عَنِ الْمَلَّةِ :

يَا أَهْلَ بَكْوَا لِقَلْبِي الْقَرِحِ وَلِلدَّمُوعِ الْهَوَامِلِ السَّفْحِ
رَاحُوا يَحْيَى إِلَى مُغَيَّبَةٍ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التُّرَابِ وَالصَّفْحِ (١)
رَاحُوا يَحْيَى وَلَوْ تُطَاوَعُنِي الْأَقْدَارُ لَمْ يَتَّكِرْ وَلَمْ يَرِحْ
يَا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمِدْحِ
وَفِي يَحْيَى يَقُولُ مُطِيعٌ لِنَبْوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا :

كُنْتُ وَيَحْيَى كَيْدِي وَاحِدٍ نَزَمِي جَمِيعًا وَنُزَامِي مَعًا
إِنْ سَرَّهُ الدَّهْرُ فَقَدْ سَرَّنِي أَوْ حَادِثٌ نَابَ فَقَدْ أَفْطَعَا
أَوْ نَامَ نَامَتْ أَعْيُنُ أَرْبَعٍ مِنَّا ، وَإِنْ هَبَّ فَلَنْ أَهْجَعَا
حَتَّى إِذَا مَا الشَّيْبُ فِي عَارِضِي لَاحَ وَفِي مَفْرِقِهِ أُسْرَعَا
سَعَى وَسَوَاءٌ طَبْنٌ يَبْنَانَا فَكَأَدَ حَبْلُ الْوَصْلِ أَنْ يَقْطَعَا (٢)

(١) بماشية ١ : « الصَّفْحُ جمع صفيحة ، وهي القطعة العريضة من الصخر ، والجمع

أيضا صفائح ، وكانوا يجعلون ذلك في القبور والاحود مكان اللبن » .

(٢) بماشية ١ : « قال أبو زيد : يقال طَبِنْتُ لَهُ وَطَبِنْتُ لَهُ : من الفطنة ، ورجل طَبْنٌ

بَيْنَ الطَّبَانَةِ وَالطَّبَانِيَةِ . وقال غيره : يقال رجل طَبْنٌ وَطَابِنٌ ، وذلك إِذَا لَزِقَ

بالرجل وعرف كل أمره » .

فلم ألمْ يَحْيِيْ عَلَى حَادِثٍ وَلَمْ أَقْلُ خَانَ وَلَا صَيَّعَا
وقال أبو عبد الرحمن العُتَيْبِيُّ يَرْثِي عَلَى بَن سَهْلِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، وكان
له صديقاً :

يَا خَيْرَ إِخْوَانِهِ وَأَعْظَمَ فَعْلِهِمْ عَلَيْهِمْ رَاضِيًا وَغَضْبَانَا
أَمْسَيْتَ حُزْنًا وَصَارَ قُرْبُكَ لِي بُمْدًا وَصَارَ اللَّقَاءُ هِجْرَانَا
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ لَقَدْ أَصْبَحَ حَزْنِي عَلَيْكَ أَلْوَانَا
حُزْنُ اشْتِيَاقٍ وَحُزْنُ مَرَزِنَةٍ إِذَا انْقَضَى عَادَ كَالَّذِي كَانَ

قوله : « يَا خَيْرَ إِخْوَانِهِ » محالٌ وباطلٌ ، وذلك أنه لا يضاف « أَفْعَلُ »
إلى شيءٍ إلا وهو جزء منه . وقال أيضاً :

دَعَاؤُكَ يَا أَخِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرَدَّتْ دَعَاؤِي حُزْنًا عَلَيَا
بِمَوْتِكَ مَاتَتِ اللَّذَاتُ مِنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً إِذْ كُنْتُ حَيًّا
فِيآسَفِي عَلَيْكَ وَطَوَّلَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَاكَ يَرُدُّ شَيْئًا

وحدثني رجلٌ من أصحابنا قال : شهدتُ رجلاً في طريق مكة معتكفاً
على قبرٍ ، وهو يُرَدِّدُ شيئاً ، ودموعُهُ تَكْفُفُ مِنْ لِحْيَتِهِ ، فدَاوَتْهُ إِلَيْهِ لِأَسْمَعِ
مَا يَقُولُ ، فجعلتِ العَبْرَةُ تُحَوِّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِبَانَةِ ، فقلتُ له : يَا هَذَا !
فرفعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَكَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ ، فقال : مَا تَشَاءُ ؟ فقلتُ : أَعَلَى
ابْنِكَ تَبَسَّكِي ؟ قال : لا ، قلتُ فَعَلَى أَبِيكَ ؟ قال : لا ، وَلَا عَلَى نَسِيبٍ
وَلَا صَدِيقٍ ، وَلَكِنْ عَلَى مَنْ هُوَ أَخْصُّ مِنْهُمَا ، قلتُ : أَوْ يَكُونُ أَحَدٌ
خَصَّ مِنْ ذَكَرْتَ ؟ قال : نعم ، مَنْ أُخْبِرُكَ عَنْهُ ، إِنَّ هَذَا الْمَدْفُونُ كَانَ

عدوا لي من كل باب يسمي علي في نفسي وفي مالي وفي ولدي ، نخرج
إلى الصيْد أيا س ما كنت من عطبه ، وأكمل ما كان من صحته ،
فرمى ظيباً فأقصده ، فذهب ليأخذه ، فإذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه
من صفحة الظبي ، فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم ، فلحقه أولياؤه
فانزعوا السهم وهو والظبي ميتان ، فنمى إلى خبره ، فأسرعت إلى قبره
معتبياً بفقده ، فإني لضاحك السن إذ وقعت عيني على صخرة ، فرأيت
عليها كتاباً ، فهلم فقرأه ، وأومأ إلى الصخرة ، فإذا عليها :

وما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمن قليلاً بعدهم وتقدموا

قلت : أشهد أنك تبكي على من بكأوك عليه أحق من النسب .

ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية
طالبا سبعة سنين ، يبذل فيها جاهه وماله وإخوانه حتى ملكها ، فأقامت
عنده ستة أشهر ثم ماتت ، فقال فيها أشعاراً كثيرة ، اخترنا منها بعضها ،
من ذلك قوله :

لله آنية فوجت بها	ما كان أبعدها من الدسر
أتت البشارة والنعي معاً	يا قرب ما تمها من العرس
يا مملك نال الدهر فرصته	فرمى فؤاداً غير مخترس
كم من دموع لا تجف ومن	نفس عليك طويلة النفس
أبكيت ما ناحت مطوقة	تحت الظلام تنوح في الغلس
يا مملك في وفيك معتبر	ومواعظ يوحش ذئب الألس

ما بعدَ فُرْقَةٍ بَيْنِنَا أَبَدًا فِي لَذَّةِ دَرَكٍ مُلْتَمَسِ
وَأَخَذَ مَا فِي صَدْرِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

رُبَّ مَعْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتُهُ كَفُّ مُعْتَرِسِهِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَا مَعَهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرثِي زوجها ، ولم يكن
دَخَلَ بِهَا^(١) :

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأُنْسِ بِلِ الْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ
يَا فَارِسًا بِالْعَرَاءِ مُطَرَّحًا خَانَتَهُ قُوَادُهُ مَعَ الْحَرَسِ
مَنْ لِلنِّتَامِي إِذَا هُمْ سَغَبُوا وَكَلَّ عَانٍ وَكَلَّ مُحْتَبَسِ
أَمَّنْ لِبِرٍّ أَمَّنْ لِفَائِدَةٍ أَمَّنْ لِذِكْرِ الْإِلَهِ وَالْفَلَسِ^(٢)

ومما استطرفه من شعرٍ يعقوبَ قوله :

لَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ ذَنْبٍ لِمَلِكٍ كَانَ هَجْرِي لِقَبْرِهَا وَاجْتِنَابِي
الذَّنْبِ حَقْدَتُهُ كَانَ مِنْهَا أَمْ لِعَلَمِي بِشُغْلِهَا عَنْ عِتَابِي
أَمْ لِأَمْنِي لِسُخْطِهَا وَرِضَاهَا حِينَ وَارَيْتُ وَجْهَهَا فِي التَّرَابِ
مَا وَفَى فِي الْعِبَادِ حَيٌّ لَمِيَّتٍ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْهُ لَهْ فِي الْإِيَابِ

(١) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : هذا الشعر للبانة بنت موسى الهادي في محمد الأمين ،

وهي بنت عمه ، وكانت تحت الأمين ، وقُتِلَ ولم يدخل بها ، فقالت تراثيه .

(٢) في بعض النسخ : « في الفلاس » وعليها طبعات مصر .

وفي هذا الشعر :

إِنَّمَا حَسَرْتَنِي إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ
لَمْ أَزَلْ فِي الطَّلَابِ سَبْعَ سِنِينَ
تُعْنَانِي بِهَا وَطَوْلَ طِلَابِي
فاجتمعنا على اتفاقٍ وَقَدَّرِ
أَشْهُرًا سِتَّةً صَحْبُتِكَ فِيهَا
وَأَتَانِي النَّعِيُّ مِنْكَ مَعَ الْبُشْرِ
وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَرِثُهَا :

حَتَّى إِذَا قَتَرَ اللِّسَانُ وَأَصْبَحَتْ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا
لَمُوتٍ قَدْ ذَبَلَتْ ذُبُولَ النَّزْرِ جَسِ
رَجَعَ اليقينُ مَطَامِعِي يَا سَاكِمَا
وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

فُجِعْتُ بِمُلْكٍ وَقَدْ أَيْنَعَتْ
فَأَصْبَحْتُ مَغْتَرِبًا بَعْدَهَا
وَتَمَّتْ فَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ مُصِيبَةٍ
أَرَانِي غَرِيبًا وَإِنْ أَصْبَحَتْ
وَأَمَسْتُ بِجُلُودَانِ مُلْكٍ غَرِيبَةٍ
خَلَفْتُ عَلَى أُخْتِهَا بَعْدَهَا
مَنَازِلُ أَهْلِي مِنِّي قَرِيبَةٍ
فَأَقْبَلْتُ أَبِيكَ وَتَبَكَّى مَعِي
فَصَادَقْتُهَا ذَاتَ عَقْلِ أَدِيبَةٍ
وَقَلْتُ لَهَا مَرْحَبًا مَرْحَبًا
بُكَاءُ كَثِيبٍ بِحُزْنٍ كَثِيبَةٍ
سَأُصْفِيكَ وَوَدَى حِفَاطًا لَهَا
بُوجهِ الْحَيِيبَةِ أُخْتِ الْحَيِيبَةِ
أَرَاكَ كَمُلْكٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
فَذَاكَ الْوَفَاءُ بِظَهْرِ الْمَغِيبَةِ
لِمُلْكٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدِي ضَرِيبَةٍ

ومما اخترنا من مَرِيَّةٍ يَزِيدِ الْمُهَلَّبِيِّ لِلْمَتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ قَوْلُهُ :

لا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أُجِدُّ وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ
 لا يَبْعَدُنْ هَالِكٌ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ كَمَا هَوَىٰ عَنْ غِطَاءِ الزُّبَيْدَةِ الْأَسَدُ
 لا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ إِذْ لَا تَمُدُّ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ
 لَوْ أَنَّ سَيْفِي وَعَقْلِي حَاضِرَانِ لَهُ أَبْلِيَّتُهُ الْجُهْدَ إِذْ لَمْ يُبْلِهِ أَحَدُ
 جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالقَنَا قِصْدُ
 هَلَا أَتَتْهُ أَعَادِيهِ مُجَاهِرَةٌ وَالْحَرْبُ تُسْعَرُ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ
 فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ
 قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوَزَتَهُ وَلِلرَّدَىٰ دُونَ أَرْصَادِ الْفَتَىٰ رِصْدُ^(١)
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَىٰ يَعْجَبُونَ لَهُ لَيْثًا صَرِيحًا تَنْزَىٰ حَوْلَهُ النَّقْدُ^(٢)
 عَلَتْكَ أَسْيَافٌ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدُ وَليْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمْدُ
 جَاؤَا عَظِيمًا لِدُنْيَا يَسْمَدُونَ بِهَا فَقَدْ شَقُّوا بِالذِي جَاؤُوا وَمَا سَعِدُوا
 صَجَّتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ الْعِزِّ حِينَ رَأَتْ خَدًّا كَرِيمًا عَلَيْهِ قَارَتْ جَسِدُ^(٣)

(١) بحاشية ١ : « المهلبى : الرصد القوم الراصدون ، كما قالوا طلبُ للقوم الطالبين ،
 وَجَلَبُ للقوم الجالبين » .

(٢) بحاشية ١ : « ابن شاذان : النَّقْدُ من الشاء الصغارُ الأجرام » .

(٣) بحاشية ١ : « قَرَّتِ الدَّمُ يَقْرُتُ قُرُوتًا ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : قَرَّتِ الدَّمُ يَقْرِتُ وَيَقْرِتُ
 وَقَرَّتَ يَقْرِتُ قَرْتًا وَقُرُوتًا وَالِدَمُّ قَارِتٌ ، وَقَرَّتَ الْجِلْدُ إِذَا ضُرِبَ فَاحْضَرَّ
 أَوْ اسْوَدَّ ، وَقَرَّتِ الرَّجْلُ إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ مِنْ حُزْنٍ أَوْ غَيْظٍ . ابن شاذان : يقال دم
 جَسِدٌ وَجَسِدٌ إِذَا جَفَّ » .

أُضْحَىٰ شَهِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوْعِظَةٌ
 خَلِيفَةٌ لَمْ يَنْلُ مَا نَالَهُ أَحَدٌ
 كَمْ فِي أَدِيمِكَ مِنْ فَوْهَاءٍ هَادِرَةٍ
 إِذَا بُكَيْتَ فَإِنَّ الدَّمَ مُمْهِلٌ
 قَدْ كُنْتَ أُسْرَفَ فِي مَالِي وَخُلْفِي لِي
 لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَا سَاءَ لَا حُلُومَ لَهُمْ
 وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ
 قَوْمٌ هُمْ الْجِذْمُ وَالْأَنْسَابُ تَجْمَعُهُمْ
 إِذَا قَرِيشٌ أَرَادُوا شَدَّ مُلْكِهِمْ
 قَدْ وَتَرَ النَّاسُ طُرَاثِمَ قَدْ صَمَتُوا
 مِنَ الْأَلَىٰ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ
 [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : قَوْلُهُ « قَارِتٌ » يُقَالُ « قَرَّتِ الدَّمُ يَقْرَتُ قُرُوتًا ،
 وَدَمٌ قَارِتٌ » قَدْ يَبَسَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ ، وَمِسْكٌ « قَارِتٌ » وَهُوَ أَخْفَهُ
 وَأَجْوَدُهُ ، قَالَ :

❖ يَعْلُ بَقَرَاتٍ مِنَ الْمِسْكِ قَاتِنٌ ❖

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : الصَّيْدُ دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ تَلْتَوِي مِنْهُ أَعْنَاقُهَا ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْمَتَكْبِرُ أَصَيْدًا ، إِذَا لَوَّى عُنُقَهُ » .

(٢) بحاشية ١ : « قَالَ ابْنُ شَاذَانَ : وَيُقَالُ طَعْنَةٌ جَائِفَةٌ وَالْجَمْعُ جَوَائِفٌ إِذَا بَلَّغْتَ الْجَوْفَ ، وَهَذِهِ الْبَيَاءُ أَصْلُهَا وَوَاوُ ، وَطَعْنَةٌ فَوْهَاءٌ أَيْ وَاسِمَةٌ » .

و « قَرَاتٌ » « فَعَالٌ » و « قَاتِنٌ » مسكٌ قَاتِنٌ قد قَتَنَ قُتُونًا ، أَى يَابِسٌ
لا نُدْوَةَ فِيهِ] .

باب ذكر الأذواء من اليمين في الإسلام

فَأَمَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَكْثُرُونَ ، نحو « ذِي يَزْنٍ » و « ذِي كَلَاعٍ »
و « ذِي نُوَّاسٍ » و « ذِي رُعَيْنٍ » و « ذِي أُصْبَحٍ » و « ذِي الْمَنَارِ » و « ذِي
الْقَرَائِنِ » . فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَهُمْ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ،
سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَنْصَارِيٌّ . وَمِنْهُمْ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ
الْأَنْصَارِيُّ ذُو الْعَيْنِ ، كَانَتْ عَيْنُهُ أُصِيبَتْ فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ ، وَكَانَتْ تَعْتَلُّ عَيْنُهُ الصَّحِيحَةُ فَلَا تَعْتَلُّ الْمُرْدُودَةُ
مَعَهَا . وَمِنْهُمْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ الْأَنْصَارِيُّ ذُو السَّيْفَيْنِ ، كَانَ يَتَّقَلُّ
سَيْفَيْنِ فِي الْحَرْبِ . وَمِنْهُمْ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجُمُوحِ ذُو الرَّأْيِ ، وَهُوَ
صَاحِبُ الْمَشُورَةِ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَخَذَ بِرَأْيِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَتْ لَهُ آرَائِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَشْهُورَةً . وَمِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ صَفِيحٍ ذُو السَّبَالِ .
وَمِنْهُمْ ذُو الْمَشْهَرَةِ ، وَهُوَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ مَشْهَرَةٌ
إِذَا لَبَسَهَا وَخَرَجَ يَخْتَالُ بَيْنَ الصَّقَّيْنِ لَمْ يُقِمْ وَلَمْ يَذَرْ . وَكُلُّهُ هَوْلَاءٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ . وَمِنَ الْيَمَنِ مِنْ غَيْرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الطُّفَيْلِ الْأَزْدِيُّ ثُمَّ الدَّوْسِيُّ
ذُو النُّورِ ، أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورًا فِي جَبِينِهِ لِيَدْعُوَ بِهِ
قَوْمَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مُثَلَّةٌ ^(١) ، جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : يقال مُثَلَّةٌ ومُثَلَّةٌ ، وهو التنكيل ، والجمع مثلاتٌ » .

فِي سَوْطِهِ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَى قَوْمِهِ بِالسَّرَاةِ جَعَلُوا يَقُولُونَ : إِنَّ الْجِبَلَ لَيَلْتَهُبُ ،
وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِمَّنْ اهْتَدَىٰ بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ . وَمِنْهُمْ ، ثُمَّ مِنْ خُرَاعَةَ ،
ذُو الْيَدَيْنِ ، سَمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَا الْيَدَيْنِ ، وَكَانَ قَبْلُ يُدْعَىٰ
ذَا الشَّمَايْنِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ بِهِمُ الظُّهْرَ فَسَلَّمَ
فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ ، فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ ؟
فَقَالَ : مَا كَانَ ذَاكَ ، فَقَالَ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ :
مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ ؟ فَقَالُوا : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَهَضَّ فَآتَمَّ ، ثُمَّ قَالَ :
إِنِّي لَأَنْسَىٰ أَوْ أَنْسَىٰ لِأَسْتَنْ^(١) .

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية

منهم سعد بن معاذ الأنصاري ، وهبط لموته سبعون ألف ملك
لم يهبطوا إلى الأرض قبلها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله
في المشى لئلا يطأ على جناح ملك ، واهتز لموته عرش الله جل وعز ،
وفي ذلك يقول حسان :

وما اهتز عرش الله من موت هالكٍ سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو
وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعاً كما كبر على حمزة
بن عبد المطلب ، وشم من تراب قبره رائحة المسك . ومنهم حسان

(١) بماشية ١ : « ابن شاذان : يقال استنَّ يستنُّ ، أى يذهب فى أى سنن شاء
لا يمنعه أحد ولا يرُدُّه عن وجهه ، والسنُّ المذهب ، وفى المثل : استنَّت الفِصالُ
حتى القرعَى » .

بن ثابت الأنصاري، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اهْجُؤْهُمْ وَرُوحِ
الْقُدْسِ مَعَكُمْ ». وقال في حديثٍ آخَرَ: « إِنْ لَمْ يَأْتِ بِرُوحِ الْقُدْسِ
مَا نَأْفِخُ عَنْ نَبِيِّهِ ». وقالت عائشةُ: كان يوضعُ لحسانِ مِئْبَرٍ في مُؤَخَّرِ
المسجدِ فَيُنَافِخُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومنهم حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ
الْأَنْصَارِيُّ، غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَصِيبَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَاحِبُكُمْ هَذَا قَدْ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ » فَسُئِلَ
عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: كَانَ مَعِيَ عَلَى مَا يَكُونُ الرَّجُلُ مَعَ امْرَأَتِهِ،
فَأَعْجَبَتْهُ حَطْمَةٌ^(١) بَلَغَتْهُ فِي الْمَسَامِينِ، فَخَرَجَ فَأَصِيبَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
الْأَخْوَصُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ^(٢) حَمِيَّ الدَّبْرِ^(٣)،
وَكَانَ خَالَ أَبِيهِ:

غَسَلَتْ خَالِي الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ مَيْتًا أَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَرِيحٍ
وَأَنَا ابْنُ الَّذِي سَحَمَتْ ظَهْرَهُ الدَّبْرُ قَتِيلِ الْأَخْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

(١) بحاشية ١: « ابن شاذان: الحطمة الكسرة، حطمت الشيء أحطمه حطاً إذا
كسرتَه، وكل منكسر حطامٌ ».

(٢) بحاشية ١: « ابن شاذان: القلح صفرة الأسنان من ترك السواك، قلح الرجل
يقلح قلحاً، والرجل أفلح والمرأة قلحاء، وقوم قلح وقلحان، وقال النبي
عليه السلام: ما لكم تدخلون على قلحاً. فأما القلح بالخاء معجمة فيقال منه
قلح البعير يقلح قلحاً إذا هدر هديره في غلصمته، والغلصمة العجيرة
التي على ملتقى اللهاة إذا ازدرد الآكل اللقمة فزلت عن الحلق دخلت في فم الغلصمة ».

(٣) بحاشية ١: « ابن شاذان: الدبر النحل، الواحدة دبيرة ».

ومنهم حارثةُ بن الثُّعْمَانِ ، رأى جبريلَ صلى الله عليه وسلم مرتين ،
وأقرأه جبريلُ السلامَ . ومنهم ، ثمَّ من خُزَاعَةَ ، عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ ، كانت
تصافحه الملائكةُ وتعودُهُ ، ثمَّ افْتَقَدَهَا ، فَأَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا رسول الله إن رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ أَحْسَنَ منهم وُجُوهاً
ولا أطيبَ أرواحاً ثمَّ قد انقطعوا عني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أصابك جُرْحٌ فَكُنْتَ تَكْتُمُهُ ؟ فقال : أَجَلٌ ، قال : ثمَّ أظْهَرْتَهُ ؟ قال :
قد كان ذلك ، قال : أَمَا لَوْ أَقَمْتَ عَلَى كِتْمَانِهِ لَزَارَتْكَ الملائكةُ إِلَى أَنْ تَمُوتَ .
ومنهم جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَطْلُعُ
عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرٌ ذِي يَمَنِ ، عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مُلْكٍ » . ومنهم دِحْيَةُ
بن خليفة الكَلْبِيُّ ، كان جبريلُ صلى الله عليه وسلم يَهْبِطُ فِي صورته ، فمن ذلك
يَوْمُ بنى قُرَيْظَةَ لَمَّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخَنْدَقِ وَهَبَطَ
عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد أقد وَضَعْتُمْ سِلَاحَكُمْ ؟ ما وَضَعْتَ
الملائكةُ أسلحتها بعدُ ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى بنى قُرَيْظَةَ وَها أنا ذا
سائرٌ إِلَيْهم فَمَزَلْ لِي بِهِم ، فَأَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ أَلَّا يُصَلُّوا
العصرَ إِلَّا فِي بنى قُرَيْظَةَ ، فجعل يَمُرُّ بالناسِ فيقول : أَمَرَ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ فيقولون
مَرَّ بنا دِحْيَةُ بن خليفة على بغلةٍ عليها قَطِيفَةٌ خَزَّ نَحْوَ بنى قُرَيْظَةَ ، فيقول :
ذَلِكَ جَبْرَيْلُ ، ثمَّ مَرَّ دِحْيَةُ^(١) بعد ذلك ، وكان لا يزال عليه السلام في غير

(١) بحاشية ١ : « يقال دَحَا اللهُ الأَرْضَ وَطَحَّها ، أَي بَسَطَها ، وَيُقَالُ دَحَا يَدْحَا
دَحْوًا ، وَالدَّحْوُ البَسْطُ ، وَالمُدْحَاةُ خَشْبَةٌ يَدْحَاها الصَّبِيُّ فتمرُّ على وجه الأرض
لا تأتي على شيء إلا اجتحفته » .

هذا اليوم ينزل في صورته ، كما ظهر إبليس في صورة الشيخ النجدي .

وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه

اعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فيهم حاجة إلى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكوره ومؤثته . تقول : « جاءني رجل » إذا لم تدري من هو بعينه ، أو دريت فلم ترد أن تبين ، ثم تعرفه لصاحبك إذا أردت ذلك إما بالف والام ، وإما باسم معروف أو إضافة أو غير ذلك . وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض ، وكذلك الشاء والكلاب والإبل ، ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقيم الإخبار عنها والاختصاص بما أريد منها . فإذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعض ، يقول الرجل : « رأيت الأسد » فليس يعني أسداً بعينه ، ولكن يريد الواحد من الجنس الذي قد عرفت ، وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ، ألا ترى أن ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس ؟! وقولك : « ابن مخاض » و « ابن لبون » و « ابن ماء » ^(١) نكرات ، لأن هذا مما يتخذها الناس ، و « ابن ماء » إنما هو مضاف إلى الماء الذي يعرف . فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت فيما أضيفت إليه الألف واللام ، أو لقبها

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : ابن ماء طائر الماء » .

ألقاباً تُعرفُ بها، كزيدٍ وعمرٍ و. واعلمُ أنَّ كلَّ جَمْعٍ مؤنثٌ؛ لأنك تُريدُ
معنى جماعةٍ، ولا تُدكرُ من ذلك إلا ما كان فِعْلُهُ يَجْرِي بالواو والنون
في الجمع، وذلك كلُّ ما يَعْقِلُ، تقولُ: «مسلمٌ ومسامون» كما تقولُ:
«قومٌ يُسامون» وتقولُ للجَمالِ: «هي تَسِيرُ وهُنَّ يَسِرْنَ» كما تقولُ
للمؤنثِ، لأن أفعالها على ذلك، وكذلك المَوَاتُ، قال الله عز وجل في الأصنام:
﴿ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَصْلَانِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾، والواحدُ مذكراً، وقال المفسرون
في قوله: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا ﴾ قالوا: المَوَاتُ، فكلُّ ما خَرَجَ
عَمَّا يَعْقِلُ جَمَعُهُ بالتأنيث وفِعْلُهُ عليه، لا يكونُ إلا ذلك، إلا ما كان من
باب المنقوصِ نحو «سِنينَ وعِزِينَ» وليس هذا موضَعُهُ. وجمَلتُه أنه
لا يكونُ إلا مؤنثاً، فلهذا كان يَقَعُ على بعضِ هذا الضربِ الاسمُ المؤنثُ،
فَيَجْمَعُ الذَّكَرَ والأُنثَى، فمن ذلك قولهم: «عَقْرَبٌ» فهو اسمٌ مؤنثٌ،
إلا أنك إن عَرَفْتَ الذَّكَرَ قلتَ: «هذا عَقْرَبٌ»، وكذلك الحِيَةُ
تقولُ للأُنثَى «هذه حِيَةٌ»، وللذَّكَرِ «هذا حِيَةٌ» قال جريرُ:

إِنْ الحِفايِثُ مِنْكُمْ يَا بَنِي جَلِإٍ يُطْرِقُنَ حَيْثُ يَصُولُ الحِيَةُ الذَّكَرُ
[قال الأَخْفَشُ: «الحِفايِثُ» ضربٌ من الحِيَّاتِ يكونُ صَغيرَ الجِرمِ
يَنْتَفِخُ وَيَمْظُمُ وَيَنْفُخُ نَفْخًا شَدِيدًا لا غائِلَةَ لَهُ] وتقولُ «هذا بَطَّةٌ»
للذَّكَرِ، و«هذه بَطَّةٌ» للأُنثَى، و«هذا دَجاجةٌ»، و«هذه دَجاجةٌ»
قال جريرُ:

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالذَّيْرَيْنِ أُرَقِنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ بِالتَّوَاقِيسِ
يُرِيدُ زُقَاءَ الذُّيُوكِ ، فَلِاسِمِ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا « دَجَاجَةٌ » لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ،
ثُمَّ يُخَصُّ الذِّكْرُ بِأَنْ يُقَالَ « دَيْكٌ » وَكَذَلِكَ تَقُولُ « هَذَا بَقْرَةٌ »
لَهُمَا جَمِيعًا ، وَ« هَذَا حُبَّارِي » ، ثُمَّ يُخَصُّ الذِّكْرُ فَتَقُولُ « ثَوْزٌ » وَتَقُولُ
لِلذِّكْرِ مِنَ الْحُبَّارِيِّ « خَرَبٌ » ، فَعَلِيَ هَذَا يَجْرِي هَذَا الْبَابُ ، وَكُلُّ
مَا لَمْ نَذْكُرْهُ فَهَذَا سَبِيلُهُ .

وَقَدْ كُنَّا أَرْجَأْنَا أَشْيَاءَ ذَكَرْنَا أَنَّا سَنَدُّ كُرْهَا فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ ،
مِنْهَا خُطَبٌ وَمَوَاعِظٌ وَرِسَائِلٌ ، وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مَا تَهَيَّأَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا بَلَغَنِي : خَطَبْنَا أَعْرَابِيًّا بِالْبَادِيَةِ ؛ فَحَمِدَ اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَهُ
وَوَحَّدَهُ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، فَبَلَغَ فِي إِيجَازٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ الدُّنْيَا
دَارُ بِلَآغٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَفَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتَكُوا
أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، فِي الدُّنْيَا كُنْتُمْ ، وَلغَيْرِهَا
خُلِقْتُمْ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَالْمُصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ،
وَالْمَدْعُوُّ لَهُ الْخَلِيفَةُ ، وَالْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ * وَخُذْتُ فِي بَعْضِ الْأَسَانِيدِ
أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ،
وَأَجَلٌ مُنْتَقِصٌ ، وَبِلَآغٍ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسَيْرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ،
فَرَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأَةً فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَاقَبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ
ذَنْبَهُ ، وَنَوَّرَ قَلْبَهُ . أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِ

واحدٍ ، وأنَّ رَبِّكُمْ وَعَدَّ عَلَى التَّوْبَةِ ، فَلْيَكُنْ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى وَجَلٍ ،
ومن ربه على أملٍ * وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا مَعْرُوفًا ، ذَهَبَ اسْمُهُ عَنِّي ، قَالَ :
أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ فَقُلْتُ : أَتَجِبُ الْجَنَّةَ لِعَامِلٍ بِكُلِّ الْخَيْرَاتِ وَهُوَ مُشْرِكٌ ؟
فَقَالَ : لَا ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَجِبُ النَّارَ لِعَامِلٍ بِالشَّرِّ كُلِّهِ وَهُوَ مُوَحَّدٌ ؟ قَالَ :
عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ . قَالَ : وَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ فَأَجَابَنِي بِمِثْلِ جَوَابِهِ
سِوَاهُ ، وَقَالَ : عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ^(١) . قَالَ : وَحَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ الْقَاضِي
[يَعْنِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ] * وَذَكَرَ الْعُثَيْبِيُّ ، أَحْسَبُهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ هِشَامِ
بْنِ صَالِحٍ عَنْ سَعْدِ الْقَصْرِ قَالَ : خَطَبَ النَّاسَ بِالْمَوْسِمِ عُثَيْبَةُ فِي سَنَةِ إِحْدَى
وَأَرْبَعِينَ ، وَعَهَّدَ النَّاسَ حَدِيثًا بِالْفِتْنَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ !
إِنَّا قَدْ وَلِينَا هَذَا الْمَوْضِعَ الَّذِي يُضَاعَفُ اللَّهُ فِيهِ لَهُ حَسَنُ الْأَجْرِ وَعَلَى الْمُسِيءِ
الْوِزْرُ ، فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ، فَإِنَّهَا تَنْقَطِعُ دُونَنا ، وَرُبَّ مُتَمَنَّ
حَفَنُهُ فِي أُمَّنِيَّتِهِ ، أَقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مَا قَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ وَفِيكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَ« لَوْ »
فَقَدْ أَتَعَبَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنْ تُرِيحُ مَنْ بَعْدَكُمْ ، فَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ
كُلًّا عَلَى كُلِّ ، فَتَعَقَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ !
فَقَالَ : لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ ، قَالَ : فَيَا أَخَاهُ ! قَالَ : قَدْ أَسْمَعْتَ فَقُلْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَأَنْ تُحْسِنُوا وَقَدْ أَسَأْنَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُسَيِّئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا ، فَإِنْ كَانَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « وَهَذَا مِثْلٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ، إِذَا مَرَّتْ بِمَرْعَى تَقُولُ :

عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ ، أَيُّ لَا تَتْرَكُهُ وَتَجُوزُ إِلَى آخِرِ تَظَنِّ أَنْ بِهِ مَرْعَى فَلَا تَجِدُ فِيهِ

شَيْئًا » .

الإحسانُ لكم فما أحقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا ، رجلٌ من بني عامرٍ يمتُّ إليكم بالعمومة ، ويختصُّ إليكم بالخواوة ، وقد وطئته زمانٌ وكثرةُ عيالٍ ، وفيه أجرٌ ، وعنده شكرٌ ، فقال عُتْبَةُ : أَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومُ يَا بَطَائِنًا عَنْكَ * وذكر العُتْبِيُّ أَنَّ عُتْبَةَ خَطَبَ النَّاسَ بِمِصْرَ عَنِ مَوْجِدَةٍ فَقَالَ : يَا حَامِلِي الْأُمِّ آ نَفِي رُكِبْتُ بَيْنَ أَعْيُنِي ، إِنْ إِنَّمَا قَلَمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلْبِينَ مَسِي لَكُمْ ، وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ بَاقِيًا عَلَيْكُمْ ، فَأَمَّا إِذْ أُيْتِمَ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى السُّلْطَانِ وَالتَّنْقِصَ لِلسَّلَفِ ، فَوَاللَّهِ لَأَقْطَعَنَّ بَطُونَ السَّيَاطِ عَلَى ظُهُورِكُمْ ، فَإِنْ حَسَمْتُ أَدْوَاءَكُمْ^(١) ، وَإِلَّا فَإِنَّ السَّيْفَ مِنْ وَرَائِكُمْ ، فَكَمْ مِنْ حَكْمَةٍ مِثْلَ مَا لَمْ تَعْمَأْ قُلُوبُكُمْ ، وَمِنْ مَوْعِظَةٍ مِثْلَ مَا صَمَّتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ ، وَلَسْتُ أُبْخَلُّ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذْ جُدُّتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا أُؤَيِّسُكُمْ مِنْ مَرَاجِعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى التِّي هِيَ أَبْرٌ وَأَتَقِي . ثم نزل * وذكر العُتْبِيُّ أَوْ غَيْرُهُ أَنَّ دَاءُ وَدَّ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ خَطَبَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ مَوْسَمِ مَلَكَهُ بَنُو الْعَبَّاسِ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : شُكْرًا شُكْرًا ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا لِنُخْفِرَ فِيكُمْ نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظَنَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ إِنْ رُوخِي لَهُ مِنْ خِطَامِهِ ، حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زِمَامِهِ ؟ فَالآنَ حَيْثُ

(١) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : أخبرني أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال : الحَسَمُ استئصالك الشيء قطعاً ، ثم كثر ذلك حتى قالوا حسمتُ الداء إذا كويته واستأصلته . »

أخذ القوسَ باريها ، وعادت التَّبَلُّ إلى النَّزَعَةِ ، ورجَعَ المَلِكُ في نِصَابِهِ
في أهل بيت النبوة والرحمة ، والله لقد كُنَّا نتوجَّعُ لكم ونحن في فُرْشِنَا ،
أَمِنَ الأَسْوَدُ والأَحْمَرُ ، لكم ذِمَّةُ اللهِ ، لكم ذِمَّةُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ،
لكم ذِمَّةُ العباسِ ، لا وَرَبَّ هَذِهِ البِنِيَّةِ ، وأوماً بيده إلى الكعبةِ ، لا نَهِيجُ
منكم أحداً * قال : وخطبَ الناسَ معاويةُ بنُ أبي سفيان ، فحمدَ اللهُ وصلى
على نبيه ثم قال : أيها الناسُ ! إني مِنُ زَرْعٍ قد اسْتَحْصَدَ ، ولن يَأْتِيَكُم
بَعْدِي إِلَّا مَنْ أَنَا خَيْرٌ منه ، كما لم يكن قبلي إِلَّا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي * وفي غير
هذا الخبر أنه قال لبنته عند وفاته : قَلْبِنِي ، فَفَعَلَنَ ، فقال : إنكِنَّ لَتَقْلِبُنَّهُ
حَوْلاً قَلْبًا إِنْ وُقِيَ كَبَّةُ النَّارِ ، ثم قال متمثلاً :

لَا يَبْعَدَنَّ رَيْبَعَةٌ بِنُ مُكْدَمٍ وَسَقَى العَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبِ
وقال لابنة قرظة^(١) : ابكيني ، فقالت :

أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا كُلُّ الفَتَى فِيهِ

فلما مات دخل الناسُ على يزيدَ يُعزُّونَه بأبيه ويُهَيِّئُونَه بالخلافة ، فجعلوا
يقولون ، حتى دخل رجلٌ من ثَقِيفٍ فقال : السلامُ عليك أميرَ المؤمنين
ورحمتُ اللهُ وبركاته ، إنك قد فُجِعْتَ بخيرِ الآباءِ ، وأُعْطِيتَ جميعَ الأشياءِ ،
فاصبرْ على الرِّزْيَةِ ، واحمدِ اللهُ على حُسْنِ العَطِيَّةِ ، فلا أُعْطِيَ أَحَدٌ كما
أُعْطِيتَ ، ولا رُزِيَّ كما رُزيتَ ، فقام ابنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ فأنشده شعراً
كأنما فاوَضَهُ الثَّقِيفِيُّ فقال :

(١) هر لاحدى زوجاته ، واسمها فالخنة بنت قرظة بن عید عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله المرصفي .

إصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ بِلَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ
أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ
مَا إِنَّ رُزِي أَحَدٌ فِي النَّاسِ نَعَامُهُ كَمَا رُزِمْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نُعِمْتَ وَلَا نَسْمَعُ بِنِعْمَاكَ
« الْحَوْلُ » مَعْنَاهُ ذُو الْحِيلَةِ . وَ « الْقَلْبُ » الَّذِي يُقَلِّبُ الْأُمُورَ ظَهْرًا
لِبَطْنٍ . وَقَوْلُهُ : « إِنَّ وُقَى كِبَى النَّارِ » فَكِبَى النَّارِ مُعْظَمُهَا ، وَكَذَلِكَ
كِبَى الْحَرْبِ ، وَيُقَالُ : لَقِيْتُهُ فِي كِبَى الْقَوْمِ ، وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْفِرْسَانِ أَنَّهُ
طَمَنَ رَجُلًا فِي حَرْبٍ فَقَالَ : طَعَنْتُهُ فِي السَّكْبَةِ فَوَضَعْتُ رِجْلِي فِي اللَّبَّةِ
وَأَخْرَجْتُهُ مِنَ السَّبَّةِ ، وَ « السَّبَّةُ » الذَّبْرُ * وَيُرْوَى أَنَّ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ
دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ يَتَعَدَّى ، فَقَالَ : ادْنُ فَاكُلْ يَا أَبَا صَفْوَانَ ،
فَقَالَ : أَصَاحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، لَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلَةَ لَسْتُ نَاسِيَهَا ، قَالَ : وَمَا أَكَلْتُ ؟
قَالَ : أَتَيْتُ ضَيْعَتِي لِإِبَانِ الْغِرَاسِ وَأَوَانِ الْعِمَارَةِ ، فَجَلَسْتُ فِيهَا جَوْلَةً ،
حَتَّى إِذَا صَحَدَتِ الشَّمْسُ وَأَزْمَعْتُ بِالرُّكُودِ ، مِتُّ إِلَى غُرْفَةٍ لِي هَقَافَةٍ ،
فِي حَدِيقَةٍ قَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَنُضِحَ بِالْمَاءِ جَوَانِبُهَا ، وَفُرِشَتْ أَرْضُهَا
بِالْوَانِ الرَّيَاحِينِ ، مِنْ بَيْنِ ضَيْمَرَانَ نَافِحٍ ، وَنُصْبِقِ فَاخِ ، وَأَقْعُوَانِ زَاهِرٍ ،
وَوَرْدِ نَاضِرٍ ؛ ثُمَّ أَتَيْتُ بِحُبْزِ أُرْزٍ كَأَنَّهُ قِطْعُ الْعَقِيقِ ، وَسَمَكِ بِنَانِي بَيْضِ
الْبَطُونِ ، زُرْقِ الْعِيُونِ ، سُودِ الْمُتُونِ ، عِرَاضِ الشَّرْرِ ، غِلَاطِ الْقَصْرِ ،
وَدُقَّةِ وَخُلُولِ ، وَمُرِّيِّ وَبُقُولِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِرُطْبِ أَصْفَرٍ ، صَافٍ غَيْرِ أَكْدَرٍ ،
لَمْ تَبْتَدِلْهُ الْأَيْدِي ، وَلَمْ يَهْشِمَهُ كَيْلُ الْمَكَائِيلِ ، فَأَكَلْتُ هَذَا ثُمَّ هَذَا ،

فقال يزيدُ : يا ابنَ صَفْوَانَ ! لَأَلْفُ جَرِيْبٍ مِنْ كَلَامِكَ مَزْرُوعٌ ، خَيْرٌ مِنْ
أَلْفِ جَرِيْبٍ مَذْرُوعٍ .

[وَتَحَدَّثَ الْعُتْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : وَجَدْتُ
فِي كُتُبِ سَفِيَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُتْبَةَ كِتَابًا إِلَى عَمْرِو وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ عُتْبَةَ ،
وَكَانَا قَدِمْنَا عَلَى زِيَادٍ فِي خَمْسَةِ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي سَفِيَانَ ، فَإِذَا الْكِتَابُ : سَلَامٌ ،
أَمَا بَعْدَ فَالزَّمَا مَا أَتَمَّا عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْكُمْ فَضْلًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
زِينَةً ، وَزِينَةُ الشَّرَفِ الْعَفَافُ ، وَقَدْ كُفَيْتُمَا مَا قَبْلَكُمْ فَأَثَلْ لِكَمَا ، وَوَلَيْتُمَا
أَمْرًا أَنْفُسِكُمَا فَقُومَا بِمَا لَدَيْكُمَا وَلَا تَقْعُدَا بِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَصِلْ شَرَفَ أَبِيهِ
كَانَ اللِّسَانُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ ، وَاتَّرَزَا بِالْعَفَافِ ، وَتَرَدَّدِيَا بِالْحِلْمِ ، وَانْفِيَا عَنْكُمْ الْأَلْسُنَ ،
وَلَا تَسْتَعْظِمَا عَظِيمًا فَإِنَّكُمْ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَعَوَّلَا عَلَى عَمِّكُمْ فَإِنَّهُ أَبُوكُمْ ،
وَاسْتَزِيدَانِي بِالطَّاعَةِ أَزِدْكُمْ ، فَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ أَمْرِي وَحَفِظَ نَفْسَهُ .
وَكَتَبَ عَمْرٍو بْنُ يَزِيدٍ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ * الْعُتْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ سَفِيَانَ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً
قَالَ أَبِي : قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصَّبَا ، فَاخْتَلِطْ بِالْخَيْرِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ،
وَلَا تُزَايِلْهُ فَتَبِينَ مِنْهُ كُلَّهُ ، وَلَا يَغُرَّكَ مَنْ اغْتَرَّ بِفِيكَ فَمَدْحَكَ بِخِلَافِ
مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقُولُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَعْلَمُ
إِذَا رَضِيَ ، إِلَّا قَالَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَخِطَ ، فَاسْتَأْثِرِ الْوَحْدَةَ مِنْ
جِلْسَاءِ السُّوءِ ، وَلَا تَنْقُلْ حُسْنَ ظَنِّي بِكَ إِلَى غَيْرِهِ . قَالَ سَفِيَانَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ

كلامُ أبي لي قِبَلَةَ أَنْتَقِلُ مَعَهَا وَلَا أَنْتَقِلُ عَنْهَا * العتبيُّ قال : حدثني أبو أحمد المرادانيُّ عن رجلٍ من بني ليثٍ قال : كتب معاويةَ إلى عتبةَ في عقوبةِ أقوامٍ يأمرُهُ أن لا يراجعه في ذلك ، فكتب إليه عتبة : بالله على أداءِ حَقِّكَ أَسْتَعِينُ ، وعليه في جميعِ أموري أُوَكِّلُ ، أنا مُتَقَدِّمٌ بكتابِكَ ، ومُنْتَهٍ إلى أمرِكَ ، ومُتَّخِذُهُ إمامًا ما أمَّ الحِزْمَ ، فإذا خالفه فعندها لم يَغِبْ أميرُ المؤمنينَ عما شَهِدْتُ ، ولم يَرْجِعْ إليه ضررٌ ما فعلتُ ، وقد علم من قبلُ أن نارِي ذَكِيَّةُ الشَّعْلِ لِمَنْ عاداكَ ، وجنابِي أُخْلِى مِنَ العَسَلِ لِمَنْ والاكَ ، فَتَقِ بِذَلِكَ مِنِّي لَهُم وَعَلَيْهِمْ ، واستكفِ اللهُ لك الذي كفاني بك * العتبيُّ قال : حدثني أبي بن هشام بن صالح عن أبيه عن سعدِ القَصْرِ ، وهو مولِي عتبة بن أبي سفيان ، قال : ولأني عتبةُ أمواله بالحجاز ، فلما ودَّعتهُ قال : يا سعد ! تَهَهَّدْ صَغِيرَ مَالِي يَكْبُرُ ، ولا تَجُفُ كَبِيرَهُ فَيَصْغُرُ ، فإنه ليس ينعني كبيرُ ما عندي عن إصلاحِ قليلِ مَالِي ، ولا ينعني قليلُ ما في يدي عن الصبرِ على كبيرِ ما ينوبني ، قال سعد : فقدمتُ المدينةَ فحدثتُ بهذا الحديثِ رجالاتِ قريشٍ فزَقُوا بها الكُتُبَ إلى الوكلاءِ * العتبيُّ قال : حدثني أبي عن أبي خالد عن أبيه قال : لما استعمل يزيدُ بن معاويةَ سلَّم بن زياد وأراد التسليمَ عليه قال له يزيدُ : إن أباكَ كَفَى أخاه عظيمًا ، وقد استكفَيْتِكَ صغيرًا فلا تَتَكَلَّنْ على عُدْرِ مِنِّي ، فقد اتكلتُ على كفايةِ منك ، وإياك مِنِّي أن أقول أتاني منك ، فلا تُرِحْ نَفْسَكَ ، وادأبْ في أدنى حَظِّكَ تَبْلُغْ أقصاه ، واذكرْ في يومك أحاديثَ غَدِكَ * العتبيُّ قال : خطبَ داود بن علي

بن العباس قال : غدرًا غدرًا يَا أَهْلَ الكُفْرِ والتبديل ! أَلَمْ يَزَعِكُمُ الفتح
المبينُ عن القول في أمير المؤمنين ! الآنَ يامنابتَ الدَّمَنِ إِذْ أصبحَ كثيرُ
الكُفْرِ فيكم نَطِيجًا ، ونابه مفلولًا ، مَشَيْتُمُ الضَّرَاءَ وديتُمُ الحَمَرَ ، أَمَا وَرُوحِي
محمد والعباسِ لَئِن عَدْتُم لِسَخَطَاتِ القولِ لَأَحْصِدَنَّكُمْ بِطَبَةِ الهِنْدِيِّ ،
وما ذلك على الله بعزيرٍ ^(١) .

ونحن ذاكرونَ الرسائلِ بين أمير المؤمنين المنصورِ ، وبين محمد
بن عبد الله بن حسن العلويِّ ، كما وَعَدْنَا في أول الكتابِ ، ونختصرُ مايجوزُ
ذكره منه ، ونُصِّحُكُ عن الباقي ، فقد قيلَ : الراويةُ أَحَدُ الشَّائِمِينَ * قال :
لَمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصورِ كَتَبَ إليه المنصورُ : بِسْمِ الله الرحمن
الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله ، أَمَا بعدُ ،
فإنما جزاءُ الذين يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسادًا أَن يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلكَ
لهم خِزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ إِلَّا الذين تابوا من قبْلِ
أَن تُقَدِّرُوا عليهم فاعلموا أَنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ، ولكَ عَهْدُ اللهِ وذِمَّتُهُ
وميثاقُهُ وحقُّ نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم إن تَبَّتْ من قبْلِ أَن أُقَدِرَ
عليك أَن أُوْمِنَكَ على نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وإخوتِكَ وَمَنْ بايَعَكَ وَتابَعَكَ وَجميعَ
شيعتِكَ ، وَأَن أُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفِ درهمٍ ، وَأَنْزَلَكَ مِنَ البلادِ حيثُ شِئْتَ ،

(١) هذه القطعة كلها زيادة من أحد الأصول العتيقة من الكتاب ، وهو أصل مكتوب في النصف
من جادى الآخرة سنة ٤٨٨ . بخط يحيى بن المبارك الصحاوى . وهذه الزيادة لم تذكر في النسخ
الطبوعة بمصر .

وأقضى لك ما شئت من الحاجات ، وأن أطلق مَنْ في سجنى من أهل بيتك
 وشيعتك وأنصارك ، ثم لا أتبع أحداً منكم بمكروه ، فإن شئت أن تتوثق
 لنفسك ، فوجهه إلى مَنْ يأخذك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت ،
 والسلام . فكتب إليه محمد [بن عبد الله بن حسن]^(١) : بسم الله الرحمن الرحيم ،
 من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد ، أما بعد ، طسم
 تلك آيات الكتاب المبين . تثلوا عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم
 يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم
 يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمنن على الذين
 استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم
 في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون .
 وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني ، وقد تعلم أن الحق
 حقنا ، وأنكم إنما طلبتموه بنا ، ونهضتم فيه بشيعتنا ، وخبطتموه بفضلنا ،
 وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصي والإمام ، فكيف ورثتموه دوننا
 ونحن أحياء ، وقد علمت أنه ليس أحدٌ من بني هاشم يمتُّ بمثل فضلنا ،
 ولا يفخرُ بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا ، وأنا بنو أم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم ، وبنو ابنته فاطمة
 في الإسلام من بينكم ، فأنا أو سبط بني هاشم نسباً ، وخيرهم أمماً وأباً ، لم تلدني
 العجم ، ولم تمرق في أمهات الأولاد ، وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار

لنا ، فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أصحاب
أندمهم إسلامًا ، وأوسعهم علمًا ، وأكثرهم جهادًا ، علي بن أبي طالب ،
ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد ، أول من آمن بالله وصلى القبلة ،
ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام
الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة ، ثم قد علمت أن هاشمًا ولد عليًا
مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين ، وأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولدني مرتين ، من قبل جدّي الحسن والحسين ، فما زال الله
يختار لي حتى اختار لي في النار ، فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون
أهل النار عذابًا ، فأنا ابن خير الأختيار وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل
الجنة وابن خير أهل النار ، ولك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أوّمنك
على نفسك وولدك وكل ما أصبته ، إلّا حدًا من حدود الله ، أو حقًا مسلم
أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك في ذلك ، فأنا أوّفي بالعهد منك ، وأخرى
لقبول الأمان ، فأما أمانك الذي عرضت عليّ فأى الأمانات هو ؟ أمان
ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبد الله بن عليّ ، أم أمان أبي مسلم ؟! والسلام .
فكتب إليه المنصور : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير
المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك ، وبلغني كلامك ،
فإذا جُلّ فخرك بالنساء ، لتضللّ به الجفأة والغوّغاء ، ولم يجعل الله النساء
كالعمومة ، ولا الآباء كالعصبة والأولياء ، ولقد جعل العمّ أبًا ، وبدأ به علي
الوالد الأدي ، فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام : واتبعت ملة آبائي

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى
بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة ، فأجابه اثنان أحدهما أبي ،
وكفر اثنان أحدهما أبوك ، فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهم فلو أُعطينَ
على قُربِ الأَنسابِ وحقِّ الأَحسابِ ، لكانَ الخَيْرُ كُلُّهُ لآمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ،
ولكنَّ اللهُ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، فأما ما ذكرت من فاطمة
أمِّ أبي طالبٍ ، فإنَّ اللهُ لم يَهْدِ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهَا لِلإِسْلَامِ ، ولو فَعَلَ لَكَانَ
عَبْدُ اللهِ بن عبد المطلبِ أَوْلَاهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ فِي الآخِرَةِ وَالْأُولَى ، وَأَسْعَدَهُمْ
بِدخولِ الجنةِ غَدًا ، ولكنَّ اللهُ أبايَ ذلكَ فقال : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
ولكنَّ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، فأما ما ذكرت من فاطمة بِنْتِ أَسَدِ أمِّ عليٍّ
بن أبي طالبٍ وفاطمة أم الحسنِ ، وأنَّ هاشمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ
عَبْدَ المطلبِ وَلَدَ الحسَنَ مَرَّتَيْنِ ، خَيْرُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ
صلى اللهُ عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشمٌ إِلاَّ مَرَّةً واحِدَةً ، ولم يَلِدْهُ عبدُ المطلبِ
إِلاَّ مَرَّةً واحِدَةً ، وَأما ما ذكرت من أَنَّ ابنَ رَسولِ اللهِ ، فإنَّ اللهُ عزَّ
وجلَّ أبايَ ذلكَ فقال : ما كانَ مُحَمَّدٌ أبًا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكمْ ولكنَّ رَسولَ اللهِ
وخاتمَ النَّبِيِّينَ ، ولكنكمْ بَنُوا بِنْتَهُ ، وإِنها لَقَرابَةٌ قَرِيبَةٌ ، غيرَ أَنَّها امرأَةٌ
لا تَحوزُ الميراثَ ، ولا يَحوزُ أنْ تُؤمَّ ، فكيفَ تُورثُ الإمامَةَ مِنْ قِبَلِها ؟
ولقد طَلَبَ بها أبوك بِكُلِّ وَجهِ ، فأخَرَجَها مُخاصِمٌ ، ومَرَّضَها سِرًّا ، ودَفَنَها
لَيْلًا ، فَأبَى النَّاسُ إِلاَّ تَقديمَ الشَّيخينِ ، ولقد حَضَرَ أبوكَ وفاةَ رَسولِ اللهِ
صلى اللهُ عليه وسلم فَأَمَرَ بِالصلاةِ غيرَهُ ، ثمَّ أَخَذَ النَّاسُ رِجالًا رِجالًا ، فلم

يَأْخُذُوا أَبَاكَ فِيهِمْ ، ثُمَّ كَانَ فِي أَصْحَابِ الشُّورَىٰ فَكُلٌّ دَفَعَهُ عَنْهَا ، بَايَعَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُمَانَ وَقَبِلَهَا عُمَانُ ، وَحَارِبَ أَبَاكَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَدَعَا سَعْدًا
إِلَىٰ بَيْعَتِهِ فَأَغْلَقَ بَابَهُ دُونَهُ ، ثُمَّ بَايَعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَهُ ، وَأَفْضَىٰ أَمْرُ جَدِّكَ إِلَىٰ
أَيِّكَ الْحَسَنِ ، فَسَلَّمَهُ إِلَىٰ مَعَاوِيَةَ بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ ، وَأَسْلَمَ فِي يَدَيْهِ شِيعَتَهُ ،
وَخَرَجَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، فَدَفَعَ الْأَمْرَ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ،
فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ فَقَدْ بَعْتُمُوهُ ، فَأَمَّا قَوْلُكَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ فِي الْكُفْرِ
فَجَعَلَ أَبَاكَ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ، فَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَلَا مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ هَيْئٌ ، وَلَا يُنْبَغِي لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَفْخَرَ بِالنَّارِ ،
وَسَتَرْدُ فَتَعْلَمُ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ أَنَّكَ
لَمْ تَلِدْكَ الْعَجْمُ وَلَمْ تُعْرِقْ فِيكَ أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ وَأَنَّكَ أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا
وَخَيْرُهُمْ أُمَّ وَأَبًا ، فَقَدْ رَأَيْتَ فَخَرْتَ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ طُرًّا ، وَقَدَّمْتَ نَفْسَكَ
عَلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ أَوْلًا وَآخِرًا ، وَأَصْلًا وَفَصْلًا ، فَخَرْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
بَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ وَالِدِ وَلَدِهِ ، فَاظْطَرُّ وَيُحْسَبُ أَنْ
تَكُونَ مِنَ اللَّهِ غَدًا ، وَمَا وُلِدَ فِيكُمْ مَوْلُودٌ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ لِأُمِّ وَلَدٍ ، وَلَقَدْ كَانَ خَيْرًا مِنْ
جَدِّكَ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنْ أَيِّكَ ، وَجَدْتُهُ أُمَّ
وَلَدٍ ، ثُمَّ ابْنُهُ جَعْفَرٌ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جَدَّكَ عَلِيًّا حَكَمَ
حَكَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ عَلَى الرَّضَا بِمَا حَكَمَا بِهِ ، فَاجْتَمَعَا عَلَىٰ
خَلْعِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَمَّكَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَىٰ ابْنِ مَرْجَانَةَ ، فَكَانَ النَّاسُ

الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم على الأقتابِ بغير أوطيةٍ ، كالسبيِ
المجلوبِ ، إلى الشامِ ، ثم خرج منكم غيرُ واحدٍ فقتلناكم بنو أميةَ ، وحرَّفوكم
بالنارِ ، وصلَّبوكم على جذوعِ النَّخلِ ، حتى خرجنا عليهم ، فأدر كنا بئارِكم
بذلم تُدركوه ، ورفعنا أقداركم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا
يلعنون أباك في أدبارِ الصلاةِ المكتوبةِ كما تلعنُ الكفرةُ ، فعنفناهم
ركهه ناهم ، وبيئنا فضله ، وأشدنا بذكره ، فاتخذت ذلك علينا حجةً ،
وظننت أننا لما ذكرنا من فضلِ عليٍّ أننا قد مناه على حمزة والعباسِ وجعفرِ ،
كلُّ أولئك مَضَوْا سالمينَ مُسَلِّمًا منهم ، وابتلي أبوك بالدماءِ ، ولقد علمت
أنَّ ما نرنا في الجاهليةِ سقايةِ الحجاجِ الأعظمِ ، وولايةِ زمزمِ ، وكانت
للعباسِ دونَ إخوته ، فنازعنا فيها أبوك إلى عمرِ ، ففَضَى لنا عمرُ عليه ،
وثوَّفِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليس من عموته أحدٌ حيًّا إلا العباسُ ،
فكان وارثه دونَ بني عبد المطلبِ ، وطلبَ الخِلافةَ غيرُ واحدٍ من بني
هاشمِ ، فلم ينلها إلا وُلْدُهُ ، فاجتمع للعباسِ أنه أبو رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم خاتمِ الأنبياءِ ، وبنوُه القادةُ الخلفاءُ ، فقد ذهب بفضلِ القديمِ
والحديثِ ، ولولا أن العباسَ أُخْرِجَ إلى بدرِ كرهًا مات عمَّاك طالبُ
وعقيلُ جوعًا أو يلحسًا جفانَ عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ، فأذهبَ عنهما العارَ والشنارَ ،
ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يُمونُ أبا طالبٍ لِلأزْمَةِ التي أصابتهم ، ثم قَدَى
عقيلًا يومَ بدرِ ، فقد مُنَّاكم في الكفرِ ، وفدَيْنَاكم من الأسْرِ ، وورثنا
دونكم خاتمِ الأنبياءِ ، وحزنا شرفَ الآباءِ ، وأدر كنا من ثأركم ما عجزتم

عنه ، ووضعتنا كم بِحَيْثُ لَمْ تَضَعُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَالسَّلَامُ .
[قال أبو العباس : وقد كان المشركون أخرجوا عَقِيلًا وطالبًا ابني
أبي طالب كَرِهًا حينَ أُخْرِجَ العباسُ للمحاربة مع المشركين ، فأما طالبُ
فأظهر الكراهية للخروج لمحاربة ابن عمه عليه السلام ، ففي ذلك يقول :
يَا رَبِّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبُ فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ
فَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ
قال : ففقد طالبُ وأسرَ العباسُ وعميلُ ، فقال النبيُّ عليه السلامُ
للعباس : أهدِ نفسك وابنَ أخيك ، فقال : إني أُخْرِجْتُ كَرِهًا ، فقال النبيُّ
صلى الله عليه وسلم : أمّا ظاهرُ أمرِك فأنتَ علينا ، فقال : ما عندي فِدَاءٌ ،
فقال النبيُّ عليه السلام : ما فعلتِ الأربعةُ آلافِ درهم التي دَفَعْتَهَا عند
خروجك إلى أهلِكَ ؟ فقال : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١)]



قال أبو العباس : وقد ذكرنا رسالة هشامٍ إلى خالد بن عبد الله ،
وأننا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولاً فيه ،
وكان سببُ هذه الرسالة إفراطَ خالدٍ في الدالة على هشامٍ ، وأنه أخذ
ابنَ حَسَّانِ النَّبَطِيِّ فضرَبه بالسَّيَاطِ ، وكان يقال له سُهَيْلُ ، قال : فبعثَ
بقميصه إلى أبيه وفيه آثَارُ الدَّمِ ، فأدخله أبوه إلى هشامٍ ، مع ما قد أُوتِيَ
صدرَ هشامٍ عليه من إفراطِ الدالة ، واحتجَّانِ الأموال ، وكُفِّرَ ما أسداهُ

(١) هذه الزيادة من نسخة هـ ولم تثبت في النسخ المطبوعة بمصر .

إليه من توليته إياه العراق ، فكتب هشامٌ إلى خالدٍ : بسم الله الرحمن الرحيم ،
 أمّا بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمرٌ لم يَحْتَمِلْهُ لك ، إلّا لما أَحَبَّ
 من رَبِّ الصَّنِيعَةِ قَبْلَكَ ، واستتمامِ معروفِهِ عندَكَ ، وكان أمير المؤمنين
 أحقَّ مَنْ اسْتَصْلَحَ ما فَسَدَ عليه منك ، فإن تَعُدَّ لمثلِ مَقَالَتِكَ وما بلغَ أمير
 المؤمنين عنكَ رأياً في معاجلتك بالعقوبة رأياًه ، إنَّ النعمة إذا طالَت بالعبد
 مُتَمَدِّدَةً أَبْطَرَتْهُ ، فأساءَ حَمَلَ الكرامة ، واستقلَّ العافية ، ونَسَبَ ما في يديه
 إلى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغيرة ، وانكشطت
 عنه حماية الغي والسلطان ، ذلَّ مُنْقَاداً ، ونَدِمَ حَسِيراً ، وتمكَّن منه عدوه
 قادراً عليه قاهراً له ، ولو أراد أمير المؤمنين إفسادَكَ جَمَعَ بينَكَ وبين من
 شَهِدَ فَلَاتِ خَطْلِكَ ، وعظيمَ زَلَلِكَ ، حيثُ تقولُ جلسائك : « والله ما زادني
 ولاية العراق شرفاً ، ولا ولائي أمير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلي ممن
 هو دوني يلي مثله » ! ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل
 العراق ، في تلك المضايق التي لقي ، لعلمت أنك رجلٌ من بجيلة ، فقد خرج
 عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنيك ، حتى قلت :
 « أطعموني ماءً » !! دَهْشًا وبعلاً^(١) وجُبْنًا ، فما استطعتهم إلّا بأمانٍ ،
 ثم أخفرت ذمتك منهم رزينٌ وأصحابه ، ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين
 مكافأتك بخطلك في مجلسك ، وجحودك فضله إليك ، وتصغير ما أنعم به
 عليك ، فحلَّ العُقْدَةَ ، ونَقَضَ الصَّنِيعَةَ ، وردَّكَ إلى منزلة أنت أهلها ،

(١) البعل بفتح العين : الفرق والدهش عند الروع .

كنت لذلك مستحقاً ، فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين ، وعرض له دينه ودمه ، فاصطنع إلا عنده ، ولا ولاه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولاك ، وقبله من أهل اليمن ويوتاتهم من قبيله أكرم من قبيلتك ، من كندة وغسان وآل ذى يزن وذى كلاع وذى رعين ، في نظرهم من يوتات قومهم ، كلهم أكرم أولية ، وأشرف أسلافاً ، من آل عبد الله بن يزيد ، ثم آثر أمير المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيت رفيع ، ولا شرف قديم ، وهذه البيوتات تغلوك وتغمرك وتُسكيتك ، وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بداية الأمور وأبواب الخلفاء ، ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك ، لعاجلك بالتي كنت أهلها ، وإنما منك لقريب مأخذها ، سريع مكر وهما ، فيها إن أبق الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك ، وحلول نعمه بك ، فيما ضيعت وارتكبت بالعراق ، من استعانتك بالمجوس والنصارى ، وتولييتهم رقاب المسامين وجبوة خراجهم ، وتسلطهم عليهم ، نزع بك إلى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك ، فبئس الجنين أنت يا عدى نفسه ! وإن الله عز وجل لما رأى إحسان أمير المؤمنين إليك ، وسوء قيامك بشكره ، قلب قلبه فأسخطه عليك ، حتى قبحت أمورك عنده ، وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك ، فأصبحت تنتظر سقوط النعمة ، وزوال الكرامة ، وحلول الخزي ، فتأهب لنوازل عقوبة الله بك ، فإن الله عليك

أَوْجَدُ ، وَلِمَا عَمِلْتَ أَكْرَهُ ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ وَذُنُوبِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبَكِّتَكَ ، إِلَّا رَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِنْدَهُ مِنْ يُقَرِّرُكَ بِهَا ذَنْبًا ذَنْبًا ،
وَيُبَكِّتُكَ بِمَا أُتَيْتَ أَمْرًا أَمْرًا ، فَقَدْ نَسَيْتَهُ وَأَحْصَاهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَقَدْ كَانَ
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَاجِرٌ مِنْكَ فِيمَا عَرَفَكَ بِهِ مِنَ التَّسْرِعِ إِلَى حِمَاكَ فِي غَيْرِ
وَاحِدَةٍ ، مِنْهَا الْقُرَشِيُّ الَّذِي تَنَاوَلْتَهُ بِالْحِجَازِ ظَالِمًا ، فَضَرَبَكَ اللَّهُ بِالسَّوْطِ
الَّذِي ضَرَبْتَهُ بِهِ مُفْتَضِحًا عَلَى رُؤُوسِ رَعِيَّتِكَ ، وَلَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعُودُ
لَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَأَهْلُهُ أَنْتَ ، وَإِنْ يَصْفَحْ فَأَهْلُهُ هُوَ ، وَمِنْ ذَلِكَ
ذِكْرُكَ زَمَزَمَ ، وَهِيَ سُقْيَا اللَّهِ وَكَرَامَتُهُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ وَهَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ
تُسَمِّيهِ « أُمُّ جَعَارٍ » فَلَا سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ حَوْضِ رَسُولِهِ ، وَجَعَلَ شَرَّ كَمَا
لِخَيْرٍ كَمَا الْفِدَاءَ ، وَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ لَمْ يَسْتَدْلِلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعْفِ نَحَائِزِكَ
وَسُوءِ تَدْيِيرِكَ إِلَّا بِفَسَالَةِ دَخَائِلِكَ وَبِطَانَتِكَ وَمَمَالِكَ ، وَالغَالِبَةُ عَلَيْكَ
جَارِيَتُكَ الرَّائِقَةُ ، بَائِعَةُ الْفُهُودِ وَمُسْتَعْمِلَةُ الرِّجَالِ ، مَعَ مَا أَتْلَفْتَ مِنْ مَالِ
اللَّهِ فِي الْمُبَارَكِ ، فَإِنَّكَ ادَّعَيْتَ أَنَّكَ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ،
وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَا احْتَمَلَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَفْسَدْتَ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَضَيَّعْتَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَلَّطْتَ مِنْ وُلَاةِ
السُّوءِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ كُورِ عَمَلِكَ ، تَجْمَعُ إِلَيْكَ الدَّهَاقِينَ هُدَايَا النَّيْرُوزِ
وَالْمِهْرَجَانِ ، حَابِسًا لِأَكْثَرِهِ ، رَافِعًا لِأَقَلِّهِ ، مَعَ مَخَابِثِ مَسَاوِيكَ الَّتِي قَدْ
أَخْرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَقْرِيرَكَ بِهَا ، وَمُنَاصِبَتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْلَاهُ حَسَّانَ
وَوَكِيلِهِ فِي ضِيَاعِهِ وَأَحْوَاذِهِ فِي الْعِرَاقِ ، وَإِقْدَامِكَ عَلَى ابْنِهِ بِمَا أَقْدَمْتَ بِهِ ،

وسيكونُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ نَبَأٌ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْكَ ، وَاسْكَنَهُ يَظُنُّ أَنَّ
اللَّهَ طَائِبُكَ بِأُمُورِ أَيْتِهَا ، غَيْرَ تَارِكٍ لِتَكْشِيفِكَ عَنْهَا ، وَحَمْلِكَ الْأَمْوَالَ
نَاقِصَةً عَنِ وِظَائِفِهَا الَّتِي جَبَاهَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَتَوَجِيهِكَ أَخَاكَ أَسَدًا
إِلَى خُرَاسَانَ ، مُظْهِرًا الْعَصَبِيَّةَ بِهَا ، مُتَحَامِلًا عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍّ ، قَدْ
أَتَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَصْغِيرِهِ بِهِمْ وَاحْتِقَارِهِ لَهُمْ وَرُكُوبِهِ إِيَّاهُمْ الثَّقَاتُ ،
نَاسِيًا لِحَدِيثِ زَرْزَابٍ وَقِصَصِ الْمُهْجَرِيِّينَ كَيْفَ كَانَتْ فِي أَسَدِ بْنِ كُرْزٍ ،
فَإِذَا خَلُوتَ أَوْ تَوَسَّطَ مَلَأَ فَأَعْرَفَ نَفْسَكَ ، وَخَفَ رَوَاجِعَ الْبَغْيِ عَلَيْكَ ،
وَعَاجِلَاتِ النَّقْمِ فِيكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا بَعْدَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَدُّ
عَلَيْكَ ، وَأَفْسَدُ لَكَ ، وَقَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَافَ مِنْكَ كَثِيرٌ ، فِي أَحْسَابِهِمْ
وَيُؤْتَاتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَفِيهِمْ عِوَضٌ مِنْكَ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَكَتَبَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ سَنَةَ تِسْعِ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ .

[قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قَوْلُهُ « الْقُرَشِيُّ الَّذِي تَنَاوَلْتَهُ بِالْحِجَازِ ظَالِمًا فَضَرَبَكَ

اللَّهُ بِالسُّوْطِ الَّذِي ضَرَبْتَهُ مَفْتَضِحًا عَلَى رِوُوسِ رِعْيَتِكَ » فَهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي
عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، مِنْ وَلَدِ شَيْبَةَ ، وَكَانَ خَبْرُ الشَّيْبِيِّ أَنَّ خَالِدًا كَانَ عَامِلًا
لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَكَّةَ ، فَوَفَدَ هَذَا الشَّيْبِيُّ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ
خَالِدٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَرْجِعِي إِلَيْهِ وَهُوَ عَلَى عَامِلٍ ، فَقَالَ :
لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْكَ ، فَذَكَرَهُ بِشَرٍّ ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى
فُلَانٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ ، فَأَخَذَ خَالِدٌ ابْنًا لَهُ وَمَوَالِيَّ فَضَرَبَهُمَا بِالسُّيَاطِ
ضَرْبًا مُبْرِحًا ، فَوَجَّهَهَا بِقَمِيصَيْهِمَا إِلَى الشَّيْبِيِّ وَفِيهِمَا الدَّمَاءُ ، فَدَفَعَهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ ،

فأمر سليمان رجلاً من كلب أن يسير إلى خالد فيقطع يده ، فقال له يزيد بن المهلب ، وكان غالباً عليه : يا أمير المؤمنين ! أشير برأيي ؟ قال : قل ، قال : إن كان ضربهما بعد قراءة الكتاب قطعت يده ، وإن كان ضربهما قبل أن يقرأه أقيده ، فأمر سليمان بذلك ، فشهد عند الكلبى رجلان أحدهما داود بن علي بن عبد الله بن عباس أنه ضربهما قبل أن يقرأ الكتاب ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

فَلَوْلَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَلَّقَتْ بِكَفِّكَ فَتَخَاءَ الْجَنَاحَيْنِ طَائِرُ

يعنى بقوله « فتخاء الجناحين » العتاب ، والفتخ لين في جناحها واسترخاء من أجله تكسیر إذا حلقت . فضرب خالد كما ضربهما ، وأمر سليمان أن يشهر ويلبس مدرعة ويمشى إلى الشام . قال : فيقال إن الفرزدق مر به وهو يضرب وهو ضام يديه ، فصاح به : انشر جناحك يا ابن النصرانية ! فهذا السبب نال خالد من الفرزدق المكروه حيث ولي العراق ، حتى تخلصه أسد بن عبد الله وشفع فيه راراً ، وفي ضرب خالد يقول الفرزدق :
لَعَمْرِي لَقَدْ صَبَّتْ عَلَى ظَهْرِ خَالِدٍ شَأْيِبٌ مَا اسْتَهْلَلَنْ مِنْ سَبِيلِ الْمَطْرِ
لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَ ابْنُ شَيْبَةَ سَيْرَةً أَرْتِكَ نَجُومَ اللَّيْلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي
فَمَا أَفْلَحَتْ رُومِيَّةٌ أَنْتَ نَسَلُهَا غَذَّتْكَ بِالْبَانَ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرِ
« الشؤبوب » الدفعة من المطر ، وجمعها « شأيب » و « سبيل المطر » ما نزل منه . وقوله « سار ابن شيبَةَ سيرة » مثل خرج خرجة ، يعنى حين وقع بخالد عند سليمان بن عبد الملك . وقوله « ومناصبتك

أمير المؤمنين في مولاه حسانٍ ووكيله في ضياعه وأخوازه بالعراق وإقدامك
على ابنه بما أقدمت عليه في أمر خالدٍ واحتجانه الأموالَ وذكره هشامًا
بالتقصير « وقوله : « وما ولاني إلا ما كان يتولاه من هو دوني » شكًا
ذلك هشامٌ إلى رجل من أصحابه ، غاب اسمه عن أبي العباس ، وكان ذا أدبٍ
وذا عقلٍ وفهمٍ ، فدعا به يومًا وهو يسيرُ ، فذكر ذلك له ، فقال له الرجل :
يا أمير المؤمنين ! ما أعلمُ أحدًا يصدُقك عنه إلا حسانٌ ، فإنه نبطيُّ الخوفِ
نبطيُّ الرجاء ، فأملأ قلبه مخوفًا ووجهه أليَّةً ، فتقدَّم هشامٌ إلى الرجلِ
بما يدعُرُ به حسانٌ ، قال ذلك الرجلُ : فانصرفتُ عن مُسايَرة هشامٍ
إلى حسانٍ وهو يراني ، ثم دعوتُ حسانٌ فقلتُ له وقد أظهرتُ حزنًا :
ويحك يا حسان ! اعهدْ إليَّ في أهلك وولدك ، فكاد يحفُّ على سرجه ،
قال : وما ذاك جعلني اللهُ فِداك ؟ قلتُ : أما رأيتَ تردادَ الكلامِ بيني وبين
أمير المؤمنين ؟ قال : قد رأيتُ ، قلتُ : فما أخالك ناجيًا مما كنا فيه ولا مُفلتًا
من الموتِ ، قال : جعلني اللهُ فِداك وما عسيتُ أن أقولَ في الأهلِ والولدِ ؟
إذا ذهبتُ فعليهم العفاء ! قلتُ : ويحك يا حسان ، إني ما أرجو لك النجاةَ
إلا بواحدةٍ ، إن سألتُ أميرَ المؤمنين فاصدُقهُ وما أراك إلا بعيدًا ، ثم فارقتُه
وقد كادتُ نفسه تزهُقُ ، فلم ينسبُ أن دعاه هشامٌ ، فترجَّلَ وجعل يسعَى ،
فقال له : اركبْ لا أم لك ! فزجره ، ثم أسرَّ إليه ما أحبَّ ، وتقدم إليه
أن يُحصيَ على خالدٍ أنفاسه فضلًا عن غيرها ، وكتب إلى خالدٍ يخبره أنه
قد وَّجَّهَ حسانٌ لعمارة ضياعه ، فاستهان به خالدٌ وأقصاه وثقلَ عليه مكانه ،

فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَشْهُرًا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ يُأْمُرُهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ابْنَهُ وَيَشْخَصَ
إِلَيْهِ ، قَالَ حَسَانٌ : فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ يَشْكُو خَالِدًا ،
فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْقَائِلِ « اسْجُدْ لِلقَرْدِ فِي زَمَانِهِ » ! ثُمَّ خَرَجَ
الْقَرَشِيُّ وَسَأَلَنِي عَنْ خَالِدٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ لَا فَضْلَ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ دَمَنَ
النَّقْرَسَ ، فَقَالَ هِشَامٌ : لَوَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ خَالِدًا بَقِيَ بِهِ حَتَّى يَتَوَلَّى
عِلَاجَهُ بِيَدِهِ ، قَالَ حَسَانٌ : فَعَلِمْتُ أَنَّ الشُّكُورَى لَا تَنْفَعُ ، قَالَ : فَأَثْنَيْتُ !
قَالَ : فَأَقَامَ ابْنِي مَعَهُ فَأَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا فَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، فَوَجَّهَ
إِلَى بَقْمِيصِهِ ، فَاحْتَلَمْتُ لَهُ حَتَّى دَخَلَ بِهِ عَلَى هِشَامٍ ، فَوَقَّرَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ ،
وَجَعَلْتُ لِأَحَدِ الخُدَمِ مَا لَا عَظِيمًا عَلَى أَنْ يَضْرِبَ أَحَدَ صِبْيَانِ هِشَامٍ عَلَى
أَوَّلِ ذَنْبٍ بَحِثُ يَسْمَعُ هِشَامٌ وَيَقُولُ لَهُ فِي عَقَبِ ذَلِكَ الضَّرْبِ : وَاللَّهِ أَنْ
لَوْ كُنْتُ ابْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ الَّذِي يَسْتَعْلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِضَعَةَ
عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ مَا عَدَا ، فَفَعَلَ الخَادِمُ ، فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَوْقَعْتُ فِي قَلْبِهِ
مَا يَكْرَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ هِشَامُ الْكِتَابَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَى
خَالِدِ هَذَا الْكِتَابُ تَسَامَعَ بِهِ عُمَّالَهُ ، فَكَلَّمَهُمْ اسْتِأْذَنَ فِي أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ
فِيحْدِثَ بِهِ عَهْدًا ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ ، فَكَانَ مُتَكَلِّمُهُمْ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ ،
فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَفَضْلِكَ عَلَيْنَا مَا لَا نَسْتَكْثِرُ
مَعَهُ كَثِيرًا فِي صَلَاحِ أَمْرِكَ ، وَإِنَّكَ تَعْلَمُ مُنَافَسَةَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيشٍ
فِي الْمَالِ ، وَهَذَا الرَّجُلُ خَاصَّةٌ ، وَهُوَ أَعْذَرُ مِنْكَ ، يَقُولُ وَلَيْتَكَ فَاتَّخَذْتَ
الضِّيَاعَ لِنَفْسِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَلَيْهِ هَذِهِ الضِّيَاعَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا

ما أَحَبَّ ، فإنه لا يَفْعَلُ ، وإن فَعَلَ اسْتَدْرَكَتْ بِحُسْنِ رَأْيِهِ أَكْثَرَ مِنْهَا ،
فقال خالد : إِذَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ وَلَا أُعْطَى عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا ، وَاللَّهِ لَهُوَ
أَحْوَجُ إِلَيَّ مِنِّْي إِلَيْهِ ! فقال له بلالٌ : أَيَقْدِرُ أَنْ يُرْسِلَ فَيَأْخُذَهَا مِنْكَ ؟
قال : نعم ، قال : فوالله لَأَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهَا أَوْ بَعْضَهَا أَوْ يَصْفَحَ عَنِ
الْجَمِيعِ أَحْظَى وَأَحْسَنُ بِكَ ، قال : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، قال بلالٌ : فَإِنِّي
أَقُولُ عَنِ نَفْسِي وَعَنْ أَصْحَابِي فَإِنَّا نُعْطِيكَ مِمَّا كَسَبْنَاهُ بِكَ مَا يَنِي بِأَكْثَرِ
مِنْ هَذِهِ الضِّيَاعِ فَتُوجِهْ بِهِ إِلَيْهِ مَالًا وَتَعْرِضْ عَلَيْهِ حَالًا فَإِنَّكَ تَعْتَاضُهُ
وَإِنَّا سَنَكْسِبُ إِنْ بَقِينَا ! ! قال : إِذَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَالْحَوَا عَلَيْهِ ، فقال
خالدٌ : أَنْظِرْ ، وَارْجِعُوا أْتَمُّ إِلَى أَعْمَالِكُمْ ، فَارْجِعِ الْقَوْمُ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ :
اسْتَعِدُّوا لِلْعَزْلِ ! ! [(١)]

[وهذا بابٌ من مُتَنَخَّلِ طَرِيفِ الشُّعْرِ وَذِكْرِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ رَبَّمَا
غَلِطَ فِي مَجَازِهَا النَّحْوِيُّونَ . قال أبو العباس] (٢) :

هذا الكتابُ قد وَفَّيْنَاهُ جَمِيعَ حَقُوقِهِ ، وَوَفَّيْنَا بِجَمِيعِ شُرُوطِهِ ،
إِلَّا مَا أَذْهَلَ عَنْهُ النَّسِيَانُ ، فَإِنَّهُ قَوْلٌ مَا يُخْلَى مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْنُ خَاتَمُوهُ

(١) هذه الزيادة من إحدى نسخ الكتاب « الكامل » والظاهر لنا أنها مما سمع أحد تلاميذ المبرد
منه حين القراءة تمسيرا لبعض ما فيه ، فأثبتها في صلب الكتاب ، ويؤيد ذلك قوله فيها « شكنا
ذلك هشام إلى رجل من أصحابه غاب اسمه عن أبي العباس » فالذي يقول هذا تلميذ أبي العباس ،
فيا نرجس ، وهذه النسخة المزاد عنها أثبت في آخرها ما نصه : « هذا آخر كتاب الكامل
والحمد لله كثيرا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الأخيار وسلم تسليما . فرغ من نسخه في النصف
من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بخط يحيى بن المبارك الصحاوي . حسبنا الله
ونعم الوكيل . »

(٢) هذه الزيادة من ب و س و د و ف .

بأشعارٍ طريفةٍ ، وآخرُ ذلك الذي نَحْتَمُّ به آياتٌ من كتابِ الله عز وجل ،
بالتوقيفِ على معانيها إن شاء الله .

قال الشاعرُ :

أذُكُرُ مَجَالِسَ من بنى أسدٍ بعدُوا وحنَّ إليهم القلبُ
الشَّرْقُ منزلنا ، ومنزلهم غربٌ ، وأنى الشَّرْقُ والغربُ
من كلِّ أبيضَ جُلُّ زينتِه مسكٌ أحمٌ وصارمٌ غضبُ

وقال آخرُ :

حياةُ أبي العوامِ زينٌ لقومه لكلِّ امرئٍ قاسَ الأمورَ وجرباً
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لَكُنَّا على الباقي من الناسِ أعتباً
وقال مُسلمٌ :

حياتُكَ يَا ابنَ سَعْدَانَ بنِ يَحْيَى حياةٌ للمكارمِ والمعالَى
جَلَبْتُ لك الشَّاءَ فجاءَ عَفْوَاً ونَفَسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ العِقَالِ
وترَجِّعُنِي إليك ، وإن نأتُ بي دِيَارِي عنكَ ، تجرِبَةُ الرِّجَالِ
وقيلَ في المثلِ : المبالغةُ في النصيحةِ تَقَعُ بكَ على عَظِيمِ الظَّنَّةِ .

وأنشدني العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ :

وكم سقتُ في آثاركم من نصيحةٍ وقد يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ المُتَنَصِّحُ
وأنشدني الرِّيَاشِيُّ :

إذا الأمرُ أغنى عنكَ جنوياً فاجتنب معرَّةَ أمرٍ أنتَ عنه بمعزلِ

وقال العتّابي :

لا تَرْجُ رَجْعَةَ مُذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَابًا باعْتِذَارًا

وقال أيضاً :

وَفِيَتْ كُلَّ خَلِيلٍ وَدَنِي مِمَّنَّا إِلَّا الْمُؤَمِّلَ دُوَلَاتِي وَأَيَّامِي

وقيل للعتّابي : ما أقربُ البلاغةِ ؟ قال : ألا يُؤْتَى السامِعُ من سُوءِ

إفهامِ القائلِ ، ولا يُؤْتَى القائلُ من سُوءِ فهمِ السامِعِ . وقال ابنُ يسيرٍ :

إقْدِرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ أَنْ تَخْطُوَ مِنْزِلَهَا فَمِنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَقًا

وكان يقالُ : اصْمُتْ لِتَفْهَمَ ، واذْكَرْ لِتَعْلَمَ ، وَقُلْ لِتَذُلُقَ .



وَنَذَرُ كُرُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ رَبِّمَا غَلِطَ فِي مجازِها النحويّون . قال الله

عز وجلّ : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ مجازُ الآية أن المفعول

الأوّل محذوفٌ ، ومعناه : يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ . وفي القرآن : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ

مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ والشَّهْرُ لا يَغِيبُ عَنْهُ أَحَدٌ ، ومجازُ الآية : فمن كان

مِنْكُمْ شاهداً بِلَدِّهِ فِي الشَّهْرِ فَلْيَصُمْهُ ، والتقديرُ « فمن شهد مِنْكُمْ » أي :

فمن كان شاهداً في شهر رمضان فَلْيَصُمْهُ ، نَصَبَ الظُّرُوفِ لا نَصَبَ

المفعولِ به . وفي القرآن في مخاطبة فرعونَ : ﴿ فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبِدْنِكَ

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ فليس معنى « نُنَجِّيكَ » نُخَلِّصُكَ ، ولكن

نُلقِيكَ على نُجُوةٍ مِنَ الأَرْضِ « بِبِدْنِكَ » بِدِرْعِكَ ، يَدُلُّ على ذلك

« لتكون لمن خَلَقَكَ آيَةً » وفي القرآن: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ،
أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ . فالوقفُ « يخرجون الرسولَ وإيَّاكم » أي
ويُخْرِجُونَكُمْ لِأَنَّ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ .



هذا آخِرُ الْكِتَابِ الْكَامِلِ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَرَسْتَفَعَرُ اللَّهُ مِمَّا قُلْنَا مِنْ عَمْدٍ وَقَصْدٍ وَزَلَّلِ .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين .
تم تحقيق « الكتاب الكامل » وقد كنت أود أن أزيده إتقاناً وتحبيراً ،
لولا أن الفرصة لم تسعف ، ولأنى لم أتعهد الكتاب من أوله ، وكان في عزمي
أن أضع له فهرس متقنة مفصلة ، أدق مما وضع لطبعة أوروبا ، ولكن
حالت دون ذلك الظروف القاسية ، بسبب هذه الحرب التي ثارت بين أم
أوروبا واكتويننا بناها ، ووقفت كثيراً من الأعمال النافعة ، بما قطعت السبل
وضيقت من وسائل النقل . وأسأل الله أن يهيئ لي فرصة أخرى أخرج
فيها الكتاب على ما أحب ، وعلى ما يحق له ، وأسأله الهداية والتوفيق
والعصمة والسادام

كتب

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

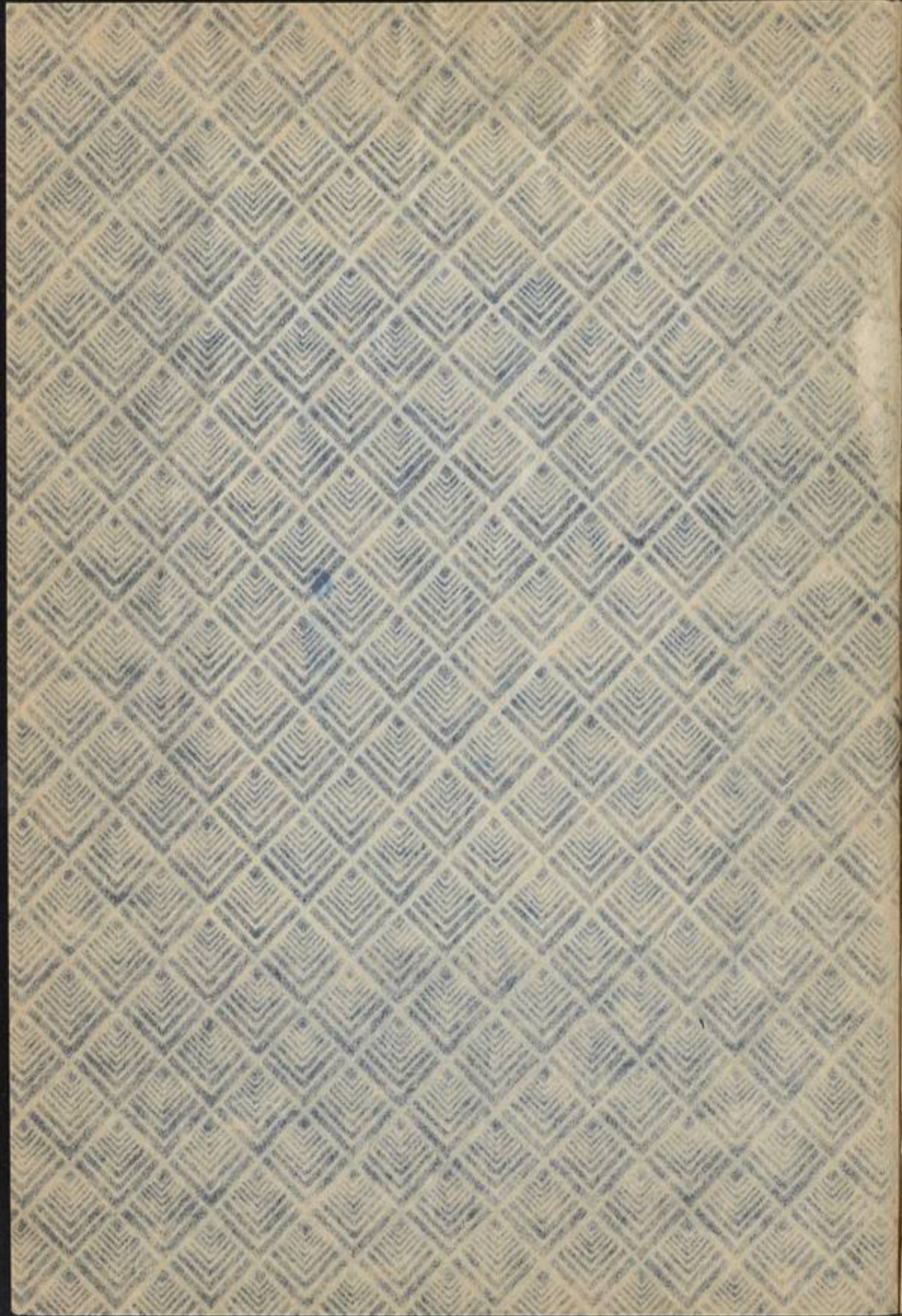
عن العباسية بمصر ضحوة الجمعة { ٣ جادى الأولى سنة ١٣٦٢
٧ مايو } سنة ١٩٤٣

مكتبة دار الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 في شهر رجب المبارك سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩٤٣ م
 تم طبع كتاب الكامل للإمام
 أبي العباس المبرد في يوم الاثنين المبارك ١٦ رجب من سنة
 ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩٤٣ م

ملاحظ المطبعة محمد أمين عمراة
 مدير المطبعة رستم مصطفى الحلبي

مكتبة دار الحديث
 رقم التسجيل
 تاريخ النشر



00786098703



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

D893.741

M8813

v. 3

D893.741

BURGESS

M8813

v. 3 Mubarrad

Al-kamil fi lughat wa-al-
adab wa-al-nahw wa-al-tasrif

BURGESS-CARPENTER LIBRARY
ROOM 406 BUTLER LIBRARY
COLUMBIA UNIVERSITY
NEW YORK 27, N. Y.

NOV 15 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



1002001128

P